جون كوبلينتز

خُطَّة اللَّه للعائِلَة

Originally Published in English under the title:
God's Plan for the Family
©1992, 2002 by "Gleam Publications"
with permission of CLP, Inc.
All rights reserved
www.gleampublications.com
email: feedback@gleampublications.com

الطبعة الثالثة ٢٠٢٠

الكتاب: خُطَّة الله للعائِلَة

المُؤلِّف: جون كبلينتز

تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص. ب. ١٦٥ منصورية، المتن- لبنان

هاتف: +٩٦١٤٤٠١٩٢٢

فاكس: +٩٦١٤٥٣٢٤٨١

بريد إلكتروني: info@Dar-Manhal-Alhayat.com

موقع إلكتروني: www.Dar-Manhal-Alhayat.com

Dar Manhal Al Hayat
دار منهل الحياة

الناشر: دار منهل الحياة

التّرقيم الدّولي: 978-614-460-036-8

**جميع الحقوق باللُّغة العربيَّة محفوظة للنّاشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو اقتباس أيّ جزء منه من دون إذن النّاشر.
وللنّاشر وحده حقّ إعادة الطّبع والنّشر من خلال النّسخ المطبوعة
أو أيّة وسيلة سمعيّة أو بصريّة، أو عبر الانترنت في أيّ مكان.**

المحتويات

المقدِّمة ٥

الفصل الأوّل – **مفاهيم عائليَّة أساسيَّة** ٩

الوَحدة الاجتماعيَّة ١١
الميراثُ العائليُّ: بَرَكة أَم لعنة؟ ١٧
الضُّغوط الثَّقافيَّة ٢٧

الفصل الثاني – **تَرْك الطُّفولة** ٣٩

مَن أنا؟ ٤٠
التَّغييرات الجسديَّة ٤٤
التَّغييرات العاطفيَّة والسُّلوكيَّة ٤٧
التَّغييرات الروحيَّة ٤٩
وضع الأساس المَتين ٥٥
كيف نعيش حياةً طاهرة ٥٩

الفصل الثالث – **التَّعارُف والخَطبة** ٦٩

لماذا نَتعرَّف إلى الجنس الآخر؟ ٧١
هل نحن جاهزون؟ ٧٧
كيف نُقْدم على هذه الخطوة؟ ٨٤
ما هي الخُطوة التَّالية؟ ١٠٨

الفصل الرابع – **العُزوبَة** ١١٧

لماذا أنا عازب؟ ١١٨
ما الأمور التي ينبغي تَوَقُّعها؟ ١٢٨
ما الأمور التي ينبغي تَجَنُّبها؟ ١٣٣
كيف يمكنني أن أخدِم؟ ١٤٤

الفصل الخامس – **الزَّواج** ١٥٧

خُطَّة الله: رَجُلٌ واحدٌ وامرأةٌ واحدةٌ، إلى أن يُفَرِّق الموت بينهما ١٥٨
الزَّوجة الفاضلة ١٦٠
الزَّوج التَّقيُّ ١٦٣
الاحتياجات الأساسيَّة وكيفيَّة تلبيتها ١٦٨
أخطاء شائعة في الزَّواج ١٧٤
انتهاك خُطَّة اللّه ١٨٢

تقويم انتهاكات الزَّواج ١٩٠

الفصل السادس – **الأُبوَّة والأمومة** ١٩٧
أهداف للأبوَيْن ١٩٨
متى تَمتلئ الجُعبَة؟ ٢٠١
تربية الأبناء في حياة التَّقوى ٢٠٧
إرشادات لاستخدام العَصا ٢١٤
تطبيق مبادئ تربية الأبناء ٢١٩
التحكُّم في الغضب ٢٣٢
ماذا عن مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة؟ ٢٣٦
الأبناء بالتَّبَنِّي ٢٣٧

الفصل السابع – **البيت والكنيسة** ٢٤٥
ما هي الكنيسة؟ ٢٤٦
العُضويَّة في الكنيسة ٢٤٧
التَّعاون بين البيت والكنيسة ٢٥١
يوم الربِّ ٢٦٠

الفصل الثامن – **عندما تتفاقم المشكلات** ٢٦٧
نظرة واقعيَّة إلى الألم ٢٦٨
التمسُّك بالمواقف السَّليمة ٢٧١
الإعاقات البدنيَّة ٢٧٦
الإعاقات العقليَّة ٢٨٣
رعاية الأبوَيْن المُسِنَّيْن ٢٨٥
مواجهة الموت ٢٩٦
الاستعداد للموت ٣٠٠
فقدان شريك الحياة ٣٠٤

الفصل التَّاسع – **عندما يَنهار البيت** ٣١٣
الأبناء المُتمرِّدون والآباء المُتألِّمون ٣١٤
الآباء المُتمرِّدون والأبناء المُتألِّمون ٣٢٤
الشَّريك المُتمرِّد والشَّريك المُتألِّم ٣٢٩
إنقاذ الزَّواج ٣٣٧

المقدِّمة

لقد أبصر هذا الكتاب النُّور لأوَّل مَرَّة، في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة. وقد كُتب إلى المؤمنين المسيحيِّين في إطار الثَّقافة الغربيَّة التي حَادَت كثيرًا عن البُنَى العائليَّة التَّقليديَّة والقِيَم العائليَّة الأصيلة. ومِن دواعي الأسف أنَّ ابتعاد العائلات عن خُطَّة الله لحياتها لا يَقتصر على الولايات المُتَّحدة والبلاد الغربيَّة. فالعائلات في جميع أرجاء العالم تتفكّك بسبب إصرار النَّاس على عمل مشيئتهم وتنفيذ خُططهم عوضًا عن السلوك بما يتوافق مع مشيئة الله وخُطَّته.

لكِنْ كم نَشْكُر الله لأنَّ كلمته ثابتةٌ لا تتغيَّر! فمهما كانت التَّغييرات التي تَطرأ على مجتمعاتنا، إنَّ مقاصد الله للعائلة في يومنا هذا لم تتغيَّر عن تلك التي وضعها عندما أَسَّس العائلة. كما أنَّ وصاياه المتعلّقة بتأسيس عائلات تَقيَّة وناجحة هي وصايا مُلائمة لكُلِّ ثقافةٍ وزمانٍ ومكان. وما زال الله يبحث عن رجال ونساء مُستعدِّين للالتصاق بعضهم ببعض مدى الحياة. وهو يُلزمهم بهذا الرِّباط المقدَّس، ويُرشدهم، وينتظر منهم نَسْلاً تَقيًّا إذ إنَّ كُلَّ جيلٍ مِن المؤمنين مُطالبٌ بإرشاد أبنائه إلى معرفةِ الله وبتعليمهم طُرُقَه.

لقد نشأتُ في كنيسة مُحافِظَة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة. وما زلتُ أنتمي إلى الكنيسة نفسها حتَّى هذا اليوم. كان مُؤسِّسو هذه الكنيسة يؤمنون بتطبيق تعاليم يسوع المسيح والمبادئ الكتابيَّة حرفيًّا في جميع جوانب الحياة.

وكان أجدادي يُقَدِّرون العائلة كلَّ التقدير. وقد عمل كثيرون منهم معًا في مزارع عائليَّة، وأداروا أعمالاً تجاريَّةً صغيرةً معًا. وكانوا يَشعرون أحيانًا بأنَّ التزامهم بتعاليم الكتاب المقدَّس يَجعل حياتهم مُختلفة عن المجتمع الغربيِّ الذي يعيشون فيه.

إنّي أُقَدِّر كثيرًا هذه البيئة التي نشأتُ فيها لأنِّي وجدتُ فيها ميراثًا عائليًّا غنيًّا في ما يَخُصُّ الحياة العائليَّة السَّعيدة المتينة. ولكن بوجود سَرطان مُستفحل أصاب العائلات في المجتمع عمومًا، أخشى أن يَتَفَشَّى هذا السَّرطان في العائلات المؤمِنة التي تَنتمي إلى أجيالٍ سابقة عاشت في تَقوى الله.

وهذا يعني أنَّ لا أحد مِنَّا، ولا حتَّى أولئك الذين يعيشون في مجتمعاتٍ تُحافظ على القيَم العائليَّة الأصيلة، بمنأى عن هذا الخطر الذي يَتَرَبَّصُ بالعائلات ويؤدِّي إلى تفكُّكها. لذلك، يجب علينا أن نُدرك حاجتنا إلى معونة الله لكي نتمكَّن مِن تطبيق خُطَّته في حياتنا العائليَّة. إذًا، هذا الكتاب ليس موجَّهًا إلى طائفة أو مجموعة مُعَيَّنة، بل هو دعوة لتَذَكُّر العديد مِن المبادئ والممارسات الكتابيَّة التي استرشدتْ بها العائلات المؤمِنة عَبْر القرون، وتطبيق هذه المبادئ عند التصدِّي للمشكلات التي نُواجهها اليوم. إنَّها دعوة مُوَجَّهة إلى جميع المؤمنين المسيحيِّين للعودة إلى المبادئ الكتابيَّة، وتقييم الحياة العائليّة في ضَوْئها.

لذلك، ليس هذا الكتاب قائمًا على مبادئ علم النَّفْس المألوفة، بل على سُلْطانٍ أقوى مِنَّا جميعًا: سُلطان الله الذي أَسَّس العائلة ووضع لها مبادئ قويمة تسترشد بها للنَّجاة من شَرِّ هذا الدَّهر وفساده. ومع أنّ هذا الكتاب يحوي اقتباسات لكُتَّاب ومؤلِّفين آخرين، لكن هذا لا يعني البتَّة أنَّنا نَتَّفق مع هؤلاء الكُتَّاب والمؤلِّفين في كُلِّ ما قالوه وكتبوه. لكن لا نُنكر أنَّ أشخاصًا آخرين كثيرين قد ساهموا في زيادة فهم المبادئ الكتابيَّة الواردة في هذا الكتاب، والمُساعدة في تطبيقها أيضًا.

ولا يَسعني هنا إلَّا أن أشكر "ديفيد ي. شوالتر"، و "ديفيد ل. ميللر"، و "إيلي ب. يودر"، و "ليون يودر"، و "لويد هارتزلر" على مُراجعتهم المُسَوَّدات الأوليَّة لهذا الكتاب، وعلى ما أبدوه من اقتراحات ونَقْد بَنَّاء. كذلك، أشكُر "ديفيد ميللر" على تحريره الدَّقيق للكتاب. وأودُّ أيضًا أن أشكر الأشخاص الكثيرين الذين طرحوا عليَّ أسئلة مهمَّة عن العائلة دفعتني إلى البحث عن إجاباتٍ لها في كلمة الله. ويُشير الجزء الخاصّ بـ "قِصَّة من واقع الحياة" إلى حياة بعض الأفراد والعائلات الذين التقيت بهم، وعرفتهم، وأحببتهم. وهذه القصص تحوي فقط التَّفاصيل التي ساعدتني ذاكرتي على استرجاعها. لكنَّ الأسماء الواردة هنا هي أسماء وهميَّة (باستثناء الاسم الذي وَرَد في قصّة إعاقة أبي في الفصل الثَّامن). وفوق كلّ شيء، أشكر الله على عائلتي التي بارَكني بها. فزوجتي "باربرا" وأولادنا السَّبعة هُم أعظم ذُخْرٍ تعليميٍّ لي في الحياة العائليَّة المسيحيَّة.

ولا شكَّ أنَّ نِطاق هذا الكتاب واسع، بل وواسعٌ جدًّا. فهو يُبَيِّن بجلاء أنَّ العائلة ليست مشكلةً في حَدِّ ذاتها. لكِنْ إن أردنا أن نَبني عائلات ناجحة وسعيدة، فإنَّنا أمام مشروع بناءٍ ضخمٍ على مستوياتٍ عديدة.

وصلاتي هي أنْ تُبنَى حياة القُرَّاء الأحبَّاء على الإيمان الرَّاسخ بأنَّ سُبُل الله قويمة وقابلة للتطبيق، وبأنَّ مَن يَبني بيته على المعايير التي وضعها الله ليس إنسانًا جاهلاً. ليت الربَّ إلهنا يساعدنا على تأسيس بيوتٍ كثيرةٍ مُستقرَّةٍ في هذا العالم المُضطَّرِب الذي نعيش فيه!

--مُقتَبَسَة بتصرُّف من المقدِّمة بقلم جون أ. كوبلنتز.

الفصل الأوَّل
مفاهيم عائليَّة أساسيَّة

المقدِّمة

قد نبدو سخيفين إذا قُلنا إنَّ العائلة تعيش حالة تَقهقُر في المجتمعات الغربيَّة. فعدد الذين قالوا ذلك قَبْلَنا والذين يقولونه الآن كبيرٌ. ومع ذلك، ما تزال العائلة تعيش حالة تفكّك. وعلى الرَّغم مِن وفرة الكُتب والنَّدوات والخبراء، ما زال الأزواج والزَّوجات يهجرون بعضهم بعضًا، وما زال الآباء والأمَّهات يهجرون أولادهم، والعكس صحيحٌ أيضًا. والأمر الذي لا يفهمه كثيرون للأسف، هو أنَّ المشكلة لا تَكْمُن في العائلة الغربيَّة، بل في الحياة الغربيَّة. ومع أنَّ ملايين الدُّولارات قد أُنْفِقَت على المزيد مِن البرامج، وعلى تطوير الأساليب، وعلى توفير تدريبٍ أوضح للآباء والأمَّهات، إلّا أنَّ المشكلة الحقيقيَّة غالبًا ما لا تُطرَح. فأسلوب عيش الغربيِّين (الأشياء المُهِمَّة في نظرهم، ومواقفهم تُجَاه الحياة، والأسُس التي تقوم عليها الحياة العائليَّة) يُبْطِل فاعليَّة الكثير مِن النَّصائح الجيّدة المُقَدَّمة. والحقيقة هي أنَّ هذا التَّقهقُر العائليَّ لا يَقتصر على الغرب. ففي ضوء

ما تقوم به وسائل الإعلام الحديثة المُنتشرة حول العالم مِن هجوم على القِيَم العائليَّة الأصيلة، والحَطّ مِن شأن العائلات المتينة، تعيش العائلات في مُختلف الثَّقافات حالةَ تدهور.

ولا يَلْزَمُنا أكثر مِن مَثَلٍ واحدٍ لإثبات ذلك. فمع أنَّ مؤمنين كثيرين يسألون أنفسهم عن صِحَّة سماحهم لأبنائهم بالاستماع إلى الموسيقى التي يستمعون إليها، أو عن ضرورة خفض صوت الموسيقى بعض الشَّيء، فإنَّ فئة قليلة جدًّا مِن الآباء والأمَّهات في وقتنا الحاضر تُدرك أن الموسيقى اليوم -بما فيها الموسيقى المسيحيَّة- قد أَفْسَدَت بعض القِيَم المسيحيَّة. لنأخذ الهدوء مثلاً. فالصَّخب (حتَّى إن كان ناجمًا عن موسيقى جميلة) في العديد مِن البيوت اليوم قد يدفع الكثير من أجدادنا إلى الهرب خارجًا للتمتُّع بنزهة في الهواء الطَّلق. وماذا عن العبادة؟ ففي خِضَمِّ هذا الصَّخب الموسيقيِّ في عصرنا، والمَيْل إلى تَأليه بعض الفِرَق الموسيقيَّة، واللَّهْث وراء كُلِّ أغنية جديدة، والتَّنافُس الشَّرِس على تشغيل الموسيقى بأعلى صوتٍ مُمكن، أين ذهب توقيرُ الله؟ وكم هو عدد أنظمة تشغيل الموسيقى التي تكلّف آلاف الدولارات والتي نَجَحَتْ في إخْماد أصوات العائلات التي كانت تُرَنِّم وتُسَبِّح الله مِن أعماق قلوبها (علمًا أنّ هذه الأنظمة لا تُساوي فلسًا في السماء)؟

إنَّ وجهة نظري بسيطة؛ هناك بيوتٌ كثيرة لن تقف على قدميها إلَّا مِن خلال إجراء تغييرات جذريَّة على الأسُس التي يقوم عليها البيت. فمِن الغباوة أن نَبني منزلاً على الطِّين أو الرَّمل. ومِن الجهل أن نُفَكِّر أنَّنا قادرون على بناء بيوتٍ تُمَجِّد الله مِن خلال الاستعانة بقِيَمٍ مقبولةٍ عند أغلبيَّة النَّاس في الثَّقافة الغربيَّة. فإذا اكتشفنا أنَّ المواد التي استُخدمت في بناء أساسات منازلنا هي مواد مغشوشة، لا يمكننا معالجة المشكلة بالاستعانة بمُصَمِّمٍ داخليٍّ يُقَدِّم لنا مجموعة نصائح عن لون الطِّلاء المناسب. فقَبل كُلِّ شيءٍ، يجب معالجة الأساسات.

يتحدَّث هذا الفصل عن الأساسات (الأمور الجوهريَّة). سنرى مِن خلال الكتاب المقدَّس قَصْد الله للعائلة، ونُلقي نظرةً فاحصة على المفاهيم الأساسيَّة المهمّة للعائلة بوصفها وَحدة اجتماعيَّة. وسنتحدَّث في وقتٍ لاحقٍ عن بعض الأساسات الخاطئة التي تُحاول ثقافتُنا أن تَفرضَها علينا لبناء بيوتنا؛ وهي أساسات ينبغي لنا أن نَرفُضها إذا أردنا تأسيس عائلات سليمة.

الوَحدة الاجتماعيَّة

"وَلتَكُنْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ التِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ عَلى قَلبِكَ وَقُصَّهَا عَلى أَوْلادِكَ وَتَكَلمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ" (التَّثنية ٦: ٦ و٧).

"الابْنُ الْحَكِيمُ يَسُرُّ أَبَاهُ وَالابْنُ الْجَاهِلُ حُزْنُ أُمِّهِ... مَنْ يَجْمَعُ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ ابْنٌ عَاقِلٌ وَمَنْ يَنَامُ فِي الْحَصَادِ فَهُوَ ابْنٌ مُخْزٍ" (أمثال ١٠: ١ و٥).

"أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هَذَا حَقٌّ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، ... وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لا تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" (أفسُس ٦: ١ و٢ و٤).

يُمكننا أن نَرى بسهولة مِن خلال هذه الآيات وغيرها أنَّ قَصْد الله هو أن تكون العائلةُ الوَحدةَ الاجتماعيَّة الأساسيَّة في المجتمع. فالعائلة هي المكان الذي تَحْدُث فيه الزِّيارات، والأكل، والتَّعليم، والمَهامُّ، واللَّعب. وقَصَدَ الله أن نَتفاعل مع أفراد عائلاتنا أكثر من أشخاصٍ آخرين. ولأنَّ الله أراد للعائلة أن تكون المكان الرَّئيسيَّ الذي يَحْدُث فيه التَّفاعل الاجتماعيُّ، فقد وَضَع بعض التوجيهات للتَّفاعُل السَّليم.

لَكِنَّ العائلة، بوصفها وَحدة عائليَّة، تتراجع بشكلٍ متزايد. فالَّذين يَرغبون في العمل يَذهبون إلى الشَّركات والمؤسَّسات. والَّذين يَرغبون في التَّعَلُّم يَذهبون إلى المدارس والجامعات. والَّذين يَرغبون في اللَّعب يَذهبون إلى الحدائق ومراكز التَّرفيه. والَّذين يَرغبون في تناول الطَّعام يَذهبون إلى المطاعم. أمَّا الزِّيارات فهي قليلة. وهناك الكثير مِن العائلات التي تَجِد غرابةً كبيرةً في اجتماع العائلة بأسْرِها في إحدى الأمسيات. وقد يَشْعُر الأب بالضَّغط أكثر مِن الجميع. فهو مُضْطَرٌّ إلى العمل ساعاتٍ إضافيَّة مساء يوم الإثنين. ويحضر تدريبات كُرة القدم مساء يوم الثَّلاثاء. ويَذهب إلى درس الكتاب المقدَّس مساء يوم الأربعاء. ويَلتقي بأصدقائه مساء يوم الخميس. أمَّا مساء الجمعة فهناك اجتماعٌ في الكنيسة للتَّخطيط للمؤتمر القادم! فحياته عبارة عن ركض! والحقيقة هي أنَّ مِثل هذه الأشاغيل الكثيرة لم تَكُن أمرًا مألوفًا لدى العائلات قَبْل مئة سنة. لذلك، لا بُدَّ مِن تذكير الآباء بضرورة تمضية الوقت مع أولادهم. فينبغي للآباء والأمَّهات أن يُخَصِّصوا "سهرة عائليَّة" أو "وقتًا ثمينًا" مع أولادهم لأنَّ العائلة، التي هي وَحدة اجتماعيّة، تنهار أكثر فأكثر.

سنتطرَّق في وقتٍ لاحقٍ إلى الضُّغوط النَّاجمة عن المُبالغة في الأنشطة، لكن سنكتفي الآن بالقول إنَّ الأولاد والراشدين يحتاجون إلى التَّفاعُل الأسري.

يجب أن يعمل أفراد العائلة معًا

في الوضع المثاليِّ، يمكن أن يَعملَ الأبُ في مهنةٍ تُتيح له إمضاء وقتٍ مع عائلته في البيت. ومع أنَّ هذا ليس مُمكنًا في كثيرٍ من الحالات، لكن يجب على الأب أن يكون شديد الحرص لئلَّا يَسْتَنْزِف عملُه كُلَّ طاقته. ويجب عليه أن يُخَطِّط لِصَرْف وقتٍ مع عائلته في وقت فراغه وعُطلته. وقد يكون العملُ في حديقة المنزل مشروع عمل في وقت الفراغ. وإن لم يَكُن ذلك مُمكنًا، يمكن اختيار أيِّ نشاطٍ آخر. فبإمكان الأب أن يَصرف وقتًا في تصليح بعض الأشياء في

المنزل، أو في صيانة السيّارة، أو في مساعدة زوجته في الطَّبخ، أو في أيِّ نشاطٍ آخر يمكن لجميع أفراد العائلة أن يتعاونوا معًا لإنجازه. فمن الجيِّد أن يَرى الأولاد آباءهم وأمَّهاتهم يَعملون. ومن الجيِّد أن يُعَلِّم الآباء والأمَّهات أولادهم كيفيّة العمل، ويبيّنوا لهم الصفات التي يتمتّع بها العامل الجيّد. ومن المفيد لجميع أفراد العائلة أن يُفَكِّروا معًا في حلول عمليَّة لمشكلات العمل، ويُوَزِّعوا المسؤوليَّات، ويتقاسموا مُكافأة العمل الجادِّ الذي قام به الجميع.

يجب أن يأكلَ أفرادُ العائلة معًا ويتحدّثوا

يبدو أنَّ التَّضارُب في المواعيد بين أفراد العائلة والعَجَلة في القيام بكل شيءٍ يَتزاحمان عند مائدة الطَّعام، مانعَين أفراد العائلة الواحدة من تناول الطَّعام معًا. ولا شَكَّ أنَّ بعض المواعيد المُتضاربة لا يمكن تجنّبها، ولا سيَّما عندما يبدأ الأولاد المُراهقون بالتَّفاعل مع عالم الرَّاشدين. ومع ذلك، إنَّ السّبب في عدم اجتماع أفراد العائلة حول مائدة الطَّعام يَعود إلى فَرْط انهماكهم في الأنشطة. والكثير من الأنشطة التي قد تشغل أفراد العائلة عن الاجتماع حول مائدة الطعام هي أنشطة جيِّدة بحدِّ ذاتها. كما أنَّه ليس بالضرورة أن يكون الانشغال بالنشاطات أمرًا خاطئًا، لكِنْ إذا كان وقتُ تناول الطعام أمرًا نادرًا بين الأفراد، فهناك خَطْبٌ ما! وفي حالٍ كهذه، يجب اتِّخاذ الخطوات اللَّازمة لتقويم الأمر.

وعند تقييم الأنشطة التي تَمنع أفراد العائلة من الاجتماع معًا حول مائدة الطعام، إنَّنا نَفعل حسنًا إذا فَكَّرنا في الفَرْق بين الأنشطة الرَّامية إلى خدمة الآخرين، والأنشطة الرَّامية إلى خدمة الذات.

إنَّ الأنشطة الرَّامية إلى خدمة الآخرين هي ردّ فعل المحبَّة تجاه احتياجات الآخرين. لذلك، فإنَّ الأشخاص الجادِّين في علاقتهم بيسوع المسيح وتكريس حياتهم له، يَجدون أنفسهم في أغلب الأحيان مُنهمكين في عمل الخدمة. وقد وَجَد يسوع أنَّ مِثل تلك الأنشطة كانت تُقاطع أوقات تناول الطَّعام مع تلاميذه.

لذلك، اتَّخذ خطوات لمعالجة الأمر: "فَقَالَ لَهُمْ: "تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً". لأَنَّ القَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلأَكْلِ" (إنجيل مَرقُس ٦: ٣١).

أمَّا الأنشطة التي نَخْدِم بها أنفسنا فهي أمورٌ نقوم بها لمُتعتنا، أو لتسليتنا، أو لمَصلحتنا الذاتيَّة. ومع أنَّ هذه الأنشطة ليست خاطئةً بالمُجمل –ولا سيَّما عندما يَحتاج المرء إلى الانتعاش وتجديد الطاقة- فإنَّ الحياة المُمتلئة بأنشطةٍ كهذه هي حياة ضَحْلَة، وفارغة، وغير مُشْبَعَة؛ حَتَّى إنْ بَدَت مشوّقة في الظَّاهر. وبما أنَّ المُجتمعات المُعاصرة مُتخمة بأنشطةٍ من هذا النَّوع، فإنَّها مُتخمة أيضًا بأُناسٍ عاجزين عن الشُّعور بالشّبع. ومِن دواعي الأسف أنَّ عائلات كثيرة -لا يَجتمع أفرادُها معًا حول مائدة الطَّعام- تهرب نحو أنشطةٍ كهذه.

تأمَّل في لائحة الأنشطة التَّالية التي قد تَمنع أفراد العائلة من الاجتماع معًا حول مائدة الطَّعام. أيٌّ منها يَرمي إلى خدمة الآخرين؟ وأيٌّ منها يَرمي إلى خدمة الذَّات؟ وأيٌّ منها يمكن أن يأخذ الوجهَين وفقًا للظروف؟

* مباراة كُرة القدم
* اجتماعات اللِّجان
* التسوُّق
* الخروج معًا لتناول الحلويات
* الغِناء
* تناول القهوة مع الأصدقاء
* العلاقات الاجتماعيَّة
* الاستماع إلى الفِرَق الغِنائيَّة
* العمل
* ممارسة التَّمرينات الرياضيَّة
* الزِّيارات
* العمل على مشروعٍ ما

ويجب على العائلات التي لا يتمكَّن أفرادُها عادةً من الاجتماع معًا حول مائدة الطَّعام أن تُراقب أنشطتها لأسبوعٍ أو أسبوعين، وأن تُقَيِّم طبيعة أنشطة أفرادها. فإن كان الأفراد مُنهمكين جدًّا في خدمة الآخرين، يجب عليهم إيجاد وقتٍ لأنفسهم للانتعاش وتجديد الطَّاقة. وإن كانوا مُنهمكين في خدمة أنفسهم،

ينبغي لهم إعادة ترتيب أولويَّاتهم. فالسَّنوات التي قد يقضيها أفراد العائلة في الاجتماع معًا قصيرةٌ جدًّا ولا تَستحقُّ أن نهدرها على مذبح الانهماك المُفْرِط في أيِّ شيء.

إنَّ أيَّ اقتراحٍ للتَّخفيف مِن أنشطة الخدمة الذاتيَّة سيُقابَل بالمقاومة. فلا أحد يُريد أن يتوقَّف عن القيام بما يفعله. وأفضل طريقة للتَّغيير هي مناقشة المشكلة معًا كعائلة، وتوضيح أولويَّات العائلة، ووضع توجيهات معقولة، واتِّباع هذه التَّوجيهات لفترةٍ زمنيَّة مُحَدَّدة قبل إعادة تقييم الوضع. ويجب ألّا تتضمّن الإرشادات فقط قيودًا على أنشطة معيَّنة، بل يجب أن تُستبدَل هذه الأنشطة بأنشطةٍ أخرى مُتكاملة تَفي بحاجات العائلة الاجتماعيَّة. (لمزيدٍ مِن المعلومات عن الأنشطة العائليَّة، اقرأ الفصل السَّادس).

يجب أن يعبد أفراد العائلة الله معًا

مع أنَّ المكان الأساسيَّ للعبادة الجَمَاعيَّة هو الكنيسة، إلّا أنَّ العبادة العائليَّة (المذبح العائليّ) هي عنصرٌ أساسيٌّ مِن كيان العائلة الاجتماعي أيضًا. فيجب على أفراد العائلة أن يُصَلُّوا معًا، ويُرَنِّموا معًا، ويقرأوا كلمة الله معًا، ويُقدِّموا الشُّكر لله معًا. وهناك طرقٌ كثيرة لا تُحصى، توفّر فيها أوقاتُ العبادة العائليَّة الشُّعورَ بالأمان والاستقرار، واكتسابَ الحِكمة والنُّضج.

والحقيقة هي أنَّ المُعَطِّلات التي تَحرم العائلات مِن تناول الطَّعام معًا هي نفسها التي تَحرمها مِن أوقات العبادة معًا. فالحياة السَّريعة المنغمسة في أمور، تُحارب الهدوء اللَّازم لقراءة كلمة الله والصَّلاة. وهناك أمورٌ عدّة ممتعةٌ أكثر. لكِنْ كما ذَكَرنا آنفًا، فإنَّ الأشياء التي نَظُنُّها مُمتعة هي الأشياء الأقل إشباعًا لنفوسنا على المَدى البعيد. ولا شَكَّ أنَّ العائلة التي لا يَجِد أفرادها وقتًا لعبادة الله معًا هي عائلة تعيش وفقًا لِقِيَم قاصرة عن بناء مؤمنين أقوياء. فهي بالحَرِيِّ قِيَمٌ تقود الأولاد إلى الخضوع أكثر فأكثر لضغوط الخطيئة والمجتمع الغارق في الدُّنيويَّة.

يجب على أفراد العائلة أن يلعبوا معًا

مع أنَّ مجتمعاتنا مُنغمسة في التَّسلية والمرح أكثر مِمَّا ينبغي، لكن هناك مكانٌ للَّعب في حياة العائلة. فمِن الجيِّد أن يَضحك أفراد العائلة معًا. ومِن الجيِّد أن يَرى الأطفال آباءهم وأمَّهاتهم يمزحون ويمرحون ويُقَهْقهون بسبب بعض المواقف المُضْحِكَة. فعندما يَسمح الأب لأولاده بامتطاء ظهره (كما لو كان حصانًا)، فإنَّه يَجلب السَّعادة إلى قلوبهم بطريقة تَعجز عنها الطَّرائق الأخرى. علاوةٌ على ذلك، تعزّز الألعاب بعض المبادئ كالعدالة، والصِّدق، والعمل بروح الفريق، واللَّياقة. ويمكن للألعاب التي لا تحتاج إلى أيِّ تجهيز مُسَبَّق مِثل بناء مدينة مِن الرمل، أو نَصْب خيمة في غرفة المعيشة، أن تُشَجِّع على الإبداع والتَّعاون. كذلك، قد تكون القراءة وسَرْد القصص أمرًا مُمتعًا للأطفال ويساعد في توسيع مداركهم. والنُّقطة التي نُريد التَّركيز عليها هنا هي أنَّ جميع هذه الألعاب التَّرفيهيَّة المُسَلِّية تُسهم في تعزيز الصحَّة الاجتماعيَّة العائليَّة عندما تُمارَس بتوازُن في إطار بقيَّة عناصر التَّفاعل بين أفراد العائلة.

يجب على العائلة أن تتفاعل اجتماعيًّا في عمليَّة التَّعليم والتعلُّم

يدعو الله الآباء والأمَّهات إلى أن يكونوا مُعَلِّمين أكْفاء. وبالمُقابل، يدعو الأولاد إلى أن يكونوا مُتعلِّمين مجتهدين كي يُصبحوا بدورهم مُعَلِّمين أكْفاء لأولادهم. ويبدأ هذا التَّفاعل بين الأبوَيْن وأولادهم حَتَّى قبل أن يصير التَّواصُلُ اللَّفظيُّ مُمكنًا. ويَستمرُّ بشكلٍ أو بآخر طوال حياتهم معًا. ومع أنَّ بعض المسؤوليَّات التعليميَّة المُلقاة على عاتق الأبوَيْن يُمكن أن تُسْنَد إلى أشخاصٍ آخرين، لكن لا يُمكن التخلِّي عن تلك المسؤوليَّة التَّعليميَّة برُمَّتها. فالأولاد بحاجةٍ إلى اكتساب بعض الخبرات من التعلّم مِن أبوَيْهم، ويحتاج الآباء والأمَّهات إلى اكتساب بعض الخبرات من تعليم أولادهم.

وكما سنرى لاحقًا في هذا الفصل، تضع مجتمعاتنا ضغوطًا هائلة على العائلات في الأمور الخاصّة بالتَّعليم. فقد بدأت بؤرة تعلّم الأولاد في مجتمعاتنا تَبتعد تدريجيًّا عن البيت، وكذلك، بدأ مَصْدر التعلُّم يَبتعد تدريجيًّا عن الأبوَيْن ويَقترب مِن "الخُبَراء" في هذا المجال. ولكن للأسف، تبتعد خبرات البشر عمومًا عن مخافة الربِّ. وبالتالي، فإنَّ "أفضل" الفُرَص التَّربويَّة خارج المنزل تَفتقر إلى تلك الصِّفة الأكثر أهميَّةً (أي مخافة الربِّ). فهذا لا يَحرم العائلات مِن التَّفاعل الثَّمين بين أفرادها فحسب، بل يَحرم العمليَّة التَّربويَّة مِن قيمتها وقَصْدها الدائمَين.

ولتلخيص هذا الجزء، علينا أن نتذكَّر أنَّ الله جَعَل العائلة الوَحدة الاجتماعيَّة الأساسيَّة في المجتمع. فهي المحور الذي يدور حَوْلَهُ أفراد العائلة، ويتفاعلون مِن خلال بعض الأنشطة مِثل العمل، واللَّعب، والعبادة، والأكل، والتعلُّم، وتبادُل أطراف الحديث. وقد رفعنا بعض الرَّايات التَّحذيريَّة فوق المجتمعات التي تَضغط على العائلة لدفعها إلى التخلِّي عن هذا التَّفاعُل الاجتماعيِّ.

الميراثُ العائليُّ: بَرَكة أَم لعنة؟

نحن نعيش في الحاضر، ونواجه الأمور المعاصرة لنا. لكنَّ الزَّمان الحاضر والمواقف التي نواجهها الآن ترجع في الأصل إلى وقتٍ مَضى، وإلى مواقف أخرى لا تُحصى، قد أَفْضَت إلى هذا الحاضر. وفي إطار العائلة، نتحدَّث عن خلفيَّة العائلة بوصفها ميراثًا عائليًّا. فكُلَّ عائلة هي نِتاج هذا الميراث بطرقٍ كثيرة. فقد نشأت مِن أشخاصٍ سَبقوها، ومِن أحداثٍ مَضى عليها زمنٌ. فالعائلة تتشكَّل وفقًا لقرارات وشخصيَّات آبائنا وأمَّهاتنا، وأجدادنا وجَدَّاتنا، وآباء أجدادنا وأُمَّهات جَدَّاتنا. ويضمُّ الميراث العائليُّ ملامحَنا الجسديَّة، وعاداتنا البسيطة، وصِفاتنا المُميَّزة، ومُعتقداتنا وقِيَمنا التي نَعيش بموجبها.

ومن الجيّد أنَّ الميراث العائليَّ ليس العنصر الوحيد الذي يُشَكِّل العائلات. فالحاضر يُضيف دائمًا شيئًا جديدًا إلى الميراث العائليِّ. لذا فإنَّ ميراثنا لا يتشكَّل مِن خلال آبائنا وأجدادنا فحسب، بل من خلالنا نحن أيضًا. وخياراتنا وحياتنا لها دورها الفاعل أيضًا. ومع أنَّ الماضي يؤثِّر في حياتنا، لكنّه لا يُهيمن عليها بالتَّمام. وإن كُنَّا نبحث عن مَصلحتنا ومصلحة الأجيال القادمة، يجب أن نتّخذ خيارات تترك ميراثًا عائليًّا يتميَّز بحياة التقوى.

قد يكون الميراثُ العائليُّ بَرَكَةً أو لَعنة. كَتَب داود: " حِبَالٌ وَقَعَتْ لِي فِي النَّعَمَاءِ فَالْمِيرَاثُ حَسَنٌ عِنْدِي" (المزمور ١٦: ٦). لم يقصد داود مِن خلال هذه الكلمات أنَّ كُلَّ ماضيه كان تَقِيًّا. فقد كان داود يواجه الكثير مِن المشكلات والظلم، لكنَّه سارَ مع الربِّ. وفي أثناء سَيْرِه مع الربِّ، وَجَد ميراثًا غنيًّا.

ويَذْكُر داود، في العدد الخامس، أَهَمَّ عُنْصُرٍ في الميراث إذ يقول: "الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي (أو مِيرَاثِي)". فوجود الله في حياة المرء يُحَدِّد، أكثر مِن أيِّ شيءٍ آخر، تأثير ميراثه العائليِّ وقيمته. فالشَّخص الذي يسير مع الربِّ يستطيع أن يَنظر إلى الوراء –على الرغم مِن كُلِّ الذُّنوب والخطايا- ويَرى صلاح الله يجتذبه إلى الله. وحينئذٍ يُقَدِّم الشُّكر للربِّ. أمّا مِن جهةٍ أخرى، فمَن يَتمرَّد على الربِّ لن يَجِد الكثير مِن الصَّلاح والخير في الماضي، حتَّى لو كان الميراث يتّسم بالتقوى. فهذا يصدُر منه التذمُّر!

ومِن وجهة النَّظر البشريَّة، يمكننا القول إنَّ حُضور الربِّ يَعمل بأثرٍ رَجْعِيٍّ في ما يخصّ ميراثنا. فأيًّا كان ماضينا، الربُّ قادرٌ على تحويل مصائب الماضي وظلمه إلى بركاتٍ غير مُتوقَّعة في حياتنا في الوقت الحاضر، شرط أن نتوب إلى الرب ونتواضع أمامه. وعلى العكس، إن كان ميراثنا مُبارَكًا، ولكنَّنا تَخَلَّينا عنه بسبب عِناد قلوبنا وعصياننا، سنكتشف أنَّ بَرَكات الماضي نفسها قد انقلبت علينا وجَعَلت ذكريات هذا الماضي الحلوة تختلط بالمصائب.

لذلك، يمكننا أن نَرى أنَّهُ ما مِن شخصٍ يستطيع أن يَحتفظ بتأثيرات حياته لنفسه. فالإنسان الذي يعيش بالبرّ ينقل تأثير البرّ. والشَّخص الذي يعيش في الخطيَّة يترك ميراثًا مُلوَّثًا بالخطيَّة. والحقيقة هي أنَّ الله يَعمل في كلا النَّوعين مِن الميراث. فهو يقول للفئة الأولى: "جِيلُ الْمُسْتَقِيمِينَ يُبَارَكُ" (المزمور ١١٢: ٢)، ويقول للفئة الثَّانية: "مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (الخروج ٣٤: ٧).

وهذا كُلُّه يُؤكِّد أهميَّة العائلات التقيَّة الوَرِعَة، واستحالة الحصول على عائلات كهذه بمعزلٍ عن الربِّ. وببساطة مُتناهية، لا يمكننا أن نتمتَّع ببركات الميراث العائليِّ التقيِّ ولا أن نترك وراءنا ميراثًا مُباركًا من دون أن نكون مُكَرَّسين للربِّ.

إكرام الوالِدَيْن

إنَّ ما يريده الله مِن العائلة مُعْلَنٌ مِن خلال مبادئ الكتاب المقدَّس. وقد رأينا للتوِّ علاقة بعض هذه المبادئ بالميراث. ولكن هناك مبدأ جوهريّ آخر قُوبِل بالإهمال وسوء الاستخدام مِن المجتمع. لذا، يجب علينا أن نتحدَّث عن هذا المبدأ وندرسه بعناية، وهو: إكرام الوالِدَيْن.

إنَّ إحدى الوصايا المتعلّقة بالعائلات والتي أعطاها الله لشعبه هي: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" (خروج ٢٠: ١٢). وعندما كَتَبَ الرَّسول بولُس إلى كنيسة أفسُس، قال إنَّ هذه الوصيَّة –مِن بين الوصايا العَشْر- هي "أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بوعدٍ". والوعد منها هو الخير وطول الأيَّام. وما دامت الحياة تُعَبِّر عن الوجود الاجتماعيِّ، وما دامت العائلة هي الوَحدة الاجتماعيَّة الأساسيَّة، فَمِن المؤكَّد أنَّ إطاعة هذا المبدأ العائليِّ الأساسيِّ أو عصيانه سيؤثّران تأثيرًا مباشرًا في حياتنا.

لكنْ ما المقصود بإكْرام الوالِدَيْن؟ وهل تُظْهِر ثقافتنا إكْرامًا للوالِدَيْن؟ وكيف نُظْهِر أنا والنَّاس الآخرين في المُجتمع الإكرام لآبائنا وأُمَّهاتنا؟ ينبغي لنا الردَّ على هذه الأسئلة بصدق.

إنَّ المعنى الحرفيَّ للكلمة "إكْرام" في اللُّغة العبريّة يُشير إلى "ثِقَل الوزن". وإذا استُعمِلَتْ الكلمة بصيغة فِعْل الأمر، فإنَّها تُشير إلى "إعْطاء أهميَّة لأمرٍ ما"، وذلك على النَّقيض مِن الاستخفاف بأمرٍ لا قيمة له. أمَّا التَّطبيق العمليُّ لإكرام الوالدَين فيرتبط ارتباطًا وثيقًا بإطاعتهما، ومساعدتهما، واحترامهما. وهذا يعني أنَّه ينبغي للأبناء أن يُنَفِّذوا وصايا الأبَوَيْن، ويُساعدوهما في عملهما ومسؤوليَّاتهما، ويَخضعوا لهما في الأمور التي قد يختلفون عليها في وجهة النَّظر بشأن الخُطط والرَّغبات.

وبالمقابل، يجب على الآباء والأمَّهات أن يكونوا جديرين بالإكرام. وهذا يتطلَّب منهم أن يَتَّصِفوا بالاحترام، والمحبَّة، والحكمة. لكنَّ الحقيقة هي أنَّ جميع الآباء والأمَّهات ليسوا معصومين مِن الخطأ، وهم غير كاملين. بل إنَّ بعضًا منهم غير مُحِبِّين، ويتصرَّفون بحماقة، وليسوا جديرين بالاحترام. ولكنْ هل يجب أن يكون الآباء والأمَّهات جديرين بالإكرام لكي ينالوا الإكرام مِن أبنائهم؟

إنَّ وصيَّة الله للأبناء بإكرام الوالِدَيْن لم تَسْتَثْنِ الآباء والأمَّهات الذين ليسوا جديرين بالإكرام. وفي سِياقٍ آخر يَتحدَّث عن علاقة أخرى تتطلَّب الإكرام، يقول الله: "... لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَط، بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيْضًا" (١بُطرس ٢: ١٨). فالأطفال الصِّغار لا يُجادلون مِن جهة الطَّاعة أو عدم الطَّاعة؛ بل يَفعلون ما تُمليه عليه طبيعتهم. أمَّا الأولاد الأكبر سِنًّا والشّباب فيُحَلِّلون أداء والديهم قبل اتخاذ قرارٍ بإطاعتهم أو بعدم إطاعتهم. وهناك بعض المؤمنين المسيحيِّين الذين يعيشون صراعًا في داخلهم بسبب هذه الوصيَّة لأنَّ آباءهم وأمَّهاتهم بعيدين عن الكمال. فبالنِّسبة إلى الأشخاص الذين يَظُنُّون أنَّ آباءهم وأمَّهاتهم ليسوا جديرين بالإكْرام، هناك ثلاثة أمور ينبغي تَذَكُّرها دائمًا:

١. **يجب على المرء أن يُكرِم مكانة أبوَيْه حتَّى إن كان يَرى أنَّهما ليسا جديرَيْن بالإكرام.** فالله هو صاحب السُّلطان المُطلق. وهو الذي مَنَح الأبوَيْن هذه المكانة وما يُرافقها مِن مسؤوليَّات. وعندما لا يقوم الأبوان بمسؤوليَّاتهما بأمانة، فإنَّهما يكونان غير أمينَيْن تجاه أبنائهما وتجاه الله أيضًا. وعندما يُكرِم الأبناء مكانة الأبوَيْن فإنَّهم يتركون لله مهمَّة تَوبيخهما وتأديبهما وتقويمهما. وفي ضَوْء هذا الحَقِّ، يمكن للمرء أن يقول: "حتَّى إن كانت أمِّي تَصْرُخ في وجهي، فهي تبقى أُمِّي. وسأحاول بنعمة الله أن أُطيعها بسرور".

٢. **الإكْرامُ يَعتمد على قلب الشَّخص الذي يُقَدِّم الإكرام، لا على حياة الشَّخص الذي يَتَلَقَّى الإكرام.** ولكي يتمكَّن المَرْء مِن إكرام والدَيْه، يجب عليه أن يمتلك في قلبه صفات تُمكِّنه مِن إسباغ الكرامة. ومِن هذه الصِّفات: الخضوع، والمحبَّة، والأمانة، والوداعة، والحكمة، وغيرها. ففي غياب هذه الصِّفات، لن يتمكَّن المَرْء مِن تقديم الاحترام إلى أيِّ أبٍ وأُمٍّ. أمَّا بوجود هذه الصِّفات، سيجد المرء النِّعمةَ اللَّازمة لإكرام والِدَيْه اللَّذَيْن وهبهما الله له.

٣. **بما أنَّ الله أوصانا بإكرام آبائنا وأُمَّهاتنا، وهو يَستحقُّ كُلَّ إكرام، يمكننا أن نُكرِم آباءنا وأُمَّهاتنا ونطيعهم حتَّى إن لم يكونا جَديرَيْن بالإكْرام وذلك إطاعةً لله.** كلّما ركّزنا على العيوب الموجودة في آبائنا وأمَّهاتنا الأرضيِّين، كان إكرامُنا لهم أمرًا صعبًا. لكن عندما نُرَكِّز أنظارنا على مَجْد أبينا السَّماويِّ وكماله، لن يكون لدينا بديلٌ آخر سوى إكرامه. وبما أنّه أوصانا أن نُكرِم آباءنا وأمَّهاتنا، فإنَّ إكرامنا وطاعتنا لهما يُعَبِّران عن إكرامنا وطاعتنا لله أيضًا.

يواجه أشخاصٌ كثيرون صراعًا بسبب عدم قدرتهم على إيجاد حلولٍ لبعض الأسئلة المتعلّقة بإكرام الوالِدَيْن. والسُّؤال الذي يَطرحونه هو: "كيف؟" سنورِد هنا بعض الاقتراحات العمليَّة للمُراهقين الجادِّين في محاولة إكرام آبائهم وأمَّهاتهم:

١. اجعل التَّعبير عن الشُّكر لوالديك عادةً دائمةً لديك. وعندما تفكّر جيّدًا، ستُدرك أنَّ والديكَ قد فعلا لأجلك في الماضي أمورًا تَعجز عن عَدِّها وإحصائها وما زالا يفعلانها لأجلك اليوم.

٢. ناقش خططك مع والديك. شاركهما خططك القصيرة الأمد (الأمور التي تعزم القيام بها في الأسبوع القادم)، وخططك الطويلة الأمد (الأمور التي تُفَكِّر في القيام بها السَّنة القادمة، أو بعد سنوات، أو مدى حياتك). فعدم التَّواصُل هو مشكلة شائعة بين المُراهقين وأهاليهم.

٣. اطلب منهما النَّصيحة. حتَّى لو كنتَ تَظُنُّ أنَّك تَعرف ما سيقوله لك والداك، اسألهما عن رأيهما. يتذمَّر مراهقون كثيرون بسبب القيود الصَّارمة التي يَفرضها آباؤهم وأمَّهاتهم عليهم. ولعلّ نقص روح المسؤوليَّة عند بعض الأبناء المُراهقين هو السَّبب الرئيسيُّ وراء القيود الصَّارمة التي يفرضها الوالدان على أولادهما. إنَّ النَّصيحة المبدئيَّة التي تَحصل عليها مِن أبوَيْك قد لا تكون قرارًا نهائيًّا في إحدى المسائل. فإن كانت لديك أفكار أخرى، قد تكون نصيحتهما هي القاعدة التي ستنطلق منها لمناقشة وجهة نظرك معهما. وعندما يأتي وقت اتِّخاذ القرار النِّهائيِّ، يجب عليك أن تُكرمَهما. وحتَّى لو كان ذلك يَعني عدم قيامك بما أردتَ القيام به، فقد كسبتَ احترامَهما وساهمتَ في تعزيز الصَّراحة والانفتاح بينكم.

٤. اعرف قيمة قضاء الأمسيات في البيت. وهذا يعني بالنِّسبة إلى كثيرين على الأقلّ، أنَّك لن تذهب إلى كُلِّ مناسبة تُتاح لك. ناقش مع والديك جدولاً مناسبًا، واطلب نصيحتهما عندما يَحْدُث تضارُب في المواعيد. وقد يَصعُب عليك أن تُصَدِّق أنَّه سيأتي وقتٌ (قريبًا) تتمنَّى فيه عودة الزَّمن إلى الوراء كي تتمكَّن مِن المكوث ليلة واحدة فقط مع أبويك.

٥. ابحث عن فُرَص للقيام ببعض الأعمال التي لم يَطلب أحدٌ مِنك القيام بها. والحقيقة هي أنَّ ما يَحْدُث عندما نُبدي رغبتنا في القيام بعملٍ ما مِن تلقاء أنفسنا بدافع اللطف هُو أمرٌ يَفوق الوصف. فسوف يبدو العبء خفيفًا، ونشعر

بأنَّنا مُختلفون. وسيتأثَّر الشَّخص الذي قُمنا بذلك العمل لأجله. وكثيرًا ما يَفرح الآباء والأمَّهات فرحًا عظيمًا عندما يجدون أبناءهم يُكرمونهم بهذه الطَّريقة.

٦. أكْرِم أبوَيْكَ حتَّى بعد استقلالك عنهما. سيكتشف اليافعون العاقدو العزم على إكرام والديهِم أنَّ تصرُّفاتهم وكلماتهم ومظاهرهم لا تتغيَّر بعد ابتعادهم عن أهلهم.

٧. أطْلِع والديكَ على أيّة خطوات تَعتزم القيام بها من جهة ارتباطك بشريكٍ للحياة. وهذا لا يعني البَتَّة أنَّه ينبغي للأبوَيْن أن يُعِدَّا كُلَّ ما يلزم لزواج أولادهم من دون مراعاة وجهة نظر الأولاد أو اهتماماتهم. لكِنْ يَجْدُر التَّنويه بأنَّ القول "أنا الوحيد القادر/القادرة على اختيار شريكة/شريك حياتي" هو قولٌ خاطئ. وسوف نتطرَّق إلى هذا الأمر بتفصيل أكثر في الفصل الثَّالث.

إنَّ مبدأ إكرام الوالِدَيْن هو مبدأ ينبغي تطبيقه مدى الحياة. ولا شكَّ أنَّ الأدوار تتغيَّر عندما يَنتقل المرء مِن الطُّفولة إلى المُراهقة، ثُمَّ إلى الرُّشْد، فإلى الشَّيخوخة. لكِنْ تبقى هناك أساليب كثيرة لإظهار الاحترام والإكرام للأبوَيْن طوال الحياة. وعندما يَستقِلُّ المرء عن أبوَيْه، فإنَّ إحدى الطَّرائق الفضلى لإظهار الإكرام هي طلب النَّصيحة منهما. وعندما يَصير الأبوان في سِنِّ الشَّيخوخة ويضعفان، يمكن للأولاد أن يُكرموهما مِن خلال العناية بهما. سوف نناقش في الفصل الثَّامن بعض الصُّعوبات التي تُرافِق هذه الرِّعاية. لكنَّنا نكتفي بالقول إنَّ البَرَكات الآتية من إكرام الوالِدَيْن بهذه الطَّريقة هي أعظم مِن الصُّعوبات الماثلة أمامنا. علاوةٌ على ذلك، إنَّ إرسال الأبوَيْن المُسنَّيْن إلى مراكز رعاية المُسنِّين يترُك فراغًا في العائلة لا يمكن لأيّة راحة أن تُعَوِّضَه. فمشاعر الانفصال والوحدة التي قد يَشعر بها كثيرٌ مِن الآباء والأمَّهات المُسِنَّيْن هي مأساة لا يجدر بهم مواجهتها.

تَعَلُّم مُسامحة الأبوَيْن

بما أنَّ الأبوَيْن ليسا كامِلَيْن، يمكن للمرء أن يَرى بعض السِّمات الخاطئة في ميراثه العائليِّ. تَظهر الأخطاء القديمة في أغلب الأوقات في شكل نُدوب في الوقت الحاضر. فهناك ندوب صغيرة، وأخرى كبيرة، وأخرى مُتقيِّحة. والأخطاء التي أدَّت إلى هذه النُّدوب هي حقيقيَّة في أوقاتٍ كثيرة، لكنّها قد تكون أحيانًا مِن نَسْج الخيال. وكما كَتَب أحد الكُتَّاب:

> إنَّ آباءنا وأمَّهاتنا بَشَرٌ مُعَرَّضون للخطأ، وهذه هي حالنا نحن أيضًا. عندما كُنَّا أطفالاً، كُنَّا نُحَلِّل كُلَّ ما يقوله آباؤنا وأمَّهاتنا ويفعلونه. ولعلَّ سلوكيَّاتهم النَّابعة مِن نِيَّاتهم الحَسَنة كانت تُفهم فَهمًا مغلوطًا فتجعل كُلَّ جهودهم الرَّائعة تبدو غير صائبة. إنَّ ملاحظةً ناقدةً رُبَّما وَجَّهها أحد الأبوَيْن إلى أحد الأبناء قبل سنوات طويلة، قد تَدفع الابن لاحقًا إلى لَوْم والده أو والدته على مُشكلاته الشخصيَّة لمُجَرَّد أنَّه أعاد التَّفكير في تلك المُلاحظة بطريقة مبالغ فيها وأعطاها أهميّة أكثر ممّا يجب.[1]

وهناك العديد مِن الأسباب التي تدعونا إلى مسامحة أبائنا وأمَّهاتنا. ومع أنَّ هذه الأسباب لا تَجعل الغُفران سهلاً بالضَّرورة، لكنّها تُبَيِّن أهميَّته. ولا شَكَّ أنَّ أهَمَّ سبب للغفران يتعلّق بعلاقتنا الشخصيَّة مع الربِّ. "فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ" (مَتَّى ٦: ١٤ و١٥). وهناك أسباب أخرى أيضًا، لكنَّنا سنُركِّز هنا على الأسباب التي لها صِلَة بالعائلة.

إنَّ تَعَلُّم تقديم الغُفران لآبائنا وأمَّهاتنا بسبب إخفاقاتهم هو عاملٌ مهم في إكرامهم أو عدم إكرامهم. فالامتعاض والمرارة يُدَمِّران قدرتنا على إكرامهم. أمَّا الغفران فيُحَرِّرنا ويجعلنا قادرين على إكرامهم.

1 Joan Lloyd Guest, *Forgiving Your Parents* (الغُفران للوالِدَيْن) (Downers Grove, Illinois: Intervarsity Press, 1988), P. 6.

والغُفران لِوالِدينا مهمٌّ لأنَّه يمنعنا من تكرار أخطائهم. فأحد أكثر مظاهر الميراث العائليِّ غرابةً هو أنَّ الصِّفات البغيضة في الوالِدَيْن تَنتقل في أغلب الأحيان إلى الجيل التَّالي. والحقيقة هي أنَّ الطَّريقة المضمونة لتكرار أخطاء الوالِدَيْن هي أن تكرهها. فكُلَّما زادت كراهيتك لها، زادت احتمالية التصاقها بك. عندما نَصُبُّ كلَّ تركيزنا على عيوب الآخرين، فإنَّنا نرسم الحياة وفقًا لنظرتنا هذه. ويبقى البديل الأمثل هو الغفران. فالغُفران يُحَرِّرنا مِن تلك العبوديَّة التي تجعلنا نَتشبَّث بآلام الماضي، ويساعدنا على النَّظر إلى آبائنا وأمَّهاتنا نظرةً موضوعيَّة، ويُتيح لنا أن نَستفيد مِن نِعمة الله المُغَيِّرة.

كذلك، يجب علينا أن نَغفر لوالِدينا أخطاءهم وإخفاقاتهم إذا أردنا أن يتمتَّع أولادنا بعلاقات سليمة مع أجدادهم. فالامتعاض والمرارة يَقطعان العلاقات. أمَّا الغُفران فيفتح الآفاق لبناء (أو رُبَّما لإعادة بناء) العلاقات. فمِن جهة، يحتاج الأجداد إلى سماع ضحكات أحفادهم والاستمتاع بحضورهم. ومِن جهة أخرى يحتاج الأحفاد إلى حكمة الأجداد وهيبتهم. فهناك روابط قويَّة ومُميَّزة بين الأجداد والأحفاد لا يمكن أن تتشكَّل إلَّا إذا تعامل الأبوان جيّدًا مع ماضيهما.

وقد لا تكفي معرفةُ الأسباب الموجِبة للغفران لممارسته. فقد تكون ندوبنا عميقةً جدًّا. توضّح المؤشّرات التالية ماهيَّة الغفران وكيفيَّة عمله:

١. **الغفران يعني الإعتاق.** فهو يعني أنَّك لم تَعُد تُحَمِّل الآخرين مسؤوليَّة ما فعلوه.

٢. **الغفران هو خِيار.** ليس ضروريًّا أن نَشعر برغبةٍ في الغفران كي نَغفر للآخرين. بل يجب علينا أن نَختارَ أن نَغفر لهم. وفي العادة، عندما يكون الغفران ضرورةً مُلِحَّة، فإنَّه يكون صعبًا جدًّا. والكتاب المقدَّس لا يقول لنا إنّه يجب أن نَتبع مشاعرنا في ما يتعلّق بالغُفران، بل يوصينا ببساطة بأن نَغفر للآخرين. وعندما نختار أن نَغفر للآخرين، سنحصل على مكافأة تلقائيًّا. والغفران يَعْقُبُهُ في أغلب الأوقات راحةٌ نفسيَّة وفرحٌ.

٣. **الغفران له تكلفة**. فهو يعني تحرير الآخرين مِن "الدَّيْن" عوضًا عن الاحتفاظ به في سِجِلَّاتنا. فالغفران يجعلنا نَشطب أيَّ حسابات عالقة بيننا وبين الشَّخص الآخر. ولا شَكَّ أنَّ صليب المسيح هو أوضح مَثَلٍ في التَّاريخ عن ثمن الغفران.

٤. **الغفران يمتلك قُوَّةً مُطَهِّرَة**. عندما نُبدي استعدادَنا لمسامحة أبوَيْنا تحديدًا، نكتشف عادةً أنَّهما لم يكونا مسؤولَيْن كليًّا عن المشكلة. فقد نكتشف أنَّ ردود أفعالنا السلبيَّة كان لها دورٌ كبيرٌ (بل ربما أكبر من دورهما) في الجرح الذي أصابنا. "لكي ننمو وننضج، يجب علينا أن نتعلَّم أن نَقبل المسؤوليَّة عن حياتنا. وهذا يعني، في هذه الحالة، أنه ينبغي لنا أن نُقِرَّ بإمكانيَّة أنَّنا سبّبنا بعض المشكلات التي نَشَبَت بيننا وبين أبوَيْنا."[٢] وغالبًا ما تكون هذه النُّقطة الخاصّة بالغفران أكبرَ عائق في عمليَّة الغُفران برُمَّتها. فالكثير مِن الرَّاشدين المجروحين يُخفون إخفاقاتهم الشخصيَّة وراء إخفاقات أهلهم. لكن إذا أردنا أن نغفرَ خطايا الماضي، يجب أن نُرَكِّز على الحاضر ونتعامل معه. وقد يكون هذا مؤلمًا جدًّا بالنسبة إلى البعض.

٥. **الغفران عملٌ نابعٌ مِن الإيمان**. ولعلَّ هذا هو مفهوم الغفران الأكثر أهميَّة. تتطلَّب منَّا عمليَّةُ الغفران أن نُبعد أعيننا عن الشَّخص الذي أساء إلينا، ونُرَكِّز أنظارنا على الله. فبدلاً مِن إطالة النَّظر والتَّفكير في الأمور الخاطئة التي حدثت في الماضي، يمكننا أن نَنظر بإيمانٍ إلى الله القادر أن يَجعل "كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ" (رومية ٨: ٢٨). فهناك تباينٌ شاسعٌ بين النظرتَين. مِن المستحيل أن نَغفرَ لوالِدينا إذا كُنَّا نُرَكِّز أنظارنا على أخطائهم. كذلك، مِن المستحيل ألّا نسامحهم إذا كانت أعيُننا مُثَبَّتة على الله. هناك أشخاصٌ يعيشون بين النَّقيضَيْن؛ أي بين المرارة الشَّديدة والغُفران التَّام، من خلال محاولة تركيز أنظارهم على شيءٍ آخر (مِثل نسيان أمر والِديهم). لكن في النهاية، يخسرون السَّلام النَّاشئ عن الغُفران، والفرح النَّاشئ عن إكرام أهلهم.

2 Guest, (الغُفران للوالِدَيْن), p. 19.

إنَّ الميراث العائليَّ عاملٌ قويٌّ وفعَّالٌ في حياتنا بمُجملها. والعائلات التي أدارت ظَهرها لله وتجاهلت وصاياه الخاصّة بإكرام الوالِدَين ومسامحتهما، قد حَوَّلت ميراثها العائليَّ إلى لَعنة تَلتصق بالأبناء، والأحفاد، وجميع الأجيال القادمة. لذلك، إنَّ تَعَلُّم العيش وفقًا لوصايا الله هو المفتاح الذي سيجعل ميراثنا العائليَّ بَرَكَةً لحياتنا.

الضُّغوط الثَّقافيَّة

لقد تطرَّقنا في هذا الفصل إلى العديد مِن العادات والقيم التي تُعارض الوصايا والمبادئ التي نجدها في الكتاب المقدَّس. لكنَّنا لا نَرمي مِن وراء ذلك إلى مهاجمة مجتمعنا، بل إلى إدراك بُعد هذه القوى عن المبادئ التي وَضَعها الله للعائلة. والآن، لِنُلْقِ نَظرةً فاحصة على هذه القوى:

مفاهيم السُّلطة

لطالما تحلّى المجتمع الذي يضمّ الأشخاص غير المؤمنين بعلامات التمرُّد. لكِن مِن السَّذاجة أن نقول مثلاً إنَّ مواقف النَّاس اليوم مِن السُّلطة في المجتمع الأمريكيِّ، هي نفسها كما كانت عليه قبل مئة سنة. فلا شَكَّ أنَّ عقد العشرينيَّات الصَّاخب مع ما رافقه مِن حانات غير مُرَخَّصة وملابس غير محتشمة، قد أظهر احتقارًا للسُّلطة، ولا سِيَّما لقوانين الحظر. لكِنَّ المؤرِّخين يتحدَّثون بتساهُلٍ عن تلك الفترة مقارنةً مع ما حدث في الستِّينيَّات. ففي ذلك الوقت، لم تَسْلَم قواعد السُّلوك مِن النَّقد والهجوم. فقد انتشرت أنماطٌ جديدة مِن الفنون والموسيقى، وظهرت تسريحات شعر جديدة، وراحت الملابس تقصُر شيئًا فشيئًا حتَّى احمرَّت وَجنتا الحِشمة خجلاً. وقد تفاجأ مجتمعُ غير المؤمنين أيضًا بشكلٍ غير متوقّع بانحلال الثقافة المضادة وفظاظتها الفاحشة.

لكن بعد زوال تأثير الصَّدمة، بدأ النَّاس يَتقبَّلون ما حدث. فقد تَعِب الكبارُ مِن النَّقد المُستمرّ، وتَعِبَ الشباب مِن الصُّراخ. فبدأ المجتمع يتقبَّل مبادئ الثَّقافة المضادة تدريجيًّا. وأخيرًا، بدأت مجموعات "الهيبيز" بقبول بعض القِيَم التي كانت قد رفضتها في السَّابق؛ ولو مع بعض القيود.

وحاول أيضًا التَّيَّار العامَّ للمسيحيَّة أن يَتَقَبَّل بعض مفاهيم الثَّقافة المضادة. كما أنَّ ما يُسمَّى بِـ "فِرَق الرُّوك المسيحيَّة" في ذلك العصر بدأت بعَزف أغانٍ صاخبة عن الحُبِّ والحُرِّيَّة بمضامين مختلفة تمامًا عن المفاهيم المسيحيَّة التقليديَّة. ولم يَخْطُر ببال أحدٍ مِن أصحاب العقول الخاملة أنَّ هذه "الحُرِّيَّة" الجديدة لم تكن إلَّا شكلاً مِن أشكال التمرُّد الذي ظَهَر قديمًا.

وفي خِضَمِّ هذه العمليَّة برُمَّتها، لم يَتقبَّل المجتمع العقليَّة القائلة "دَعني أفعل ما أشاء" فحسب، بل احترمها وقدّرها أيضًا. لذلك، صارت بعض الكلمات مثل **السُّلطة**، و**القواعد**، و**الطَّاعة** تُشير ضِمنيًّا إلى رِجالٍ لا يَرحمون مُقابل نِساءٍ وأطفالٍ مُساء إليهم. وقد ظَهَرت على السَّاحة مصطلحات جديدة أصبحت سائدة مِثل المساواة، والتحرُّر، والحقوق، وحُرِّيَّة التَّعبير. لكنْ يا للسُخرية، إذ المجتمع نفسه الذي يَتَّهم أجداده بالقسوة هو مجتمع تُعاني عائلاته بسببه عُنفًا أكثر مِن أيِّ وقتٍ مضى. وهذا لا يعني أنَّه كلّما ازدادت السلطة كان ذلك أفضل، بل يعني أنَّ الحُرِّيَّة المزعومة هي في أحيانٍ كثيرة مُجَرَّد فوضى عارِمَة. لقد عانت العائلات أضرارًا جسيمةً يَصعُبُ إصلاحها بسبب رفض السُّلطة، والمفهوم المُغاير للحُرِّيَّة، والانحلال النَّاجم عن ذلك.

ويواجه الأهل الذين يعاقبون أبناءهم على عصيانهم بالضرب ضغطًا لأنّهم يظهرون مُتوحِّشين. أمَّا الأهالي الذين يضعون مبادئ توجيهيّة لأولادهم في ما يتعلّق بالملابس، وتسريحات الشَّعر، والأنشطة المسموح بها، فإنَّهم يُتَّهمون بالتَّزمُّت. وإن الأجداد الذين يهزّون رؤوسهم اعتراضًا على أيِّ شيءٍ، ويحذّرون أحفادهم مِن أساليب الترفيه الجديدة، يحصلون في المقابل على ابتسامة ساخرة

مِن أحفادهم، الذين يقولون لهم مِن خلالها إنَّ أفكارَهم كانت صحيحة فقط في عصرٍ قديمٍ جدًّا. لذلك، تفرض مفاهيمُ السُّلطة المُتغيِّرة ضغوطًا هائلة على الأشخاص الذينَ يرغبون في إدارة بيوتهم وفقًا لِما تُعلِّمه كلمة الله.

فَصْل الفئات العُمريَّة بعضها عن بعض

لقد ذَكَرنا في وقتٍ سابقٍ مِن هذا الفصل أهميَّة التَّفاعُل بين أفراد العائلة. وقُلنا إنَّه ينبغي لأفراد العائلة أن يعملوا معًا، ويلهوا معًا، ويعبدوا الله معًا، وإلخ. وإحدى الأساليب التي تواجه العائلات بسببها ضغوطًا تدفعهم إلى التخلِّي عن الوحدة هي عَصْرَنة الأنشطة في وقتنا الحاضر. ويَكفي أن نَنظرَ إلى التَّاريخ لنَرى أنَّ المدارس الكبيرة المُتَّحِدة حَلَّت مَحَلّ المدارس المؤلَّفة مِن صَفٍّ واحد. وعندما حَدَث ذلك، أصبح تقسيم التلامذة حسب الفئات العُمريَّة ضرورةً عمليّة. فكلُّ تلميذٍ في غرفة الصَّفِّ يَنتمي إلى الفئة نفسها. وقد صار توزيع التلامذة بهذه الطَّريقة أمرًا سائدًا اليوم. وينبغي أن نَعلم أنَّ الكفاءة لم تَكُن العُنصر الوحيد لِجَعل هذا الانفصال جَذَّابًا. فالأمَّهات العاملات، والتَّركيز على المعرفة والخبرة، وسُرعة الحياة عامَّةً هي أمور دَفَعت أفراد العائلة إلى الاندفاع إلى الصُّفوف، وإلى المراكز الخاصَّة، وإلى النَّوادي والأنشطة التي يمكنهم فيها أن يكونوا مع أشخاصٍ مِن فئة العُمر نفسها.

وقد ذَرَفَت أُمَّهات الأمس الدُّموع في أوَّل يوم ذهب فيه أولادهنَّ إلى المدرسة في سِنِّ السَّادسة أو السَّابعة. أمَّا اليوم، فتتنفّس الأمُّ الصُّعَداء عندما يذهب ولدها البالغ مِن العُمر سنتين إلى دار الحضانة.

والحقيقة هي أنَّ نظام فَصْل التلامذة إلى فئاتٍ عُمريَّة قد أثَّر تدريجيًّا في عائلات مسيحيَّة عديدة بسبب تطبيقه في مجتمع الكنيسة أيضًا. يبدو أنَّنا تَخَلَّينا عن المبدأ القائل إنَّ **هناك فائدة عظيمة تُجنَى من تفاعل الفئات العُمريَّة المختلفة**. وهذا لا يَعني أنَّ كُلَّ فَصْلٍ بين الفئات العُمريَّة المُختلفة

خاطئٌ ويُشَكِّلُ عِداءً للعائلة. لكِنْ يجب علينا أن نُدرك الخطر الماثِل في هذا النِّظام القائم على الفَصْل الزائد عن حدِّهِ بين التلامذة بحسب فئاتهم العُمريَّة. فعلى سبيل المثال، إنَّ الكثير مِن العائلات المسيحيَّة في الوقت الحاضر تَشْعُر بالضَّغط الهائل النَّاشئ عن الأنشطة الشبابيَّة الكثيرة. فالأهل يَشعرون بالإحباط بسبب عدم قدرتهم على لَمِّ شَمْل العائلة في البيت ولو مَرَّة واحدة في الأسبوع.

إذا جمعتَ مجموعة مِن الشُّبَّان ليلعبوا كُرة القدم معًا مَرَّة تلو الأخرى، ستُلاحظ أنَّهم يطوّرون مهاراتهم في كُرة القدم ويلعبون مباراة جيّدة. أمَّا إذا وَضَعْتَ مجموعة مِن العائلات وشَكَّلْتَ فريقًا يتألَّف مِن الأب والجَدِّ والأولاد، مِن المؤكَّد أنَّك لن تحصل على فريقٍ بارع. لكِنْ على المدى البعيد، مِن المُرَجَّح أنَّ الفريق الثَّاني سيلعب كفريقٍ واحد. أو لنأخذ مثلاً آخر: قد تكون خدمة الكِرازة التي يقوم بها شبيبة الكنيسة في السُّجون أو المستشفيات أو منازل الأولاد شهادةً فَعَّالة وحسنة. لكِنْ إذا ذَهَبْتُم كعائلة أو مجموعة عائلات، وقام الجَدُّ بقراءة مقطعٍ مِن الكتاب المقدَّس، وقام الأب بقيادة التَّرنيم، وقام الأولاد بتوزيع الطَّعام على الحاضرين، فإنَّكم ستكونون شهادة حسنة، وستُبيِّنون للجميع أنَّ كُلَّ شخصٍ له دور في خدمة الكِرازة في الكنيسة.

مجدّدًا، هذا لا يعني أنَّ قيام الشَّبيبة (أو أيَّة فئة عُمريَّة أخرى) بأيِّ عملٍ معًا هو أمر خاطئ. لكنَّنا نَرى أنَّ دَمْج الفئات العُمريَّة معًا هو أمرٌ مفيدٌ للغاية. قد يبدو أنَّ فَصْل الفئات العُمريَّة يُساعد في تحديد الاهتمامات وتحسين الأمور. لكِنَّ الواقع يقول إنَّ هذا الفَصْل قد يَقضي على التَّفاعل القَيِّم.

الانفجار المعرفيّ

لقد ظَهَرَت تغييرات كثيرة في المفاهيم العائليَّة الأساسيَّة بسبب التَّغييرات التّكنولوجيَّة السَّريعة التي ظهرت في مجتمعاتنا. فبسبب الاختراعات الكثيرة،

باتت هناك طرائق كثيرة للقيام بالأشياء. وفي أغلب الأحيان، يبقى الاختراع الأخير مُستخدَمًا إلى أن يصير عتيقًا بسبب ظهور اختراعٍ جديد.

ولا شَكَّ أنَّ الأهالي، ولا سِيَّما أولئك الذين لم يُواصِلوا تعليمهم بعد الثانويَّة العامَّة، يجدون صعوبة بالغة في استيعاب ما يحدث. فيعود ابنهم الذي في السنة الدراسيَّة الخامسة من المدرسة ويطلب المساعدة في فُروضه المنزليّة. لكن يقول الأهل له: "لا نَدري كيف نَحِلُّ هذه المسألة. فنحن لم ندرسها في المدرسة." وقد لا يبدو الأمر بالغ الأهميّة إلى أن نُدرك حجم الوضع القائم. فيومًا بعد يوم، يَتَّضِح أنَّ مفهوم "الجديد والمُحَسَّن" يغزو المجتمع بقوَّة، وهذا يعني في نظر الكثيرين أنَّ القديم قد عَفا عليه الزَّمن. فالخبير في كل حَقْلٍ هو الشَّخص القادر على مواكبة آخر التطوُّرات.

وقد لا يبدو هذا كُلُّه خطيرًا لهذه الدرجة لو اقتصر فقط على التّكنولوجيا. لكنَّه ليس كذلك. فالتَّأثير امتدَّ إلى البيت، وإلى الكنيسة أيضًا. لذلك، بات الوالد أو راعي الكنيسة الذي لا يملك صفحةً على "الفيسبوك" والذي لا يَعرف كيفيَّة إرسال "رسالة نَصِّيَّة"، مُنفصلاً عن الواقع وغير قادرٍ على تقديم النَّصيحة للمراهقين في هذا الزَّمان.

لذلك، عَمِلَت المعرفة المعاصرة في العديد مِن الحالات، على فقدان الثقة في حكمة الأجيال السابقة. بات الأهل يَشعرون بعدم الكفاءة لإرشاد أولادهم، وهناك مَن يُشَجِّعهم على طلب المشورة مِن "أصحاب الخبرة" في حين أنَّ الأولاد هم بحاجةٍ ماسَّة إلى حكمة الأهل.

النَّزعة المادّيَّة

لقد أنتجت التّكنولوجيا الآخذة في التوسّع كميّةً هائلة من السِّلع التي قد تجذب العائلات إلى شرائها. فهناك الدُّمى والأجهزة والمَكنات والألعاب التي تجذب انتباه النَّاس بِشَتَّى السُّبل. ولا شكَّ أنَّ شراء هذه السِّلع يتطلَّب مالاً. وإذا

نظرنا من حولنا، يمكننا أن نرى أنَّ حياة العديد مِن أصدقائنا وجيراننا تتمحور حول الحصول على المال وشراء هذه الأشياء.

لكنَّ المؤمنين يَعلمون أنَّ يسوع قال: "انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ" (لوقا ١٢: ١٥). لكنَّ النَّاس يَنسون هذه الوصيَّة بسهولة عندما يجدون في كُلِّ يوم مَن يُشَجِّعهم على الشِّراء، والانغماس في المادِّيَّات، ومُراكمة الأشياء، والحصول على المزيد؛ وعندما يقنعهم أحدهم بأنَّ الحياة الجيِّدة هي تلك المُفعمة بوسائل التَّسلية والمرح، المتوافرة بأسعار معقولة؛ وكذلك في مواسم التَّنزيلات، وعند توافر المال، وتوافر بطاقات الائتمان. فالضغط نحو الاستهلاك هائلٌ!

وكما نَعلم، ليست العائلات بمنأى عن هذا الضَّغط المستمرّ الذي بسببه يتوسَّل "جورج" مِن أجل شراء درَّاجة هوائيَّة جديدة، وتَتَرَجَّى "سميرة" أهلها لشراء لُعبة ناطقة، وتُفَكِّر الأم جدِّيًّا في شراء أدوات جديدة للمطبخ، ويُفَكِّر الأب في إمكانيَّة شراء سيَّارة جديدة. وفجأةً، تجد العائلة نفسها تُقَدِّر الأشياء أكثر مِن الناس، وتَعتاد على الأخذ لا العطاء، وتَعتاد على الرَّفاهية أكثر مِن التَّضحية. وقبل أن نُدرك ما يجري، سنجد صعوبةً في التَّفريق بين قِيَم العائلة المسيحيَّة المؤمنة وقِيَم العائلة غير المؤمنة.

هذا لا يَعني أنَّ كُلَّ وسيلة مِن وسائل الرَّاحة المعاصرة هي خطيَّة، ولا أنَّ الفقر شَرْطٌ أساسيٌّ لحياة البرِّ. لكنَّنا نقول إنَّ الغِنى لا يخلو مِن خطر. والهدف من هذا هو تحذيرنا بأنَّ القِيَم المادِّيَّة تَحْرِم المؤمنين من تلك الرُّؤى المتعلّقة بملكوت الله، وتَحرم العائلات المسيحيَّة مِن السَّلام النَّابع مِن الشُّعور بالرِّضا ومِن الفَرَح النَّابع مِن التَّضحية.

"وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ، لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا. وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ

كَثيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ. لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ" (١تيموثاوس ٦: ٦- ١٠).

قد تكون الأفكار التَّالية مفيدة للعائلات التي ترغب في التصدِّي لضغوط النَّزعة المادِّيَّة:

١. **تَعَلَّم أن تعيش حياةً بسيطة.** هذه نقطةٌ مهمَّة أيًّا كان مستوى الدَّخل. فالألعاب البسيطة، والطَّعام البسيط، والسيَّارات البسيطة، والملابس البسيطة، والأحياء السكنيَّة البسيطة، إضافةً إلى التَّقوى، يمكن أن تُساعد العائلة على العيش برضا حتَّى لو كانت في عالمٍ مُولع بالتَرف.

٢. **أَعْطِ بسرور.** لا تحتاج العائلة إلى غنى كي تُعطي. قد يكون العطاءُ مادِّيًّا أو غير مادِّيٍّ. فهناك طرائق كثيرة للعطاء مِثل تقديم طَبَقٍ من الحلوى أو الفاكهة، أو تقديم آية مُعَزِّية، أو أقوالٍ حكيمة مكتوبة بترتيب، أو ملاحظات مشجّعة للأصدقاء، أو تقديم باقة أزهار، أو صَرْف ساعة أو ساعتين في مساعدة أحد الجيران. ومع أنَّه من الرَّائع أن نُعطي الأصدقاء، لكن أوصانا الرَّب يسوع أيضًا بأن نُعطي أولئك الذين لا نتوقَّع منهم شيئًا بالمقابل (إنجيل لوقا ٦: ٣٥).

٣. **عِشْ حَياةً مُضَحِّيَةً:** مع أنَّ التَّضحية وثيقةُ الصِّلة بالعطاء، إلّا أنّهما غير متماثلَين. يمكننا أن نُعطي بسهولة من الكثير الذي لدينا. لكِنْ يجب على كلِّ مؤمن أن يَختبر الفَرَح النَّاشئ عن إنكار النَّفس بوعيٍ خلال عمليّة العطاء.

٤. **كُنْ حكيمًا عند الشِّراء:** تَجَنَّب تغيير الأشياء الجيِّدة لمجرَّد أنَّك مللت منها، أو بداعي التَّجديد، أو الظُّهور بمظهرٍ أفضل، أو مُنافسة الآخرين. فهناك أموالٌ كثيرة يتم تبذيرها ولا تعود مُتاحة للاستعمال في ملكوت الله لأنَّ النَّاس يفعلون ما يُرضي غرورهم ورغباتهم الأنانيَّة.

٥. **تَجَنَّب الإسراف:** تستنفذ الكثيرُ مِن الدُّمى والسيَّارات الموارِدَ الماليَّة من دون حكمة. وأحيانًا، قد نجد أنَّ بعض الشَّركات تُشَجِّع النَّاس، عن سابق قصدٍ وتصميم، على شراء السِّلع التي تُستخدَم مَرَّة واحدة فقط. فعلى سبيل المثال، تُستَخدَم حفاضات الأطفال غير القابلة لإعادة الاستعمال على نِطاق واسع جدًّا، لدرجة أنَّها أصبحت تُشكِّل مشكلةً كبيرةً من ناحية التخلُّص منها في الولايات المتّحدة.

٦. **وَجِّه مواردَك نحو الأنشطة التي تُساهِم في بناء الملكوت:** يجب النَّظر إلى المال والوقت والسِّلع والمهارات على أنَّها مِلْك لله. وقد أوصانا الله باستخدام هذه الأشياء لأجل ملكوت أبينا السَّماويّ. أمَّا إذا هدرنا هذه الأشياء على تدليل أنفسنا، سيتعيَّن علينا أن نُجيب كوكلاء غير أمناء لله.

أدوار الزَّوج والزَّوجة

سوف نُخَصِّص فصلاً في هذا الكتاب للتحدُّث عن وصايا الكتاب المقدَّس للأزواج والزَّوجات. لكِنَّ مناقشة الضُّغوط الثقافيَّة التي تواجهها العائلات لن تكتمل من دون التطرُّق إلى التشوُّهات التي تَحْدُث في إطار العائلة. ويبدو أنَّ نقطة الخلاف تتمحور حول دور الأم. فهناك مجادلات لا حَصْر لها ترمي إلى إثبات وجهة النَّظر القائلة إنَّ الأمومة هي أسلوب حياة مُملٍّ يقتصر على تغيير حفاضات الأطفال المُتَّسِخة، وغسل الأطباق المُتَّسِخة، وتنظيف الأرضيَّات المُتَّسِخة، في الوقت الذي يَجول فيه الأب في الأرض الواسعة بحثًا عن أيِّ شيءٍ على هواه. والحقيقة هي أنَّ هذا التَّفكير نابع مِن العقليَّة الأنانيَّة. فالحياة بمفهومها الصَّحيح، لا تقوم على فِعْل ما نُريد، بل تقوم على خدمة الآخرين. لا يمكن للأب، بالمعنى السَّليم للأبوَّة، أن يحقّق الإنجاز مِن خلال السعي وراء مصالحه الشخصيَّة، بل مِن خلال خدمة عائلته. ولا يمكن للأمِّ، بالمعنى السَّليم

للأمومة، أن تُحَقِّق ذاتها مِن خلال السعي وراء مصالحها الشخصيّة. فالأمومة هي مِن أسمى وأنبل الأعمال التي يمكن للمرأة القيام بها. إنّها عمل يتطلَّب شخصيَّة قويَّة، وقدراتٍ إبداعيَّة، وموهبة، وذكاء، والتزام. لذلك، أدَّى تَغيير دور كُلٍّ مِن الزَّوج والزَّوجة، أي تنازل الزَّوج عن دوره القياديِّ ودوره في توفير القوت للعائلة، والتحاق الزَّوجة بالعمل خارج المنزل، إلى إلحاق أضرار جسيمة بالعائلة.

وتحت ضغط المجتمع، تجد الكثيرُ مِن الأمَّهات أنفسهنَّ يبحثْنَ عن فرص عمل خارج المنزل، ويَشعرن بالحرج الشَّديد عندما تسأل نساءٌ أخريات عن مهنتهنَّ. يجب على العائلات المسيحيَّة أن تُقَدِّر الدعوة العُلْيا إلى الأمومة.

العائلة المُتناقصة

هناك أسبابٌ عديدة وراء التَّغيير الذي حدث في حجم العائلة الاعتياديّ. فالوعي بأنَّ عدد سُكَّان العالم في زيادة مستمرَّة، والانتقال مِن الرِّيف (حيث زيادة الأولاد تعني زيادة القوى العاملة) إلى المدينة (حيث زيادة الأولاد تعني زيادة الأفواه التي تحتاج إلى طعام)، هما سببان رئيسيَّان لتناقص عدد أفراد العائلة. لكِنْ في أغلب الأحيان، تبدو الأسباب الحقيقيَّة التي تدفع النَّاس إلى تقليص حجم العائلة، أنانيَّةً لا إنسانيَّة.

يعيش النَّاس في وقتنا الحاضر نمطَ حياةٍ مُكلفٍ ومُنهكٍ للغاية، فلا يوجد مكانٌ للأولاد. إنَّ العائلة المتناقصة تعكس القِيَم المادِّيَّة والعقليَّة التي يتبنَّاها الرجال والنِّساء اليوم والمُتَمحورة حول المسار المهنيّ. فبات النَّاس ينظرون إلى الأولاد كمصدر تهديدٍ لمصالحهم الشخصيَّة ورخائهم الماديّ.

ومِن دواعي الأسف أنَّ هذه العقليَّة موجودة حتَّى في صفوف المؤمنين المسيحيِّين. فَهُم يَقبلون بإنجاب طفلٍ أو طفلين. وقد يحتملون فكرة إنجاب ثلاثة أولاد كحَدٍّ أقصى. وفكرة إنجاب أربعة أولاد فهي مُستهجَنة. أمّا إنجاب

خمسة أولاد أو أكثر، فيُعدُّ تصرّفًا غير مُبالٍ، ويفتقر إلى حسّ المسؤوليَّة، ويُشَكِّل خطرًا على المجتمع. والعائلة التي فيها عشرة أولاد أو اثني عشر ولدًا، فهي ظاهرةٌ ترجع إلى العصور المُظلمة.

يقول الكتاب المقدَّس: "هُوَذَا البَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمَرَةُ البَطْنِ أُجْرَةٌ. كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ، هكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ. طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جَعْبَتَهُ مِنْهُمْ. لاَ يَخْزَوْنَ بَلْ يُكَلِّمُونَ الأَعْدَاءَ فِي البَابِ" (المزمور ١٢٧: ٣- ٥). ينظر الله إلى البَنين بمثابتهم بَرَكة إلهيَّة للبيت. وعلينا أن نُقِرَّ بأنَّ تنظيم النَّسل لم يجعل العائلة أكثر سعادة وأكثر عافية. والآباء والأمَّهات المؤمنون الذين يسلكون حسب مشيئة الله يُحِبُّون البنين، ويُدركون أنَّهم بَرَكة، ولا يرضخون لضغوط المجتمع الأنانيِّ الذي يعيشون فيه.

لِنُفَكِّر معًا

١. هل يجب أن يكون جدول العائلة بطيئًا، أو مزدحمًا، أو سريعًا؟ ما تعريفك لجدول العمل البطيء، وما تعريفك لجدول العمل المزدحم؟

٢. ما هي مشاريع العمل أو الخدمة التي يمكن للعائلات أن تقوم بها بهدف زيادة التَّفاعل الاجتماعي السَّليم؟

٣. هل ينبغي للأولاد أن يجهدوا فوق طاقتهم، وهل ينبغي أن يتكاسلوا؟ ما هي العواقب في كِلتا الحالتين؟ وما العناصر التي تُحدِّد التَّوازن الصحيح بين العمل واللَّعب؟

٤. في حال وجود حواجز بين الأهل والأولاد، ما الخطوات العمليَّة التي يمكن للأهل اتِّخاذها لِتَخَطِّي هذه الحواجز؟ وما الخطوات التي يمكن للأولاد اتِّخاذها؟

٥. إذا كان الأشخاص مِن جيل سابق (أي الآباء والأمَّهات أو الأجداد والجَدَّات) غير مؤمنين، ما هي الإرشادات التي يمكن اتِّباعها للحفاظ على التَّفاعل في الأسرة سليمًا؟

٦. في الوقت الحاضر، ما هي الضُّغوط الثقافيَّة الأشَدُّ خطرًا التي تتعرَّض إليها العائلة؟ كيف يمكن للعائلات أن تتصدَّى لهذه الضُّغوط؟

٧. أيٌّ من الاقتراحات الخاصّة بتجنُّب النَّزعة المادِّيَّة يبدو أكثر أهميَّةً؟ وأيٌّ من الاقتراحات يبدو مُهمَلاً الأكثر مِن العائلات؟

لِنَعمل معًا

١. حَلِّلوا كعائلة سلامة التَّفاعُل بينكم. ما الجوانب التي تحتاج إلى بعض التَّحسينات، وكيف يمكن تحقيق ذلك؟

٢. بمثابتك فردٍ في العائلة، فكّر بكلّ صدق، في مدى مُساهمتك في الحفاظ على وحدة عائلتك. ما هي الجوانب التي تواجه فيها مشكلات على الصَّعيد الشخصيِّ؟ هل تُعاني ضعفًا في التَّواصُل أو مشكلة في الاحترام أو جُحودًا؟ اذكر بعض الأشكال التي ظَهَرت فيها مشكلتك مؤخَّرًا. واذكر بعض الخطوات التي يمكنك القيام بها كي تتقدَّم.

٣. اذكر بعض الطَّرائق المحدَّدة التي يمكنك اللُّجوء إليها لتجنُّب النَّزعة المادِّيَّة. ناقش هذه الطَّرائق مع أفراد عائلتك وحاولوا التوصُّل إلى قرارٍ جماعيٍّ حول كيفيَّة تطبيقها.

الفصل الثاني
تَرْك الطُّفولة

المقدِّمة

في أثناء عمليَّة النموِّ والتقدُّم، يَجتاز البشر تغييرات مُدهشة ومُعقَّدة تعجز الكلمات عن وصفها. فالرُّضَّع يصيرون أطفالاً صاخبين، وهؤلاء يصيرون صبيانًا وفتيات، ثمّ شُبَّانًا وشابَّاتٍ مُفعمين بالطَّاقة، فأشخاصًا راشدين قادرين على حَمْل المسؤوليَّة. ثمّ يكبرون تدريجيًّا، ويشيخون، وتصبح حركتهم بطيئة، ويضعفون جسديًّا، وأخيرًا يموتون. لذلك، إنَّ حياة الإنسان، بجميع مراحلها، ليست ثابتة، وتَخضع لتغييرات مستمرَّة؛ فأجسادنا تتغيّر، ومشاعرنا تتغيّر، وسلوكيَّاتنا تتغيَّر.

يُرَكِّز هذا الفصل على مرحلةٍ واحدة من نموّ الإنسان وتقدّمه وهي الفترة المُمتدَّة مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة الرُّشْد. إنّها مرحلة مُهمَّة في الحياة. فالصُّبيان هم في طريقهم ليصيروا شبَّانًا يافعين، والفتيات في طريقهنَّ ليصِرْنَ شابَّاتٍ يافعات.

وفي أحيان كثيرة، يكون التَّشويش الذي يَشعر به المرء في هذه المرحلة مِن حياته عائدًا إلى عدم الفهم أو إلى معلومات خاطئة. وهُنا تكمُن أهميَّة هذا الفصل إذ إنَّه يساعد الشُّبَّان والشابَّات على فهم أنفسهم والتَّغييرات التي يَمُرُّون بها. وليس الهدف منه استبدال دور الأب والأم، بل مساعدتهما. أرجو أن يكون هذا الفصل نقطة انطلاقٍ لمناقشة بعض القضايا الحسَّاسة برهافة حِسٍّ.

مَن أنا؟

الإنسانُ هو خليقة الله الوحيدة التي تمتلك وعيًا ذاتيًّا. فنحن نُفَكِّر لا في الأشياء المحيطة بنا فحسب، بل في أنفسنا أيضًا. ونُحَلِّلُ أنفسنا وَنُقَيِّمُها. ونمدحها وننتقدها، ونُخاطبها باطنيًّا، لدرجة أنَّ حديثنا الخاصّ أحيانًا يُصبح مسموعًا.

هذا الوعي الذاتيَّ يخضع للنموِّ والنُّضج. فعلى سبيل المثال، إنَّ الطِّفل البالغ مِن العُمر سنة، يمتلك وعيًا ذاتيًّا محدودًا جدًّا. وهذه البراءة تُعدّ شيئًا نَفيْسًا. مِن جهة أخرى، قد يكون الشابُّ البالغ مِن العُمر ستَّ عشرة سنة مُنهمكًا في التَّفكير في نفسه أكثر مِن اللَّازم أحيانًا. وفي الفترة الواقعة بين عُمر السَّنة والسَّادسة عشرة، هناك تغييرات جذريَّة تحدث في نِطاق الوعي الذاتيِّ. وفي العادة، ترتبط هذه التَّغييرات في الوعي الذاتيِّ ارتباطًا وثيقًا بالتَّغييرات الجسديَّة، والعاطفيَّة، والفكريَّة، والرُّوحيَّة التي تحدث في فترة المراهقة.

ولكي نَفهم هذه التَّغييرات، لا بُدَّ مِن ذِكْر بعض سِمات الطُّفولة التي تختفي تدريجيًّا أو تتغيَّر بدخول المرء فترة المراهقة. وفي ما يلي بعض الآيات الكتابيَّة الأساسيّة ذات الصِّلة:

"وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَدًا لِكَيْ يَلْمسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلاَميذُ فَانْتَهَرُوا الَّذينَ قَدَّمُوهُمْ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ:"دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ

يَدْخُلَهُ". فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ" (إنجيل مرقس ١٠: ١٣- ١٦).

"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ: فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هَذَا الْجِيلِ وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ يُشْبِهُونَ أَوْلاَدًا جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا" (إنجيل لوقا ٧: ٣١ و٣٢).

"فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (إنجيل مَتَّى ١٨: ٤).

"أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لاَ تَكُونُوا أَوْلاَدًا فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ كُونُوا أَوْلاَدًا فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ" (١كورنثوس ١٤: ٢٠).

مِن خلال هذه الآيات وغيرها، يمكننا استخلاص العديد مِن سِمات الأطفال:

١. **الأطفال اعتماديّون.** إنّهم ينظرون إلى الآخرين كأشخاصٍ مسؤولين عن رعايتهم وحمايتهم.

٢. **الأطفال يَقبلون الحقائق الروحيَّة ببساطة إيمان.** إنّهم يُحِبُّون أن يسمعوا عن الله، وطُرقه، وأعماله، ووصاياه. ويَقبلون هذه الأمور كمُسَلَّماتٍ من دون مُجادلة أو مقاومة.

٣. **الأطفال أبرياء في علاقاتهم.** مِن السَّهل على المرء أن يحتضنهم من دون إحراج.

٤. **الأطفال لا يُفِّكرون عندما يعبّرون عن أنفسهم.** فيضحكون، ويبكون، ويُعَبِّرون عن أفكارهم ومشاعرهم دون تَحَفُّظ.

٥. **الأطفال لا يُفَكِّرون كثيرًا في أنفسهم.** فمع أنَّهم مُتمركزين حول أنفسهم في نواحٍ كثيرة، إلّا أنّ وعيهم لذاتهم متدنٍّ. بعبارة أخرى، لا ينشغلون كثيرًا في تقييم أنفسهم أو في التَّفكير في ما يقوله الآخرون عنهم. (وقد أشار الرَّب يسوع إلى أنَّ هذا الاتِّضاعَ يستحقُّ الثَّناء).

٦. **الأطفال لا يُضْمِرون مَكْرًا.** عادةً لا يُضْمِر الأطفال نوايا شرِّيرة، ولا يَحملون الضغينة، ولا يتّهمون أحدًا بالشرّ. فَهُمْ يعيشون في عالم الإخلاص والوفاء.

٧. **الأطفال لا يُعيرون اهتمامًا كبيرًا للمنطق والفهم العميق.** إنّهم فضوليُّون ويطرحون أسئلة كثيرة، لكنّهم يفعلون ذلك بدافع الرَّغبة في التعلُّم لا التَّقييم.

ومع أنَّ هذه السِّمات تَخُصُّ الطُّفولة، لكن لا يتحلّى بها جميع الأطفال. قد يعيش بعض الأطفال طفولةً مُشَوَّهة. والحقيقة هي أنَّ الأطفال الذين يتعرَّضون للشرِّ في مرحلة مبكرة مِن حياتهم قد يفقدون الحُرِّيَّة والبساطة المُرافقتين للطُّفولة. وللأسف، نحن نعيش في مجتمع مُضطرب وشرِّير. فيُشاهد العديد من الأطفال العُنف والقتل بانتظام مِن خلال التلفاز. ويُشاهدون الإيماءات الجنسيَّة، والخيانة، والغدر. ويُشاهدونَ أيضًا الأبطال والبطلات يكذبون، ويسكرون، ويتشاجرون، ويلجأون إلى الخداع للوصول إلى مآربهم.

ولا يَسَعُنا أن نُعَدِّد عواقب كُلِّ هذا الشرِّ على طفولة الأطفال. فقد تَلَطَّخت البراءة بالخطيَّة. أمّا الشَّهوة الجنسيَّة فتبدأ في حياة الأطفال قبل حتَّى أن يُدركوا ما يجري من حولهم. ولأنَّ الوعي الذاتيَّ يُفْرَض عليهم قبل الأوان، فإنَّ الضَّمير يُنْتَهَك حتَّى قَبْل أن يَفيقَ بالشكل الصحيح.

ابتكر أحد علماء النَّفس مُصطلح "الأطفال المُستعجلون" لوصف الضُّغوط التي يواجهها الأطفال اليوم بشأن النموّ باكرًا. ويقول عالم النَّفس هذا إنَّ هؤلاء الأطفال هُم "أصغر فئة في مجتمعنا، تتعرَّض للجنس والعُنف مِن خلال وسائل الإعلام، وترتدي ملابس غير محتشمة، ويُتوقَّع منها أن تتفوَّق في المدرسة حتَّى عندما يكون ذلك مستحيلاً، ويُطلَب منها أن تتأقلم مع الطَّلاق أو الانفصال عن الأهل."[1]

1 David Elkind, "Helping the Hurried Child" (مُساعدة الطِّفل العَجول) excerpted from *The Hurried Child* (Menlo Park, California: Addison-Wesley Publishing Company, 1981), p. 2.

وهذا ليس مُجَرَّد ضغطٍ لإرغامهم على الدُّخول إلى عالم الكبار، إنّما انفتاحًا على الخطيَّة. وهذا الانفتاح يُدمّر براءة الطُّفولة. قال يسوع: "مَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ" (مَتَّى ١٨: ٦). إنّنا نعيش في مجتمعاتٍ يقوم فيها الكبار –عن قصدٍ أو عن غير قصدٍ- بانتهاك براءة الأطفال.

وحتَّى في حِمَى البيت الذي يَتَّقي أهلُه الله، فإنَّ عمليَّة تَرْك براءة الطُّفولة والدُّخول في مرحلة الوعي الذَّاتيِّ الذي يُرافق المراهقة يمكن أن تكون لها عواقبها. فلأنَّ الجسم يتغيَّر، قد يسأل الشابُّ المراهق نفسه: "ما الذي يَحْدُث لي؟" ولأنَّ المشاعر الداخليَّة تتغيَّر، قد يسأل نفسه: "لماذا يعتريني هذا الشعور؟" فهو يشعر بأنَّه صار أكبر مِن أن يختلط بالأطفال، إنّما أصغر مِن أن يَدخُلَ عالم الكبار. وهو يفتكر بأفكارٍ جديدة قد لا يجرؤ في أوقاتٍ كثيرة على مشاركتها مع أيِّ شخص. وما يَصِحُّ على الشُّبَّان يَصِحُّ على الفتيات، مع أنَّ الفتيات يُظهِرْنَ استعدادًا أكبر مِن الذي يُظهره الشُّبَّان لمشاركة أفكارهنَّ ومشاعرهنَّ ومخاوفهنَّ مع إحدى الصّديقات أو أحد الأبوَيْن.

ويمكن تلخيص الأفكار الأولى التي تُرافق فترة الوعي الذَّاتيّ بالسُّؤال التَّالي: "مَنْ أنا؟" فالشخصيَّة تتعمَّق، والمعتقدات والقِيَم تبدأ بالتشكّل، والتغييرات مستمرَّة. فالطِّفل البالغ مِن العُمر اثنتا عشرة سنة يتساءل عن سبب بُطْء نُموِّه، وكم سيكون طُولُه النِّهائيِّ. أمَّا الفتاة البالغة مِن العُمر اثنتا عشرة سنة فتشعر برغبة شديدة في الظُّهور بمظهرٍ جذَّاب، وكفتاة ناضجة. وسُرعان ما يبدأ الشابُّ والفتاة في التَّفكير بذكاءٍ أكبر في التَّعليمات التي يوجِّهها الكبار إليهم. ومع أنَّ هذه التَّغييرات قد تكون مُمتعة ومُدهشة مِن بعض الجوانب، لكنّها قد تكون

من المؤكَّد أنَّ الضَّغط الذي يُمارَس على الأطفال كي ينموا سريعًا هو أكبر مِن الضَّغط الذي يُمارَس عليهم لممارسة الشر. وهذا ما ناقشناه في هذا الفصل. فعلى سبيل المثال، إنَّ الضَّغط في التَّعليم يَظهر مِن خلال تعليم الطَّلبة أكبر قدر ممكن من المعلومات في أبكر وقت ممكن من حياتهم. كذلك، إنَّ الضَّغط على الأطفال في مجال الألعاب الرِّياضيَّة يُرغمهم على دفع أنفسهم إلى أقصى حدود الأداء البدنيِّ - بل إلى حَدٍّ قد يسبّب لهم الانهيار.

مُخيفة من جوانب أخرى. فالمراهق يُدرك فجأةً أنَّه فَقَدَ هُويَّته كطفل، لكنَّه لا يَعلم شيئًا عن هُويَّته الجديدة.

ولكي نَفهم المزيد عن هذه المرحلة المُمتلئة بالتحدِّيات، سنتطرّق بمزيدٍ من التَّفصيل إلى بعض التَّغييرات:

التَّغييرات الجسديَّة

قد تكون التغييرات الجسديَّة هي الأبرز في مرحلة تَرْك الطُّفولة. وأحيانًا، قد تؤدِّي هذه التَّغييرات إلى اضطراباتٍ أكثر من غيرها؛ ولا سيَّما أنَّها تَطال الجوانب الجنسيَّة عند الذُّكور والإناث. ففي السَّنوات الماضية، كان هذا الموضوع مُحاطًا بالسريّة التامَّة. ولأنَّ هذه السريّة مُتعلِّقة بشيء واضح كالشَّمس، كان المُراهقون يشعرون بمزيدٍ من الخوف والإحباط. وكان رَدُّ فِعْلِ العالم على ذلك هو رفع الغطاء عن الموضوع برُمَّته حتَّى إنَّه بات بإمكان النَّاس أن يناقشوا أيَّ موضوعٍ في أيِّ زمانٍ ومكانٍ دون أن تَحْمَرَّ وجوههم خجلًا. ومع أنَّ هذا ساهَم في زيادة وعي المراهقين في عالمنا، إلّا أنّه لم يجعلهم أتقياء. بل إنَّ الحالة الأخلاقيَّة السَّائدة اليوم هي أسوأ من أيِّ وقتٍ مضى.

والحقيقة هي أنَّ الصُّفوف المُختلطة ليست البيئة المناسبة لمناقشة التَّغييرات الجسديّة والنموّ اللّذين يمرّ بهما الذُّكور والإناث. إنَّما البيئة المناسبة هي البيت، حيثُ يتكلَّم الأب مع أبنائه الذُّكور، وتتكلَّم الأمُّ مع بناتها. وليست الطَّريقة السَّليمة للتكلّم عن هذا الموضوع هي من خلال المزاح، ولا من خلال الكلام المُبهم الذي ينطوي على تحذيرات تبعث الرُّعب في النَّفس. فهناك ضوابط مناسبة للتكلّم عن المواضيع الجنسيَّة التي تخُصُّ الذُّكور والإناث. ويجب على الآباء والأمَّهات أن يختاروا المكان والزَّمان المناسبَين لمناقشة هذا الموضوع بانفتاحٍ وصدق. وقد عَبَّر كاتبا "قُدْسِيَّة الجنس" (The Sanctity of Sex) عن ذلك بالقول:

> إذًا ما الطَّريقة التي يَنتهجها الله في مناقشة القضايا الجنسيَّة؟ أيُّ قارئٍ عاديٍّ للكتاب المقدَّس يَعلم أنَّ طريقة الله لا تقوم على الحديث المُبْهَم الذي يَبعث الخوف في النَّفس. فلا يمكن لأيِّ شخصٍ يقرأ الأصحاحات الأولى مِن الكتاب المقدَّس أن يتغاضى عن حقيقة أنَّ أبانا السَّماويَّ لم يخجل يومًا مِن خليقته، أو مِن حقيقة أنَّه تَحَدَّث بانفتاحٍ عن وظائف الجنس.[٢]

ومع ذلك، يُتابع الكاتبان حديثهما قائلَيْن إنَّ مِثل هذا الانفتاح يجب أن يكون مصحوبًا بمخافة الله ومحبَّته. وبخلاف ذلك، تصبح المعرفة نَقْمةً، كما هي الحال في مجتمعاتنا اليوم.

التَّغييرات عند الذُّكور

ما هي التَّغييرات التي تطرأ على الفتى عندما ينتقل مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة المُراهقة؟ أوَّلًا، في أثناء فترة المراهقة، قد يَحْدُث النموُّ في شكل طَفْرات. فقد يزداد طول الفتى خمسة عشر سنتمترًا أو أكثر في سنة واحدة. وفي بعض الأوقات قد تَحْدُث طَفْرَة نُموٍّ باكرة وأخرى لاحقة. وعادةً تزداد شهيَّة الفتى المُراهق للطَّعام حتَّى إنَّه قد يأكل كمِّيَّة طعام يأكلها الرِّجال، بل وربَّما أكثر.

وفي وقتٍ ما مِن فترة المُراهقة (عادةً في سِنِّ الثَّالثة عشرة أو الرَّابعة عشرة)، يبدأ جسم الفتى بإفراز هرمونات مُعيَّنة. وهذه الهرمونات تُسَبِّب ظهور صفات ذُكوريَّة أخرى لديه. فيصير صوتُه جهورًا. وفي بعض الأحيان، قد يميل الصَّوت إلى الخشونة أو الحِدَّة. وبسبب هذه التغيُّرات المفاجئة في الصَّوت، قد يَشعُر العديد مِن المراهقين بالإحباط – فبعد أن صار صوتهم جهورًا (وهو أمرٌ يُحِبُّونه) يتَغَيَّر ويصير شديد الحدّة. وبسبب هذا التغيير، قد يَشعرون بالحرج

2 Stephen Olford and Frank Lawes, *The Sanctity of Sex* (قُدسيَّة الجنس) (LaGrange, Indiana: Pathway Publishing Co., 1963), p. 14.

من التكلُّم كثيرًا في إطار المجموعات. وتؤدِّي هرمونات الذُّكورة أيضًا إلى نُموِّ الشَّعر في منطقة الذَّقن وفوق الشَّفة العُليا. والحقيقة هي أنَّ أغلبيَّة المراهقين يبتهجون بحلاقة ذقونهم أوَّل مَرَّة؛ كما ابتهجوا عندما حصلوا على أوَّل درَّاجة هوائيَّة. ولكن كما أنَّ فَرْحَة الحصول على الدَّراجة الهوائيَّة قد زالت بعد حين، فإنَّ فَرْحَة حلاقة الذَّقن تزول بعد حين أيضًا.

وهذه التَّغييرات التي تَطرأ على جسم الفتى هي طريقة الله في إنضاجه ليصير رَجُلاً. ولكنَّ مُراهقين كثيرين يشعرون بمخاوف غير ضروريّة إمَّا بسبب جهلهم، أو لأنَّهم سمعوا عن تلك التغييرات مِن خلال قصص أو نُكات مُبتذلة. لذلك، يجب على كُلِّ فتى أن يحظى بفرصة التحدُّث بصراحة وانفتاح مع أبيه. وإن لم يكن الأب متوافرًا، يمكنه التحدُّث مع أحد المؤمنين الأتقياء وسؤاله عن الأمور المتعلّقة بهذه الفترة مِن حياته.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كان "جورج" شابًّا حسّاسًا. ومع أنَّ والدَه كان مؤمنًا أمينًا، فقد نشأ في بيئة حيث يُعدّ الحديث عن النموّ الجسدي أمرًا مُحْرِجًا. ومع أنَّ الأب أراد أن يَعرف ابنُه عن هذه المرحلة، لكنَّه كان يجهل الطَّريقة المناسبة. فأعطاه كتابًا يَتحدَّث عن التغيُّرات الجسديّة عند الفتيان المُراهقين.

ولكنَّ الكتاب كان مكتوبًا للأسف، بلغة مُتَكَلِّفة (مثْل: "والآن يا عزيزي جورج ..."). كذلك، كانت الأوصاف مُبْهَمَة ومُصاغة بلُغة جامدة حتَّى إنَّ مخاوف جورج وهواجسه زادت. فكان يخشى قراءة الكتاب، ويخشى أن يسأله أبوه إن كان قد قرأ الكتاب.

كان من الممكن تَجَنُّب الكثير مِن هذه المخاوف لو ناقش الأب هذه المواضيع مع ابنه بانفتاحٍ وصَراحة. فلا شيء يُغني عن التَّواصُل الفعَّال مع الأبوَيْن في سنوات المُراهقة.

التَّغييرات عند الإناث

ما هي التَّغييرات التي تطرأ على الفتاة عندما تنتقل مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة المُراهقة؟ خِلافًا للفتى، إنَّ صوت الفتاة لا يتغيَّر كثيرًا. ولكنَّ الهرمونات الأنثويَّة تُحْدِث تغييرات أخرى تؤدِّي إلى نموٍّ على شكل طَفرات. وغالبًا ما تسبق الفتيات الفتيان بسنة أو سنتين. ومع أنَّ هذه التَّغييرات قد تَجعل الفتاة خجولة بعض الشَّيء، لكنّها تَجعلها تَشعر بشعورٍ دفينٍ بأنَّها صارت امرأة؛ وهو شعورٌ تَنظر إليه أغلبيَّة الفتيات بإيجابيَّة.

وتَمُرُّ بعض الفتيات بتغييراتٍ جسديّة في وقتٍ مُتأخِّر عن غيرهنَّ. وقد تكون التَّغييرات عند بعضهنَّ أخَفَّ وَطأة. لكن ينبغي لهؤلاء الفتيات ألّا يَقلقن أو يَشعرن بوجود خَطْبٍ ما. وفي حال وجود مِثل هذه المخاوف أو الأسئلة، ينبغي للفتاة أن تناقش الأمر مع أُمِّها، أو مع إحدى المؤمنات الجديرات بالثِّقة.

التَّغييرات العاطفيَّة والسُّلوكيَّة

مِن جهة أخرى، إنَّ التَّغييرات الجسديَّة التي يَختبرها المُراهقون تُفضي إلى تغييرات عاطفيَّة أيضًا. وقد ذكرنا آنفًا أنَّ الأطفال عمومًا لا يُدركون الفرق بين كونهم ذكورًا أو إناثًا. ولكن عندما تحدُث التَّغييرات الجسديّة، فإنَّ الفتى لا يُدرك أنَّه فتى فحسب، بل يَنجذب أيضًا إلى الفتيات بصورة لم يَعْهَدها مِن قَبل. وفي أغلب الأوقات، يحاول الفتيان تمويه هذا الانجذاب مِن خلال التَّظاهُر بعدم اهتمامهم بالفتيات، أو مِن خلال مُضايقتهنَّ. وعلى نحوٍ مُشابهٍ، قد تشعر الفتيات بأنَّ التَّغييرات الجسديّة تؤثِّر في نظرتهنَّ لأنفسهنَّ وللفتيان. لذلك، يزداد اهتمامهنَّ بمظهرهنَّ الخارجيِّ بصورة لافتة. وقد يُعَبِّرن عن استيائهِنَّ إن رآهُنَّ أحدهم بثيابٍ مُتَّسخة أو شَعْرٍ منكوش.

وفي ما يَخُصُّ الفتيان، إنَّ اهتمامهم يَنصبُّ عادةً على القوَّة البدنيَّة. لذلك، يحاولون منافسة الآخرين في الرَّكض، وفي القفز، وفي رفع الأثقال. وفي حين أنَّ الفتى المُراهق قد لا يتحدَّث بصوتٍ عالٍ أو بكثرة كما كان يَفعل قبل سنوات، فإنَّ رغبته في أن يكون رَجُلاً قويًّا تَفوقُ أيَّ وقتٍ مضى.

أمَّا الفتيات المراهقات فيَزددنَ أُنوثةً، ويبدأْنَ بارتداء الملابس التي ترتديها السيِّدات، ويجلسن مِثلهنَّ، ويتكلّمن مِثلهنَّ أيضًا. ويتوقَّفن عن المشاركة في الألعاب التي تلعبها الفتيات الصَّغيرات. وفي أغلب الأوقات، يُفَضِّلْنَ مراقبة الآخرين وهُم يعملون على المشاركة الفعليَّة؛ تفاديًا لاحتمال أن يظهرن غبيّات.

ويمكن القول إنَّ الانتقال مِن مرحلة الطُّفولة إلى مرحلة المراهقة يحدث بسرعة نسبيًّا. فنرى أنَّ الأطفال الصغار الذين كانوا يلعبون ويلهون في سِنِّ العاشرة أو الحادية عشرة قد صاروا فجأةً شُبَّانًا وفتيات في الرَّابعة عشرة أو الخامسة عشرة مِن العُمر، يُفَكِّرون في عالم الكِبار ويتحدَّثون عنه. وبعد أن كان الكبار يُخاطبونهم بمبادئ وأفكارٍ بسيطة، فإنَّهم يبدأون بمخاطبتهم كأشخاصٍ ناضجين. وقد يكون التَّغيير المفاجئ في مرحلة المراهقة صعبًا على المراهقين والكبار في آنٍ واحد. فيبدو أنَّ المراهقين غير مستعدِّين تمامًا لما يمكنهم القيام به فجأةً. وقد لا يَشعُر الكبار بأنَّهم مستعدُّون للتأقلم مع ما يرغب أولئك المراهقون بالقيام به. لذلك، بمعزلٍ عن حِكمة الله، قد تَحتدم الخلافات في البيوت بين المراهقين، أصحاب الطبع الحادّ، والكبار الذين يَشعرون بالتَّهديد. ستَجِد في الأجزاء اللَّاحقة اقتراحات عمليَّة لمساعدة المراهقين والأهل على جعل هذه المرحلة الانتقاليَّة، مِن الطُّفولة إلى النضج، فترةً سليمةً من حياتهم.

التَّغييرات الروحيَّة

إنَّ التَّغييرات العاطفيَّة والسلوكيَّة عند المراهقين لا تنشأ بسبب التَّغييرات الجسديّة فحسب، بل إنَّ هناك تغييرات روحيَّة تؤثِّر في العواطف والسُّلوك أيضًا. وعندما يزداد وعي المراهق لذاته، يصير ضميره حَيًّا بطرائق جديدة. فالأطفال يشعرون بالذَّنب عندما يقترفون خطأً ما. أمَّا في مرحلة المراهقة، فإنَّ وعيهم بأنفسهم كأشخاص يزداد. وحينئذٍ، يدركون أنَّ مشكلة الخطيَّة ليست مُرتبطة بما يفعلونه فحسب، بل إنَّها ترتبط بطبيعتهم. فيبدأون بتحليل أفعالهم ودوافعهم أيضًا. ويُدركون تدريجيًّا كم هو مستحيل أن يكونوا كما يُتوقَّع منهم طَوال السِّنين الماضية، أي أولادًا في قِمَّة الأدب والأخلاق. وهذا لا يعني أنَّهم يُدركون هذه الأمور إدراكًا كاملاً. فعلى الصَّعيد الروحيِّ، لا يَفهم المراهقون ذواتهم تمامًا. لكنَّهم يبدأون بإدراك بعض الحقائق الروحيَّة عن أنفسهم؛ وهي حقائق لم يعرفوها مِن قَبل.

وقد تتفاوت التَّأثيرات العاطفيَّة المتعلّقة بالتَّغييرات الروحيَّة بين شخصٍ وآخر. فقد يشعر بعض المراهقين بالخوف، وتزداد حساسيَّتهم، ويزدادون خجلاً. وقد يصير بعضٌ منهم سريعي الغضب، وكثيري التذمُّر، وحادِّي المِزاج. وقد يقاوم البعض هذا الصحْو الروحيّ من دون حتَّى أن يفهموه، فيميلون إلى الجَدَل والتمرُّد.

وعامّةً، عندما تبدأ تلك التَّغييرات بالحدوث في فترة المراهقة، ويَصحو ضمير المراهق، يُصبح هذا الأخير جاهزًا لقبول الربِّ يسوع المسيح مُخَلِّصًا لحياته. وهناك أُناسٌ كثيرون يُنادون بضرورة كرازة الأطفال ويُمارسونها في أيَّامنا هذه. وهذا يُشَكِّل سوء فهمٍ مؤسفٍ لحالة كُلٍّ مِن الأطفال والمراهقين الروحيَّة. وفي ما يلي بعض الملاحظات المهمَّة بهذا الخُصوص:

١. يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن الطُّفولة كفترة تُعَبِّر عن البراءة والقبول من الله. فعلى سبيل المثال، عندما تكلّم الرّب يسوع عن الأطفال قال: "دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مَتَّى ١٩: ١٤). وقد حَذَّر يسوع الكبار من احتقار الصِّغار أو الإساءة إليهم مُشيرًا إلى أنَّ: "مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (إنجيل مَتَّى ١٨: ١٠).

٢. يَصِف الكتاب المقدَّس الاهتداء بأنَّه الوقت الذي تَحْدُث فيه التَّوبة. ولا نجد في أيّ مكان في الكتاب المقدّس أنَّ الرّب يسوع أو الرُّسُل دَعوا الأطفال إلى التَّوبة. فالتَّوبة تتطلَّب وعيًا للذَّات؛ وهو أمرٌ لم يتطوّر بعد لدى الأطفال البريئين.

وقد ذَكَر خادم الربِّ ومُعَلِّم الكتاب المقدَّس "صموئيل يودر" ما لا يَقِلُّ عن ثلاث مراحل في الإدراك ينبغي بلوغها قبل أن يصير الاهتداء للمسيح ممكنًا:

أ. إدراك وجود الله. لا شَكَّ أنَّ الأطفال يُدركون وجود الله، ولا شكَّ أيضًا أنَّ مرحلة الطُّفولة مُلائمة للبدء بترسيخ بعض المفاهيم عن الله لأنَّ هذه المفاهيم ستكون الأساس الذي يقوم عليه الخلاص. "وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (٢تيموثاوس ٣: ١٥).

ب. إدراك وجود الخطيَّة. كما ذَكَرنا آنفًا، إنَّ إدراك الطِّفل وجود الخطيَّة يَقتصر على قيامه بأمرٍ خاطئ. لذلك، يجب تشجيع الأطفال على الاعتراف بالأخطاء التي اقترفوها والتي تشكّل الإزعاج لهم. فالله يَغفر الذُّنوب، ويمكن للأطفال بالتأكيد أن يَنعموا بالسَّلام. ولكن ما لم يَصحُ ضميرُهم، وهو أمرٌ يأتي مع الوعي الذاتي، فإنَّهم لن يدركوا أنَّهم خُطاة في ذواتهم. لذلك، إنَّ الضَّغط على الأطفال لكي يقبلوا يسوع مُخلِّصًا لحياتهم من دون أن يُدركوا حقيقة الخطيّة، يشوّش موضوع الخلاص

كعقيدةٍ وكاختبارٍ شخصيٍّ. وحينئذٍ، لن يعود باستطاعة النَّاس أن يعرفوا ماهيَّة الخلاص ومتى نالوه.

ج. إدراك حُرِّيَّة الاختيار. يجب على كُلِّ شخص أن يُدرك مسؤوليَّته الشخصيَّة في ما يتعلّق بالتَّوبة والإيمان بالمسيح. ويتجاوب الطِّفل بسرعة مع التَّعليم عن الله والخلاص إذا طُلِب منه وذلك لأنَّ قراراته كطفلٍ تقوم على إرشاد الكبار. ولكنَّ الاهتداء بمفهومه الصَّحيح لا يحدث إلَّا عندما نتمكَّن مِن طرح هذا السُّؤال بأنفسنا: "مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟"[٣]

٣. يَصِف الكتاب المقدَّس أنَّ المعموديَّة هي للمؤمنين. تُبَيِّن النِّقاط المذكورة آنفًا أنَّ الإيمان المُخَلِّص يتطلَّب معرفةً تفوق إدراك الأطفال. ولا شكَّ أنَّه بمقدور الأطفال أن يؤمنوا بالله، وبالحقِّ الروحيِّ. ولكن كيف يمكنهم أن يؤمنوا بيسوع ويَقبلوه مُخلِّصًا لحياتهم قبل أن يُدركوا طبيعتهم الخاطئة؟ فعلى سبيل المثال، إنَّ قصَّة الوزير الحبشيَّ (أعمال الرُّسُل ٨: ٢٦- ٣٨) تُرينا الشُّروط السَّابقة للمعموديَّة: الفهم (العدد ٣٠)، والإيمان (العدد ٣٧)، والاعتراف (العدد ٣٧). لذلك، إذا عَمَّدْنا أطفالاً لا يَستوفون هذه الشُّروط، فإنَّنا نكون بذلك قد مارسنا معموديَّة الأطفال، إنّما أجَّلناها بضع سنواتٍ فقط.

ولكن ما لا يمكن للأطفال أن يَفهموه ويختبروه عن طريق الاهتداء الروحيِّ يصير ممكنًا جدًّا عند المراهقين. فإدراكهم لذواتهم يقودهم إلى إدراك الخطيَّة. والأبوان الحكيمان يَسعيان إلى إرشاد أولادهما المراهقين إلى إدراك وجود المُخَلِّص. ولا شكَّ أنَّ أحد أروع الاختبارات في نِطاق العائلة هو أن يقود الأبوان أولادهما التَّائبين إلى تسليم حياتهم ليسوع المسيح.

---

٣ صموئيل يودر، "المُساءلة ومعموديَّة المؤمن" (Accountability and Believer›s Bap-tism (مقتبسة عن عِظَة بتاريخ ١ آذار/مارس، ١٩٨٣). تَمَّ الاقتباس بعد الحصول على الموافقة.

إنَّ التَّجاوب السَّليم مع احتياجات الأطفال والمراهقين الروحيَّة يتطلَّب حكمةً وحِسًّا مُرهفًا. وكذلك إنَّ الفهم مهمٌّ، فيجب علينا أن نَفهم الفروق الروحيَّة بين الأطفال والمراهقين. ويجب علينا أيضًا أن نأخذ بعين الاعتبار الاختلاف بينهم في الشخصيَّة والنموِّ. فالأطفال يتباينون، وليس مِن السَّهل دائمًا توقّع تصرُّفات المراهقين، وإنَّ أفضل الآباء والأمَّهات يشعرون بالحاجة إلى الحِكمة الإلهيّة. في ما يلي بعض النِّقاط القائمة على المفاهيم التي تحدَّثنا عنها في هذا الجزء:

١. عَلِّم الأطفال أنَّهم موضوع محبَّة الله.

٢. تَعامل مع الأطفال حسب مستوى فهمهم. فعلى سبيل المثال، إذا جاءوا إليك وأعربوا عن رغبتهم في أن يصيروا مؤمنين، اسألهم عن قَصْدِهم. فقد تجدهم، في أغلب الأوقات، مُنزعجين من خطأ اقترفوه. فإن قُدتهم إلى طلب الغفران مِن الله، سيشعرون بالسَّلام.

٣. بَيِّن للأطفال، من خلال الكتاب المقدَّس، أنَّ الله يُحِبّهم ويَقبلهم. بَيِّن لهم أيضًا أنَّ الله يَدعو النَّاس إلى التَّوبة، وأخبرهم أنَّ هذا هو ما سيفعله في حياتهم عندما يصبحون جاهزين. اشرح لهم أنَّ الله سيتكلَّم إليهم في وقتٍ مِن الأوقات عن قبول يسوع في قلوبهم. طمئنهم أنَّهم سيُمَيِّزون صوت الله عندما يتحدَّث إليهم. وشَجِّعهم على أن يقولوا لله إنَّهم يرغبون في إطاعته.

٤. صَلِّ مع الأطفال من أجل احتياجاتهم واحتياجات العائلة. صَلُّوا بإيمانٍ، وخضوعٍ، وتسليمٍ بأنَّ الله سيستجيب بملء حكمته وتوقيته.

٥. ساعد الأطفال على تقديم الشُّكر والتَّسبيح لله على شخصه وأعماله. فالأطفال يُحِبُّون التَّرنيم، ويَجدون مُتعةً كبيرة في تقديم الشُّكر لله، متذكّرين المَرَّات التي استجاب فيها لصلواتهم في الماضي.

٦. عندما يقترب الأطفال مِن مرحلة المراهقة، مَيِّز بين التَّبكيت الحقيقيِّ على الخطيَّة والتجاوب العاطفيِّ مع الله. فعلى سبيل المثال، قد يَشعر الطِّفل بضغطٍ

عاطفيٍّ للتَّجاوب مع الدَّعوة بقبول المسيح في أحد الاجتماعات الكنسيَّة. اسأل الطِّفل إن كان هناك شيء مُحَدَّد لَمَس قلبه في ما قاله الواعظ. إذا لم يتجاوب الطِّفل مِن خلال سماع الحقِّ، فإنَّ تجاوبه ليس تبكيتًا على الخطيَّة. اشرح للطِّفل أنَّ قبول يسوع يشمل العواطف والمعرفة. وعندما يُخاطبه الله، فإنَّه لن يَشعر بذلك في أثناء الدَّعوة فحسب، بل سيسمع الله يُخاطبه مَرَّاتٍ أُخرى أيضًا. صَلِّ مع الطِّفل في أوقاتٍ كهذه، وشَجِّعه على أن يُعَبِّر لله عن مشاعره. بعض الأطفال يُبدون انفتاحًا للإفصاح عن مشاعرهم أكثر مِن غيرهم، وهذا أمر طبيعيٌّ جدًّا. لذلك، لا تحاول فتح أبواب التَّواصل عنوةً مِن الخارج. ولكن احذر أيضًا من إهمال الطِّفل الهادئ من خلال تركيز انتباهك واهتمامك على الطفل الآخر الذي يتكلَّم أكثر.

٧. راقب أيَّ علامات تُشير إلى تبكيت الرُّوح القُدُس. قد يَظهر ذلك مِن خلال تَقَلُّب المِزاج، أو سُرعة الانفعال، أو مقاومة السُّلطة.

٨. راقب نُمُوَّ الإدراك الذاتي لدى الطِّفل. فلا بُدَّ لهذا الأمر أن يَحْدُث في مرحلة نُضجه الجنسيِّ. فكما ذكرنا آنفًا، إنَّ إدراك الخطيَّة يأتي عادةً بعد إدراك الذَّات. وقد يَصْعُب علينا فهم كيفيَّة ارتباط جميع هذه الأمور بعضها ببعض. ولكن لاحظ أنَّ آدم وحوَّاء أدركا خطيّتهما وعُريهما في الوقت ذاته في جنَّة عدن.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

عندما كان "تيد" في التَّاسعة مِن عُمره، قام أحد الوُعَّاظ بعقد اجتماعاتٍ في كنيسته. وقد تجاوب "تيد" ورفاقًا له مِن السنّ نفسه مع الدَّعوات العاطفيَّة المُتكرِّرة ليلة بعد الأخرى بقبول يسوع. ولأنَّ "تيد" نشأ في عائلةٍ مؤمنة، سأل والديه في تلك اللَّيلة إن كان بمقدوره أن يَعتمد.

فأجابه أبواه: "ما زلت في التاسعة من عمرك، والمعموديَّة تجعلك عضوًا في الكنيسة. لِمَ لا تنتظر بضع سنواتٍ إلى أن تصبح أكبر؟"

ومع أنَّ "تيد" انتظر، إلّا أنّه كان يتساءل دائمًا عن سبب عدم تَمَكُّن المؤمن مِن التعمّد لسنوات. وفي السَّنوات التي تلت، كان "تيد" قد قَطَع أكثر مِن عهدٍ أمام الربِّ. وعندما بلغ الرَّابعة عشرة، اعتَمَد وصار عضوًا في الكنيسة مع مجموعةٍ مِن الشباب في سنّه.

وفي سِنِّ الخامسة عشرة والسَّادسة عشرة، صار "تيد" مُتمرِّدًا جدًّا. وكان يَقوم سِرًّا بأمورٍ لا يوافق عليها والداه. وفي أواخر سنوات المراهقة، بدأ يطلب وجه الربِّ مجدّدًا وصار أخيرًا مؤمنًا مُكَرَّسًا للربِّ.

وعندما كان "تيد" يتذكَّر ما حدث، كان يتساءل: "متى أصبح لديّ علاقة سليمة بالله؟ هل حدث ذلك عندما تجاوبت مع الله أوَّل مَرَّة؟ أَم عندما اعتمدتُ؟ أم عندما سَلَّمتُ حياتي بأسْرِها ليسوع؟

وقد كان ذلك التَّشويش الذي اختبره "تيد" (والذي يَختبره أُناسٌ كثيرون مِثله) ناشئًا عن عدم فهم حالة الطفولة الروحيَّة بوضوح، وعن عدم توضيح مُتطلَّبات الخلاص. فمع أنَّ نوايا الكبار قد تكون سليمة، إلّا أنّهم يَتَسَبَّبون في تشويش الأطفال عندما يمارسون الضغط العاطفيّ عليهم لقبول يسوع مُخَلِّصًا لحياتهم.

٩. لا تضغط على المراهق ولا تحاول "رشوته" لقبول الخلاص. يجب أن يَحْدُث الاهتداء تجاوبًا مع الله والحقِّ. والتبكيت هو عمل يقوم به روح الله القدّوس. ويجب على الآباء والأمَّهات أن يَثقوا بأنَّ الله سيقوم بدوره. فالضُّغوط الخارجيَّة ستؤثِّر سلبًا على فاعليَّة عمل اللهِ.

١٠. عندما تقود مراهقًا إلى المسيح، رَكِّز على النِّقاط الأساسيَّة التَّالية:

- التَّوبة: ينبغي للمرء أن يُدرك أنَّه إنسان خاطئ، وأن يَتخلَّى عن حياته الماضية (أعمال الرُّسُل ٢: ٣٨).
- الاعتراف: ينبغي للمرء أن يَعترف بفمه أنَّ يسوع المسيح هو رَبٌّ وسَيِّدٌ له، وأن يَقبلَ المسيح في قلبه بيقينٍ بأنَّه سيُخَلِّصه مِن الخطيَّة (رومية ١٠: ٩- ١٣).
- المعموديَّة: ينبغي للمرء أن يَشْهَد علنًا أنَّه اتَّحد بالمسيح وبشعبه مِن خلال معموديَّة الماء (مَتَّى ٢٨: ١٩ و ٢٠؛ ١كورنثوس ١٢: ١٣؛ ١بطرس ٣: ٢١).

وضع الأساس المَتين

تحدث تغييرات كثيرة في حياة المراهقين، وقد تكون عميقة الأثر. وتحدَّثنا عن بعضٍ من هذه التَّغييرات. فعلى الصَّعيد الجسديِّ، يصير الفتيان رجالاً، والفتيات نِساءً. وعلى الصَّعيد الروحيِّ، يصير الأطفال الأبرياء أشخاصًا راشدين مسؤولين. وعلى الصَّعيد العاطفيِّ والسلوكيِّ هناك نُضجٌ ورُشدٌ. وقد تكون هذه الفترة في حياة المرء رائعةً أحيانًا، وصعبةً أحيانًا أخرى.

وكي تكون هذه الفترة سليمة ومفيدة، يتطلَّب الأمر تعاونًا مشتركًا بين الأهل والأولاد. والحقيقة هي أنَّ الأمر لا يبدأ في فترة المراهقة. بل ينبغي للأهل والأبناء أن يبدأوا، قبل فترة طويلة مِن مرحلة المراهقة، بوضع الأساس الذي سيبنون عليه علاقتهم بعضهم ببعض في هذه السَّنوات الحاسمة التي تنطوي على الكثير مِن التَّغيير والنموِّ. وفي هذا الجزء، سنتحدَّث عمّا يحتاج إليه المراهقون والأهل مِن أجل علاقةٍ سليمة بينهم. مِن ثمَّ، سنناقش بعض المبادئ التوجيهيّة التي تُساهم في تلبية هذه الاحتياجات.

١. **ينبغي للأهل والمراهقين أن يحترموا بعضهم بعضًا كأشخاص.** يوصي الله الأولاد بأن يُكرموا والديهم. وفي الوقت نفسه، يجب على الأهل أن يتعلَّموا احترام شخصيَّة أولادهم. فلِكُلِّ طفلٍ مشاعره وصفاته التي تُمَيِّزه عن غيره. لذا ينبغي للآباء والأمَّهات أن يَعرفوا أولادهم كأشخاصٍ مُتميِّزين كي يشعر كُلُّ ولدٍ بالأمان النَّابع مِن إدراكه أنَّ والدَيه يفهمانه ويُحِبَّانه.

ولا شَكَّ أنَّ معرفة الأولاد تتطلَّب صَرْف الوقت معهم. وعلى الأرجح أنَّ الآباء يواجهون التحدّي الأكبر في هذا المجال إذ يعمل الكثيرون خارج البيت ساعاتٍ طويلة. لكن يجب أن تكون ممارسة الأنشطة مع الأولاد هي الأولويّة. وأسهل طريقة يبني بها الأهل حواجز بينهم وبين المراهقين، ولا سيَّما الآباء، هي عدم التَّواصُل معهم في فترة الطُّفولة. ويتمتّع كلُّ شخصٍ بنقاط قوَّة ونقاط ضعف، ولِكُلِّ شخصٍ اهتماماته، وجوانب عاطفيَّة "حسَّاسة" ينبغي التَّعامل معها بِحِسٍّ مُرهف. كذلك، يحتاج كُلُّ شخصٍ إلى الخصوصيَّة. هذه جميعها جزءٌ مِن شخصيَّة الطِّفل التي ينبغي للأهل أن يفهموها، ولا سيَّما عندما ينتقل الأولاد إلى مرحلة المراهقة.

مِن جهةٍ أخرى، يتجنّب الآباء والأمَّهات الذين يفهمون تَفَرُّد شخصيَّة كُلِّ طفل، عَقْد المُقارنات السَّلبيَّة بين طفلهم والأطفال الآخرين. فعند تقويم الطفل، عليهم أن يُعالجوا خطأه من دون مهاجمة شخصيَّته. كذلك، عليهم أن يتبعوا أسلوب الإرشاد لا إصدار الأوامر فقط.

ولا شكَّ أنَّ الأهل الذين يحترمون شخصيَّة أطفالهم يَضعون أساسًا متينًا لعلاقتهم بهم في مرحلة المراهقة. وعندما يصير الأولاد مراهقين، يبدأون برؤية آبائهم وأمَّهاتهم كأشخاص. ويبدأون بمراقبة الصِّفات وتقييم الشخصيَّات. ويعتمد استعدادُهم لاحترام شخصيَّة آبائهم وأمَّهاتهم على الاحترام الذي يُظهره هؤلاء لهم. فإذا تجاهل أهلهم شخصيَّاتهم واستخفُّوا بهم، فقد يميلون بدورهم إلى تجاهل أهلهم والاستخفاف بهم في أوَّل فُرصة تُتاح لهم. لكن في المقابل، إذا

تعامل معهم آباؤهم وأمَّهاتهم بإحساسٍ مُرهف، سيكون لديهم الأساس المتين للتَّعامُل هم أيضًا معهم بإحساسٍ مُرهفٍ.

٢. **ينبغي للأهل والمراهقين أن يبقوا على تواصلٍ مستمرٍّ.** لقد تكلّمنا آنفًا عن أهميَّة التَّواصُل عندما تطرَّقنا إلى التَّغييرات الجسديّة والروحيَّة التي تحدث في فترة المراهقة. ولكنَّ الأساس لهذا الانفتاح ينبغي أن يوضع في سنوات الطُّفولة. ونقول ثانيةً إنَّ انشغال الأبوَيْن ولا سيَّما الآباء، يَمنعهما مِن التحدُّث إلى أولادهما. فإن وجد الأبوان أنَّ هذه هي الحال، يجب عليهما أن يَتعلَّما التَّخطيط للتَّواصُل. فمثلاً، يجب على الآباء أن يسردوا القصص لأطفالهم (والسَّرد مُفَضَّل في أغلب الأحيان على القراءة). ويحبّ الأطفال سماع القصص عن آبائهم عندما كانوا صبيانًا. وينبغي للآباء أن يخبروا أولادهم كيف تعمل الأشياء، وكيف تُصنع، وكيف يمكن صُنعها يدويًّا. ويجب على الأهل أن يطلبوا مِن أولادهم طرح أفكارهم، وأن يُصغوا إلى تلك الأفكار.

فالتَّواصُل يتطلَّب انتباهًا. وقد قال أحدُهم إنَّ الانتباه الكامل لا يحدث إلَّا عندما تنظر مباشرةً إلى عيني الشخص الآخر. فمن السَّهل على الآباء أن يدفنوا رؤوسهم في الجريدة اليوميَّة ويَكتفوا بالتَّواصل مع أولادهم بشكلٍ سطحي مِن خلال هَزِّ رؤوسهم بين الحين والآخر. ومِن السَّهل على الأمَّهات أن يتخلَّصْنَ مِن أولادهنَّ عندما يَشعرن بالملل بسبب ثرثرتهم أو أسئلتهم المتلاحقة. ولا شكَّ أنَّ الأبوَيْن الحكيمَيْن لن يَسمحا لأطفالهما بإدارة الحوار، لكنّهما يدركا أهميَّة الاستفادة مِن أيّة فُرصة مُتاحة للحديث مع أولادهما في فترة الطُّفولة. فالأهل الذين لا يُعيرون أولادهم آذانًا مُصغية، سيجدون أنَّ أولادهم المراهقين لن يُعيروهم بدورهم آذانًا مُصغية.

٣. **ينبغي للأهل والمراهقين أن يضعوا حدودًا وتوقّعات واضحة.** سوف نتحدَّث بإسهاب عن موضوع التَّربية والتأديب في الفصل السَّادس. لكنَّنا نودُّ أن نقول هنا إنَّ الكثير مِن الإحباط الذي يشعر به المراهقون والأهل نابعٌ مِن

عدم استقرار الأبوَيْن، واضطراب المراهقين. فعلى الرغم مِمَّا يحاول الأطفال والمراهقون التَّعبير عنه عن طريق التأفُّف والتوسُّل والمجادلة، فإنَّهم يجدون أمانًا كبيرًا في معرفة حدودهم، وفي وجود أبوين ثابتَين في كلامهما.

فالأهل الذين يستسلمون لتوسُّلات أولادهم في سبيل إرضائهم يُظهِرون فهمًا سطحيًّا جدًّا لمعنى الحصول على قبول أولادهم. كذلك، يَدُلُّ هذا التصرُّف على غياب الشعور بالأمانة لدى الأبوَين. فتردّدهما في قراراتهما، لن يُساعدهما في المرَّة القادمة على الوقوف في وجه رغبات أولادهما، كما أنَّه سيؤثِّر سلبًا على احترام الأولاد لهما في السَّنوات القادمة. فالأطفال الذين ينجحون في الحصول على ما يريدون عن طريق التوسُّل، يصبحون مراهقين بارعين في التَّحايُل على الآخرين.

لذلك، تقتضي الحكمة مِن الأبوَيْن أن يُعَلِّما أولادهما أنَّهما يَعنيان كُلَّ كلمة يقولانها. وسيتجنّبان التَّرهيب، والتَّهديد، والصُّراخ، والهياج الفارغ. فلا يجوز أن يكونا صارِمَيْن تارةً ومُتساهِلَيْن تارةً أخرى. ولا يجوز لأحدهما أن يتصرَّف من دون عِلم الآخر في ما يَخُصُّ التَّعامل مع الأولاد. بل ينبغي لهما أن يَتَّفِقا على رأيٍ واحدٍ في سبيل الوصول إلى نهجٍ واضح ودائم في التَّعامل مع أولادهما. وبالتالي، عندما يصل الأولاد إلى سِنِّ المراهقة، سيكون بمقدور الأبوَيْن أن يَضَعا مبادئ توجيهيّة معقولة، ويتمسّكان بها بلطفٍ وتفهّمٍ إنّما بحزمٍ أيضًا.

٤. **يحتاج الأهل والمراهقون إلى مبادئ التَّعامُل الجسديِّ اللَّائق**. فالإحصائيَّات العالميَّة حول العلاقات الجنسيَّة بين أفراد العائلة الواحدة بشعة وتدعو إلى القلق. وعلى الرغم من ذلك، ينبغي الإشارة إلى أنَّ جميع الأطفال يحتاجون إلى الحنان الذي يعبّر عنه الأهل بشكلٍ لائق. وهناك سببٌ واحدٌ فقط يجعل معانقة الأبوَيْن ولدهما أو تقبيله أمرًا منحرفًا، ألا وهو أن يكون أحدهما (أو كلاهما) منحرفًا. ويمكن للإرشادات البسيطة التالية أن تَصِف اللمس اللَّائق بين الأبوَيْن والأولاد: احتضن أطفالك الرُّضَّع، عانق أطفالك، ضع ذراعك حول كتف أولادك

المراهقين. طبعًا، هذا لا يعني أنَّه لا يمكن للأبوَيْن أن يحتضنا ابنهما المراهق أو ابنتهما المراهقة. لكن يجب عليهما أن يُدركا أنَّ التَّغيير في الملامسة ضروريٌّ فيما يكبر الأولاد.

والحقيقة هي أنَّ المعايير الأخلاقيَّة الرَّفيعة في العائلة لا تتوقَّف عند الملامسة. فيجب أيضًا تعليم الأبناء مبدأ الحشمة ويجب أن يُمارِسَ الأبوان هذا المبدأ ويكونا قدوةً لأولادهما في البيت قبل أن يبلغوا سنَّ المراهقة. كذلك، يجب وضع تعليمات واضحة للاستحمام وارتداء الملابس اللَّائقة مِن أجل الحفاظ على براءة الأطفال. فالآباء والأمَّهات الذين يُظهرون مشاعر طاهرة تُجاه أولادهم، ويحرصون على تعليمهم مبادئ الحشمة، يَبنون أساسًا راسخًا للطَّهارة في حياة أولادهم المراهقين. وهذه النُّقطة تقودنا مباشرةً إلى الموضوع التَّالي.

كيف نعيش حياةً طاهرة

إنَّ الحديثَ عن الطَّهارة الأخلاقيَّة وثيق الصِّلة بالحديث عن فترة المراهقة، لا لأنَّ هذا هو العُمر الذي يُدرك فيه المراهقون ذواتهم فحسب، بل أيضًا لأنَّ الغرائز البيولوجيَّة الطبيعيَّة تكون في أغلب الأحيان في أعلى مستوياتها في أواخِر فترة المراهقة. وكم يؤسفنا أن نقول إنَّ عائلات كثيرة لا تضع الأساس الرَّاسخ للتصدِّي للتَّجارب التي تواجه الشباب. ويقترف بعض الأهل أخطاءً كثيرة في سنوات أطفالهم التأسيسيّة. مِن جهة أخرى، يرغب بعض الشُّبَّان والشَّابَّات في تكريس حياتهم لله على الرغم مِن البيئة السيِّئة التي يعيشون فيها في بيوتهم. وهناك شُبَّان وشابَّات يعيشون في بيئات صالحة ولكنَّهم يغرقون في مشكلات أخلاقيَّة بسبب جهلهم. لذلك، إنَّ النَّهج المُتَّبع في هذا الجزء ليس وقائيًّا فحسب، بل إصلاحيًّا أيضًا. وبعبارة أخرى، لن يقتصر حديثنا في هذا الجزء على كيفيَّة تجنيب أولادنا المراهقين المصائد الأخلاقيَّة، بل سنتحدَّث أيضًا عن كيفيَّة تحرير أولئك الذين وقعوا في الفخِّ.

وقبل أن نبدأ بتقديم النَّصائح والإرشادات في هذا الخصوص، تجدر الإشارة إلى مبدأ مُهمٍّ يَخُصُّ الأشخاص الذين يواجهون مشكلةً في الطَّهارة بأيّ شكلٍ من الأشكال. إنَّ سبب وجودك في المكان الذي أنت فيه ليس مُهمًّا بقدر أهميَّة استعدادك للانتقال إلى المكان الذي يريد منك الله أن تكون فيه. فهناك أضرار كبيرة قد تنشأ عن المبالغة في التَّركيز على المواقف أو الأشخاص الذين كانوا "سببًا" في مشكلاتنا. وبدلاً من قبول نعمة الانتصار التي يُقَدِّمها الله والمضي قدمًا، قد يسقط النَّاس بسهولة في فَخِّ المرارة والرثاء للذات، ويبقون أَسْرَى المتاعب.

الطهارة - دَوْر الآباء والأمَّهات

١. **ساعد أولادك شخصيًّا على فهم نموِّهم الجنسيِّ فهمًا سليمًا.** فمع أنَّ المادَّة التي يُقَدِّمها هذا الفصل مُعَدَّة لمساعدتك في هذا المجال، إلّا أنَّ الكتاب لا يمكنه أبدًا أن يستبدلَك. والسُّؤال الذي يطرحه الأهل عادةً هو: "في أيِّ عُمْرٍ ينبغي لي التحدُّث مع أولادي بخصوص الأمور الجنسيَّة؟" قال أحد خُدَّام الربِّ إنَّه في أثناء خدمته في وسط الشَّبيبة، لم يسمع يومًا أحدًا يشكو من أنَّ أبوَيْه تَحَدَّثا إليه عن النموِّ الجنسيِّ في وقتٍ مبكر. وهذا لا يعني البتَّة أنَّه كُلَّما تَحَدَّثنا إلى أطفالنا في سِنٍّ مبكرة، كان ذلك أفضل. بل إنَّ ما نَعنيه هو أنَّ أغلبيَّة الآباء والأمَّهات يميلون إلى الانتظار لوقتٍ متأخّر. وكقاعدة أساسيَّة، يمكنك خلال السَّنوات الستِّ أو الثَّماني الأولى من حياة طفلك أن تُحَدِّثه في الأمور التي يتساءل هو عنها. وقد تكون سلوكيَّات الحيوانات الأليفة أو المواشي قاعدةً تنطلق منها في مناقشة معلومات أساسيَّة عن التَّزاوج، والحمل، والولادة. وعندما يبلغ الأطفال سِنَّ العاشرة، يكونون عادةً جاهزين للاستماع عن التغييرات الجسديّة التي ستحدث لهم في السَّنوات القليلة المقبلة.[٤]

---

٤ يتوفَّر كتاب تدريبيّ خاصّ بعنوان "مشيئة الله لجسدي" *(God's Will for My Body)* من منشورات (Christian Light Publications). يمكن للآباء والأمَّهات أن يستخدموا

٢. **راقب ما يُشاهده طفلك ويسمعه في البيت**. تبدو وسائل الإعلام التَّرفيهيّة العامَّة فاسدة على نحوٍ يَتعذَّر إصلاحُه. فالأطفال الذين يَكبرون على مشاهدة البرامج والأفلام ذات المعايير الأخلاقيَّة المُتدنِّية –لغرض التَّسلية- مُعَرَّضون لتأثيرات أخلاقيَّة سيِّئة. وهناك وسائل أخرى قد تؤذي أطفالنا أخلاقيًّا وهي الكتب، والمجلَّات، والموسيقى. يجب أن يدرك الآباء والأمَّهات المؤمنين أنَّ وسائل التَّسلية التي يُنتجها العالم ترمي إلى إثارة الشَّهوات. وفي بعض الأحيان، تُقدَّمُ وسائل الإعلام المُعَدَّة لأهداف تثقيفيَّة بطريقة غير أخلاقيَّة. ولكنَّ الخطر لا يقتصر على المصادر التي نُسَمِّيها "علمانيَّة". فالكثير مِن المراهقين يقعون في فِخاخ أخلاقيَّة عن طريق الموسيقى والمجلَّات والأفلام التي تزعم أنَّها مسيحيَّة، ولكنَّها في الحقيقة، تحوي مواد مُثيرة للشَّهوات الرَّديئة كما هي حال وسائل الإعلام الدُّنيويَّة.

ولا شَكَّ أنَّ الحلَّ لا يَكْمُن في التخلُّص مِن كُلِّ ما هو رديء فحسب، بل أيضًا في توفير ما هو جَيِّد. فالكتب والمجلَّات الجيِّدة تُسهم في بناء الشخصيَّة الأخلاقيَّة. ويجب توفيرها في البيوت المسيحيَّة. كذلك، يجب الاستماع إلى الموسيقى الجيِّدة. وفي هذا الإطار، يجب على الآباء والأمَّهات أن يأخذوا بعين الاعتبار أعمار أولادهم واهتماماتهم وتوفير الوسائل التي تُسهم في بُنيانهم أخلاقيًّا.

٣. **كُن مُتوازنًا في منح الثِّقة لأولادك المراهقين، وفي مُساءلتهم**. يحتاج الشباب إلى أن يثق أهلهم بهم، وأن يُدركوا، في الوقت نفسه، أنَّهم تحت المُساءلة. ويمكن للأبوَيْن أن يمنحا الثِّقة لأولادهما مِن خلال احترام خُصوصيَّتهم، وتحميلهم المسؤوليَّة، وتقديم النَّصيحة لهم أحيانًا مع ترك القرار النهائيِّ لهم. ويمكن للأبوَيْن أن يَضعا الأبناء تحت المُساءلة مِن خلال رَسْم الحدود، وتوفير

هذا الكتاب لتعليم الأولاد عن نموِّهم الجنسيِّ. ويتمحور كلُّ درس في هذا الكتاب حول آية كتابيَّة لمساعدة الأهل والأطفال على مناقشة التَّغييرات الجسديَّة نقاشًا صريحًا ومُحافظًا في الوقت نفسه.

الخيارات، وطرح الأسئلة، وتقديم النَّصائح. ولا شَكَّ أنَّ التَّواصُل عنصرٌ مهمٌّ جدًّا في تحقيق هذا التَّوازن في الثِّقة والمساءلة. ويجب على الأبوَيْن أن يحذرا مِن فتح أبواب التَّواصُل عنوةً مع أبنائهم، ومِن اللجوء إلى الأساليب التي تنطوي على التصرّف سرًّا والتلصُّص. فالمراهقون يحترمون عامّةً الكبار الذين يلتجئون إلى الأسئلة والطَّلبات الصَّريحة والمباشرة. ولكنَّهم لا يحترمون الكبار الذين يلمّحون إلى أمورٍ ويحتالون عليهم في سبيل الحصول على المعلومات.

٤. **إذا كنت مُتيقِّنًا مِن أنَّ ولدك المراهق واقعٌ في مشكلة أخلاقيَّة أو تشكّ بذلك بشدّة، ولا تدري كيف تُصارحه بذلك، رَتِّب له لقاءً مع شخصٍ تحترمانه كلاكما لمناقشة الموضوع.** يمكنك الاستعانة براعي الكنيسة وزوجته، أو بالجَدِّ والجَدَّة، أو بمُعلِّمي الكتاب المقدَّس لتقديم النُّصح والإرشاد للمراهقين الذين يواجهون أوقاتًا عصيبة. طبعًا من المهمّ أن يكون الشخص مِن الجنس نفسه، ويُفَضَّل أن يكون مُتطوِّعًا. وفي بعض الأحيان، يتطلَّب الأمر الاستعانة باختصاصيِّين في هذا المجال، ولا سيَّما إذا كانت المشكلة الأخلاقيَّة حادّة أو قائمة منذ فترة طويلة.

٥. **تَجَنَّب مضايقة أولادك في ما يتعلّق باهتمامهم بالجنس الآخر.** من المؤسف أنَّ عددًا كبيرًا مِن المراهقين والمراهقات يُسيئون فهم الجنس والقضايا الأخلاقيَّة بسبب عدم نُضج الأبوَيْن في هذه المسائل. إنَّ روح الفكاهة مُهمَّة في حياتنا، ويمكن أن تكون طريقة جيّدة لتَخَطِّي حاجز الخجل في الموضوعات الحسَّاسة. ولكن يجب الحذر من محاولة إغاظة الأولاد مِن خلال النُّكات. فقد يُؤدِّي ذلك إلى تَعلُّقهم بالجنس الآخر افتتانًا به لا حبًّا به. وهذا النَّوع مِن المُزاح قد يُفضي إلى تَشَكُّل بعض المفاهيم الخاطئة لدى الأبناء، أو إلى وقوعهم في فَخِّ المشاعر العاطفيَّة الزَّائفة. وقد يؤدِّي إلى انزلاقهم في مُنحدر العلاقات العاطفيَّة الخادعة التي تُفضي عادةً إلى انسحاق القلب وتحطُّم النفس.

٦. **ليكُن لسانُك طاهرًا.** إنَّ الكلمات التي نَتَفَوَّه بها تعكس أفكارنا وتُعَبِّر عن شخصيَّاتنا. لذلك، إذا أردتَ أن تكون طاهرًا ونقيًّا، وأردتَ أن يكون أولادك

طاهرين وأنقياء، يجب عليك أن تفتكر بأفكار طاهرة ويجب أن يكون كلامك طاهرًا. "وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ أَوْ طَمَعٍ فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ، وَلاَ القَبَاحَةُ، وَلاَ كَلاَمُ السَّفَاهَةِ، وَالهَزْلُ الَّتِي لاَ تَلِيقُ ..." (أفسُس ٥: ٣ و٤).

الطهارة - دور الأولاد المراهقين

١. **أكرِم أباك وأمَّك**. قد لا تُدرك أنَّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين التمرُّد والفساد الأخلاقيِّ. ويبدو أنَّ الأبناء الذين يقاومون آباءهم وأمَّهاتهم يعجزون عن مقاومة التَّجربة. ومِن الأمثلة الكتابيَّة على ذلك هم أبناء "عالي" الكاهن (انظر ١صموئيل ٢: ١١- ٢٥).

٢. **املأ ذهنك بأمورٍ جيِّدة**. صحيحٌ أنَّنا لا نستطيع أن نمنع كُلَّ فكرة خاطئة، ولكن نستطيع أن نُدَرِّب أذهاننا على التَّفكير في الأمور السَّليمة والصَّحيحة. لذلك، اقرأ كُتُبًا جيِّدة، ودَرِّب نفسك على قراءة مقطعٍ مِن الكتاب المقدَّس يوميًّا. وإذا وقعت في فَخِّ التَّفكير في أمورٍ غير أخلاقيّة، أو صرت ضحيَّة عادة سيِّئة، استخدم الكتاب المقدَّس لتطهير ذهنك. "بِمَ يُزَكِّي الشَّابُّ طَرِيقَهُ؟ بِحِفْظِهِ إِيَّاهُ حَسَبَ كَلاَمِكَ" (المزمور ١١٩: ٩). كذلك، احفظ آياتٍ مِن الكتاب المقدَّس ترى أنَّها مُساعِدَةٌ لك. ويمكنك أن تُعيد صياغة هذه الآيات بكلماتك الخاصّة، وتضع اسمك فيها.

٣. **تجنَّب مصادر التَّجربة**. كثيرًا ما يُشَجِّعنا الكتاب المقدَّس على التصدِّي للتَّجربة، ويوصينا بأن "نَهرب" مِن المواقف غير الأخلاقيَّة: "اهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا" (١كورنثوس ٦: ١٨). "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا" (٢تيموثاوس ٢: ٢٢). "فَتَرَكَ [يوسُفُ] ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ" (تكوين ٣٩: ١٢). لذلك، إذا وضعك مكانٌ ما أو شخصٌ ما أو موقفٌ ما في تجربة، **اهرب** من ذلك المكان أو الشَّخص أو الموقف.

٤. **لا تَسمح لفضولك بأن يوقعَك في أمورٍ تَعلم أنَّها مُنافيةٌ للأخلاق.** إنَّ أحد الفِخاخ الأساسيَّة التي يستخدمها الشَّيطان في هذا المجال هو الكتب والمجلَّات غير الأخلاقيَّة. لذلك، يجب علينا أن نفعل ما فعله "أيُّوب"؛ أن نقطع عهدًا لعيوننا لتجنّب النَّظر إلى أيِّ شيءٍ قد يوقعنا في التجربة. وهناك فَخٌّ آخر يستخدمه الشَّيطان في هذا المضمار وهو فضولنا بشأن أجسادنا. الله خلَقنا، ولم يُعْطِنا أجسادًا شرِّيرة. فينبغي لنا أن نتعامل مع المناطق الحسَّاسة في أجسادنا باحترام. وقد يجرفنا الفضول بسهولة إلى إساءة استخدام أجسادنا. وقد نتعرَّض لتجربة التفكير في ما يلي: "إذا جرّبتُ أمرًا ما، ربَّما أستطيع أن أبعده عن تفكيري." لكنَّ هذا غير صحيح. فالتورُّط في الأفكار، أو الصُّور، أو الأفلام، أو الأفعال غير الأخلاقيَّة، تقود المرء دائمًا بعيدًا عن الطَّهارة، لا إليها. ومِن السَّهل أن تصير الأفكار والأفعال غير الطَّاهرة عاداتٍ يصعب التخلُّص منها. لذلك، عندما تشعر بتجربة إشباع فضولك تجاه هذه الأمور، اتبع ما يقوله سِفْر الأمثال ٤: ١٥: "تَنَكَّبْ عَنْهُ. لاَ تَمُرَّ بِهِ. حِدْ عَنْهُ وَاعْبُرْ."

٥. **أَحِطْ نفسك بأصدقاءٍ صالحين.** الأصدقاء مُهِمُّون في حياة الشابّ، والشعبيّة مهمّةٌ أيضًا. لكنَّ وجود بعض الأصدقاء الأوفياء من حوله، مهمٌّ أكثر مِن أن يكون لديه أصدقاء أصحاب الشعبيَّة. كذلك، إنَّ التمتّع بالطهارة مهمٌّ أكثر من التمتّع بالشعبيّة. يُحَذِّرنا الكتاب المقدَّس قائلاً: "لا تَضِلُّوا: فَإِنَّ المُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الجَيِّدَةَ" (١كورنثوس ١٥: ٣٣). وبعبارةٍ أخرى، إنَّ رُفقاء السُّوء يُفسدون أخلاقنا.

٦. **اِعمل بجِدٍّ واجتهاد.** قد تبدو هذه النَّصيحة في غير مكانها. لكنَّ الاجتهاد مفيدٌ على الصَّعيد الأخلاقيِّ مِن أوجه عدّة: أوَّلًا، إنَّ مُجَرَّد تركيزنا على ما نقوم به مفيدٌ لأذهاننا. ثانيًا، يساعد العمل على الحَدِّ مِن الرغبات الجنسيَّة لأنَّ الجسد يوجّه طاقته نحو العمل الذي يقوم به. وثالثًا، إنَّ المُثابرة في العمل تدريبٌ جيِّدٌ يُسهم في تقوية الشخصيَّة.

٧. **حافظ على نظافتك وهندامك، لكن تَجَنَّب التزيُّن وعدم الحِشمة.** ما نراه يؤثِّر فينا. لكنَّ مظهرنا الخارجيَّ يؤثِّر في الآخرين وفينا أيضًا. يوصي الكتاب المقدَّس بالحِشمة لأنَّ قلَّة الحِشمة تستدعي الخطيَّة. والحقيقة هي أنَّ الله والأشخاص المحترمين يُقَدِّرون الشخصيَّة المسيحيَّة. لذلك، اجعل هدفك التمتّع بشخصيّة مسيحيّة جيّدة.

٨. **إذا وقعتَ في فَخِّ أفكارٍ أو عاداتٍ لا يمكنك التخلُّص منها، التجئ إلى أحد المؤمنين النَّاضجين.** تكلّم مع والديك أو راعي الكنيسة عن مشكلتك. اسمح لهم بمُساءلتك. فعلى سبيل المثال، اطلب منهم أن يسألوك بشكلٍ منتظم عن أحوالك. كُن صادقًا. وصَلُّوا معًا. فقد يتمكَّن هؤلاء الأشخاص مِن مساعدتك على اكتساب القوَّة التي تحتاج إليها لتعيش مُنتصرًا في المسيح يسوع.

الخُلاصة

إنَّ فترة المراهقة هي فترة زاخرة بالتَغييرات. وكثيرًا ما يجد المراهقون صعوبةً في فهم أنفسهم – ولا سيَّما عندما يبدأ الوعي الذاتيِّ بالتشكُّل فيهم، وعندما يختبرون تغييرًا في مشاعرهم، وعندما يشعرون بالتَّبكيت الروحي. لذلك، إنَّهم بحاجة ماسَّة إلى علاقات وطيدة مع أهلهم خلال هذه السَّنوات مِن حياتهم. وينبغي أن يَتِمَّ وَضْع الأساس المَتين لهذه العلاقة في فترة الطُّفولة مِن خلال تفاعل الأبوَيْن مع أبنائهم وسَدِّ احتياجاتهم. وفي مرحلة المراهقة، يواجه المراهقون تَحَدّيًا مُهِمًّا وهو بناء شخصيَّتهم الأخلاقيَّة. وهذا التحدّي يتطلَّب تعاونًا مشتركًا بين الأهل والمراهقين.

لِنُفَكِّر معًا

١. في ضَوْء صفات الأطفال المذكورة في هذا الفصل، ما هي أنواع القصص والأنشطة الملائمة لهم؟ وما هي الأنواع التي قد تُفسِد طفولتهم؟

٢. ما هي الأمور التي تُسهم في تعزيز التَّواصُل بين الأهل والمراهقين؟ وما هي الأمور التي تصنع حواجز بينهم؟

٣. كيف يمكن للآباء والأمَّهات أن يَحموا أبناءهم الأبرياء من مشاعر الذَّنب السابقة لأوانها أو غير اللازمة؟

٤. كيف ينبغي للآباء والأمَّهات أن يتجاوبوا مع ولدهم الذي يشعر بعذاب الضَّمير لأنَّه اقترف خطأً؟ وكيف ينبغي للآباء والأمَّهات أن يتجاوبوا مع ولدهم الصَّغير البريء الذي يقول إنَّه يريد أن "يَقبل يسوع"؟ وكيف يمكن للآباء والأمَّهات أن يُحبِطوا أبناءهم مِن خلال ردود الأفعال الخاطئة تجاه مواقف كهذه؟

٥. لماذا ينبغي للآباء والأمَّهات أن يتَّكلوا على الرُّوح القُدُس في جذب أبنائهم للمسيح في الوقت الذي يراه الله مُناسبًا؟ وكيف يمكن للآباء والأمَّهات أن يحافظوا على التَّوازن بين عدم المُبالاة والقلق في ما يَخُصُّ حياة أبنائهم الروحيَّة؟

٦. اذكر بعض الطُّرق العمليَّة التي قد تُسهم في حصول الأبناء على معلومات مُضَلِّلة عن الجنس. ماذا يستطيع الآباء والأمَّهات أن يفعلوا لحماية أبنائهم وإرشادهم؟ كيف تُقَدَّم التَّجربة للمراهقين اليوم؟ وماذا يجب أن يفعلوا لتجنُّبها؟

٧. كيف يختلف ابن العاشرة عن ابن السَّادسة؟ وكيف يختلف ابن الرَّابعة عشرة عن ابن العاشرة؟

٨. ما هي المخاوف التي تتشكَّل لدى المراهقين بسبب التَّغييرات التي تطرأ في هذه المرحلة؟ وكيف يتعامل المراهقون عادةً مع هذه المخاوف؟

لِنَعمل معًا

١. بصفتك أبًا أو أمًّا، قَيِّم معايير الحِشمة في بيتك. هل هناك جوانب ينبغي تحسينها؟ ما هي الخطوات التي يجب اتِّخاذها؟ (ملاحظة: تَذَكَّر أنَّ الضَّغط المُفْرِط على الأبناء قد يؤدِّي إلى نتائج عكسيَّة).

٢. بصفتك عضوًا في العائلة، فَكِّر في الوقت الذي عَقَدْتَ العَزْمَ فيه على تكريس حياتك للربِّ. متى بدأت علاقتُك بالمسيح؟ مَن الذي أثَّر فيك؟ عندما تُقَيِّم الوضع الآن، هل تظنّ أنَّك اتّخذتَ قرارًا مبكِّرًا أو متأخِّرًا في ما يَخُصُّ دعوة المسيح لحياتك؟ ما الذي ساعدك في اتِّخاذ القرارات السَّليمة، وما الذي أعاقك عنها؟ هل واجهت تحدِّيات روحيَّة في فترة المراهقة تتمنَّى ألّا يواجهها أبناؤك المراهقون في المستقبل؟ دَوِّن أفكارك أو ناقشها مع عائلتك.

٣. في ضوء سنوات طفولتك، ما هي الذِّكريات المفضَّلة لديك؟ اذكر بعضًا منها. لا شَكَّ أنَّ شخصًا أو أكثر كانوا مسؤولين عن هذه الذِّكريات الجميلة. عَبِّر عن شكرك لهم إن كان ذلك ممكنًا. ما هي أسوأ ذكرياتك؟ هل ما زالت هذه الذِّكريات تؤلمك؟ إذا كان الأمر صحيحًا، ربَّما يتعيَّن عليك تدوينها أيضًا. اذكر هذه الأمور في صلاتك، واقرأها بصوتٍ مسموع أمام الله. أخبره أنَّك تَصفح عن الأشخاص الذين تَسَبَّبوا في إيذائك لأنَّك تَعلم يقينًا أنَّه قادرٌ على جعل جميع هذه الاختبارات تعمل معًا للخير في حياتك (انظر رومية ٨: ٢٨). احرق هذه اللَّائحة كعلامة منظورة على أنَّك ستتوقَّف عن تَحميل هؤلاء الأشخاص مسؤوليَّة مشكلاتك بعد اليوم. وإذا ما زلت تعاني بسبب المشكلة، ناقشها مع راعي كنيستك.

الفصل الثالث

التَّعارُف والخِطبة

المقدِّمة

توجد في كُلِّ ثقافة أعرافٌ اجتماعيَّة مقبولة للعثور على شريك حياة. وفي الثَّقافة الغربيَّة، يحدث هذا عادةً على مدى فترة زمنيَّة معيّنة، ومِن خلال مجموعة من الأنشطة التي تُعرف بالمُواعدة أو التَّعارُف. ومع أنَّ التَّعارُف قد يحدث بطرائق عديدة، لكنَّ الغاية منه هي أن يتعَرَّف الشابُّ والفتاة أحدهما إلى الآخر. وفي هذه الفترة، قد يقوم الشابُّ والفتاة بالعديد مِن الأشياء معًا مثل الذَّهاب إلى أحد المطاعم، أو التنزُّه، أو صَرْف وقتٍ طويل في التخاطب مِن خلال الرَّسائل أو الهاتف أو اللقاءات الشخصيَّة. وكما هي حال الكثير من العادات في المجتمعات غير المؤمنة، فإنَّ التَّعارُف قد يأتي منه الخير أو الشرِّ. فيجب على الأشخاص الذين يبدأون بالتَّعارُف أن يكونوا قد سلّموا حياتهم للربِّ يسوع، وإلّا سيجدون أنَّ الغاية الأساسيَّة مِن هذه العلاقات ليست إرضاء الطَّرف

الآخر وإرضاء الله، بل إمتاع ذواتهم. سوف نتطرَّق في هذا الفصل إلى التَّعارُف بمفهومه الصَّحيح.

أمَّا الخِطبة في الثَّقافة الغربيَّة، فإنَّها لا تحدث عادةً إلَّا بعد فترة مِن التَّعارُف. ويتوقَّف طول هذه المُدَّة على الشابِّ والفتاة. ومع أنَّ التَّعارُف والخِطبة ليسا مُلزِمَيْن كالزَّواج، إلّا أنَّ الخِطبة تُعَدُّ مؤشِّرًا على التزام الشابِّ والفتاة أحدهما تُجاه الآخر، ورغبتهما الجادَّة في الزَّواج. لذلك، إنَّ مَن يُقْدِمون على الخِطبة هُم، في أغلب الأحيان، الأشخاص الجادُّون. وكذلك، إنَّ فسخ علاقة الخِطبة يحدث بنسبةٍ أقلّ مِن فسخ علاقة التّعارف. وعندما يرغب الشابُّ في التقدُّم لخِطبة الفتاة، فإنَّه يطلب موافقتها على أن تكون زوجته. ويُقال في هذه الحال إنَّه "طَلَبَ يدها للزَّواج". وإذا وافقت على طلبه، فإنَّهما يُعرِبان عن رغبتهما في الزَّواج أمام الأهل والأصدقاء. وخلافًا لما يحدث في دول الشَّرق الأوسط، إنَّ الخِطبة في الدُّول الغربيَّة لا يُرافقها حفلٌ كبير.

في هذا الفصل، سنتطرَّق إلى بعض المبادئ الكتابيَّة والممارسات العمليَّة الخاصّة بالتَّعارُف والخِطبة في إطار الثَّقافة الغربيَّة. وإذا كانت عادات التَّعارُف والخطبة في بلدك أو ثقافتك مختلفة كثيرًا عمّا سنتحدَّث عنه، فهذا لا يعني بالضَّرورة أنَّ العادات في بلدك خاطئة أو صحيحة. فكما هي الحال في جميع جوانب الحياة، إنَّ المَرجع الأساسيَّ الذي ينبغي لنا جميعًا أن نسترشد به هو الكتاب المقدَّس. لذلك، في أثناء قراءة هذا الفصل، حاول أن تُطَبِّق المبادئ الكتابيَّة على العادات والتَّقاليد السَّائدة في مجتمعك في ما يَخُصُّ العثور على شريك الحياة.

هل يُعدّ النَّموذج الغربيّ للتَّعارُف أسلوبًا جيِّدًا لاختيار شريك الحياة، أو للتعرُّف إلى شريك الحياة المُحتَمَل؟ هناك طبعًا أساليب أخرى. ولا نقرأ عن فترة التَّعارُف بين الشُّبَّان والفتيات في الكتاب المقدَّس. وفي بلدان الشَّرق الأوسط قد يُساعد الأبوان الأبناء في ترتيب أمور الزَّواج. ونقرأ أنَّ الشَّريعة كانت تَمنح الزَّوج

والزَّوجة "شهر عسلٍ" طويلٍ، يمتدُّ سنةً كاملة، لا يُعطَى فيه الزَّوج عملاً بهدف التعرُّف أكثر إلى زوجته.

ولكن مُجَرَّد إثارة التساؤل حول موضوع التَّعارُف بين الجنسَيْن في هذا الفصل لا يعني أنَّنا نُطالب بإلغاء هذه المُمارسة. فالكتاب المقدَّس لا يتحدَّث عن ممارسات محدَّدة في هذا الأمر، ولكنَّه يُقَدِّم بعض المبادئ. وينبغي لنا أن نتطرَّق إلى هذا الموضوع لأنَّنا إذا اتَّبعنا المبادئ الكتابيَّة بهذا الصَّدَد، **مِن المؤكَّد أنَّ مُمارسات التَّعارُف لدينا ستختلف عن المُمارسات المقبولة في ثقافتنا.**

ولا نُخطئ إن قُلنا أيضًا إنَّنا إذا اتَّبعنا المبادئ الكتابيَّة بأمانة، فإنَّ مُمارساتنا ستختلف حتَّى عن أساليب التَّعارُف المقبولة في كنائس كثيرة.

قد لا يوافق بعض القُرَّاء على بعض الإرشادات والاقتراحات الواردة في هذا الفصل. وقد يقول بعضٌ منهم إنَّ آلاف الزِّيجات النَّاجحة قد تَمَّت من دون القيام بكل ما هو مُقتَرَح. وقد يكون هذا صحيحًا. لكنَّنا نُقَدِّم هذه الاقتراحات كطرائق مُحتملة لاحترام المبادئ الأزليَّة. فإذا راقبنا ألف بيتٍ في وقتنا الحاضر، سنرى أنَّ عددًا كبيرًا من العائلات يواجه المتاعب بسبب تجاهُل المبادئ الإلهيَّة! ومع زيادة الضُّغوط الرَّامية إلى تشجيع النَّاس على الأنانيَّة والخطيَّة، تزداد الحاجة إلى تأسيس الزَّواج على كلمة الله ومبادئه الأزليَّة.

لماذا نَتعرَّف إلى الجنس الآخر؟

قد تبدو دوافع التَّعارُف واضحة وغير مهمَّة في البداية. ولكن يبدو أنَّ مفهوم التَّعارُف لدينا قد تَشَوَّه كثيرًا بسبب عدم التَّفكير في دوافعنا بنزاهة، وعدم اللجوء إلى الكتاب المقدَّس وإلى العقل والمنطق في تحليل دوافعنا. لذلك، سنبدأ من خلال تسجيل ما يقوله الكتاب المقدَّس.

"وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ. ... لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا" (تكوين ٢: ١٨ و٢٤).

"مَنْ يَجِدُ زَوْجَةً يَجِدُ خَيْرًا وَيَنَالُ رِضًى مِنَ الرَّبِّ. ... الزَّوْجَةُ الْمُتَعَقِّلَةُ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ" (أمثال ١٨: ٢٢؛ ١٩: ١٤).

"يُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مَتَّى ١٩: ١٢).

"غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ" (١كورنثوس ٧: ٣٢).

"لأَنَّ هذه هِيَ إِرَادَةُ الله: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِد مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ [يقتني زوجةً] بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لاَ فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ" (١تسالونيكي ٤: ٣-٥). (لا بدّ من الاعتراف بأنَّ هناك آراء مختلفة حول تفسير معنى العبارة "يَقتني إناءَهُ بقداسةٍ وكَرامَة". لكن حتَّى لو لم يكن المعنى المقصود هو "يَقتني زوجة" كما تقول بعض التَّرجمات، فإنَّه ما زال بإمكاننا إعادة صياغتها بما يَتَّفق مع موضوعنا لنجد أنَّها تصريحٌ صحيح.)

وفي ضوء هذه الآيات الكتابيَّة، سنناقش باختصار ثلاث نقاط عن الدَّافع وراء التَّعارُف:

النُّقطة الأولى: يجب أن يكون إرضاءُ الله دافِعَنا الأسمى.

في الحقيقة، هناك العديد من الناس الذين، في فترة التعارف، يتّكلون على أمورٍ كثيرةٍ لا على مشيئة الله، بشأن العلاقة. فهناك مَن يُريد رفيقًا أكثر من أيِّ شيءٍ آخر. وهناك مَن يبحث عن الأمان من خلال العلاقة. وهناك مَن يبحث عن إشباع رغباته الجسديَّة فحسب.

يجب على الشباب المؤمنين أن يُخْضعوا خُطط التَّعارُف لمشيئة الله. وهذا لا يعني أنَّه ينبغي على الشَّابِّ أن يَطرح أوّلاً السُّؤال البسيط (والمهمّ): "هل

مشيئة الله هي أن أُواعِد فُلانة؟" بل بالحريِّ أن يُفَكِّر بنزاهة في موضوع التَّعارُف والزَّواج في ضَوْء مشيئة الله لحياته. فهل يمكن لأيِّ شخصٍ أن يتَّخذ قرارات عمليَّة مُحَدَّدة في ما يَخُصُّ التَّعارُف قبل أن يطلب توجيه الله لحياته؟ من المؤسف أنَّ الكثير من الشباب الذين دخلوا مرحلة التعارف لم يطرحوا، بشكل جِدِّيٍّ، الأسئلة التَّالية: ما هو العمل الذي يوجّهني الله إلى القيام به؟ كيف يمكن لحياتي أن تُسهم في بناء ملكوت الله؟ هل هناك استعدادات ينبغي لي القيام بها في ضوء إرشاد الله لحياتي؟ فالإجابة عن هذه الأسئلة ستؤثِّر لا في اختيار الشَّخص الذي يجب أن أتعرّف إليه فحسب، بل أيضًا في اختيار الوقت المناسب للتعارف، وفي بعض الحالات تؤثِّر في اتِّخاذ قرارٍ بشأن ما إذا يجب أن أخوض التعارف من الأساس أم لا.

فإذا لم نُعطِ الأولويَّة لمشيئة الله، مِن المؤكَّد أنَّ الزَّواج (والحياة بأسْرِها) لن يحقّق لنا الرِّضا والاكتفاء كما توقّعنا. والحقيقة هي أنَّنا لن نوفي هذه النُّقطة حَقَّها مهما شَدَّدنا عليها. فهي السَّبب في عدم نجاح زيجاتٍ كثيرة في وقتنا الحاضر، حتَّى في إطار الكنيسة.

النُّقطة الثَّانية: الزَّواج هو الدَّافع السَّليم الوحيد للتَّعارُف.

قد يبدو في الظَّاهر، أنَّ هذا الأمر واضحٌ وعابر. ولكن مِن المُرَجَّح أنَّ هذه النُّقطة هي الأكثر إهمالاً بين النَّاس وربّما الأكثر إثارةً للجدل. فعندما يكون التَّعارُف شيئًا عابرًا، أو مُجَرَّد طريقة مُمتعة لتمضية الأمسية، أو شيئًا مُبهجًا يقوم به المرء خارج المنزل في عُطلة نهاية الأسبوع، أو طريقة لمساعدة شخصٍ آخر على تخطّي محنته الرُّوحيَّة أو العاطفيَّة أو الاجتماعيَّة، فإنَّ هذا يَدُلُّ على أنَّ الأشخاص المعنيّين لديهم مفاهيم مغلوطة وخطيرة عن التَّعارُف. وهذا لا يعني أنَّه ينبغي للشابِّ والفتاة أن يَقتنعا مِن أوَّل لقاءٍ بينهما أنَّ كُلًّا منهما قد خُلِق لأجل الآخر. لكنَّ هذا بالتأكيد تحذيرٌ بعدم التَّعارُف لأهدافٍ أخرى غير الزَّواج.

وفي ما يلي لائحة تحوي أربع طرائق شائعة يتمُّ فيها تجاهل هذه النُّقطة:

أ. مُواعدة العديد مِن الشركاء. إذا كان الشابُّ أو الشابّة يواعدان العديد مِن الأشخاص من أجل المُتعة اللَّحظيَّة، ولا يريدان أن يُعَمِّقا علاقتهما بأيِّ شخص، فإنَّ هذا يُضعف أمانتهما تجاه شريكهما المستقبلي.

ب. مُواعدة الشَّخص نفسه مرارًا وتكرارًا تحت مسمّى "الصَّداقة" فقط. فإنَّ المواعدة "من دون قيدٍ أو شرطٍ"، تعني تجاهل الواقع. فالروابط تتشكّل ويمكن أن تؤدّي إلى الأذيّة في حال انفسخت.

ج. المُواعدة بهدف مساعدة الطَّرف الآخر على التغلُّب على مشكلاته. فنحن نضع علامات استفهام كبيرة على نزاهتنا عندما نخلط بين الرِّفقة وعمل الرُّوح القُدُس. فأيَّ التزام نَتَعَهَّد به أمام الله تحت ضغط التعلُّق بشخص ما، لا يُعدّ التزامًا صادقًا. فما يبدو في الظَّاهر أنَّه تَقَدُّمٌ في علاقتنا بالله قد يكون مُختلِطًا في الحقيقة بالتقدُّم في العلاقة بالجنس الآخر حتَّى إنَّ المرء يعجز عن تمييز نُمُوِّه الروحيِّ في نهاية المطاف. والقاعدة السَّليمة الوحيدة في هذا الإطار هي عدم مُواعدة أيِّ شخص بهدف مساعدته على الخروج مِن مُشكلاته الروحيَّة.

وهناك مشكلة أخرى قد تنشأ بمعزلٍ عن التَّعارُف والمُواعدة، وهي أن يحاول أحدُهم أن يُقَدِّم "المشورة" إلى شخصٍ من الجنس الآخر في ما يَخُصُّ مشاكله الشخصيَّة، أو الروحيَّة، أو الاجتماعيَّة. ونتيجة الاهتمام، والوقت الذي يصرفه الشَّخصان معًا، قد يشعر أحدُهما أو كلاهما بالانجذاب إلى الآخر دون حتَّى أن يَقصدا أو يُدركا ذلك. وما أكثر الأشخاص الذين لَحِقَ بهم الأذى بسبب مِثل هذا النَّوع من "المساعدة".

وهذا كُلُّه يجب أن يُنَبِّهنا إلى حقيقةٍ مُهمَّة وهي أنَّ هناك طرائق صائبة وأخرى غير صائبة لمساعدة الآخرين في حَلِّ مشكلاتهم الشخصيَّة والروحيَّة. ولا يَجْدُر بأيِّ شخصٍ أن يُواعد الآخر لهذه الغاية.

د. المُواعدة المُبَكِّرة.[١] قد تكون هذه النُّقطة مُثيرة للجدل، لكن يجب علينا ألَّا نبدأ بالتَّعارُف إلَّا إذا كُنَّا مُستعدِّين للزَّواج. فإذا ابتدأنا بذلك قبل سنواتٍ مِن الوقت الذي نريد الزَّواج فيه، فإنَّ هذا الأمر سيضع ضغوطًا شديدة على الطَّرفين. والحقيقة هي أنَّ عدم قدرة المرء على تأجيل التَّعارُف يؤدّي إلى عدم قدرته على احتمال ضغوط الزَّواج. وتعكس كلتا الحالتين غياب النضج والأنانيّة. فالسَّنوات التي تَسبق الزَّواج ضروريَّة للنُّضج على جميع المستويات: العاطفيَّة، والشخصيَّة، والروحيَّة. فإذا انخرط المرء في عمليَّة التَّعارُف قبل أن يَنضج، قد يُؤثِّر ذلك سلبًا على نُمُوِّه ونُضجه. ولكن إذا قام الشابُّ والفتاة بتأجيل التَّعارُف إلى أن يصيرا مُستعدَّيْن للزَّواج، ستكون لديهما الحُرِّيَّة اللَّازمة لتوجيه التَّعارُف بينهما نحو الزَّواج. (ويجب الإشارة إلى أنَّ "كون الشخص مُستَعِدًّا للزَّواج" قد يُفهَم بطرائق عديدة تبعًا للأشخاص. لذلك، سوف نُوضِّح المعنى المقصود هنا في الصَّفحات اللَّاحقة. والنُّقطة التي تثير الاهتمام هي: يحدث الكثيرُ من المواعدة في وقتٍ سابقٍ لأوانه.)

إذًا، النُّقطة الثَّانية التي ذكرناها هي أنَّ الزواج هو الغاية من التَّعارُف. وفي ضوء ذلك، يجب أن يَقتصر التَّعارُف على شخصٍ يُعَدُّ شريكًا مناسبًا للزواج، طبعًا بعد الصَّلاة والتَّفكير في الأمر. لذلك، لا تدخل في عمليَّة التَّعارُف إلَّا عندما تكون جاهزًا للانتقال مِن المُواعدة إلى الزَّواج من دون الاستعجال به أو تأجيله.

النُّقطة الثَّالثة: الرَّغبة المُلِحَّة في الرِّفقة هي دافعٌ فطريٌّ ينبغي تلبيته إمَّا مِن خلال الزَّواج القائم على إرشاد الله، أو مِن خلال توجيه هذه الرَّغبة المُلِحَّة نحو هدفٍ أسمى.

١ قام "جون كوبلنتز" (John Coblentz) بإعداد كُرَّاسة عمل بعنوان *"Looking at Myself Before Loving Someone Else"* ("النَّظر إلى نفسي قبل أن أُحِبَّ أيّ شخص آخر")، بهدف مساعدة الآباء والأمَّهات تحديدًا على التَّواصل مع أبنائهم المراهقين قبل البدء في التَّعارُف.

لقد خَلَقنا الله ذكورًا وإناثًا. لذلك، يرغب الرَّجُل في أن تكون له زوجة، وترغب المرأة في أن يكون لها زوج. ولكن كما ذكرنا في النُّقطة الأولى، إنَّ التَّركيز المُفْرِط على هذه الرَّغبة يمكن أن يقضي على مُتعة الزَّواج. فإذا لم يتزوَّج الرجل المؤمن أو المرأة المؤمنة، إمّا عن اختيار أو بسبب ظرفٍ ما، يجب عليهما أن يُعيدا توجيه رغبتهما في الرِّفقة في اتِّجاهٍ آخر.

ونحن نَذْكُر هذا الأمر في هذا الجزء المتعلّق بالتَّعارُف لأنَّ عدم فهم هذه النُّقطة يمكن أن يُفضي إلى إحباطٍ شديدٍ عند الأشخاص الذين لا يواعدون أحدًا إنّما يَتوقون إلى ذلك. فنحن نَميل بطبيعتنا إلى الرِّفقة. وهذا الدَّافع جدير بالاحترام ولا حاجة إلى التَّقليل مِن أهميَّته. ولكن يمكن للمرء، بِحُكْم الرَّغبة أو الضَّرورة، أن يَستعيض عن ذلك بدوافع أسمى كي يبقى هذا الدَّافع طاهرًا وسليمًا. فقد يَحْرِم المرءُ نفسَه مِن أفراحٍ وإنجازاتٍ كثيرة بسبب سَعْيِهِ وراء أمورٍ مُحتملة التَّحقيق وتجاهُله أمورٍ يمكن تحقيقها بكلّ تأكيد.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

قبل سنواتٍ طويلة، كان أحد خُدَّام الربِّ جالسًا في الطَّائرة بانتظار الإقلاع. وبالصدفة، جلس بجانب فتى ثرثار يتراوح عمره بين العاشرة والثانية عشرة. كان الفتى قد أمضى عُطلته الصيفيَّة في بلدةٍ في ولاية فرجينيا، وكان آنذاك عائدًا إلى بيته في بوسطن. وقد ذَكَر الفتى أنَّه ترك حبيبته وراءه في فرجينيا. وبينما كان خادم الربِّ يفكِّر في ردٍّ مناسب يجاوب به الغلام، قال هذا الأخير إنَّه لم يتأثَّر كثيرًا لأنَّ لديه حبيبة أخرى في بوسطن، وإنَّه مُتشوِّقٌ للقائها ثانيةً عند عودته!

سوف نتحدَّث عن هذه النُّقطة بمزيدٍ من التَّفصيل في الفصل الرَّابع الذي يتناول موضوع العُزوبة. ولكن يَجْدُر القول إنَّ عدم التمكُّن مِن تلبية الرَّغبة المستمرَّة في الرفقة قد يؤثِّر سلبًا في أهليّة المرء للزَّواج مع مرور السِّنين.

هل نحن جاهزون؟

قد نبتسم أو نعبس عندما نُفَكِّر في عدم نُضج الأطفال في سِنِّ العاشرة أو الثَّانية عشرة. ولكن ما يُثير القلق حقًّا هو أن يكون لدينا أبناء، في سِنِّ الثَّامنة عشرة أو العشرين، يُفَكِّرون كأطفالٍ في سِنِّ العاشرة. نحن لا نحاول هنا أن نُقَلِّل مِن احترامنا للشُّبَّان والفتيات الأكبر سِنًّا، لكنَّنا نحاول أن نقول إنَّ العُمر في حَدِّ ذاته لا يكفي للمُواعدة. فإذا أصبح الشخص "كبيرًا بما يكفي"، لا يعني هذا بالضَّرورة أنَّه صار جاهزًا.

كي نكون عمليِّين، سنذكُر ستَّة مُتطلَّبات للتَّعارُف، ثُمَّ سنناقش كُلًّا مِن هذه المتطلَّبات بإيجاز: (١) العلاقة المتنامية بالمسيح؛ (٢) الطَّهارة الأخلاقيَّة؛ (٣) الخضوع للسُّلطة؛ (٤) مفهوم المحبّة الكتابيّ؛ (٥) القِيَم الكتابيَّة؛ و(٦) حسُّ المسؤوليَّة. يجب على الشُّبَّان والشابَّات الذين يأملون في الزَّواج أن يُفَكِّروا في هذه المتطلَّبات. ويجب أيضًا على الآباء والأمَّهات الذين يُرشدون أبناءهم في هذه المرحلة أن يتأمَّلوا في هذه المتطلَّبات. ومِن الواضح أنَّ هذه المتطلَّبات ليست سهلة القياس مثل العُمر أو الطُّول أو الوزن. إنَّها تتطلَّب حُسن تمييز. لكنَّ الأشخاص الذين يرغبون في أن تكون علاقاتهم العاطفيَّة مَرضيَّة أمام الله سيأخذون هذه المتطلَّبات على محمل الجِدِّ.

١. **العلاقة المتنامية بالمسيح.** إنَّ الشاب الذي لم يُسَلِّم حياته للربِّ يسوع المسيح لم يتعامل بعد مع أبرز قضيَّة في الحياة. وبالتالي لا يمتلك الأساس اللَّازم للتَّعامل مع موضوع التعارف المهم. والمبدأ نفسه يُطبَّق على الشَّخص الذي يُعاني فتورًا روحيًّا. فالعلاقة العاطفيَّة تنطوي على قرارات كثيرة، وهذه القرارات

تتطلَّب حكمة. وبصراحة، إنَّ الأشخاص الذين ما زالوا يرفضون الله هُم حمقى يفتقرون إلى أبسط مستويات الفهم. "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ المَعْرِفَة، أَمَّا الجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الحِكْمَةَ وَالأَدَبَ. ... بَدْءُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ، وَمَعْرِفَةُ القُدُّوسِ فَهْمٌ" (أمثال ١: ٧؛ ٩: ١٠).

في ضوء هذه الحقيقة، يبدو أنَّ الحكمة تقتضي مِن المرء ألّا يدخل في أيَّة علاقة عاطفيَّة بعد ولادته الروحيَّة أو تجديده الروحيِّ مباشرةً. فالأشخاص الذين سَلَّموا أنفسهم لله يحتاجون إلى بعض الوقت لتعميق فهمهم الروحيِّ وتكريسهم قبل أن يتمكَّنوا مِن اتِّخاذ قرارات حكيمة في ما يَخُصُّ العلاقات العاطفيَّة. كذلك، إنَّ العلاقات العاطفيَّة التي تنشأ في الوقت غير المناسب قد تُبعِد المؤمنين الجُدُد عن الله، وتؤثِّر سلبًا في نُموِّهم الروحيِّ الذي يحتاجون إليه في موضوع مثل التَّعارُف.

٢. **الطَّهارة الأخلاقيَّة**. "امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا ..." (أمثال ٣١: ١٠ و١١). إنَّ واحدة من مباهج الحياة الزوجيَّة العُظمى هي أن يَعلم الزَّوج والزَّوجة أنَّ العلاقة الحميمة المُتبادلة بينهما (ليس على المستوى الجسديِّ فحسب، بل على المستويين الفكريِّ والعاطفيِّ أيضًا) حَصريَّة؛ أي أنَّها غير مُختلطة، بإخلاص طرفٍ ثالث. فالمحبَّة طاهرة. وهذه الطَّهارة في الزَّواج ترتبط بالطَّهارة قبل الزَّواج. فالشابُّ اليافع الذي يملأ فكره بخيالات غير طاهرة، أو بقصص وصور بذيئة، أو يُمَتِّع نفسه بممارسات غير أخلاقيَّة، هو شخص يفتقر إلى الإخلاص المطلوب في فترة التَّعارُف وفترة ما بعد الزَّواج.

ولا شَكَّ أنَّ جميع الشباب مُعرَّضون لخطر السقوط في فَخِّ السُّلوكيَّات غير الأخلاقيَّة. وهذا هو الواقع الذي نعيشه في مجتمعنا اليوم. لكنَّنا نشكر الله على وجود أشخاص يقاومون التَّجربة. ولكن مِن جهة أخرى، هناك مَن يَلهثون وراء شهواتهم ويفعلون كُلَّ ما يجرؤون على فعله. فالنُّقطة التي نودُّ التَّركيز عليها هنا هي أنَّ الأشخاص الذين يَلهثون وراء شهواتهم ليسوا جاهزين للتَّعارُف.

ولكن ماذا عن الشَّبيبة الذين وقعوا في الفخِّ في وقت مبكّر، لا في مُخيِّلاتهم فحسب، بل في ممارساتهم وعلاقاتهم أيضًا؟ فهل هؤلاء مؤهّلون للمُواعدة والزَّواج؟ إنَّ الحديث هنا لا يشمل جميع المبادئ الخاصّة بالتعامل مع مثل هذه المواقف. ولكنَّ الأمر الذي نعرفه يقينًا هو أنَّ السلوكيَّات غير الأخلاقيَّة السَّابقة تؤثِّر سلبًا في استعداد المرء للتَّعارُف. ولكنَّ سِجلَّ الممارسات غير الأخلاقيَّة، في حَدِّ ذاته، لا يُجَرِّد المرء مِن حَقِّه في التَّعارُف، ولا سيَّما إذا أظهر الشخص توبةً حقيقيَّة وصار طاهرًا. وهذه الطَّهارة تتطلَّب بالتأكيد غفران الله، وتتطلَّب أيضًا اختبار تجديد الروح الحقيقيِّ وتطهير القلب. فيجب على المرء الذي يرغب في التطهُّر مِن ممارساته غير الأخلاقيَّة أن يختبر ما يَرِد في المزمور ٥١: "اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي. ... قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي... القَلْبُ المُنْكَسِرُ وَالمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لا تَحْتَقِرُهُ" (المزمور ٥١: ٢ و١٠ و١٧). ومع أنَّ الغُفران يحدث فورًا، فإنَّ تطهير القلب والشخصيَّة لا يتحقّق إلَّا مِن خلال الشَّركة المستمرَّة مع الله، والتأمُّل المستمرِّ في كلمته، ومِن خلال الحياة المُنضبطة.

وغالبًا ما يَطرح النَّاس السؤال: "هل ينبغي للشَّخصين المُتواعِدَيْن أن يُصارِحا أحدهما الآخر بإخفاقاتهما الأخلاقيّة السَّابقة ومتى؟ والحقيقة هي أنَّ التَّعارُف الذي نتكلّم عنه هنا هو مُعضلة في حَدِّ ذاته. فاللِّقاءات الأولى تتركَّز عادةً حول التَّعارف السطحيِّ. لذلك، مِن غير اللَّائق أن يُصارح الواحد الآخر بتجاربه السَّابقة. كذلك، إنَّ مُصارحة الواحد الآخر بمثل هذه الموضوعات الحسَّاسة بعد مرور بعض الوقت في العلاقة يمكن أن يكون مُدمِّرًا للعلاقة في أحسن الأحوال. لذلك، سوف نتطرَّق إلى أحد الاقتراحات العمليَّة عند حديثنا عن خطوات التَّعارُف.

ومجدّدًا، الفكرة هنا هي أنَّ الطَّهارة الأخلاقيَّة تشكّل مَطلبًا مُسَبَّقًا للتَّعارُف. وهذا المَطلب المُسَبَّق لا ينبغي التَّنازل عنه.

٣. **الخضوع للسُّلطة**. لقد تحدَّثنا في الفصلين الأوَّل والثَّاني عن أهميَّة التمتّع بعلاقات سليمة مع رموز السلطة. وبما أنَّ التَّعارُف هو عمليَّة تقوم على اتِّخاذ القرارات، وبما أنَّ الله أقام الأبوَيْن لتقديم المشورة للأبناء، يجب على الأبناء الذين يرغبون في اتِّخاذ قرارات حكيمة في ما يَخُصُّ التَّعارُف أن يتمتَّعوا بعلاقات سليمة مع آبائهم وأمَّهاتهم. فالأبناء المُطيعون يعيشون في أمان، أمّا الأبناء غير المُطيعين فيعيشون في خطر. ولا شَكَّ أنَّ هناك حالات لا يسعى فيها الآباء والأمَّهات إلى إرضاء الله، بل إنَّهما يُقدِّمان مشورة غير كتابيَّة لأبنائهم. وفي حالاتٍ كهذه، قد يجد الأبناء أنفسهم في مواقف صعبة يتعيَّن عليهم فيها أن يُقَرِّروا متى ينبغي لهم أن يُطيعوا آباءهم وأمَّهاتهم، ومتى ينبغي لهم أن يتبعوا قانون الله الأسمى.

ومع ذلك، إنَّ الأمرَ الذي ينبغي للشَّبيبة الحذر منه هو التمرُّد. فالكتاب المقدَّس والحياة نفسها يؤكِّدان أنَّ الأشخاص المُتمرِّدين هم غير منضبطين على مستوى الشَّهوات الجسديَّة. لذلك إنَّ الأبناء المُتمرِّدين ضعفاء أمام التجارب الجنسيَّة وبالتالي ليسوا جاهزين للتَّعارُف. ومن المؤسف أنَّ بعضًا من الأشخاص الأكثر تمرُّدًا يتوقون أكثر مِن غيرهم إلى التَّعَرُّف إلى الجنس الآخر.

وعلاوة على مخاطر التمرّد الأخلاقيَّة، هناك خطر السَّماح لهذا التمرُّد بأن يكون الأساس الذي يعتمد عليه الشَّخص في اتِّخاذ قراراته المُتعلِّقة بالمُواعدة والتَّعارُف. فالأبناء الذين اعتادوا الاستسلام لردود أفعالهم في تعاملهم مع الوالدَيْن، يميلون دون وعيٍ كاملٍ، في أغلب الأحيان إلى التصرُّف بالطَّريقة نفسها عند اختيار الشريك. فإذا كانت هناك خلافات بين الابن والأبوَيْن على أمورٍ مثل الملابس، والسيَّارات، وتسريحات الشَّعر، والموسيقى، وغيرها مِن الأشياء، قد يميل الشاب المتمرّد إلى الخروج مع شخصٍ يُشَجِّعه على التمرُّد على والديه. ولا شَكَّ أنَّ هذا يحدث في اللَّاوعي. فالابن المتمرِّد يَظُنُّ أنه يفعل ما يريد. ولا حاجة للقول إنَّ البدء في علاقة تعارف بدافع نكاية الطرف الثالث يُشكِّل أساسًا هشًّا للدخول في علاقةٍ لمدى الحياة مع الشريك. ومن جهة أخرى، إذا

التقى شخصان متمرّدان، سيكون عنصر الانجذاب بينهما قائمًا لا على الأهداف المُشتركَة أو الالتزامات، بل على الشَّكاوى والسَّلبيَّات المشتركة. وحتمًا سيقومان باتِّخاذ قراراتٍ طائشة تؤذيهما وتؤذي الأشخاص المحيطين بهما أيضًا.

لذلك، نؤكّد مجدّدًا أنَّ التَّعارُف هو عمليَّة اتِّخاذ قرارات. والطَّريقة السَّليمة الوحيدة للدخول فيه هي أن يخضع المرء للأشخاص الذين منحهم الله سُلطانًا على حياته.

٤. **مفهوم المحبّة الكتابيّ**. نحن نُواجه في كُلِّ يوم مفاهيم مشوّهة عن المحبَّة. فالأغاني التي نسمعها، والكتب التي نقرأها، والإعلانات التي نشاهدها في زماننا الحاضر تَصِف الحُبَّ على المستوى الشَّهوانيِّ فقط. وبالطبع، إنَّ العلاقة تشمل مشاعر الانجذاب بين الرجل والمرأة، ولكنَّ التركيز الزائد عليها اليوم جعل "الحُبَّ" في نظر كثيرين مُجَرَّد مشاعر أنانيَّة تتمحور حول الذَّات. ومِن المؤسف أنَّ ما يُحِبُّه الشخصَان المُلتَصِقَان الواحد بالآخر ليس الطَّرف الآخر، بل أنفسهما. وفي غمرة هذه المشاعر الجميلة، لا يمكن لهذين أن يقتنعا أنّهما فعليًّا لا يحبّان بعضهما بعضًا.

ويكفي أن ننظر إلى قصَّة شمشون في الكتاب المقدَّس لنُدرك عواقب الافتتان المؤسفة. فنرى بهجةً لا توصَف نابعة مِن التودُّد، وتتبعها مشاعر مُلتهبة نابعة من الأفعال الرومنسيّة. ثم تبدأ العداوة والمتاعب، وفجأةً، يجد شمشون نفسه أعمى بعد أن صار عبدًا مهزومًا قابعًا في السِّجن. وعند قراءتنا قصَّة شمشون، لا يَسَعُنا إلَّا أن نستخلص منها أنَّ شمشون كان أعمى وضعيفًا وتحت العبوديَّة قبل وقتٍ طويلٍ مِن وقوعه بيد أعدائه. وهذه العواقب نفسها تَصِحُّ على أيِّ شخصٍ ينظر إلى الحُبِّ نظرة افتتان غير واقعيَّة.

فوفقًا لتعليم الكتاب المقدَّس، تقترن المحبَّةُ بالتَّضحية. وهذا يَتَّضِح مِن خلال استعداد المرء لتقديم وقته وقدراته وموارده لإسعاد الآخر والاهتمام به. ويتطلَّب هذا التعهُّد مدى الحياة لأجل خير الشَّخص الآخر تفكيرًا حكيمًا وجادًّا.

وهذا التَّفكير الحكيم والجادُّ بعيدٌ كُلَّ البعد عن مفهوم الأشخاص المُنقادين بمشاعرهم. كذلك، إنَّ هذا التَّفاني النَّابع مِن المحبَّة الحقيقيَّة يتطلَّب إنكارًا للذَّات. وهو يعني العطاء بصرف النَّظر عن المشاعر الوقتيَّة. فليست هناك حالة عاطفيَّة تدوم إلى الأبد – ولا حتَّى الحُبُّ المُلتهب. وكم هو مؤسفٌ أنَّ الأشخاص الذي يُساوون بين الحُبِّ والمشاعر المُتأجِّجة يجدون في أغلب الأحيان أنَّ مفاهيمهم الخاطئة تجد ما يؤكِّدها، وليس ما يُصَحِّحُها، مِن خلال علاقاتهم. فيجدوا أنَّ الزَّواج أصبح أكبر خيبة أمل في حياتهم. لذلك، يجب أن يتمَّ تصحيحُ المفاهيم المُتعلِّقة بالحبّ قبل البدء بالمواعدة.

وعندما نَفهم المحبَّة فهمًا سليمًا، لن نستمرَّ في النَّظر إليها كشيء "نَقَع فيه" رغمًا عنَّا. كذلك، لا ينبغي لنا أن نَسعى وراء الحُبِّ بكل جوارحنا في اللَّحظة الأولى التي تقع فيها أعيننا على الشَّخص الذي نَظُنُّ أنَّه المنشود. فمع أنَّ الحُبَّ بين الرَّجُل والمرأة ينطوي على مشاعر قويَّة، لكن يجب أن نُدرِك أنَّ هذه المشاعر تأتي وتذهب. والمحبَّة الحقيقيَّة الدائمة لا تعمل بشكل أساسيٍّ مِن خلال المشاعر، بل مِن خلال التَّكريس والتضحية وإنكار الذات.

٥. **القِيَم الكتابيَّة**. في مرحلة الطُّفولة نتطلَّع إلى ما سيحدث الآن. وفي مرحلة الرُّشْد نتطلَّع إلى ما سيحدث في المستقبل. وفي المسيح، نتعلَّم أن نتطلَّع إلى الأبديَّة. ويمكننا قول الكثير عن هذه النَّظرات الثَّلاث إلى الحياة، وعن تأثيرها في القِيَم. فقد انتقلت الثَّقافة المعاصرة إلى نظام قِيَم يُرَكِّز على الحاضر متجاهلاً المستقبل. ولكنَّ هذه النَّظرة طفوليَّة مِن أوجه عديدة. لطالما حَذَّر أجدادنا مِن عواقب التَّفكير الآنيِّ لدى اليافعين. والحقيقة هي أنَّ هناك حكمة كبيرة في النَّظرة التي تُرَكِّز على المستقبل. ولكنَّ هذه النَّظرة لا تخلو مِن فَخٍّ أيضًا. فالعمل الجادُّ والادِّخار يمكن أن يجعلا المرء يعيش في رفاهية تقوده تدريجيًّا إلى التفكير في الحياة المادِّيَّة. قال يسوع إنَّه لا يَجْدُر بنا أن نكنز كنوزًا على الأرض، بل ينبغي أن نستثمر حياتنا وممتلكاتنا المادِّيَّة في ملكوت السَّماوات.

ولا شَكَّ أنَّ البيوت تحكمها قِيَم مُعَيَّنة. فأنماطُنا في الحياة، والعمل، واللَّعب، والشِّراء، والعطاء، وحتَّى في النَّوم والأكل، تقوم إلى حدٍّ كبير على قِيَمِنا. وإذ تقتضي المُواعدة اتِّخاذ خطواتٍ نحو تأسيس بيت، يجب أن يكون فهم نظام القِيَم متطلّبًا مُسَبَّقًا للمُواعدة. فهل أعيش لأجل اللَّحظة؟ أَو لأجل المستقبل؟ أم الأبديَّة؟

تجدر الإشارة إلى أنَّه عندما تكون قِيَمُنا قائمة على الأبديَّة، فإنَّنا لن نتجاهل الحاضر أو المستقبل. فالقِيَم الأبديَّة تساعدنا في الحفاظ على نظرتنا السَّليمة إلى الاحتياجات الحاضرة والخطط المستقبليَّة. وفي الواقع، إنَّنا نُخَطِّط للمستقبل، ونَعمل في الحاضر مُنتظرين مُلاقاة الربِّ وتقديم حسابٍ صادقٍ عن كلّ الأمور التي ائتمننا عليها.

٦. **حسُّ المسؤوليَّة**. يَعْرِضُ الزَّواج دائمًا أُناسًا لديهم مشكلات بحاجة إلى حَلٍّ واحتياجات بحاجة إلى إشباع. ومِن أجل حَلِّ هذه المشكلات وإشباع هذه الاحتياجات، يجب أن يكون لدينا حسّ المسؤوليَّة. وفي هذا الإطار، يُعدُّ تدريبُ الأب والأمِّ ضرورةً مُلِحَّة. فالآباء والأمَّهات الذين يُقَدِّمون لأبنائهم كُلَّ ما يطلبون، ولا يوكلون لأبنائهم أيَّة مهامٍّ ولا يعلّمونهم أن يعملوا، ويُنَظِّفون الأوساخ التي يُخَلِّفُها الأبناء وراءهم ويُدافعون عن سوء سلوكهم – هؤلاء الآباء والأمَّهات يُدَمِّرون أيَّ حِسٍّ بالمسؤوليَّة لدى أبنائهم. وروح المسؤوليَّة هذا مُهمٌّ جدًّا لحياة أبنائهم وخيرهم.

وفي ضوء هذا، يجب على الأشخاص اليافعين الذين يُفَكِّرون في المُواعدة أن يَعلموا أنَّ العمل والادِّخار يسبقان الشِّراء، وأنَّ العمل يسبق الرَّاحة، وأنَّ الأخطاء تتطلَّب علاجًا، وأنَّ المشكلات تتطلَّب حلًّا، وأنَّ الامتيازات تتطلَّب جدارةً بالثِّقة. فالكثير مِن العائلات مُفَكَّكةٌ اليوم بسبب أزواجٍ وزوجاتٍ تَخَلَّوا عن مسؤوليَّاتهم الفرديَّة والمشتركة.

كيف نُقْدَم على هذه الخطوة؟

سوف نتطرَّق الآن إلى المبادئ التي ينبغي أن تُرشد الشباب والشابّات في اختيار شريك الحياة. وسوف نتطرَّق أيضًا إلى بعض الاقتراحات العمليَّة التي قد تُسهم في تطبيق هذه المبادئ في مرحلة المُواعدة والتَّعارُف. وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الاقتراحات هي مُجَرَّد اقتراحات. فالظُّروف تختلف بين النَّاس. لذلك، قد لا تكون هذه الاقتراحات ملائمة لجميع الأشخاص الذين يتواعدون. ولكنّها مقدَّمة كطرائق عمليَّة تبيّن احترامنا لمبادئ الكتاب المقدَّس. وكُلَّما زاد إجلالنا لله واحترامنا لوصاياه، زادت بَرَكَتُهُ علينا.

١. **في الأصل، يجب أن يتضمّن التَّعارُف رأي الوالِدين من البداية.** ويُعدّ هذا المبدأ جوهريًّا في حالات الزَّواج الواردة في الكتاب المقدَّس. (على سبيل المثال، نقرأ في سِفْر التَّكوين ٢٤: ٢- ٤: "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِهِ كَبِيرِ بَيْتِهِ... أَسْتَحْلِفُكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إِسْحَاقَ." وهذا لا يعني أنَّه ينبغي للأبوَيْن أن يُدبّرا زواج أبنائهما، إنّما المقصود هنا هو أنَّ تجاهل الأبناء الأبوَين في الثَّقافة الغربيَّة هو السَّبب في الكثير مِن المشكلات الزوجيَّة.

ومِن المؤسف أنَّ بعض الآباء والأمَّهات يفتقرون إلى علاقةٍ سليمةٍ بأبنائهم. ومِن جهة أخرى، قد يُبدي الأب والأمُّ حماسة شديدة تجاه زواج أبنائهما لكي يتجنَّبا كلام النَّاس. لذلك، يُشَجِّعا ابنهما أو ابنتهما على الزَّواج مِن أيِّ شخصٍ دون أن يأخذا مشاعرهما بعين الاعتبار.

أمَّا الأبوان المؤمنان اللَّذان يبحثان عن مصلحة أبنائهما، فيستمرَّان في تقديم المشورة لهم قَبل مرحلة التَّعارُف وفي خلالها. ويمكن للأبوَيْن أن يفعلا ذلك مِن خلال الكُرَّاسات التَّدريبيَّة أو مِن خلال الخبرات التعلُّميّة التحضيريّة

العمليَّة. فعلى سبيل المثال، يمكن للأبوَيْن أن يُوَجِّها الدَّعوة إلى أبنائهما الذين يقتربون مِن سِنِّ المُواعدة لمرافقتهما في موعد. أو يمكن للأب أن يصطحب ابنته في موعد! وهناك أسباب عديدة لانخراط الآباء والأمَّهات في موضوع المُواعدة والتَّعارُف. فمعرفة الآباء والأمَّهات أبنائهم المراهقين وحاجاتهم تَفوق إدراك الأبناء. كذلك، إنَّ نظرة الآباء والأمَّهات إلى العلاقة وفرص نجاحها هي موضوعيَّة أكثر مِن نظرة الأبناء أنفسهم. وبوسع الأهل أيضًا أن يراقبوا العلاقة مِن بعيد ويروا الأمور بوضوح أكثر من الشَّخصين المُتواعِدَيْن. مِن جهة أخرى، يمتلك الأب والأمَّ سنواتٍ مِن الخبرة بِحُكْم علاقتهما أحدهما بالآخر، وبِحُكم العلاقات الأخرى التي رأياها خلال حياتهما.

وينبغي حَتَّى للأبوَيْن المؤمِنَيْن أن يفحصا قلبيهما ودوافعهما عند تقديم المشورة لأبنائهما. فلا ينبغي أن تحكمَهما دوافع أخرى كالماديّة، أو الحالة الاجتماعيّة، أو عدم الشُّعور بالأمان، أو الأنانيَّة. ينبغي لهما أن يُقَدِّما المشورة للشباب على أساس تأسيس عائلاتٍ متينة تُسهم في بناء ملكوت الله وتحافظ على الميراث القائم على التقوى.

اقتراحات عمليَّة

في ما يلي مجموعة اقتراحات عمليَّة للدخول في علاقة تعارف. وهذه الاقتراحات تَفترض أنَّ الوالدَين مؤمنان مسيحيَّان يريدان الأفضل لأبنائهما. لكنَّ الحال ليست هكذا دائمًا. لذلك، إذا وجد الشباب أنفسَهم في عائلة غير مؤمنة، يمكنهم طلب المشورة مِن راعي الكنيسة، أو أحد مُعَلِّمي الكتاب المقدَّس، أو أحد المؤمنين النَّاضجين.

فإذا رغب شابٌّ ما في التعرُّف إلى إحدى الفتيات، عليه أوَّلاً أن يجلس مع والدَيه لمناقشة الأمر. ومِن المهمِّ أن يدور الحديث لا حول الفتاة فحسب، بل أيضًا حول الاستعداد الشخصيِّ، والأهداف المستقبليَّة، والإجراءات المنطقيَّة

لتحقيق هذه الأهداف. وإذا كان ممكنًا، صلّوا معًا لأجل التوصّل إلى قرارٍ سليم. ولو كان لدى والِدَيْك اعتراضات، ناقشوها ولا تتجاهلوها. وقد تكون هذه الاعتراضات سطحيَّة أو عميقة. ويجب النَّظر إلى الاعتراضات العميقة باعتبارها نصيحة بعدم الاستمرار في العلاقة، في الوقت الحاضر على الأقل. أمَّا الاعتراضات السَّطحيَّة فيمكن معالجتها مِن خلال المناقشة وتوضيح وجهات النَّظر.

بعد ذلك، إذا ظلّ الشَّابُّ يشعر أنَّ الله يَقوده إلى الاستمرار في العلاقة، فهو جاهزٌ لطلب موافقة الفتاة. وفي حين أنَّ بعض الشُّبَّان يُفَضِّلون التحدُّث إلى الفتاة شخصيًّا لتحديد موعدٍ معها، فإنَّ بعضهم الآخر يُفَضِّل التحدُّث إلى الأهل أوَّلاً لضمان موافقة الأبوَيْن قبل التوجّه إلى الفتاة.

وفي مُطلق الأحوال، إذا تَحَدَّث الشابُّ إلى أهل الفتاة، يجب ألَّا يَقتصر الحديث على طلب الإذن بالخروج مع ابنتهم. فيجب عليه أن يُعَبِّر لِوالدَيها عن رغبته في اتِّباع مشيئة الله، ورغبته في إكرامهما. كذلك، يجب عليه أن يُبدي استعداده للاستماع إلى مخاوفهما وتعليماتهما في ما يَخُصُّ ابنتهما وعلاقته بها. وقد تكون هذه فرصة ملائمة للشابِّ لطلب صلواتهما وإعلامهما بأنَّه على استعدادٍ تامٍّ للاستماع إلى مشورتهما المستقبليَّة.

وعندما يتوافر هذا الانفتاح، فإنَّ الأساس الذي تُبنى عليه العلاقة ينطوي على بَرَكة عظيمة. كذلك، عندما يُدرك الآباء والأمَّهات أنَّ أبناءهم يرغبون في إكرامهم، فإنَّ ثقتهم بهم تزداد. ويمكن تَجَنُّب الكثير مِن المخاوف وسوء الفهم مِن خلال مصارحة الوالِدَيْن مُنذ البداية. مِن جهة أخرى، إذا لم يَكُن الأبوان مُطَّلعَيْن على ما يجري، فإنَّ ذلك قد يُفضي إلى شعورهما بالإحباط وبالتالي تتشكّل توتّرات في علاقتهما بأبنائهما.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كان "سام" يُصَلِّي مُنذ بضعة أشهر مِن أجل علاقته بـ "كريستا" قبل أن يبدأ باتِّخاذ خطوات عمليَّة لمواعدتها. وعندما شَعَر بأنَّه وضع الموضوع أمام الرّب بشكلٍ كافٍ، صارحَ والديه بالأمر.

سُرَّ الأبوان بابنهما كون "كريستا" مؤمنةً أمينةً، ومَنَحاهُ بَرَكَتَهُما وموافقتهما كي يبدأ عمليَّة التَّعارُف إذا كانت هي مستعدّة.

بعد ذلك، رتّب "سام" لقاءً للتحدُّث على انفرادٍ مع والد "كريستا". فأخبره بما لديه، وأجرى معه حديثًا صريحًا فوجده موافقًا على العلاقة. ثمّ صَلَّيا معًا.

وبعدها تَحَدَّث "سام" إلى "كريستا" فوجدها مستعدَّة للخوض في علاقة معه. وفي أثناء فترة المُواعدة، استمرَّ "سام" في طلب المشورة مِن والدَيه ووالدَيها. وأخيرًا، تَكَلَّلَت علاقتهما بالزَّواج.

وفي السَّنوات الأولى مِن زواجهما، واجه "سام" و "كريستا" موت طفلهما الثَّاني المُفاجئ. وبعد مُدَّة مات والد كريستا وأخوها في حادثٍ غير متوقّع. ولكنَّ علاقاتهما الوطيدة بالعائلتين ساعدتهما لا في التعامل مع الحزن فحسب، بل أيضًا في ترتيب إجراءات الدَّفن والتأقلم مع التَّغييرات اللَّاحقة بحكمةٍ تركت أثرًا عميقًا في مجتمعهما.

٢. **يجب أن تكون الأهليَّة للعلاقة الزَّوجيَّة واضحة.** فنحن نعيش في مجتمعٍ يزداد فيه التَّرَدِّي الأخلاقيِّ. والفوضى الجنسيَّة العامَّة توقِع مُراهقين كثيرين في علاقات تُفسد الأخلاق، وفي شِراكٍ عاطفيَّة ونفسيَّة وروحيَّة لا يمكن تَخَيُّل عواقبها. وفي ضوء ذلك، إنَّ الحقيقة مؤلمة: هناك عازبون كثيرون لا يَنجون مِن العواقب والرَّوابط النَّاجمة عن العلاقات غير الأخلاقيَّة السَّابقة.

ولأنَّ المشكلات الأخلاقيَّة تستمرُّ في الضَّغط على المجتمع المسيحيِّ، ينبغي تَوَخِّي الحذر الدَّائم في هذا الأمر. وسوف نتطرَّق إلى بعض المسائل الأساسيَّة هنا.

يوصينا الكتاب المقدَّس بأن نحيا حياةً طاهرة قبل الزَّواج وبعده. ويُرَكِّز على أهميَّة الصَّراحة بشأن ماضينا. وفي أزمنة الكتاب المقدَّس، كان الزِّنى قبل الزَّواج سببًا مقبولًا لفسخ الخِطبة. أمَّا إذا تَمَّ الزِّنى بعد الزَّواج، فكان حُكْمُهُ في العهد القديم هو الرَّجْم حتَّى الموت (انظر سِفْر التَّثنية ٢٢: ٢٠ و٢١).

ولكن هل يعني هذا أنَّ الأخطاء الأخلاقيَّة التي تحدث قبل الزَّواج تجعل المرء غير أهلٍ للزَّواج؟ ليس بالضَّرورة. لكنَّها تُشير إلى أنَّه مِن حَقِّ الشَّخص الذي حافظ على طهارته أن ينظر إلى الشَّخص الآخر على أنَّه غير أهلٍ للزَّواج. وقد يكون إخفاء الماضي المُلَطَّخ خطيَّة بِحَقِّ شريك الحياة.

وإذا أصبح الشَّخص الذي اقترف خطيَّةً أخلاقيَّةً مؤمنًا بالمسيح، قد تُطرح أسئلةٌ كهذه: ألا يمكن ترك الماضي في الماضي؟ ما دام الله يَغفر الخطايا، لِمَ لا يفعل البشر الأمر نفسه؟ لماذا يرغب المؤمنون في مناقشة خطايا الآخرين السَّالفة؟ ومِن دواعي الأسف أنَّ هذا التَّفكير يتجاهل أمورًا عديدة. أوَّلًا، إنَّه يتجاهل الغَيْرَة المتأصِّلة في المحبَّة الزوجيَّة التي تُطالب بعدم تقديم هذا الحُبِّ لأيِّ شخصٍ آخر غير شريك الحياة (انظر سِفْر التَّثنية ٢٢: ١٤؛ نشيد الأنشاد ٨: ٦). لذلك، إنَّ الأشخاص الذين يُغمضون أعينهم عن السُّلوكيَّات غير الأخلاقيَّة السَّالفة الخاصّة بالشريك الذي يُفَكِّرون في الزَّواج منه هم أشخاص ساذجون. فالعلاقة الزوجيَّة حميمة جدًّا، والمحبَّة الزوجيَّة حصريَّة جدًّا حتَّى إنَّها لا تسمح للنَّاس بممارسة هذه الألاعيب. أمَّا الخطأ الثَّاني فيكمن في عقليّة "سَامِح وانْسَ" إذ إنّها تتجاهل عواقب السلوكيَّات غير الأخلاقيَّة المستمرَّة. فقد يحصل المرء على الغفران، ولكنَّ المعاناة مستمرّة. غَفَر الله خطيَّة داود تجاه بثشبع، لكنَّ عواقب تلك الخطيَّة طارَدَتْهُ إلى آخر يوم في حياته. إذًا، يجب علينا ألَّا نستخفَّ

بعواقب السلوكيَّات غير الأخلاقيَّة السَّالفة على زواج المرء في المستقبل وذلك للأسباب التَّالية:

١. كُلَّما تمادى المرء في إشباع غرائزه الجنسيَّة بطرائق تُخالف مشيئة الله، أصبحت هذه "غير طبيعيّة" أكثر فأكثر. "لا تَضِلُّوا! اللهُ لا يُشْمَخُ عَلَيْهِ... لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا..." (غلاطيَّة ٦: ٧ و٨). وهذا المبدأ العامُّ له تطبيقٌ خاصٌّ هنا. وهو يُرَكِّز على عواقب القرارات النَّابعة مِن شهوات الجسد. فعندما يَستمرُّ المرء في إشباع رغباته الجنسيَّة بطرائق خاطئة، قد يصير ذهنه مُستعبدًا للجنس المخالف للطَّبيعة. ولا شَكَّ أنَّ الشَّهوات الجنسيَّة المخالفة للطَّبيعة تُفسد المحبَّة الطَّاهرة التي يريد الله أن يتمتّعَ بها الزوجان في إطار الزواج.

٢. عندما تكون العلاقات الجنسيَّة غير مُنضبطة وغير أخلاقيَّة، هناك خطر تَفَشِّي الأمراض. إنَّ عدم وجود ضوابط للجنس تجعل المرء مُعَرَّضًا للإصابة بالأمراض التي يحملها شُركاؤه وأيضًا شركاء شركائه. فالأمراض الجنسيَّة مُتفشِّية في وقتنا الحاضر بين الأشخاص الذين يمارسون الزِّنى. والحقيقة هي أنَّ عواقب تلك الأمراض وخيمة – لا على الكبار المُهْمِلين فحسب، بل على الأطفال الأبرياء أيضًا.

٣. تُنشئ العلاقات الجنسيَّة، بما فيها العلاقات غير الأخلاقيَّة، روابط بين الطَّرفين. "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَنِ التَصَقَ بِزَانِيَةٍ هُوَ جَسَدٌ وَاحِدٌ؟ لأَنَّهُ يَقُولُ: يَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا" (١كورنثوس ٦: ١٦). وفي حين أنَّ الكتاب المقدَّس واضحٌ في تعليمه بأنَّ العلاقات الجنسيَّة ليست مُساوية للزَّواج، فإنَّ هذه الآية تُقِرُّ بوجود تَبِعات للاتِّحاد الجنسيِّ. فالشَّخصان اللَّذان يرتبطان بعلاقة جنسيَّة لا يعودان ينظران أحدهما إلى الآخر كما في السَّابق. كذلك، لن ينظر كلٌّ إلى نفسه كما في السَّابق.

٤. إنَّ تربية طفلٍ كأبٍ عازب أو أمٍّ عازبة يتبعها التزامات لا يمكن تجاهلها عند الرَّغبة في بدء علاقة جديدة.

٥. حتَّى لو تاب المرء عن سُلوكيَّاته غير الأخلاقيَّة في الماضي، فإنَّ تلك الخطايا قد تجلب ذكريات إلى فراش الزوجيَّة تُؤثِّر سلبًا في اتِّحاد الزَّوجين.

في ضوء ما سَبَق، مِن الواضح أنَّ مسألة الأهليَّة للزَّواج تَتوقَّف كثيرًا على مدى تورُّط الشَّخص في السلوكيَّات غير الأخلاقيَّة. فبعض الأشخاص متورِّطون في علاقات سابقة كثيرة مِمَّا يجعل العزوبة الخيار الأفضل الذي يُنصَحون به. أمَّا الأشخاص الذين لم يتورَّطوا إلى هذا الحَدِّ فقد يختبرون بعض الحُرِّيَّة أكثر من أولئك.

اقتراحات عمليَّة

إنَّ الثَّقافات في جميع أنحاء العالم، تتفاوت في موقفها تجاه التطرّق إلى المسائل الجنسيَّة. ففي الغرب، لا يواجه النَّاس حَرَجًا في الحديث عن أيِّ موضوع تقريبًا حتَّى إنَّ قُدسيَّة العلاقات الجنسيَّة اختفت. أمّا في ثقافات أخرى، فقد يكون الحديث عن الجنس مِن المحظورات حتَّى إنَّه مِن الصَّعب على أيِّ شخصٍ أن يتحدَّث عن جوانبه الأساسيَّة.

ولكن بِغَضِّ النَّظر عن الثَّقافة السَّائدة، إذا قام طرفٌ في العلاقة أو الطرفان بأمورٍ غير أخلاقيّة، ينبغي لهما مُصارحة أحدهما الآخر قبل زواجهما. ومع أنَّ هذه المصارحة قد تكون مؤلمة وصادمة، فإنَّها تبقى أفضل مِن افتضاح الأمر بعد الزواج.

وعند رغبة الطرفَين في المصارحة بالماضي غير الأخلاقيِّ، مِن الأفضل أن يجري الحديث بحضور طرف ثالث كالأبوَيْن، أو راعي الكنيسة، أو أحد المُشيرين الأتقياء - إن أمكن ذلك. وعندما يجري مِثل هذا الحديث في فترة التَّعارُف أو

الخِطبة، قد يكون مِن الضَّروريِّ قطع العلاقة، ولو مؤقَّتًا، مِن أجل إعطاء الشَّخص الآخر فُرصة للتَّفكير بموضوعيَّة في إمكانيَّة استمرار هذه العلاقة. وفي حال التخوُّف من وجود أمراض جنسيَّة، يمكن للفحوص الطبيَّة أن تتحقّق من الأمر. ويجب على الطَّرفين أن يتَّخذا قرارات واضحة بشأن ما ينبغي فعله بخصوص الروابط السَّابقة والمسؤوليَّات المُترتِّبة عليها. وإذا كان هناك طفلٌ مِن علاقات سابقة، يجب التَّفكير لا في المسؤوليَّات فحسب، بل أيضًا في مُتطلَّبات الوالد الآخر لذلك الطِّفل. فهل سيظهر أب ذلك الطِّفل في السَّنوات القادمة ويُطالب بحَقِّه في زيارة ولده؟ أو هل ستأتي الأمّ في السَّنوات القادمة وتُطالب بالدعم المالي أو بأيِّة حقوق أخرى؟ كذلك، يجب التَّفكير مَليًّا في تَبِعات الخطايا الجنسيَّة على حياة الأجيال القادمة. فهل تتطلّب طبيعة الخطايا السَّابقة شرحًا للأبناء في السَّنوات القادمة؟

وعند معالجة هذه القضايا، لا ينبغي نَشْر أخبار الشَّخص الآخر على المَلأ (على الرغم من أنَّ المبدأ العام هو أنَّ الخطيّة تُجاه شعب الربِّ يجب تصحيحها أمام شعب الربّ). أمّا الصِّدق مع الأشخاص ذوي الصِّلة فهو مَطلبٌ ضروريٌّ. والحقيقة هي أنَّ الأشخاص الذين يُبدون صِدقًا في مواجهة أخطاء الماضي يُبلون حسنًا في مواجهة تَبِعات تلك الأخطاء في الحاضر والمستقبل. وبالمقابل، إذا حاول الشَّخص أن يُغَطِّي سلوكيَّاته غير الأخلاقيَّة التي اقترفها في الماضي، فإنَّ الله قادرٌ على جَلْب تَبِعاتها عليه على نحوٍ ساخرٍ ومؤلم. وهذا يُذَكِّرُنا بما قاله ناثان لداود: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هذِهِ الشَّمْسِ. لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسِّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ" (٢صموئيل ١٢: ١١ و١٢). إنَّ الكتاب المقدَّس واضحٌ في أنَّ الله يُبغض الفساد الأخلاقيَّ، ويُبغض أيضًا أيَّة محاولة لتغطية الخطيَّة.

تجدر الإشارة أيضًا إلى أنَّ الأبوَيْن اللَّذين يكتشفان وجود سلوكيَّاتٍ غير أخلاقيَّة في حياة خطيب ابنتهما أو خطيبة ابنهما، سيواجهان مشكلاتٍ بسبب ذلك. فمِن جهة، قد يشعران بالاشمئزاز أو الغضب مِن الشخص الذي يرغب في الزَّواج من ابنهما العفيف أو ابنتهما العفيفة. ومِن جهة أخرى، قد يُسيطر عليهما خوفٌ مِن إعثار الشابِّ المؤمن أو الفتاة المؤمنة إذا طلبا منهما الحديث عن ماضيهما. وخوفهما مِن إيذاء مشاعر الشابِّ والفتاة، قد يجعلهما يتغاضيان عن أمورٍ ينبغي مناقشتها. وقد يشعر الأبوان أحيانًا بحاجتهما إلى المساعدة من أحد الأشخاص المحايدين أو الالتجاء بحكمةٍ إلى راعي الكنيسة أو أحد أصدقاء العائلة.

وعند المواقف الصعبة، يكون أحيانًا تدوينُ النِّقاط التي تحتاج إلى حَلٍّ أمرًا مفيدًا. فقد يساعد في توضيح الأمور والنَّظر إليها بموضوعيَّة أكبر. كذلك، يمكن كتابة لائحة بالعوامل الإيجابيَّة والسلبيَّة للمُباينة بينها.

كذلك، تتيح الصَّلاة للمؤمنين التَّواصُل مع الآب السَّماويِّ. ففي النهاية تأتي الحكمة في القرارات بينما يطلب المؤمنون وجه الله، ويُطيعون مبادئ الكتاب المقدَّس، وينالون حكمةً مِن فوق.

٣. **يجب أن يَتِمَّ التَّعارُف في جَوٍّ من التَّواصُل الصَّريح والسَّليم في أثناء عمليَّة تقييم التَّوافُق للزَّواج.** كي تتعلَّم أن تُحِبَّ شخصًا آخر، ينبغي لك أن تتعرّف إليه. بعبارة أخرى، لا يمكننا أن نتقدّم في الحبّ إلَّا مِن خلال فهمنا الشَّخص الآخر. ومِن المؤسف حقًّا أنَّ التعلُّق الشديد بذلك الشَّخص قد يحدث في المُخيِّلة وليس في التَّعارُف الحقيقيِّ. ومِن المؤسف أيضًا أنَّ بعض المُمارسات التي تَتِمُّ في فترة المُواعدة تُعيق التَّعارف اللَّازم للحُبِّ بسبب تركيزها على مشاعر العشق غير الحقيقيَّة. وبما أنَّ معرفة الشَّخص الآخر تتحقَّق من خلال التَّواصُل، يجب التَّخطيط للتَّعارُف بطريقة تجعل التَّواصُل سهلاً وفاعلاً. مِن جهة أخرى، يجب تَجَنُّب كُلّ ما مِن شأنه أن يُعيق عمليَّة التَّواصُل.

اقتراحات عمليَّة

في ضوء الحاجة إلى التَّواصُل الفعَّال في فترة التَّعارُف، ألم يَحِن الوقت لإعادة تقييم المعايير المقبولة للمُواعدة في أثناء اللَّيل؟ فالمُواعدة في وقتٍ متأخِّر مِن اللَّيل تُؤجِّج المشاعر أكثر مِمَّا تُشَجِّع على التَّفكير. فما الذي يَمنع مِن التَّخطيط للمُواعدة في فترة ما بعد الظُّهر، أو في السَّاعات الأولى مِن المساء؟

وقد يجد الشابُّ والفتاة صعوبةً في معرفة عمّا يجب أن يتكلّموا، لا سيَّما في اللِّقاءات الأولى. لذلك، إليكم بعض الأفكار للمراحل الأولى مِن التَّعارُف: خَطِّطا لموعد مع كُلٍّ من العائلتين بالتَّبادُل. فالتحدّث مع العائلة حول أيِّ موضوعٍ كالقيام برحلة معًا، يمكن أن يفتح أبواب الحديث ويمكن أن يُفسح المجال لكما للتعرّف. كذلك، يمكنكما التَّخطيط للقيام ببعض الأنشطة الترفيهيّة معًا مِثل حَلِّ الأحاجي، أو لعب الشِّطرنج، أو زيارة المعالم السياحيّة، وغيرها. فهذه الأنشطة ستفتح بينكما أبواب الحديث في المراحل الأولى مِن التَّعارُف.

بعد قليل، سأعرض رسمًا توضيحيًّا يُبَيِّن أنَّ تمييز التَّوافُق الروحيِّ يجب أن يَحتلَّ الأولويَّة القصوى في فترة التَّعارُف. ولكن لكي يتمكَّن الناس من مناقشة الموضوعات الجدِّيَّة مع الآخرين مِثل قناعاتهم ومعتقداتهم الشخصيَّة، فإنَّ أغلبيَّة النَّاس يحتاجون إلى التعرّف أوَّلًا إلى درجةٍ معيّنة، ولا سيَّما إذا كانوا ينتمون إلى مجتمعٍ آخر. وفي ما يلي دليل موجز عن الموضوعات التي يمكن التكلّم عنها، حسبَ التَّرتيب: **الحقائق**، **الاهتمامات**، **المعتقدات**. ومن الضروري التكلّم بهذه المواضيع بصدق. لذلك، اطرحا الأسئلة وتحدَّثا أوَّلاً عن نفسيكما، وعائلتيكما، ومكان عملكما، ومجال عملكما، والأحداث الأساسيَّة في حياتكما، وطفولتكما، وأجدادكما، وإلخ. ثُمَّ انتقلا إلى الحديث عن اهتماماتكما: الهوايات، ومجالات العمل، والأطعمة، والأنشطة (يمكنكما التطرُّق إلى الجوانب الإيجابيَّة والسلبيَّة). ويمكن لهذا الحديث أن يتوسَّع بسهولة ليشمل مناقشة الأهداف،

والآمال، والمخاوف، والخطط. فإن تحدَّثتما عن هذه الموضوعات، سُرعان ما ستجدان الأمرَ طبيعيًّا للتحدّث عن معتقداتكما.

وفي ما يَخُصُّ المؤمنين المسيحيِّين، لا ينبغي أن يتعرَّف أحدهما إلى الآخر في فترة المُواعدة بطريقة عشوائيَّة. فالكتاب المقدَّس يَصِف كِياننا بمستوياته المختلفة ويُبيِّن لنا ترتيب هذه المستويات حسب أولويَّتها النسبيَّة. ولتوضيح ذلك، فإنَّ أهميَّة "القلب" و "الرُّوح" و "النَّفس" تفوق الصِّفات الجسديَّة والجاذبيَّة. فقد قال الربُّ لصموئيل: "لا تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ" (١صموئيل ١٦: ٧). ستجد في الرسم البياني التَّالي المُستخلص مِن ١تسالونيكي ٥: ٢٣ ترتيبًا مُقترحًا للأولويَّات عند التَّعارُف:

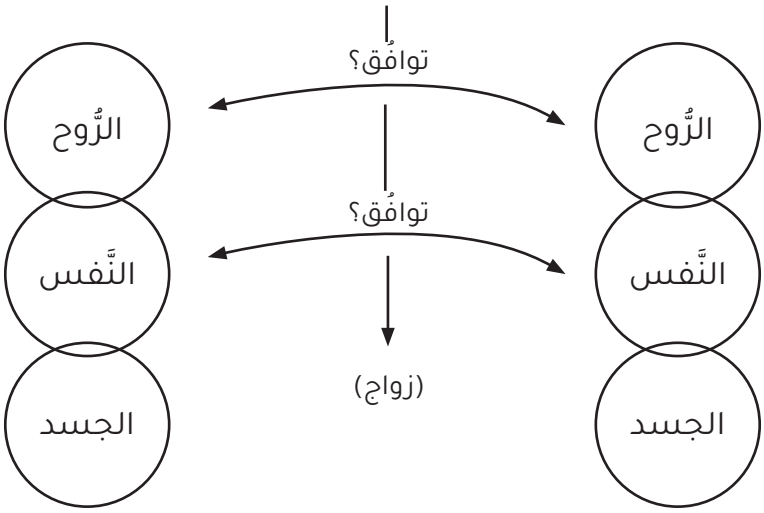

ترتيب الأولويَّات عند التَّعارُف في فترة المُواعدة

إذًا، إنَّ الأولويَّة الأولى هي مناقشة التَّوافُق الروحيِّ وتمييزه. فهل لديكما القناعات، والأهداف، والقِيَم، والرؤية نفسها في ما يَخُصُّ ملكوت الله؟ وفي

المرتبة الثَّانية هل هناك توافُق في الشخصيَّة؟ (وتشمل النَّفس هُنا الصِّفات التي تُشَكِّل الشخصيَّة: الفكر، والإرادة، والعاطفة). ومع ذلك، إنَّ توافُق الشَّخصين في المعتقدات لا يعني بالضَّرورة أنَّهما سينسجمان معًا كزوج وزوجة. ومع أنَّ التَّوافق الروحيَّ يتطلَّب تشابُهًا، فإنَّ هذا لا يَنطبق على الشخصيَّة. فالشخصيَّات المتشابهة تتنافر أحيانًا، والشخصيَّات المُتنافرة تنجذب بعضها إلى بعض أحيانًا. فعلى سبيل المثال، إذا كان الشخصان عنيدَين، قد يجدان صعوبة بالغة في الانسجام معًا. مِن جهة أخرى، قد يحتاج الرَّجُل الهادئ والرَّصين إلى زوجةٍ شخصيَّتها مَرِحَة.

إنَّ الغاية مِن التَّعارُف هي التحقُّق مِن وجود توافق روحيٍّ وشخصيٍّ بين الطَّرفين. وبعد التحقُّق من التَّوافُق مِن خلال الصَّلاة، والتفاعل معًا، وطلب مشورة الوالدَيْن، يصبح الطَّرفان جاهزين للزَّواج والاتِّحاد الجسديِّ.

ونرى هُنا، مِن جديد، الحكمة في التَّرَيُّث في التَّعارُف إلى أن يصير المرء جاهزًا للزَّواج. وهناك عدد مِن الشُّبَّان والشَّابَّات يَرَوْن أنَّه مِن المناسب أن يُكَرِّسوا سنة أو سنتين مِن حياتهم للخدمة في الكنيسة. وإذا كَرَّس هؤلاء وقتًا للنموِّ على الصَّعيدَيْن الشخصيِّ والروحيِّ في أواخر سِنِّ المُراهقة، يمكنهم تأجيل المُواعدة والتَّعارُف إلى أن يُصبحوا مستعدّين ويتحلّوا بالحكمة الكفاية لعمليّة التمييز. ولن يكون هناك حاجة إلى المماطلة في هذا الأمر ومواجهة المخاطر النَّاجمة عن التَّعارُف الطَّويل بسبب عدم استعدادهم للزَّواج. بعبارة أخرى، إذا نظرنا إلى التَّعارُف كعمليَّة نقوم فيها باتِّخاذ قرار حكيم بشأن الزَّواج، واحتفظنا به للأشخاص الجاهزين مبدئيًّا لاتِّخاذ ذلك القرار، ستكون هناك، على الأرجح، حكمةٌ فائقة قبل الزَّواج (وربّما غراميَّات أقلّ)، واستقرارٌ أكبر في العلاقة بعد الزَّواج (وغراميَّات أكثر).

٤. **الانخراط في أمورٍ جسديَّةٍ حميمة في فترة التَّعارُف يُشَوِّش الفكر، كما أنّه يهدم الاحترام والثِّقة بين الطَّرفين، وهما أمران ضروريَّان للحياة الزوجيَّة**

المتينة. يزخر الكتاب المقدَّس بالتحذيرات والأمثلة على مخاطر التَّلاعُب بأمور كهذه. "وَأَمَّا الزِّنَا وَكُلُّ نَجَاسَةٍ... فَلاَ يُسَمَّ بَيْنَكُمْ كَمَا يَلِيقُ بِقِدِّيسِينَ. لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ المَعْصِيَةِ" (أفسُس ٥: ٣ و٦). ومع ذلك، فإنَّ أشخاصًا كثيرين ممَّن يتواعدون يُخَطِّطون ويتَّفقون على زمان المواعدة ومكانها للاقتراب من هذه الخطيَّة قدر الإمكان. والحقيقة هي أنَّ الشَّابَّ والفتاة اللَّذين يتعمَّد كُلٌّ منهما إثارة المشاعر الجنسيَّة لدى الآخر، على الرغم من عدم وقوعهما في الزِّنى فعليًّا، هُما مُذنبان وخاطِئَان. فقد قال يسوع: "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ" (إنجيل مَتَّى ٥: ٢٨).

لقد نظرنا قبل قليل إلى رسم توضيحيٍّ يُبيِّن أنَّ الانسجام الروحيَّ يجب أن يحتلَّ الأولويَّة القصوى لدى الشَّخصين المُتواعِدَيْن. ولكنَّنا نجد أنَّ الأسلوب المُتَّبع في المُواعدة والتَّعارُف في الثَّقافة الغربيَّة هو عكس ذاك الذي رأيناه في الرَّسم التَّوضيحيِّ. فهناك علاقات لا حصر لها تقوم على الانجذاب الخارجيِّ، وهذا الانجذاب يُبقي التركيز على الأمور الجسديّة طوال فترة التَّعارُف. والأمر المؤسف في هذا الانجذاب الجسديِّ هو أنّه يؤدّي إلى النجاسة ويعيق عمليَّة التَّعارف إلى حَدٍّ بعيد. فالشَّابُّ والفتاة اللَّذان يَتَرَكَّز جُلُّ اهتمامهما في فترة التَّعارُف على شهواتهما الحِسِّيَّة كالتَّقبيل والملامسة قد يتزوَّجان في نهاية المطاف، ولكنَّهما يكونان كالغريبين بدرجاتٍ مُتفاوتة. فهذه الشَّهوات الحِسِّيَّة التي رَكَّزا عليها تمنعهما من معرفة الآخر شخصيًّا. لذلك، إنَّهما يُهملان التَّعارف على مستويات أعمق، ويسيئون فهم أمورٍ كثيرة بسبب تركيزهما على الملذَّات الجسديَّة.

تُساعد المبادئ التَّالية في وضع موضوع التَّلامُس الجسديِّ في أثناء فترة التَّعارُف في منظوره الصَّحيح:

أ. إنَّ الامتناع عن الملامسات الجسديَّة في فترة التَّعارُف هو تعبير عن الحُبِّ. فعندما يمتنع الشابُّ عن ملامسة الفتاة وتقبيلها، فكأنّه يقول لها: "أنا أُقَدِّرك وأحترمك إلى حَدٍّ يمنعني من تعريضك لأيِّ خطرٍ أخلاقيٍّ أو روحيٍّ."

ب. إنَّ عدم الامتناع عن مُلامسة الطَّرف الآخر هو مؤشِّرٌ على الأنانيَّة. فكأنَّ الشخص يقول: "إنَّ اهتمامي الآن مُنصبٌّ على ما أريد، وعلى ما أشعر به في هذه اللَّحظة. فأنا لا أُبالي كثيرًا بمصلحتك وباستقرار علاقتنا في المستقبل."

ج. إنَّ المُلامسات الجسديَّة قابلة للتَّمادي. فالسَّماح بالأمور الصَّغيرة يمكن أن يُفضي إلى المزيد والمزيد. والشابُّ والفتاة اللَّذان يسمحان لنفسَيْهما بأمورٍ صغيرة يتجاوزان قصدَهما الأساسيّ. لذلك، إنَّ الطريقة الآمنة هي تأجيل ذلك كُلِّه إلى ما بعد الزَّواج. وهذا السُّلوك يسمح لهما بتقييم التَّوافق الروحيِّ والشخصيِّ بينهما في فترة التَّعارُف.

د. إنَّ عدم ضبط النفس يُقَلِّل الاحترام. فقد يبدو في الظاهر أنَّ الملامسات الجسديَّة الحميمة في فترة التَّعارُف تُعَبِّر عن المحبَّة. أمَّا الرِّسالة التي يمكن قراءتها بين السُّطور مِن خلال هذه المُمارسات الحِسِّيَّة فهي: "أنا عاجزٌ عن ضبط نفسي والقيام بما أعلم أنَّه صواب." وعندما تزول بهجة الزَّواج الأولى، فإنَّ ضحالة تلك "المحبَّة" تكشف عن حقيقة مؤلمة.

هـ. إنَّ إثارة شهوة الآخر من دون إشباعها، تعني خداع الآخر. فالعواطف الجسديَّة قبل الزَّواج حتمًا تخدع شخصًا ما. فهي تخدع الطَّرفين إذ تُوَلِّد فيهما شعورًا زائفًا بالفرح والسَّلام. وإذا اختار الشَّخصان الانسحاب مِن العلاقة، فإنَّ ما حدث بينهما يُعَدُّ خداعًا لشريك الحياة المُستقبليِّ.

و. إنَّ عدم القدرة على ضبط النَّفس في أثناء فترة التَّعارُف يُضعِف وفاء المرء في الزَّواج. فالشَّيء المؤكَّد هو أنَّ عدم قدرة المرء على ضبط شهواته لا يُسَمَّى حُبًّا، بل إرضاء الذات. وكُلَّما زاد انغماس المرء في إرضاء ذاته في فترة التَّعارُف، زادت فُرصة قيامه بذلك بعد الزَّواج. ومِن السَّهل على الأزواج الذين اعتادوا إشباع لَذَّاتهم الفرديَّة أن يبحثوا عن إشباع تلك الشَّهوات خارج إطار الزَّواج.

ز. إنَّ ضبط النفس مهمٌّ لتقييم العلاقة بشكلٍ صحيح. فالتَّعارُف عمليَّة تنطوي على العديد من القرارات. والقرارات الحكيمة تتطلَّب تفكيرًا متروِّيًا. وكما ذكرنا سابقًا، إنَّ العلاقة الجسديَّة الحميمة في فترة التَّعارُف تهدم الموضوعيَّة. وهذا المبدأ لا يقتصر على العلاقة الجسديَّة فقط. فيمكن أن يفقد الشاب والفتاة ضبط النفس في الوقت الذي يصرفانه معًا أو في عدد مرَّات اللِّقاء بينهما. أو قد يواجهان صعوبة في العثور على وسيلة أخرى غير المُلامسات الجسديَّة للتَّعبير عن مشاعرهما. لذلك، إنَّ أيَّ إخفاق في ضبط النَّفس قد يمنع الشَّخصين من تحليل العلاقة بنظرة موضوعيّة وتقييمها بحكمة، والإجابة عن السُّؤال المهم: "هل نحن مناسبَين لأن نلتزم بعلاقةٍ تجمعنا لمدى الحياة؟"

اقتراحات عمليَّة

في ضوء المبادئ السَّابقة، من الأفضل للمؤمنين أن يتجنَّبوا المُلامسات الجسديَّة إلى ما بعد الزَّواج. كذلك، يجب على الشَّابِّ والفتاة أن يَتَّفِقا على أوقات اللِّقاء، وأماكن اللِّقاء، والأنشطة التي سيُمارسانها معًا لكي تكون فترة التَّعارُف بينهما سليمة على مُستوى الرُّوح ومستوى النَّفس، ولكي يُحَصِّنا نفسَيْهما من التَّجارب الشَّهوانيَّة. لذلك، يجب تَجَنُّب الخروج معًا في ساعات مُتأخِّرة، والذَّهاب إلى أماكن مُظلمة أو خافتة الأضواء. بالمقابل، يمكن للشَّابِّ والفتاة أن يُخَطِّطا للقيام بأنشطة أو لمناقشة موضوعات تُعَزِّز معرفتهما الواحد للآخر على المستويَيْن الروحيِّ والشخصيِّ.

ولكي نكون أكثر دِقَّةً، يجب أن نشير إلى حقيقة أنَّ الرِّجال عامَّةً يُجرّبون بما تراه أعينهم، أمَّا النِّساء فيُجرّبنَ بما يَشْعرن به. وفي ضوء ذلك، يجب على الفتاة المؤمنة أن تحتشم في ملابسها عند خروجها في موعد. ويجب على الشابِّ المؤمن أن يمتنع عن مُلامسة الفتاة بطريقة عاطفيَّة. فبهذه الطَّريقة، يتجنّبان التجارب.

عند إدراك أهميَّة ضبط النَّفس من أجل تقييم العلاقة بشكلٍ موضوعيٍّ، يجب على الشاب والفتاة أن يتَّفِقا على رَسْم حدودٍ لأوقات اللِّقاء ومدّته، والمُكالمات الهاتفيَّة، والرَّسائل. وإذا وجدا أسبابًا تجعلهما يتجاوزان هذه الحدود، فهناك خَطْبٌ ما. وفي هذه الحال، عليهما أن يعملا على ضبط النفس أكثر من السَّابق.

وقد يتعيَّن على الشَّابِّ والفتاة أن يمتنعا عن اللِّقاء والحديث معًا لبضعة أسابيع أو رُبَّما شهرٍ من أجل الصَّلاة وتقييم العلاقة. وسوف نتحدَّث عن تقييم العلاقة في النُّقطة القادمة.

٥. **فترة التَّعارُف هي عمليَّة صنع قرارات، يجب أن تكون لها أهداف مُحَدَّدة.** وقد ذَكَرنا أكثر من مَرَّة في هذا الفصل أنَّ فترة التَّعارُف تنطوي على اتِّخاذ قرارات كثيرة. ولكنَّنا لم نذكر ماهيّة هذه القرارات. لنتحدَّث بشكلٍ عامّ عن الموضوع الأهم. ليس الزواج مُجَرَّد اتِّحادٍ بين شخصين، بل بين عائلتين. لذلك، إنَّ عمليَّة اتِّخاذ القرار تَتَعَدَّى مسألة التَّقييم الشخصيِّ. ويمكننا أن نرى ذلك بوضوح من خلال زواج عيسو في العهد القديم. لقد تَزَوَّج عيسو امرأتين من الحِثِّيِّين "فَكَانَتَا مَرَارَةَ نَفْسٍ لإِسْحَاقَ وَرِفْقَةَ" (تكوين ٢٦: ٣٥). فقد جَلَبَت هاتان الزَّوجتان معهما عقليَّةً وثنيَّةً، وميراثًا وثنيًّا، وقِيَمًا وثنيَّة، لم تتوافق مع عقليَّة إسحاق ورِفقة، ولا مع ميراثهما وقِيَمِهما. والحقيقة هي أنَّنا لا نَعلم يقينًا ما إذا عاش عيسو بسلام مع زوجتيه. ولكنَّنا نَعلم أنَّ أباه وأُمَّه لم يعيشا بسلام. ولا شَكَّ أنَّ التوتُّر في العلاقات بين عائلتي الزَّوجين يؤدّي إلى توتُّرٍ في العلاقة بين الزَّوجين.

ويمكننا أن نَرى من خلال عيسو وزوجتيه سبب عدم التَّوافق الرَّئيسيَّ وهو الاختلافات الروحيَّة. فإن لم يتّحد الرَّجُل والمرأة في الرُّوح، لن يتمَكَّنا من اختبار الوحدة التي قَصَدها الله للزَّوجين. فالكتاب المقدَّس يقول بوضوح تامٍّ: "لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟" (٢كورنثوس ٦: ١٤ و١٥).

اقتراحات عمليَّة

في ما يلي لائحة بمصادر الخلاف المُحتملة التي ينبغي للشابِّ والفتاة أن يُفَكِّرا فيها في فترة التَّعارُف. وللمساعدة في التَّمييز، إنَّ هذه اللَّائحة مُرَتَّبة وفقًا للأولويَّات التي تحدَّثنا عنها سابقًا: الرُّوح، ثُمَّ النَّفس، فالجسد. قد يُساعد ذلك في تقييم درجة أهميَّة كُلِّ جانب. ويجب أخذ الاختلافات الروحيَّة على مَحمل الجدِّ ومناقشتها نقاشًا صريحًا ولطيفًا. ويجب أن يكون غياب التوافُق الروحيِّ بين الشَّخصين (حيث لا يمكن إيجاد حَلٍّ للاختلافات)، سببًا كافيًا لإنهاء العلاقة. ومع أنَّ الاختلافات بين الشَّخصين على المستويَيْن الآخرَيْن قد تكون سببًا في إنهاء العلاقة أيضًا، لكنَّ فُرصة العمل عليها لتتوافق تبقى ممكنة على عكس الحالة التي يغيب فيها التوافق الروحيّ.

الرُّوح

- العلاقة الشخصيَّة بيسوع المسيح. فعلى سبيل المثال، إذا كان شخصٌ ما غير مؤمنٍ أو مُبتعدٍ عن جوّ الإيمان، يجب أن يُحسب غير ملائم للخروج في موعد مع شخصٍ آخر أمينٍ في علاقته بالمسيح. وانتهى النقاش.
- الاختلافات في النُّضج الروحيِّ.
- الاختلاف في تطبيق الإيمان بطرقٍ عمليّة. فإذا كان الشَّاب والفتاة ينتميان إلى كنيستين مُختلفتين في العقيدة والتَّطبيق ولو قليلاً، يجب عليهما ألَّا يتجاهلا هذه الاختلافات. بل يجب عليهما أن يُفَكِّرا لا في إمكانيَّة توافقهما فحسب، بل أيضًا في ما إذا كان ذلك التَّوافُق سيُعَزِّز أهدافهما الروحيَّة، وما إذا كانت التَّغييرات التي سيقومان بها تؤدِّي إلى ابتعادهما عن أيٍّ مِن العائلتين.
- الاختلاف في الأمور العقائديَّة. (الفصل بين الكنيسة والدَّولة، ودور المرأة، ونظام الكنيسة والتَّأديب الكنسيِّ، وأحداث الأيَّام الأخيرة، والكرازة للأطفال، وعدم المقاومة في الشُّؤون القانونيَّة والاقتصاديَّة، وإلخ).

- الاختلاف في الدَّعوة إلى الخدمة أو الرُّؤية للخدمة. والمسألة ليست إذا كان الشَّخص الآخر يُفَكِّر في الخدمة أَم لا، بل بأيَّة طريقة يُفَكِّر فيها. فقد يتمحور مفهومُ أحد الأشخاص عن الخدمة حول النَّاس؛ في حين أنَّ مفهوم شخصٍ آخر قد يتمحور حول بعض الأنشطة أو حول مكانٍ مُعيَّن أو مجموعةِ أشخاصٍ مُحَدَّدين.
- الاختلاف في القِيَم. عَلَّمَنا الرَّب يسوع قِيَمًا تؤثِّر تأثيرًا عمليًّا في أمورٍ كثيرة مثل العمل، والمُتعة، وطرق الإنفاق، والاستثمار، والمديونيّة. وقد يختلف المؤمنون اختلافًا بَيِّنًا في التفكير في هذه الأمور وممارستها. وهناك أزواجٌ كثيرون يختلفون في الرأي حول الأمور الماليَّة.

النَّفس

- الاختلاف في ما يُحِبُّه المرء وما لا يُحِبُّه. وقد تكون الاختلافات بين الشَّخصين حول أمور بسيطة كالألوان أو الطَّعام، أو حول أمور أكثر أهميَّة كالعمل أو الطَّقس.
- الاختلاف في الخلفيَّة التَّعليميَّة.
- الاختلاف في الثَّقافة. يُفسح العمل الإرساليُّ، والخدمة، والسَّفر الفرصة أمامنا للتعرُّف إلى أُناسٍ مِن ثقافات أخرى. وهذا بدوره يُفسح المجال أمام زواج شخصين مِن ثقافتين مختلفتين. ومع أنَّ زواجًا كهذا ليس خاطئًا في حَدِّ ذاته، فإنَّه قد ينطوي على الكثير مِن العقبات التي ينبغي تجاوزها إذا كان يتوجَّب على أحد الشَّخصين أن يترك بلده، وشعبه، وعائلته، وأنواع الأطعمة التي اعتاد عليها، وعاداته، ويتأقلم مع ثقافة جديدة. لذلك، يجب طلب النَّصيحة الصَّريحة مِن الأشخاص العاملين في الحقل الإرساليِّ، وقادة الكنائس، والأزواج الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين، ومِن الأفضل أخذ النصيحة قبل البدء في المواعدة.

- الاختلاف في العادات والتَّقاليد. إنَّ العادات والتَّقاليد هي أمور تَخُصُّ الممارسات الاجتماعيَّة والسلوكيَّة، وتوقُّعات المجتمع أو العائلة. فما يُعَدُّ أمرًا عاديًّا ومقبولاً لدى فئةٍ معيَّنة قد يُعَدُّ وقاحةً أو أمرًا غريبًا لدى فئةٍ أخرى. فعلى سبيل المثال، قد يعتقد الشابُّ أنَّه لا عيب في أن يلحس السكّين بعد دهن الخبز بالزبدة. ولكنَّ الفتاة التي نشأت في بيئة مختلفة قد ترى أنَّ لحسَ السكّين أمرٌ مُقَزِّز.

- الاختلافات العاطفيَّة. لقد ذكرنا آنفًا أنَّ الاختلافات العاطفيَّة قد تكون مفيدة. فعلى سبيل المثال، إنَّ الشَّخصيَّة المرحة والمُفعمة بالحيويَّة قد تجد التَّوازن مع شريك حياة مُسالم ورصين. ولكن هذا لا يعني أنَّ التَّوافُق العاطفيَّ بين شخصَين متناقضَين أمرٌ بسيط. فهناك أعرافٌ وتقاليدٌ تَخُصُّ العواطف أيضًا. فعلى سبيل المثال، قد يرى أُناسٌ أنَّ الرَّجُل الذي يبكي هو شخص ضعيف. ولكنَّ أُناسًا آخرين يرون في ذلك صِفَة مُثيرة للإعجاب. وهناك أيضًا مشكلات مُرتبطة بعدم الاستقرار العاطفيِّ وبالمشاعر المتمركزة حول الذات. فبعض الأشخاص ينهارون عاطفيًّا بسبب أيِّ ضغطٍ بسيط. وهناك أشخاص يعانون تَقَلُّبًا في المِزاج، أو يتجهَّمون، أو يكتئبون عندما لا تسير الأمور كما يشاؤون. وهناك أشخاص يشعرون بالمرارة ويسقطون في فَخِّ الرثاء للذات. لذلك، يجب عدم الاستخفاف بهذه الاختلافات العاطفيَّة. فقد تُخفي هذه الأنماط السلوكيَّة العاطفيَّة وراءها مشكلاتٍ أعمق لا يمكن "موازنتها" بوجود أيِّ شريك.

- الجروح والنُّدوب العاطفيَّة. قد نواجه جميعًا مواقف تجعلنا نفقد شعورنا بالأمان، أو نغضب، أو نشعر بالذَّنب أو الخوف. ولكن هناك أشخاصٌ تَعَرَّضوا لإساءاتٍ و/أو اقترفوا خطايا أَحْدَثَتْ أضرارًا نفسيَّة وعاطفيَّة جسيمة. ومع أنَّ هذه الأضرار قابلة للشِّفاء في المسيح، فإنَّ الجروح التي لم تُعالَج قد تؤثِّر سلبًا على الحياة الزوجيَّة.

- الاختلاف في القدرات الفكريَّة. فمع أنَّ القدرات الفكريَّة لدى البشر تتفاوت، إلّا أنَّ التَّبايُن الكبير في الذَّكاء بين شخصين يمكن أن يؤدّي إلى إحباط كبير بعد الزَّواج. فهل أنت مستعدٌّ لتعليم شريك الحياة طَوال العمر؟ وهل أنت مستعدٌّ لاختيار شريك حياة لا يمكنك أن تشرح له وجهة نظرك، أو لا يمكنك أن تُشاركه أفكارك واكتشافاتك لأنَّه لا يمتلك قدراتك الفكريَّة؟ وهل يمكنك التأقلم مع المشكلات التي قد يتسبَّب بها شريك الحياة بسبب عدم استيعابه الأشياء، أو بسبب عدم قدرته على توصيل المعلومات بطريقة صحيحة لأولادك أو للآخرين؟
- الاختلاف في الشخصيَّة والطِّباع. فكما أنَّ فترة التَّعارُف تساعدك في معرفة الشَّخص الآخر، إنَّها تَجعلك أنت أيضًا مكشوفًا أمامه. لذلك، يجب أن يكون التَّواصُل والتَّفاعل صادقًا، ولطيفًا، ومحترمًا.

الجسد

- اختلاف الأعمار. مِن المفضَّل أن يكون هناك تقارُب في السنّ لأنَّ الفجوة العُمريَّة تزيد احتماليَّة وجود اختلافات أخرى.
- اختلاف العِرْق. إنَّ الاختلاف في لون البشرة أو الشَّكل لا يُعَدُّ مشكلةً جسيمة في حَدِّ ذاته. ولكن إذا كان ذلك مقرونًا باختلافات ثقافيَّة أو باختلافات في الأعراف العاطفيَّة، ينبغي إذًا التَّفكير في هذه الأمور مَليًّا. علاوة على ذلك، يجب على الشَّابِّ والفتاة أن يأخذا بعين الاعتبار توقّعات الآخرين وآراءهم المتفاوتة التي قد تتميّز بالإنصاف أو بالتحامل. وفي الجوهر، إنَّ أساس التَّوافُق هنا يعتمد على قدرة كُلِّ طَرَف على قبول الآخر كما هو على الرغم مِن آراء الآخرين.
- الإعاقات الجسديَّة. ومع أنَّ الإعاقة الجسديَّة لا تَعني بالضرورة عدم التَّوافُق بين الشَّخصين، إلّا أنّها تتطلَّب مِن كِلا الطَّرفين فهم الآخر وقبوله كما هو.

وفي الواقع، ينبغي لكُلِّ طرف في الثنائي أن يَعرف محدوديَّات شريكه المستقبليِّ وحاجاته. ويجب على بعض الأشخاص أن يأخذوا بعين الاعتبار أنَّ الزَّواج مِن شخص مُعَيَّن يتطلَّب اهتمامًا خاصًّا وغير عاديٍّ بشريك الحياة. وإذا لم يُدرك الشابُّ أو الفتاة هذه النُّقطة ويَقبلان بها، فقد تُؤدِّي إلى الإحباطات لاحقًا.

- الزَّواج مِن الأقارب. إنَّ المعايير الكِتابيَّة التي تَمنع الزَّواج مِن الأقارب كانت تَستثني أفراد العائلة المُباشرة، والأعمام والأخوال، والعَمَّات والخالات، والأقارب بالمُصاهرة. وتؤكِّد البحوث الطبِّيَّة الحديثة خطر الزواج من الأقارب بما فيه أولاد العَمِّ أو العَمَّة أو أولاد الخال أو الخالة. وزيجات كهذه تزيد مِن احتماليَّة إنجاب أطفال مُشَوَّهين أو يعانون اضطرابًا جينيًّا.
- المسافة بين العائلتين. بسبب توافُر وسائط النَّقل السَّريعة، لم تَعُد هناك مشكلة في زواج شخصين تفصل بينهما كيلومترات كثيرة. لذلك، إنَّ زواجًا كهذا لا يُعَدُّ خاطئًا، ولكنَّه يتطلَّب مِن الشَّابِّ والفتاة أن يُفَكِّرا في طريقة لِحَلِّ التَّعقيدات التي قد تنشأ في فترة التَّعارُف أو عند الزَّواج. فعلى سبيل المثال، كيف سيتعامل الشابُّ أو الفتاة مع مسألة الحنين إلى الوطن؟ وهل سيتمكَّن الشابُّ أو الفتاة مِن زيارة أهلهما بين الحين والآخر؟ ومع أنَّ هذه قد لا تُعَدُّ مشكلة كبيرة، لكن يجب على الشَّابِّ والفتاة أن يأخذا هذه الأمور بعين الاعتبار في أثناء العمل على تحسين التَّوافق بينهما.

إذا نظرنا إلى فترة التَّعارُف على أنَّها عمليَّة صنع القرارات، سنُدرك أنَّه من المنطق أن يرتّب الشَّابُّ والفتاة أوقات لقاءاتهما والمكان والأنشطة بغية تعزيز التَّعارُف بينهما. فكلَّما زادت معرفة الشَّخصين المُتواعِدَيْن أحدهما بالآخر، لا على الصَّعيد الشخصيِّ فحسب، بل على صعيد الثَّقافة والعائلة أيضًا، زادت قدرتهما على اتِّخاذ قرارات حكيمة في ما يَخُصُّ مستقبلهما.

ولا يعني هذا كُلُّه أنَّ كُلَّ موعدٍ بين شابٍّ وفتاةٍ يُفَكِّران في الزَّواج يجب أن يكون نقاشًا جادًّا حول المعتقدات، والقِيَم، والتَّوافق. فليس هناك ما يَمنع من أن يستمتع الشابُّ والفتاة بعضهما برفقة بعض. إنّما المقصود هنا هو أنَّ التَّواصُل مُهمٌّ جدًّا للتَّعارُف السَّليم. كذلك، ينبغي التَّحذير من أنَّ التَّعارُف الذي يَقتصر على النُّزهات والتَّسلية قد يُفضي إلى ارتباطٍ عاطفيٍّ بين شخصين لا يعرف أحدهما الكثير عن الآخر – بدلاً من التَّعارف الحقيقيِّ.

ولكي يحافظ الشابُّ والفتاة على سلامة التَّواصُل وفاعليَّته بينهما، يُنصَح بأن يدرسا الكتاب المقدَّس معًا بانتظام. ويمكن للشَّابِّ والفتاة أن يختارا آياتٍ أو مواضيع أو أسئلة لمناقشتها معًا في اللِّقاء القادم. فمن شأن ذلك أن يُعطي كلَّ واحد من الطَّرفَيْن الحريّة لتقديم الاقتراحات والوقت ليعرضا معتقداتهما.

٦. **إذا كان إنهاء العلاقة أمرًا ضروريًّا، يجب القيام بذلك بطريقةٍ مُحترمة.** هناك أسبابٌ كثيرة قد تمنع العلاقة من التطوّر حتّى الزواج. وقد يكون إنهاء العلاقة مؤلمًا. ولكنَّ الفسخ أقَلُّ إيلامًا عندما يَتِمُّ بلياقة واحترام.

اقتراحات عمليَّة

إذا تَبَيَّن أنَّه ينبغي إنهاء العلاقة، يجب مناقشة ذلك بسرعة وبكُلِّ صراحة ولُطف. فالتَّأجيل ما هو إلّا تأجيل الألم وزيادة حِدَّته. كذلك، إنَّ تَجَنُّب الحديث في الموضوع أو اللُّجوء إلى أساليب التَّواصُل غير المباشرة قد يؤدّيان إلى سوء تفاهم بين الطَّرفين. لذلك، إنَّ أفضل طريقة للقيام بذلك هي التحدُّث وجهًا لوجه (وليس من خلال رسالة) واستخدام كلامٍ لطيفٍ ولا لُبس فيه.

وقد يجد بعض الأشخاص صعوبة في اختيار الكلمات المناسبة في موقفٍ كهذا. وقد نَظُنُّ أحيانًا أنَّ ذِكْر السَّبب الحقيقيِّ سيؤذي مشاعر الشَّخص الآخر. ويجب حتمًا التَّفكير مَليًّا وسَلَفًا في الكلمات التي سنقولها. وقد يكون مفيدًا أن يستعين الشَّابُّ أو الفتاة بوالديهما. وأيًّا كان الموقف، يجب على الشَّابِّ المؤمن

أو الفتاة المؤمنة أن يمتلكا اللَّياقة والحكمة اللَّازمتَين لذِكْر أسباب ضرورة إنهاء العلاقة. فالأسباب السطحيَّة أو الغامضة ستدفع الشَّخص الآخر إلى التَّفكير في أمورٍ قد تكون من صُنْع خياله. مِن جهة أخرى، ليس مِن اللَّائق أن يَطلب المرء تفسيرًا لأسباب فسخ العلاقة. وفي حين أنَّ التَّواصُل الواضح مطلوب، فإنَّنا قد لا نحصل عليه دائمًا. وأحيانًا، ينبغي لنا قبول قرار الطَّرف الآخر بإنهاء العلاقة من دون معرفة الأسباب.

إنَّ أسباب إنهاء العلاقة بشخصٍ ما ترتبط بالدَّوافع وراء المواعدة في الأصل. وكي نكون عَمليِّين، لنأخذ موقفًا مُحتملاً ونَرى الفرق بين الكلمات غير الملائمة، والكلمات التي تَتَّسِم بالوضوح والاحترام.

لنفترض أنَّ السَّبب الحقيقيَّ لإنهاء العلاقة هو أنَّ الطرف الآخر عنيد.

كلمات واضحة، إنّما غير لطيفة: "أنا لا أُحِبُّ عنادك. أظنّ أنَّه ينبغي لنا أن ننفصل."

كلمات مُبهمة: "أشعر بأنَّ الله لا يريدنا أن نستمرَّ في هذه العلاقة."

كلمات مُحترمة: "هناك أمور كثيرة أُقَدِّرها فيك، لكنّني أشعر بعدم الرَّاحة بسبب التوتُّرات التي تحدث بيننا، لا سيَّما عندما نَختلف في وجهة النَّظر. والحقيقة هي أنِّي أرى أنَّ ما يحدث بيننا لن يُمكِّننا مِن تأسيس بيتٍ يُمَجِّد الله. لذلك، أظنّ أنَّه مِن الأفضل لنا أن نُنهي هذه العلاقة."

وفي بعض العلاقات، قد لا تكون الأسباب الموجِبة لإنهاء العلاقة واضحة تمامًا. فقد يشعر أحد الطَّرفين بشكوكٍ مُعيَّنة من دون أيّ توجيه واضح يُشير إلى ضرورة فسخ العلاقة. في حالٍ كهذه، قد يكون هناك بديلٌ آخر وهو "تجميد" العلاقة. فعلى سبيل المثال، قد يَتَّفق الطَّرفان على عدم اللِّقاء لمُدَّة ثلاثة أشهر لكي يمنحا نفسَيْهما مُهلة للتَّفكير مَليًّا في نقاط الاختلاف، أو للبحث بموضوعيَّة أكبر في بعض القرارات أو الشُّكوك الشخصيَّة.

في حال اللُّجوء إلى هذا الخِيار، يجب التقيُّد ببعض الإرشادات. أوَّلاً، يجب الاتِّفاق على مُدَّة تجميد العلاقة. فهل سيتم تجميد العلاقة لمُدَّة شهر، أم شهرين، أم ستَّة أشهر؟ فعند الاتِّفاق على مُهلة مُحَدَّدة، يمكن للطَّرفين أن يُفَكِّرا في أهدافهما بوضوح أكبر. ويجب اختيار الوقت في ضوء طبيعة المشكلة التي تتطلَّب حَلًّا. فعلى سبيل المثال، قد يكون تجميد العلاقة لمُدَّة شهرٍ كافيًا لمعرفة الموقف الشخصيِّ تجاه بعض الأمور العقائديَّة المُختلَف عليها. ولكن في حال وجود مشكلة أخلاقيَّة سابقة أو حاليَّة تحتاج إلى معالجة، لن تكون فترة الستَّة أشهر طويلة البتَّة. عمومًا، يجب ألَّا تكون المُهلة المُتَّفق عليها طويلة جدًّا كي لا يغيب عن بال الطَّرفَين أهدافُهما.

ثانيًا، يجب تحديد طبيعة العلاقة بوضوح. فهل يجب ألّا يخرجا معًا؟ أو أن يكون التَّعارف المحدود؟ أو ألّا يتبادلا الرَّسائل؟ وألّا يخوضا في مناقشات مُطَوَّلة إلَّا بالاتِّفاق المتبادل؟ فمن دون تحديد طبيعة العلاقة في أثناء تجميدها، قد يجد الشَّابُّ والفتاة أنّهما ما زالا يصرفان وقتًا معًا دون أن يقصدا ذلك.

ثالثًا، ينبغي ألّا تُستَخدَم مهلة تجميد العلاقة كوسيلة لفسخ العلاقة ببطء. فإذا كان أحد الطَّرفين مُقتنعًا بضرورة إنهاء العلاقة، فإنَّ النَّزاهة تُحَتِّم عليه عدم الاستمرار في إعطاء الأمل للشَّخص الآخر من خلال تأجيل وقت إنهاء العلاقة. ويجب ألَّا يشمل اتِّفاق تجميد العلاقة حريّة مواعدة أشخاصٍ آخرين. وفي حال أُعطِيَت هذه الحُرِّيَّة، يجب أن تُعدّ العلاقة مُنتهية.

من الواضح أنّه لا يُمكن ذكْر جميع السِّيناريوهات المُحتملة لإنهاء العلاقة. لذلك، إنَّ النقطة الأساسيّة التي ينبغي تَذَكُّرها هي أن يعالجَ المرءُ المسألة باحترام، ووضوح، ولُطف.

ما هي الخُطوة التَّالية؟

لقد رَكَّزنا حتَّى الآن على أنَّ التَّعارُف هو عمليَّة اتِّخاذ قرار. والنُّقطة الجوهريَّة في هذه العمليَّة هي قرار الزَّواج. والخِطبة هي الخُطوة التي يُعْرِب الشَّابُّ والفتاة مِن خلالها عن التزامهما بالمِضِيِّ في العلاقة نحو الزَّواج. وأرجو أن تكون الصَّفحات السَّابقة قد بَيَّنَتْ أنَّ الخِطبة ليست قرارًا طائشًا، بل هي التزامٌ عقلانيٌّ قائمٌ على المشورة الحكيمة، والصَّلاة القلبيَّة، والإيمان والمحبَّة المُشترَكين.

في الكتاب المقدَّس، كانت الخِطبة مُلْزِمَة حَتَّى إنَّ الشَّابَّ والفتاة كانا يُسَمَّيان زوجًا وزوجة. وقد كان فَسْخ الخِطبة يُسَمَّى "إخلاءً" (مَتَّى ١: ١٩).

كيف ينبغي لنا إذًا أن نَنظر إلى الخِطبة اليوم؟ وهل الخِطبة أمرٌ جادٌّ؟ وهل مِن الصَّواب فسخ الخِطبة؟ تجدر الإشارة إلى أنَّ الخِطبة في أزمنة الكتاب المقدَّس كانت تُرافقها إجراءات لحماية الطَّرفين، ومن بينها تدخّل الأهل، والمهر، وعلامة العُذرة، وغيرها. ومع ذلك، يبدو أنَّ نظرتنا الحاليَّة إلى الخِطبة يمكن أن تكون مُشابهة جدًّا لمفهوم الخِطبة في الكتاب المقدَّس إذا عقدنا العَزم على أن يكون التَّعارُف مرحلة اتِّخاذ قرار وليس وقتًا للغراميّات. علاوة على ذلك، بما أنَّ العهد الجديد يوصينا بأن نكون صادقين من دون قَسَم، يجب على المؤمن المسيحيِّ أن يحفظ وعوده التي يقطعها. قد يقول أحدُهم "إنَّ فسخ الخِطبة يبقى أفضل مِن التسبُّب بدمارٍ قد يستمرُّ مدى الحياة". ولكن أليس الأفضل أن نَتَّخذ خطوات مناسبة لمَنع خِطبة كهذه من أن تحدث من الأصل؟ فالخِطبة بمفهومها السَّليم لن تكون مُمكنةً إلَّا في ظِلِّ تَعارُفٍ سليم. بعبارة أخرى، إنَّ معايير التعارف المُتدنِّية لا بُدَّ أن تُفضي إلى نظرة مُتدنِّية إلى الخِطبة.

في الفقرات التَّالية، سنذكر بعض الإرشادات المُتعلّقة لا بالنَّظرة السَّليمة إلى الخِطبة فحسب، بل أيضًا بكيفيَّة البدء في الخِطبة والانتقال مِنها إلى الزَّواج.

لقد سبق وذَكَرنا أنَّ الخطبة في أزمنة الكتاب المقدَّس كان يُنظَر إليها بجديّة، وذَكَرنا أيضًا أنَّه ينبغي لنا أن نَنظر إليها بالجِدِّيَّة ذاتها اليوم. وهناك العديد من حجر الأساس التي تُبنى عليها هذه النَّظرة. لذلك، دعونا نعالج هذه النِّقاط بعناية.

أوَّلًا، إنَّ الشابَّ الذي يعيش بحسب وصايا الكتاب المقدَّس سينظر إلى شريكة حياته المستقبليَّة كإنسانة خاضعة لوالديها. فهي ليست له –مهما كان يحبّها- إلى أن يتزوَّجها رسميًّا. لذلك، من اللَّائق والصَّواب أن تكون الخطوة الأولى في الخطبة هي طلب موافقة والدَي الفتاة. وهذا يعني أنَّه لا يليق أن يذهبَ الشابّ إلى والدَيها ويُعلمَهما بأنَّه سيخطبها، بل يجب عليه أن يطلب موافقتهما، ويناقش معهما إمكانيَّة زواجه من ابنتهما. وإذا نجح الشَّابُّ في إنشاء علاقة سليمة مع والديِّ الفتاة في أثناء فترة التَّعارُف، ستكون هذه الخطوة طبيعيَّة جدًّا.

ثانيًا، إنَّه أمرٌ كتابيٌّ أيضًا أن ننظرَ إلى الخطبة كالتزام أو تَعَهُّد. فلا ينبغي النَّظر إليها كما لو كانت المرحلة الأخيرة للتَّمييز واتِّخاذ قرار. في الأصل، يجب أن تكون فترة الاختبار قبل الخطبة.[٢] وفي حال خيانة أحد الطَّرفين ثقة الآخر في فترة الخطبة، أو في حال افتضاح أمره في أثناء فترة الخطبة (مثلاً عدم العفَّة، أو الخداع بشأن الخلاص)، قد يكون من الضروريِّ فَسْخ الالتزام. "أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا" (متى ١: ١٨- ١٩). " لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟" (٢كورنثوس ٦: ١٤).

2 Ervin Hershberger, *Christian Courtship* (التَّعارُف المسيحيّ) (Meyersdale, Pennsylvania: printed by Edgewood Press, 1984), p. 28.

في بعض الثَّقافات، حيث لا يُسمح للشَّابِّ والفتاة بالخروج أو التحدُّث أو التَّواصُل معًا قبل الخِطبة، قد يختلف الأمر بعض الشَّيء. فما دام التَّعارُف لم يحدث بين الشَّابِّ والفتاة قبل الخِطبة، قد يكتشف أحدُهما أو كلاهما في أثناء فترة الخِطبة أنّه لا يوجد انسجامٌ بينهما. ولكن حتَّى في مواقف كهذه، إذا كان الطَّرفانِ يُحِبَّان الربَّ، وإذا كان كُلٌّ منهما قد تَعَهَّد بالاهتمام بمصلحة الآخر، ستكون حالات فسخ الخِطبة نادرة.

ثالثًا، إذا كان الشَّابُّ والفتاة ينظران إلى الخِطبة كَتَعَهُّدٍ بالزَّواج، فهذا يعني أنَّهما سينظران إلى الفترة الفاصلة بين الخِطبة والزَّواج باعتبارها فترة للاستعداد لحفل الزَّواج ولبدء الحياة الزوجيَّة معًا. لذلك، يجب ألَّا تكون هذه الفترة أطول من الوقت اللَّازم للاستعداد للزَّواج. فالخِطبة الطَّويلة هي دليل على عدم فهم الطَّرفين الخِطبة بمفهومها الصَّحيح)إلَّا إذا كان التَّأخير ناجمًا عن ظروف خارجة عن إرادتهما(، وهي تضع ضغوطًا كثيرة على الطَّرفين.

رابعًا، التعهُّد بالزَّواج لا يَمنح الشَّابَّ والفتاة امتيازات الزَّواج. قال "إيرفن هيرشبيرغر": "بِغَضِّ النَّظر عن قوَّة الرِّباط الذي يَجمع بين الشابِّ والفتاة في فترة الخِطبة، فإنَّ جسد كُلٍّ منهما ما زال ملكيَّة فرديَّة ليست من حَقِّ الآخر."[٣] وفي ضوء الآية ٢٠ في ١كورنثوس ٦، إنَّ أجسادنا ليست ملكًا لنا فحسب، بل هي ملك لله، وأيُّ تجاوزٍ لهذا المبدأ هو خَطِيَّة (انظر سِياق هذه الآية). وهذا يعني أنَّ المبادئ التي ذكرناها آنفًا في ما يَخُصُّ الامتناع عن المُلامسة الجسديَّة في فترة التَّعارُف تَنطبق أيضًا على فترة الخِطبة. فالعلاقة السَّليمة الطَّاهرة في فترة الخِطبة تُعَزِّز الفرح عند الشابِّ والفتاة، وتُدَعِّم وفاءهما أحدهما للآخر بعد الزَّواج. أمَّا العلاقة الجسديَّة في فترة الخِطبة فتبقى مَصْدر إزعاجٍ للشابَّ والفتاة بعد الزَّواج.

3 Hershberger, (التَّعارُف المَسيحيّ) ,p. 29.

في ضوء هذه النَّظرة إلى الخطبة، كيف ينبغي للمرء أن يتصرَّف في هذه الفترة؟ لنفترض أنَّ التَّعارُف تَمَّ بصورة سليمة بين الشابِّ والفتاة، فإليك الاقتراحات التَّالية:

١. صَلِّ طالبًا الحكمة والإرشاد من الله.

٢. ناقش استعدادك للزَّواج مع والديك. وإن تَعَذَّر عليك طلب نصيحتهما، يمكنك استشارة راعي الكنيسة. فمِن الحكمة دائمًا اتِّخاذ القرارات المصيريَّة تحت إشراف ومشورة رموز السلطة الذين وضعهم الله في حياتك.

٣. تَقَرَّب إلى والديِّ الطَّرف الآخر، واطلب موافقتهما، وبركتهما، ونصيحتهما في ما يَخُصُّ زواجكما. ولكن لا تفعل ذلك مِن خلال رسالة أو عبر الهاتف إلَّا إذا كانت زيارتك لهما مستحيلة.

٤. بعد الحصول على موافقة والديِّ الفتاة، اطلب يدها. وربما تكون الفتاة في هذا الوقت، جاهزة للردِّ بعد أن صَلَّت من أجل الموضوع وطلبت نصيحة والديها. وهذا رائعٌ. ولكن حتَّى لو لم تكن جاهزة للردِّ، لا تضغط عليها.

٥. إذا كُنتِ فتاةً وعَرَضَ عليك شابٌّ الزَّواج، لا تتسرَّعي في إعطاء موافقتك قبل طلب موافقة والديك. وإذا لم يكُن الشَّابُّ قد تَحَدَّث إلى والديك في الأمر، اسأليه إذا كان مستعدًّا للقيام بذلك.

٦. اختما تَعَهُّدكما بالصَّلاة، واطلبا معًا مِن الله أن يرشدكما في خططكما الآنيَّة وفي حياتكما الزوجيَّة المستقبليَّة. وعند إعلان الأمر للأهل، اطلبا منهم أن يُصَلّوا لأجلكما أيضًا.

٧. تَعَهَّدا شفويًّا بالحفاظ على طهارتكما طَوال فترة الخِطبة. فمِن شأن هذا التعهُّد أن يحميكما مِن المخاطر، ويُعَمِّق احترام كُلٍّ منكما للآخر.

٨. ناقشا معًا ومع الأهل الوقت اللَّازم للاستعداد لحفل الزِّفاف. كما ذكرنا آنفًا، يجب ألَّا تكون فترة الخِطبة طويلة جدًّا ولا قصيرة جدًّا. لذلك، كونا حَكيمَيْن في

تحديد الفترة اللَّازمة للانتقال مِن الخِطبة إلى الزَّواج. فقرار الزَّواج يضع أمام الشابّ والفتاة قرارات أخرى ينبغي لهما أن يَتَّخذاها. لذلك، إنَّ التَّواصُل الصَّريح هو أمرٌ واجبٌ.

٩. ناقشا خطط الزَّواج مع راعي الكنيسة، واسألاه إذا بإمكانه أن يُقدّمَ المشورة لكما قبل الزواج. كذلك، ناقشا خطط زواجكما مع المسؤولين في الكنيسة، واحجزا موعدًا، واحصلا على كُلِّ المعلومات اللَّازمة الخاصّة بإجراءات الزواج.

الخُلاصة

مِن أجل تلخيص هذا الفصل، سنُراجع المفاهيم الأساسيَّة. إنَّ فترة المُواعدة والتَّعارُف هي فترة تحضيريَّة للزَّواج. ويجب أن يَقتصر التَّعارُف على الأشخاص المؤهَّلين للزَّواج. كذلك، إنَّ المُواعدة هي عمليَّة تَعارُف تُرَكِّز -في المقام الأوَّل- على التَّوافق الرُّوحِيِّ، ثُمَّ على التَّوافق الشَّخصيِّ. ولأنَّ عمليَّة اتِّخاذ القرار في فترة المُواعدة والتَّعارُف بالغةُ الأهميَّة، لا ينبغي أن نَسمح لها بأن تتأثّر بعواطفنا المُنجرفة. وهذا يقتضي مِن الشابِّ والفتاة أن يؤجِّلا جميع أشكال التَّعبير الجسديِّ عن المحبَّة إلى ما بعد الزَّواج. مِن جهةٍ أخرى، يجب على الشَّابِّ والفتاة أن يَطلبا نصيحة الأبوَيْن والقادة الروحيِّين لكي يتمكَّنا مِن اتِّخاذ قرارات سليمة في فترة المُواعدة والتَّعارُف. وعندما يَقتنع الشَّابُّ تمامًا بأنَّه -والفتاة- صارا جاهزين للزَّواج، يجب عليه أن يطلب موافقة والديها، ثُمَّ أن يَطلب يدها. وينبغي النَّظر إلى الخِطبة كتَعَهُّد لا يجب فَسْخُه إلَّا في حالة الخداع أو عدم الأمانة. كذلك، يجب عدم إطالة فترة الخِطبة أكثر مِن الوقت اللَّازم للتَّخطيط لحفل الزِّفاف والتحضير له.

والحقيقة هي أنَّ الضُّغوط على الزَّواج والبيوت تزداد أكثر فأكثر. وإذا كان هناك وقتٌ نحتاج فيه إلى وضع أساسٍ قويٍّ لبيوتنا، فإنَّ هذا الوقت هو الآن. لقد أعطانا الله مبادئ تُتيح لنا وضع أساسٍ متينٍ لبيوتنا. ولا شَكَّ أنَّ البيوت المُتزعزعة

(حتَّى في الأوساط المسيحيَّة) هي دلالة واضحة على مَيل الإنسان إلى اتِّباع طُرُقه وأساليبه الشخصيَّة. ولكن إذا كُنَّا مُقتنعين بكلمات المزمور ١٢٧: ١، ينبغي لنا أن نَتَّبع طُرُق الربِّ: "**إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ البَيْتَ، فَبَاطِلاً يَتْعَبُ البَنَّاؤُونَ.**"

لِنُفَكِّر معًا

١. ما هي بعض المشكلات المحتملة للمُواعدة والتَّعارُف قبل أن يَنضج المرء روحيًّا؟ ما هي بعض المفاهيم المغلوطة التي قد تؤثِّر عكسيًّا على نظرة المؤمنين الجُدُد للمُواعدة أو الزَّواج؟

٢. ما الذي ينبغي للشابِّ والفتاة أن يفعلاه في حال لم يُقدِّم الأبوَان المشورة اللَّازمة، أو في حال حصولهما على الردِّ التَّالي من الأبوَيْن: "أنت ناضجٌ بما يكفي لاتِّخاذ القرارات بنفسك"؟

٣. هل يتوقَّع الله مِن أيِّ شخص أن يواعد شخصًا آخر لا يَشعر بأيِّ انجذاب نحوه؟ في ضوء ذلك، كيف يمكن لهذا الشَّخص أن يُصَحِّح مفهومه (مِن خلال طلب مشورة الوالدين، وطلب مشيئة الله، ومن خلال النظر إلى الأمور التي تحدَّثنا عنها في هذا الفصل في ما يَخُصُّ التَّوافُق بين الشَّابِّ والفتاة).

٤. كيف يمكن لشابٍّ وفتاة يتواعدان أن يكونا صادِقَيْن في مناقشة الاختلافات الشخصيَّة من دون أن يجرح أحدهما مشاعر الآخر؟ كيف ينبغي لكُلٍّ منهما أن يتعامل مع الجوانب المُحرجة أو المُزعجة في حديث الآخر، أو عاداته، أو سلوكيَّاته؟

٥. كيف يمكن للشابِّ والفتاة أن يُكْرِما أبوَيْهما إذا كان الأبوان يريدان منهما البقاء في كنيسة يَرى الشابُّ والفتاة أنَّها كنيسة مُرْتَدَّة؟

٦. إذا أدركت الفتاة أنَّ الشَّاب الذي تُواعده يعاني جروحًا عاطفيَّة لم تَندَمِل بعد بسبب والديه، ولكنَّه يُبدي نُضجًا روحيًّا في جوانب أخرى، كيف ينبغي

لها التَّفكير في الأمر؟ (قد تَظهر الجروح العاطفيَّة التي لم تَندمل بعد مِن خلال إلقاء اللَّوم على الآخرين، وعدم إظهار الغُفران والمحبَّة لهم).

٧. ما هي عواقب الرَّغبة الشَّديدة لدى أحد الطَّرفين في تَمَلُّك الآخر في فترة المُواعدة أو التَّعارُف؟ وما عواقب الإفراط في التصرّف بطريقة غير رسميّة؟

٨. ما هي فوائد اتِّفاق الطَّرفين المُسَبَّق على شروط المُواعدة منذ البداية؟

٩. ما هي المخاطر الكامنة وراء المُغازلة بين الشابِّ والفتاة؟ وإذا بادَرَت الفتاة إلى مُغازلة الشَّابِّ بإفراط في أثناء فترة المُواعدة، كيف ستكون حالها في البيت لاحقًا؟

لِنَعمل معًا

١. ناقشوا، كآباء وأمَّهات، رؤيتكم لأبنائكم عند اختيار شريك حياتهم. رَتِّبوا لمناقشة هذا الموضوع معهم كي يَعلموا ما تتوقَّعونه منهم. وإذا كان الأبناء في سِنِّ المُواعدة، أظهروا انفتاحًا في تَقَبُّل أفكارهم وآرائهم - ولا سِيَّما إذا كانت تلك الأفكار والآراء تتطلَّب مِنكم تغيير توقُّعاتكم. اسألوهم عمّا يتوقَّعونه منكم.

٢. إذا كنت قد ابتدأت في مواعدة أحدٍ، قَيِّم إجراءات التَّعارُف التي استخدمتها. ما مدى موضوعيَّتك؟ وما مدى معرفتك بمُعتقدات الشخص الآخر وبشخصيّته وبعائلته؟ وما مدى وضوحك ونجاحك في عرض مُعتقداتك؟ وما مدى معرفة الشخص الآخر بعائلتك؟ اكتب لائحة بالأمور التي تتطلَّب مزيدًا مِن الإيضاح. ناقش مع أبوَيْك أو راعي كنيستك الوسائل التي يمكنك مِن خلالها تحسين تواصُلك مع الطَّرف الآخر في فترة التَّعارُف.

٣. اكتب لائحة بالصِّفات التي ترغب في توافُرها في شريك الحياة. ثُمَّ قَيِّم نفسك في ضوء هذه اللَّائحة. هل هناك جوانب ضعف لديك؟ وما الذي يمكنك القيام به لتحسين هذه الجوانب؟

٤. إذا لم تكُن قد بدأت بعد بالمُواعدة، ما هي الأجزاء التي أثارت اهتمامك في هذا الفصل أكثر مِن غيرها؟ هل تَتَّفق في الرَّأي مع هذه الأفكار؟ وهل تشعر بأنَّ بعض النِّقاط تحتاج إلى التوضيح؟ ناقش هذه النِّقاط مع والدَيْك، وفَكِّر في إجاباتهما.

الفصل الرابع

العُزوبَة

المُقدِّمة

لا شَكَّ أنَّ الشُّبَّان والفتيات يميلون إلى التحدُّث عن المُواعدة والخِطبة والزَّواج أكثر مِن التحدّث عن العُزوبة. ورُبَّما السَّبب في ذلك هو أنَّ عدد الأشخاص الذين يتزوَّجون يفوق بكثير عدد الأشخاص الذين يبقون عازبين. كذلك، إنَّ أغلبيَّة الشُّبَّان والفتيات يرغبون في الزَّواج. ولكنَّ أشخاصًا كثيرين يجدون أنفسهم، للأسف، في مواقف لم يُفَكِّروا فيها مَلِيًّا، وفي مواقف لم يُحَذِّرهم أحدٌ منها.

ومع أنَّ هذا الفصل يَخُصُّ العازبين، فإنَّه لا يَقتصر عليهم. فالعازبون هُم أفرادٌ في عائلاتنا، وأعضاءٌ في كنائسنا، وجيرانٌ وأصدقاءٌ لنا. لذلك، يجب علينا جميعًا أن نَفهم التحدِّيات التي تواجههم، وأن نَعرف الانتصارات التي يُحَقِّقونها وذلك لعدّة أسباب. أوَّلاً، يجب أن يَجِد العُزَّاب مَن يفهمهم لأنَّ كُلَّ شخص في

عائلة الله ثمين. وإذا أردنا أن تكون علاقاتنا بالمؤمنين الآخرين سليمة، فإنَّنا في حاجة ماسَّة إلى أن نفهم بعضُنا بعضًا. ثانيًا، عندما نَتعلَّم عن العُزَّاب، سندرك في أحيان كثيرة أنَّ المشكلات التي تواجههم تتفاقم بسبب الأشخاص العديمي الاكتراث والاهتمام المحيطين بهم. ثالثًا، يجب علينا جميعًا أن نُفَكِّر مَليًّا في العُزوبة لأنَّ هناك مواهب وموارد كثيرة مدفونة أو غير مكتشفة لدى العُزَّاب يمكن استخدامها لأجل ملكوت الله.

لماذا أنا عازب؟

إنَّ الأسئلة التي تبدأ بالكلمة "لماذا؟" ليست مفيدة دائمًا - ولا سِيَّما عندما تُطرح بدافع الغضب أو الإحباط. ومع ذلك، يمكننا أن نطرح هذه الأسئلة بصراحة تامَّة. وكما هي الحال في أيِّ أمرٍ آخر، يمكننا -عادةً- أن نعمل على نحو أفضل عندما نَفهم أنفسنا. وهذا هو ما يدفعنا إلى البحث في هذا الموضوع هنا.

مِن الجَلِيِّ أنَّ فَهْم سبب قيام النَّاس بما يقومون به يتنوّع بقدر ما يتنوّع الناس. ولكنَّ مؤمنين كثيرين يُخطئون في تحديد السَّبب الحقيقيِّ وراء عُزوبة أشخاصٍ مُعَيَّنين بسبب كثرة الأسباب المتداخلة والخارجة عن إرادة الشخص في هذا الموضوع. صحيحٌ أنَّ بعض الأشخاص يختارون بأنفسهم حياة العزوبة لأنَّهم وجدوا الجواب للسُّؤال "لماذا؟". وفي الوقت نفسه، يعيش الكثيرون حياة العُزوبة لا لأنَّهم اختاروها، بل لأنَّ هذا هو الواقع الذي فُرِضَ عليهم. وهنا تقع الحَيْرة.

إنَّ الله -في نَظَر المؤمنين المسيحيِّين- هو الربُّ والسيِّد. لذلك، عندما يُبدون استعدادهم للزَّواج ثُمَّ يجدون أنفسهم عُزَّابًا، يطرحون سؤالاً مشروعًا وهو: "هل هذه هي مشيئة الله لحياتي؟" وقد تَخْطُر ببالهم أسئلة "منطقيّة" لاحقة لهذا السؤال مِثل: "لماذا" و"هل هناك خطبٌ فيَّ؟" و"هل أنا خارج

مشيئة الله؟" و"هل كلّ ما في الأمر هو أنّي لم أجد شريك الحياة المناسب؟" وعند هذه النُّقطة، مِن السَّهل على المرء أن يفقد نظرته الموضوعيَّة للأمور. فالمشاعر الشخصيَّة قد تَجعل الأمور ضَبابيَّة. وكما قالت "إيفيلين موماو" في كتابها "Woman Alone" ("المرأة العَزباء"): "إنَّ الأسباب الحقيقيَّة تَختلف في أغلب الأحيان عن الأسباب التي يَشعر المرء بأنّها حقيقيّة".[1]

وإذا حَلَّلنا الأسئلة المذكورة آنفًا، سنجد أنَّها تندرج تحت ثلاث فئات مِن أسباب العزوبة المحتملة، وهي: الصِّفات الشخصيَّة، ومشيئة الله، والظُّروف. والآن، سنُلقي نظرة فاحصة على كُلٍّ من هذه الفئات الثَّلاث.

الصِّفات الشخصيَّة

ترتبط الرِّفقةُ، في قلوبنا وأذهاننا، ارتباطًا وثيقًا بمحبَّة الآخرين وقبولهم لنا شخصيًّا. ولكن في الواقع، قد تُفضي الرِّفقةُ أيضًا إلى البُغض والرَّفض. ولأنَّنا نرغب -في أعماقنا- في أن نكون مقبولين، فإنَّنا نُقنع أنفسنا بأنَّ الأمر لا بدّ أن يتمّ في الحياة الزوجيَّة. وعندما نُدرك أنَّ قطار الزَّواج قد فاتَنا، مِن السَّهل أن نفترض أنَّنا لم نتزوَّج بسبب رفض الآخرين لنا.

وأقَلُّ ما يمكن أن يُقال بهذا الخصوص هو أنَّ مشاعر الرَّفض قد تترك تأثيرًا مُدَمِّرًا إذا لم تُعالَج. فبوسعها أن تُدَمِّرَ العلاقات، وتَستنزِف المرء روحيًّا، وتؤثِّر عميقًا في نفسيَّته فتتركه حُطامًا.

وقد يأخذ الشُّعور بالرَّفض أشكالاً عديدة عند الأشخاص العازبين. فقد ينشأ غضب مِن الجنس الآخر بشكلٍ عامّ. وقد ينعكس الغضب إلى الدَّاخل فيَشعُر المرء بسببه بأنَّه فاشل. وهذا بدوره قد يؤدِّي إلى الاكتئاب. مِن جهة أخرى، قد يَسعى المرء، دون أن يدري، إلى السَّيطرة على الآخرين. وقد يحاول تحديدًا

1 Evelyn Mumaw, *Woman Alone* (المرأة العزباء) (Scottdale, Pennsylvania: Herald Press, 1970), p. 12.

أن يَختبرَ محبَّتهم. فالشَّخص الذي يَشعر بالرَّفض يحاول أحيانًا أن يُبرهِن أنَّه مرفوض. كذلك، قد يؤدِّي الشُّعور بالرَّفض إلى دفع الشخص العازب إلى إثبات كفاءته. لذلك، قد يندفع العازب (أو العازبة)[٢] بكل جوارحه إلى الانغماس في عمله، أو في هوايته، أو في الدِّراسة، أو في وسائل التَّرفيه عن الذَّات، مُعلِنًا للجميع: "أنا قادرٌ على العيش بمفردي. شكرًا جزيلاً."

ومع أنَّ الشُّعور بالرَّفض قد يكون مُجَرَّد شعورٍ وليس حقيقة، فإنَّ ردود الفعل المُتَقَدِّم ذِكرُها هي عديمة النفع في كلتا الحالتين، بل إنَّها تؤدّي إلى انعزال الشَّخص حتَّى عن أصدقائه الحقيقيِّين.

وبعد أن ذَكَرنا أنَّ مشاعر الرَّفض، ولا سِيَّما تُجاه الجنس الآخر عامَّةً، ليست حقيقيَّة عادةً، لا بُدَّ مِن الإقرار بأنَّ الطِّباع والشخصيَّة يؤثّران -إلى حَدٍّ ما- في عُزوبة المرء أو زواجه. فهي عناصر مهمَّة في التَّعامُل مع شريك الحياة ومع النَّاس جميعًا. لذلك، **يجب** على المؤمنين (مِن الجنسَين) أن ينجذبوا إلى الشخصيَّة المُتَّزنة والنَّاضجة. وإذا كان المرء يَستخدم هذا المعيار للعثور على شريك حياةٍ ملائم، يجب عليه أن يَستخدم المعيار نفسه لتجنُّب شريك حياةٍ غير ملائم.

ومع ذلك، فإنَّ الشَّخص الوحيد القادر على فحص الإنسان والموافقة عليه هو الله وليس شريك الحياة المُرتقَب. لذلك، يجب على الأشخاص الذين يَشعرون بالرَّفض في فترة العُزوبة أن يتعلَّموا مُصارحة الله بمشاعرهم. وفي هذا السِّياق، يمكننا تطبيق الكلمات التي قالها بولُس لتلميذه تيموثاوس: "اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ للهِ مُزَكًى ..." (٢تيموثاوس ٢: ١٥). فينبغي لنا أن نُدرك أنَّ النَّاس ليسوا قادرين دائمًا على تقييم الآخرين تقييمًا سليمًا. فهناك أشخاص متوافقون تمامًا ويَصلحون كشركاء زواج، ولكنَّهم لا يتزوَّجون البَتَّة. وهناك أشخاص اتَّخذوا القرار

٢ إنَّ أغلبيَّة ما هو مذكور في هذا الفصل يَصِحُّ على الذُّكور والإناث على حَدٍّ سواء. ولكي نتجنَّب الاستمرار في استخدام الكلمة "أعزب" و "عزباء"، سنكتفي باستخدام الكلمة "أعزب". وإذا كان النَّصُّ لا ينطبق إلَّا على الرَّجُل الأعزب، أو على المرأة العزباء، فإنَّ السِّياق كَفيلٌ بتوضيح ذلك.

وتَزَوَّجوا، ولكن اتّضح أنّهم شركاء غير مناسبين للزواج. والمقصود هنا ببساطة، هو أنَّ حياة العُزوبة التي تحظى بقَبول الله تُرضي المرء أكثر مِن أيّة حياةٍ زوجيَّة لا تحظى بقَبوله.

في ضوء ما سَبَق، هل يمكن أن يكون فِيَّ "عَيْبٌ ما" إن لم أتزوَّج؟ ربَّما! ولكن يمكن أن يكون فيّ عيبٌ ما حتّى إذا تزوّجت. كما سنرى لاحقًا، هناك عناصر عديدة قد تجعلنا نُخطئ في **افتراض** أنَّ السَّبب الرَّئيسيَّ في العُزوبة يعود إلى عيوبٍ في شخصيَّاتنا أو شخصيَّات الآخرين.

مِن جانب آخر، ينبغي لنا أن نُقَيِّم أنفسنا بشكلٍ منتظم - لا مِن جهة أهليَّتنا للزَّواج، بل مِن جهة صِحَّتنا النفسيَّة والاجتماعيَّة والروحيَّة. لذلك، اسأل نفسك: هل أواظب على تطوير قدراتي الذهنيَّة ومهاراتي؟ هل تَتَّسِم علاقاتي مع الآخرين بالحُنُوِّ، والاهتمام، ومَدِّ يد العَون؟ هل تتعمّق علاقتي بالربِّ بشكلٍ متنام، وهل أزدادُ فهمًا لطُرُقه ومقاصده لحياتي؟ ووفقًا لقول السيِّدة "موماو" (Mumaw): "لاحِظ جوانب الضُّعف لديك، واعقد العَزم على معالجتها مُعالجة بَنَّاءة."[٣]

وهناك صِفَة يمكن أن تكون سببًا للعزوبة لدى أُناسٍ وهي شعور المرء بعدم الأمان على الصَّعيد الشخصيِّ؛ وهي صِفَة تَظهر في شكل تَرَدُّد وتوقُّعاتٍ تُخالف الواقع. والحقيقة هي أنَّ الأشخاص الذين يشعرون بعدم الأمان يبقون عُزَّابًا - لا لأنَّهم لا يرغبون في الزَّواج، ولا بسبب انعدام الفُرَص، بل لأنَّهم يخشون اتِّخاذ قرارٍ خاطئ. فيجدون أنَّ عدم اتِّخاذ قرارٍ هو الحَلُّ الأسهل. كذلك، إنَّ الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الفئة يَتوقَّعون -في أغلب الأحيان- مِن شريك الحياة المُرتقب أكثر ممَّا يتوقَّعونه مِن أنفسهم. لذلك، يجدون صعوبة في العثور على شخص تنطبق عليه معاييرهم. والحقيقة هي أنَّه ينبغي للأشخاص الذين يَبقون عُزَّابًا لأسبابٍ كهذه أن يُحَلِّلوا شخصيَّاتهم في ضوء حقيقة قبول المسيح

٣ "موماو"، ص ١٣.

لهم. فإذا أدركنا حقيقة قبول المسيح لنا على الرغم مِن ضعفاتنا، سنتمكَّن مِن قبول شريك الحياة غير الكامل.

مشيئة الله

إنَّ العامل الثَّاني الذي يُنْظَر إليه كسبب في العزوبة هو مشيئة الله. والحقيقة هي أنَّ دور الله في حياتنا هو موضوعٌ طويل وشائك تَصْعُب معالجته في هذا الكتاب. ومع ذلك، يجب علينا أن نتحدَّث عنه بإيجاز إن أردنا أن نَفهم الحياة فهمًا صحيحًا.

إنَّ الكتاب المقدَّس يُعلن الحَقَّ لنا، لكنَّه لا يُفَسِّر دائمًا هذا الحَقَّ المُعلَن. فعلى سبيل المثال، نحن نَعلم -من خلال الكتاب المقدَّس- أنَّ الله هو صاحب السِّيادة: "إِنَّ إِلهَنَا فِي السَّمَاءِ. كُلَّ مَا شَاءَ صَنَعَ" (المزمور ١١٥: ٣). كذلك، يُخبرُنا الكتاب المقدَّس أنَّ الخطيَّة موجودة في العالم، وأنَّ الأشياء ليست على الحال التي ينبغي أن تكون عليها. فهناك ألم، وصراع، وسوء فهم، وخيانة، وظُلم، وجُور، وتجربة، وشَرّ، وضيقات، ومرض، وموت. "اللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ على بَنِي البَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ الله؟ ... لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (المزمور ٥٣: ٢ و٣). "لأَنِّي غِرْتُ مِنَ المُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ" (المزمور ٧٣: ٣). "قَدْ رَأَيْتُ عَبِيدًا على الخَيْلِ، وَرُؤَسَاءَ مَاشِينَ على الأَرْضِ كَالعَبِيدِ. ... الوَقْتُ وَالعَرَضُ [أي: المفاجآتُ] يُلاَقِيَانِهِمْ كَافَّةً" (الجامعة ١٠: ٧؛ ٩: ١١). "فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (رومية ٨: ٢٢). "لأَنَّ كُلَّ مَا فِي العَالَمِ: شَهْوَةَ الجَسَدِ، وَشَهْوَةَ العُيُونِ، وَتَعَظُّمَ المَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ العَالَمِ" (١يوحنَّا ٢: ١٦). كذلك، يُعلن لنا الكتاب المقدَّس أنَّ الله أعطى الإنسان حُرِّيَّةَ الاختيار: "وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا" (رؤيا ٢٢: ١٧). "حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمْ. اخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. لِذلِكَ مَقَتُّ ذلِكَ الجِيلَ، وَقُلْتُ: إِنَّهُمْ دَائِمًا يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ ..." (عبرانيِّين ٣: ٩ و١٠).

ولكن كيف يمكن للمرء أن يُوَفِّق بين سيادة الله القدُّوس، والفساد المُتَفَشِّي في هذا العالم، وحُرِّيَّة الإنسان في الاختيار؟ فبما أنَّ مشيئة الله هي أن يَخلُص جميع النَّاس (١تيموثاوس ٢: ٤)، لماذا لا يَخلُص الجميع؟ ولماذا يَسمح الله بحدوث أمورٍ خاطئة في العالم؟ وهل يُدير الله عالمنا وحياتنا الفرديَّة؟ أم أنَّه يَسمح للأشياء بأن تأخذ مَجراها الطَّبيعيّ؟

لقد شُنَّت حروب لاهوتيَّة على هذه الأسئلة نفسها. ومع أنَّنا لن نحاول دحض جميع الآراء التي لا نَتَّفق معها، فإنَّنا نَوَدُّ أن نقول ببساطة، إنَّ سيادة الله، والأحداث التي تجري في حياة الإنسان، وإرادة الإنسان الحُرَّة، تشترك جميعها في تشكيل نظرة المرء السَّليمة إلى الحياة. فقد قام الله، بمُقتضى سيادته، لا بخلق العالم فحسب، بل أيضًا بالإشراف عليه وإحاطته بقدرته ومقاصده. وفي الوقت نفسه، يسمح الله للعالم بـ"المُضِيِّ قُدُمًا" وفق قوانين مُحَدَّدة ومبادئ مُعيَّنة وضعها هو. بعبارة أخرى، إنَّ الإنسان يستطيع أن يرى السَّبب والنَّتيجة في كلِّ شيء من حوله من دون أن يَرى يَدَ الله. وفي إطار هذه القوانين والقيود، أعطى اللهُ الإنسانَ حُرِّيَّةً. فالإنسان قادرٌ على الاختيار.

ولا شَكَّ أنَّ الإنسان عاجزٌ عن إدراك هذه السِّيادة الإلهيَّة المُطلقة وهذه الحكمة الإلهيَّة التي تَسمح بوجود الخطيَّة، وتُعطي الإنسان حُرِّيَّةَ الاختيار، وتَسمح للأحداث بأن تأخذ مجراها الطبيعيّ، وتَجعل -في الوقت نفسه- كُلَّ الأشياء تَعمل معًا للخير في حياة الأفراد (رومية ٨: ٢٨). يمكننا أن نَقبل هذا الحَقَّ بالإيمان، ويمكننا أن نختبره. لكنَّه يظلّ أعظم من قدرتنا على الاستيعاب.

والآن، كيف ترتبط جميع هذه الأمور بالعزوبة؟

أوَّلًا، إنَّ النَّظر إلى الأمر بهذه الطَّريقة يُتيح للمرء حُرِّيَّة تقييم الأحداث غير المُبْهِجَة في حياته والتي هي خارج نِطاق سيطرته، وقبولها كجزءٍ من مجرى التَّاريخ البشريِّ. فليست جميعُ الأشياء في حياته هي "مشيئة الله" بالمعنى المباشر. فقد تكون عُزوبته ناشئة عن خيانة، أو حادث، أو سوء فهم، أو أيٍّ

سبب آخر. مِن جهة أخرى، إنَّه يمتلك مُطلق الحُرِّيَّة في استخدام حِكمته لتقييم التَّغييرات التي قد تطرأ على حالته. بعبارة أخرى، إذا وجد المرء نفسه، بعد سنواتٍ مِن العزوبة، في وضع يَجعل الزَّواج مُحتملاً، لا ينبغي له -بالضَّرورة- أن يَنظر إلى الأمر كما لو كان "علامةً مِن السَّماء". ولكن يمكنه -بكُلِّ تأكيد- أن ينظر إليه كموقف يقتضي منه استخدام الحكمة نفسها التي استخدمها طَوال حياته. فليس بالضرورة أن يكون الله قد غيَّر رأيه، إنّما الظروف هي التي تغيّرت.

ثانيًا، تُعطينا هذه النَّظرة إلى الحياة الحُرِّيَّةَ لأن نَقبل كلمة الله -لا تفسيرنا للأحداث البشريَّة- بوصفها المصدر الرَّئيسيّ لمشيئة الله. وعندما نُدرك أنَّ مشيئة الله قد أُعلِنَت بوضوح مِن خلال المبادئ التي نقرأها في كلمته، يجب علينا أن نُدرك أيضًا مسؤوليَّتنا تجاه دراسة كلمة الله ومُمارسة الحكمة في خياراتنا. فهناك أشخاص كثيرون، ومنهم العُزَّاب، يُعانون تشويشًا بسبب محاولة تمييز مشيئة الله مِن خلال تحليل أحداث الحياة بصورة أساسيَّة. وهم لا ينجحون في اتِّخاذ قرارات حاسمة لأنَّ كُلَّ ظرفٍ جديد يُفسح لهم احتمالات أخرى. وقد يكون أيٌّ منها هو مشيئة الله. لذلك، إنَّ عمليَّة اتِّخاذ القرارات لديهم هي أشبه ما يكون باليانصيب. فعندما يَتَّخذون قرارًا، يأملون في أن يكونوا قد أصابوا "رقم الحَظِّ" الخاصّ بمشيئة الله. ولكن يا لها مِن راحةٍ أن يَخرجَ المرءُ مِن دائرة الشكِّ الدَّائم هذه، ويدخل إلى رِحاب كلمة الله الثَّابتة. "إلى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ. سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي" (المزمور ١١٩: ٨٩، ١٠٥).

ولا شَكَّ أنَّ الله يَفرُض أحيانًا مشيئته علينا في قرارات مُعَيَّنة. فعلى سبيل المثال، قاد فيلبُّس إلى الوزير الحبشيِّ. لكِنَّ الله يتوقَّع مِنَّا، في أغلب الأحيان، أن نَتَّخذ قراراتنا مِن خلال تطبيق الحكمة التي اكتسبناها مِن كلمته على المواقف الحياتيَّة.

أمَّا البَرَكة الثَّالثة التي نَحصل عليها عندما نُدرك أنَّ سيادة الله الواسعة النِّطاق تَسمح بتدفُّق التَّاريخ البشريِّ وبممارسة الإنسان حُرِّيَّة الاختيار، فهي

أنَّها تمنحنا الحُرِّيَّة التي نحتاج إليها لتسليم حياتنا لمشيئته الصَّالحة. فقدرة الله المُطلقة تجعله قادرًا على تحقيق مشيئته في حياة شعبه دون التَّلاعب بمجرى الأحداث الطبيعيِّ. لذلك، مع أنَّ بقاءنا دون زواج قد يكون نَصيبنا لأسباب "مُجْحِفَة"، فإنَّ الله قادر على استخدام كُلِّ ما يَحْدُث في حياتنا لتحقيق مقاصده فينا ومِن خلالنا. ولا شكَّ أنَّ الشَّخص الذي يستودع حياته بأسرِها بين يدي الله سيختبر آلاف الأشياء التي قد تبدو أسباب حدوثها -في الظَّاهر- خارج مشيئة الله؛ ولكنَّه سيجد أنَّ هذه الأشياء نفسها تجري على نحو رائع وبديع لا يمكن وصفه، لتحقيق قصد الله في حياته. "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ **كُلَّ الأَشْيَاءِ** تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨).

لذلك، هل هي مشيئة الله أن أكون عازبًا؟ ربَّما. ولكنَّ السُّؤال الأهمّ هو: "هل وَضَعْتُ عُزوبتي بين يَدَيِ اللهِ؟" و"هل أستخدم عزوبتي بما يَتَّفق مع كلمة الله؟" فإن كانت الإجابة عن هذين السُّؤالين هي: "نعم"، يمكن لأيِّ شخص أن يقول بملء الثِّقة: "أنا في صميم مشيئة الله". وإذا أتته ذاتَ يوم فرصةٌ للزَّواج، فإنَّه يمتلك كُلَّ المقوِّمات التي يحتاج إليها لاتِّخاذ القرار الحكيم والمناسب. فبما أنَّه قام بكُلِّ خطوة في مرحلة العُزوبة وفقًا للمبادئ التي تُعَلِّمها كلمة الله، مِن المؤكَّد أنَّه لن يسير خُطوة واحدة خارج العُزوبة إذا كانت هذه الخطوة تُخالف هذه المبادئ.

الظُّروف

إنَّ العامل الثَّالث الذي يُنظر إليه عادةً كسبب في العزوبة هو الظُّروف. وبقدر ما يرتبط هذا الأمر في أغلب الأحيان بمشيئة الله، فإنَّ النِّقاش السَّالف قد زَوَّدنا بمبادئ عديدة لفهم الأمر. ومع ذلك، ينبغي لنا أن نوضِّح بعض النقاط.

أوَّلًا، إذا كان المرء يَختبر نُموًّا مستمرًّا في علاقته بالله مِن خلال كلمته، فإنَّ الظُّروف ستكون براهين مُهِمَّة تؤكِّد مشيئة الله. فهناك أشخاصٌ كثيرون مُستعدُّون للشَّهادة عن بَرَكة الله، وإرشاده، وتوقيته من خلال ظروف حياتهم.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كانت "تينا" شابَّة عزباء تُعَلِّم في مدرسة مسيحيَّة. ولكن نظرًا إلى شخصيَّتها وقدراتها، كانت تَشعُر بأنَّها قد تَصلُح للعمل في مهنة التَّمريض أكثر مِن مهنة التَّعليم. صَلَّت تينا من أجل الموضوع واستفسرت عن تفاصيل برنامجٍ تدريبيٍّ محليٍّ لمهنة التَّمريض. ولأسبابٍ عديدة، كانت نفقات الدِّراسة تَفوق قدراتها الماليَّة. لذلك، قَبِلَت تينا الأمر ونَظَرت إليه بوصفه تأكيدًا مِن الله أنَّه ينبغي لها أن تُتابِع عملها كمُعَلِّمة وتنسى التَّمريض في الوقت الحاضر.

وبعد سنوات، كانت تينا تُعَلِّم في مدرسة أخرى حين عَلِمَت بوجود معهدٍ صغير للتَّدريب على التَّمريض أقرب إلى بيتها وأقلّ تكلفةً مِن المعهد السَّابق. كذلك، كانت لديها صديقة مؤمنة ترغب في دراسة التَّمريض أيضًا. وهكذا، التحقت تينا وصديقتها بالدِّراسة. وكان إيمانهما وصداقتهما عونًا رائعًا لكلتيهما - ولا سيَّما في فترة الدِّراسة الصَّعبة.

ولكن كما ذَكَرنا آنفًا، قد تكون الظُّروف مُربكة للمرء الذي يضع كُلَّ اتِّكاله عليها لمعرفة مشيئة الله. ومِن وجهة نظرنا، قد تبدو الظُّروف فوضويَّة أحيانا، بل وحتَّى مُناقضة لوعود الله. وهذا يُذَكِّرنا بأيُّوب. فما دامت الظُّروف المُتقلِّبة قد تَسَبَّبت في إرباك شخصٍ حكيم كأيُّوب، أليس مِن البديهيِّ أن تكون سببًا في إرباك أشخاصٍ عاديِّين؟ بلى! لذلك إنَّ أفضل نصيحة يمكن تقديمها لجميع

الأشخاص، عُزَّابًا كانوا أو متزوِّجين، في وسط الظُّروف المُتقلِّبة هي أن يَتبعوا شهادة أيُّوب نفسه الذي قال: "هُوَذَا يَقْتُلُنِي. لاَ أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أُزَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ" (أيُّوب ١٣: ١٥).

وبمعزل عن الظُّروف التي تُساعد النَّاس أو تُربكهم عند تفكيرهم في اختيار حياة العُزوبة، هناك ظروف أخرى خارجة عن إرادتهم تُرغمهم على عدم الزَّواج. وتَذكُر "إيفيلين موماو" ظُروفًا عديدةً قد تدفع المرء إلى العزوبة، وقد بقيت إيفيلين نفسها عزباء إلى ما بعد السِّنِّ "الطَّبيعيَّة" للزَّواج.[٤]

١. عدم التطابُق بين أعداد الذُّكور والإناث المؤهَّلين للزَّواج. في بعض الدُّول، نجد أنَّ عدد الإناث يَفوق عدد الذُّكور. وفي دول أخرى، قد نجد الأمر معكوسًا. وفي ضوء المعايير المسيحيَّة للزَّواج وغيرها من العوامل، قد يعاني أيُّ مجتمع محلِّيٍّ كَنَسيٍّ نقصًا في أعداد الأشخاص المؤهَّلين للزَّواج، سواء مِن الذُّكور أو الإناث.

٢. المسؤوليَّات المُلقاة على عاتق المرء قد لا تَسمح له بالزَّواج. فإذا كان أحدُهم يَعتني بشخص غير قادر على إعالة نفسه، أو بشخص مُعوَّق في العائلة، قد يقتضي الأمر منه أن يبقى دون زواج. وقد ينخرط أُناسٌ في خدمة مسيحيَّة تَحول دون زواجهم فيبقون عُزَّابًا. ويبدو أنَّ الرَّسول بولس كان ضمن الذين يَرَون أنَّ مسؤوليَّاتهم لا تَسمح لهم بالزَّواج.

٣. الشَّخص المُصاب بإعاقة ما قد يُلغي فكرة الزَّواج. ونقتبس هنا كلمات السيِّدة "موماو": "مِن المدهش حقًّا أنَّ أناسًا كثيرين مُصابين بالعمى أو الصَّمَم أو الشَّلل أو المرض قد تَزَوَّجوا. ومع ذلك فقد كانت هذه العوامل نفسها سببًا في تأجيل زواج كثيرين أو إلغائه."[٥]

---

٤ النِّقاط الثَّلاث الأولى في هذه اللَّائحة مُقتبسة بتصرُّف عن لائحة "إيفيلين موماو"، الصَّفحات ١٤ وما يليها.

٥ "موماو"، ص ١٧.

٤. إنَّ ضِيْق الزَّمان الحاضر جَعَل الزَّواج غير مُتاحٍ لبعض النَّاس. ويبدو أنَّ هذا هو السَّبب الكامن وراء النَّصيحة التي قَدَّمها الرَّسول بولس إلى كنيسة كورنثوس. فقد شَجَّعهم جميعًا قائلاً: "الدَّعْوَةُ الَّتِي دُعِيَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ فَلْيَلْبَثْ فِيهَا" (١كورنثوس ٧: ٢٠). ونلاحظ في الأصحاح نفسه أنَّ الرَّسول بولس يَميل إلى التَّشجيع على العزوبة في ضوء "الضِّيقِ الحَاضِرِ" (العدد ٢٦). وعبر القرون، وجد المؤمنون المسيحيُّون أنفسهم في مواقف تَحول دون زواجهم. فأحيانًا كان "الضِّيقُ" اضطهادًا، وأحيانًا فقرًا، وأحيانًا فقرًا ناشئًا عن الاضطهاد.

وكما لمّحنا آنفًا، إنَّ العوامل الخارجيَّة التي تُرغِم المرء على عدم الزَّواج قد تُفضي إلى شعورٍ بالاستياء. وسوف نتحدَّث في جزءٍ آخر من هذا الفصل عن بعض الأمور التي قد تساعد في تَجَنُّب هذه المشاعر السلبيَّة. أمَّا الآن، سنُرَكِّز حديثنا من جديد على فكرة أنَّ تسليم حياتنا لله هو أساس شعور الإنسان، الأعزب أو المتزوِّج، بالاكتفاء والأمان. لذلك إنَّ السَّبب الكامن وراء عزوبتنا ليس أكثر أهميَّة من سلامة علاقتنا وشركتنا بالله.

ما الأمور التي ينبغي تَوَقُّعها؟

إنَّ مواقف العائلات والمجتمعات قد تترك تأثيرًا هائلاً على العُزَّاب ولا سيَّما عندما يُفَكِّرون في احتماليَّة بقائهم دون زواج. فالنَّاس ينظرون عادةً إلى العُزوبة نظرةً دُونيَّة. وعندما يَدخل العازبون والعازبات سِنَّ الثَّلاثين أو الأربعين، فإنَّهم يتعرَّضون لضغوطٍ أكبر كي يتزوَّجوا. وغالبًا ما يُنظَر إلى العُزَّاب من النِّساء والرِّجال كما لو كانوا ناقصين لأنَّهم لم يتزوَّجوا!

ومع أنَّنا كُنَّا نَتمنَّى أن تبقى هذه العقليَّة خارج إطار الكنيسة، لكن في الواقع، إنَّ الضُّغوط نفسها تُمارَس على العُزَّاب في أوساط المؤمنين. كذلك، هناك ضغوطٌ أُخرى يمارسها المؤمنون على العُزَّاب دون أن يُدركوا ذلك. وعلاوة على هذه العوامل الخارجيَّة، هناك أيضًا مشاعر الأعزب المُختلطة التي يُساء فهمها

أحيانًا، وردود أفعاله، ورغباته. ولكن لا يَجْدُر بنا أن نَظُنَّ أنَّ جميع المشاعر الداخليَّة أو حتَّى الضُّغوط الخارجيَّة خاطئة. ومع أنَّ العُزَّاب يواجهون صراعاتٍ بسبب عزوبتهم، فإنَّهم يحصلون أيضًا على فُرَصٍ كثيرة نتيجة عزوبتهم.

لذلك، ما هي المشاعر المُرافقة للعُزوبة؟ وماذا يمكن للأعزب أن يتوقَّع؟ سوف نتطرَّق إلى الجوانب السلبيَّة والإيجابيَّة من هذه الأسئلة. وقد تَعَمَّدنا البدء بالجوانب السلبيَّة كي نُنهي حديثنا بإيجابيَّة ومعنويَّات عالية. وبعد أن ننتهي من وَصْف العُزوبة، سنذكر بعض الإرشادات التي قد تساعد في التَّأقلم مع العوامل السلبيَّة وفي الاستفادة من الفرص الإيجابيَّة.

العوامل السلبيَّة في حياة العُزوبة

١. من المُرَجَّح أنَّ الأعزب سيُصدَم بتوقُّعات الآخرين له بأن يتزوَّج. ولا شَكَّ أنَّ الضَّغط يكون شديدًا لدى العُزَّاب الأصغر سنًّا. ومع أنَّ هذا في حَدِّ ذاته قد لا يكون سلبيًّا، فإنَّه قد يصير سلبيًّا أحيانًا، أو قد يَنظُر إليه الشَّخصُ الأعزب على أنَّه سلبيّ. والحقيقة هي أنَّ الجانب السلبيَّ يزداد حِدَّةً كلّما ازدادت رغبة الأعزب في الزَّواج وكان غير قادر على ذلك. وإذا كان لدى الأعزب إخوة وأخوات أصغر سِنًّا قد تَزَوَّجوا، قد يَشعر الأعزب بمشاعر غير مُريحة بأنَّ الآخرين يتساءلون "ما المشكلة؟" وبطرح الأسئلة وإبداء الملاحظات، يزداد الضَّغط عليه فيقول: "**أنا غير قادر على تحقيق ما يتوقَّعه الآخرون مِنِّي!**"

٢. قد يَشعُر الأعزب أحيانًا بأنَّه متروك. وهذا ما اعترفَت به إحدى العازبات: "أنا لا أجد مكاني في وسط الشُّبَّان والفتيات، ولا في وسط المتزوِّجين. أنا حقًّا لا أدري إلى أين أنتمي!" وفي هذا الوقت الذي تتعرَّض فيه العائلات عامَّةً لهجمات شرسة، وتفوق فيه أعداد المتزوِّجين أعداد العُزَّاب، وفي الكنائس التي يهتمُّ فيها القادة بالعائلات، هناك الكثير من العظات والنَّدوات والكتب الموجَّهة إلى العائلة، لذلك لا يشعر العُزَّاب بأنَّهم مُهْمَلون فحسب، بل إنّهم حقًّا مُهمَلون.

٣. قد يشعر الأعزب أحيانًا بأنَّ لا أحد يَفهمه. يَتوق كلُّ إنسان إلى أن يكون معروفًا، ومفهومًا، ومقبولًا من الآخرين. ويُعَدُّ هذا واحدًا من أقوى الرَّوابط الزَّوجيَّة. والمؤسف هو أنَّ عُزَّابًا كثيرين لا يُدركون أنَّ هناك أزواجًا كثيرين يتوقون -بالقدر نفسه- إلى وجود شخص يفهمهم. وهُم يُعانون أكثر من العُزَّاب لأنّه يُفتَرض من شريك الحياة أن يَسدَّ هذه الحاجة لكنّهَ لا يفعل ذلك. وبالرَّغم من ذلك، يواجه العُزَّاب في أغلب الأوقات شعورًا بالإحباط بسبب رغبتهم في كشف مكنونات قلوبهم لشخصٍ آخر، في حين أنّهم غير قادرين على ذلك.

٤. قد يشعر الأعزب أحيانًا بأنَّه شخص عديم الفائدة. وهذا هو -في الواقع- الوجه الآخر لإحدى منافع العُزوبة - "الحُرِّيَّة". فلأنَّ العُزَّاب لا يُعيلون أحدًا عادةً، فإنَّهم يمتلكون -في أغلب الأحيان- حُرِّيَّةً أكبر من غيرهم للذَّهاب والمجيء كيفما يشاؤون. والمشكلة هي أنَّهم قد يُبالغون أحيانًا في هذه الحُرِّيَّة. فيبدو أنَّ لا أحد يتّكل عليهم في أيِّ شيء مفيد. وهناك مشكلة أخرى وثيقة الصِّلة قد تحدث في العائلات وهي أنَّ العُزَّاب يَشعُرون بأنَّ الآخرين يَستغلُّونهم. فلأنَّهم "أحرار"، قد يتوقَّع منهم إخوتهم المتزوِّجون وأخواتهم المتزوِّجات أن يقوموا بالأشياء التي لا يرغبون في القيام بها. فمِن وجهة نظر العُزَّاب، يرغب الآخرون في وجودهم، ولكن فقط للقيام بالمهام الصَّعبة أو غير المرغوب بها. ومع أنَّ الأمر قد يبدو كذلك، إلّا أنّه للأسف صحيحٌ أحيانًا.

٥. الأعزب مُعَرَّضٌ دائمًا للوقوع في تجارب النجاسة الأخلاقيّة. والحقيقة هي أنَّ جميع الأشخاص مُعَرَّضون لها. ولكن في هذا العصر الذي تكثر فيه التَّجارب، قد يشعر العُزَّاب أحيانًا بالثّقل. ولكنَّ المشكلات لا تأتي من الخارج فحسب. فالرَّغبات الجسديَّة على أهبة الاستعداد للتَّعاون مع التَّجارب الخارجيَّة. لذلك، قد يشعر الشَّخص أنّه بصراعٍ مع نفسه. وقد تتفاوت حِدَّة هذه المشكلة من يوم لآخر، ومن شخصٍ لآخر، ومن مرحلةٍ لأخرى من مراحل الحياة. ولكنَّ الشَّيء الأكيد هو أنَّ الجميع يواجه هذه المشكلة.

٦. لا بُدَّ للأعزب أن يخوضَ صراعات تَخُصُّ هُويَّته الشخصيّة. فنادرًا ما يحتفل النَّاس بعلامات التقدُّم في العُمر. ويحاول العُزَّاب بشكلٍ خاصّ، في أغلب الأحيان، إخفاء أعمارهم الحقيقيَّة والحفاظ على نضارتهم. وقد يعاني بعضهم صراعًا بسبب سعيهم لإثبات كفاءتهم. وقد يكون هذا الدَّافع قويًّا جدًّا عند الأعزب الذي اختبر فشلاً مؤلمًا في علاقة عاطفيَّة. والحقيقة هي أنَّ هذه الصِّراعات الخاصَّة بالهُويَّة تزداد حِدَّةً دائمًا إذا أصَرَّ العُزَّاب على رفض حياة العُزوبة، وتَخِفُّ إذا قبلوا حياة العُزوبة قبولاً حقيقيًّا.

سوف نُقَدِّم المزيد من الإرشادات للتعامل مع عوامل العزوبة السلبيَّة هذه بعد أن نتطرَّق إلى بعض العوامل الإيجابيَّة.

العوامل الإيجابيَّة في حياة العُزوبة

١. لقد سبق وذَكَرنا أنَّ الأعزب لا يتحمّل مسؤوليّة العائلة في الحالات العاديَّة. وهذا يجعله "حُرًّا"، أو كما قال بولس الرَّسول في ١كورنثوس ٧: ٣٢: "بِلا هَمٍّ".

٢. في ضوء تَحَرُّر الأعزب من المسؤوليَّات العائليَّة، يكون عادةً قادرًا على التنقُّل. فبإمكانه أن يُغَيِّر مكان سكنه أو عمله بسهولة. كذلك، مِن الأسهل على الأعزب أن يَتَكَيَّف مع الظُّروف الطَّارئة بأقل قدرٍ مِن الضَّغط. ومع ذلك، تتراجع هذه المرونة في أغلب الأحيان مع تقدُّم العُمر. وفي ما يَخُصُّ العازبات الأكبر سِنًّا، قد تُشكِّل التَّغييرات الكبيرة تهديدًا عليهنّ، وقد يكون التكيُّف معها صعبًا جِدًّا لديهنّ.

٣. إنَّ الأعزب قادرٌ في أغلب الأحيان على تركيز جهده على عمله. وكُنَّا قد نَصَحنا في الفصل الخاصِّ بالتَّعارُف بإبعاد الذِّهن عن الرَّغبات الجنسيَّة مِن خلال التَّركيز على أهدافٍ أخرى. ولا شَكَّ أنَّه بوسع المؤمن الأعزب المُلتزم أن يركّز طاقته على دعوة الله لحياته، أو عمله بدلاً من أن يركّزها على رغبته في الرفقة. فذات يوم، نَظَر يسوع إلى تلاميذه وقال: "هَا أُمِّي وَإِخْوَتِـــي. لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ

مَشِيئَةَ أَبِـي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِـي وَأُمِّي" (إنجيل مَتَّى ١٢: ٤٩ و٥٠). ولعلّ يسوع قصدَ شيئًا آخر هنا أيضًا، لكن يبدو أنَّه يقول إنَّه وَجَّه طاقته وأهدافه التي كان بمقدوره أن يستخدمها في وسط عائلته، نحو مأموريَّته على الأرض. وقد أمكنه القيام بذلك لأنَّه كان أعزبًا.

٤. يستطيع الأعزب في أغلب الأحيان مساعدة عائلته بطرائق يجدها الأشخاص المتزوّجون صعبة. فالأبوان المُسنَّان والإخوة المُعوّقون يحتاجون إلى رعاية يستطيع العُزَّاب تقديمها عادةً. وقد تكون هناك أحيانًا أوضاعٌ ماديَّة صعبة أو ظروفٌ معيّنة في العائلة تدفع المرء إلى اختيار حياة العُزوبة، بدلاً مِن الزَّواج، لِسَدِّها.

٥. بوسع الأعزب في أغلب الأحيان أن يَخدم الربَّ بطرق تستعصي على المتزوِّجين. لذلك، نجد في أغلبيَّة الخدمات الإرساليَّة، وكُلِّيَّات اللَّاهوت، ومراكز الرِّعاية المسيحيَّة وظائف شاغرة مناسبة للعُزَّاب فقط بسبب طبيعة المهامّ المطلوبة منهم.

٦. عمومًا، إنَّ احتياجات الشَّخص الأعزب المادِّيَّة هي أَقَلُّ بكثير مِن احتياجات العائلة. لذلك، يستطيع العُزَّاب أحيانًا تخصيص مزيدٍ من الوقت أو المال لعمل الربِّ. ولطالما تَرَك المؤمنون العُزَّاب وراءهم سِجِلاً حافلاً بالعطاء والتَّضحية. ولا شَكَّ أنَّ الرَّبَّ يسوع والرَّسول بولس هما مَثَلان واضحان على العُزَّاب الذين أسهمت احتياجاتهم المادِّيَّة البسيطة في امتداد ملكوت الله. لم يمتلك يسوع منزلاً (إنجيل لوقا ٩: ٥٨). كذلك، كان الرَّسول بولس يرفض أحيانًا أجْرًا مادِّيًّا مُقابل خدمته (١كورنثوس ٩).

٧. قد يَختبر العُزَّاب أحيانًا نعمة الله وأعماق الشَّركة معه على نحوٍ لا يُدركه المُتزوِّجون. فقد تصير احتياجاتنا النَّافذة التي نَرى من خلالها مجد الله بوضوح أكبر. فعلى سبيل المثال، أسيئت معاملة يوسُف ولا شكَّ أنّه كشابٍّ عازب شعر بالوحدة في أثناء وجوده في مصر. ومع ذلك، يقول الكتاب المقدَّس: "وَكَانَ الرَّبُّ

مَعَ يُوسُفَ" (تكوين ٣٩: ٢). ومِن خلال هذه العلاقة القويّة مع الربِّ، تَمَكَّن يوسُف مِن مقاومة إغواء زوجة فوطيفار وأظهر حكمةً عظيمة في حياة التَّقوى والطَّهارة. لذلك، سواء كُنَّا بحاجة إلى الحكمة، أو القوَّة، أو الرِّفقة، أو أيِّ شيءٍ آخر، يمكننا أن نَتَّكل على الربِّ. ومِن خلال اتِّكالنا عليه، سنفهم مشيئته بوضوحٍ أكبر، وسندخل إلى أعماقٍ جديدة في الشَّركة معه. وباستطاعة العُزَّاب أن يروا قدرة الله على سَدِّ احتياجهم إلى رفيق. وحينئذٍ، يمكنهم أن يقولوا بملء الفرح: "الربُّ رَاعِيَّ فَلا يُعْوِزُني شَيْء" (المزمور ٢٣: ١).

ما الأمور التي ينبغي تَجَنُّبها؟

بعد أن تطرَّقنا إلى بعض عوامل حياة العزوبة السلبيَّة والإيجابيَّة، سنذكر الآن بعض النقاط التي قد تُسهم في حَلِّ مشكلات العُزوبة والاستفادة مِن إيجابيَّاتها. ولا شَكَّ أنَّه لا يكفي أن نَعرف الأمور التي ينبغي تَجَنُّبها في حياة العُزوبة، بل علينا أن نَعرف أيضًا كيفيَّة تجنُّبها. لذلك، ستجد اقتراحات عمليَّة مع كُلِّ تحذير.

١. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا الوَحدة.** طبعًا ليس بمقدور العُزَّاب أن يكونوا دائمًا برفقة آخرين، ولكن من المهمِّ ألّا ينسحبوا مِن العلاقات الاجتماعيَّة والتفاعل مع الآخرين.

- احرص على بناء صداقات وثيقة مع أشخاصٍ مِن الجنس نفسه. لقد كان داود ويوناثان صديقَين مُقرّبَين. فإذا كنت تواجه مشكلة في تكوين الصَّداقات الحميمة، ادرس موضوع الصَّداقة. ويحتوي سِفْر الأمثال على مبادئ كثيرة قد تُساعدك في هذا الخصوص.
- اقبَل الدعوات للتعرُّف إلى العائلات. لا تَعتذر، ولا تَشعر بأنَّك تَتَطَفَّل عليهم. فأنت بحاجةٍ إليهم، وهُم بحاجةٍ إليك.

- استمتع برفقة أصدقائك بين الحين والآخر بما في ذلك العائلات. يمكنك أن تدعوهم للخروج معك لتناول القهوة أو الحلويات. ويمكنكم أيضًا القيام بنُزهة معًا إلى أحد المنتزهات. أو يمكنك دعوتهم لحضور حفلٍ أو نشاطٍ خاصّ بالكنيسة.
- اخْتَر أشخاصًا يمكنك اللُّجوء إليهم طلبًا للمشورة عندما يتعيَّن عليك اتِّخاذ قرارات مهمَّة. فالانفراد في اتِّخاذ القرارات المهمَّة هو أحد الشراك التي يقع فيها العُزَّاب. فإذا كنت عضوًا في كنيسة جيِّدة، تَذَكَّر أنَّك لست مُضطرًّا لاتِّخاذ قراراتك المهمَّة بمفردك.
- حافظ على علاقتك بأفراد عائلتك قدر الإمكان. ادْعُ أبناء أخيك أو أختك لزيارتك أو للخروج في نُزهة معًا. وفي حال عدم وجود أقارب، يمكنك القيام بالأمر نفسه مع أشخاصٍ مِن الكنيسة. كذلك، يمكنك مساعدة الأقارب مِن خلال مُجالسة أطفالهم في أثناء غيابهم، أو الاهتمام بحديقتهم المنزليَّة، أو المساعدة في تنظيف المنزل، وإلخ.

٢. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا الانغماس في أنفسهم وشؤونهم.** العُزَّاب معرَّضون للوقوع في مشكلة "التَّمركز حول الذَّات". وهذا لا يعني أنَّهم أكثر أنانيَّة بطبيعتهم مِن الآخرين، بل إنَّ حياة العزوبة قد تجتذبهم بسهولة إلى التَّمركز حول أنفسهم. وإلى جانب مخاطر العُزلة الاجتماعيَّة التي تَطَرَّقنا إليها سابقًا، هناك مخاطر أخرى مثل وضع أهداف أنانيَّة في العمل، والاهتمام بالمصلحة الشخصيَّة في العلاقات، والانغماس في المُتَع والملذَّات. لذا تجدر الإشارة مَرَّة أخرى، إلى أنَّ جميع الأشخاص معرّضون لهذه المخاطر. لكنَّ المقصود هنا هو أنَّ الأعزب المتحرّر مِن المسؤوليَّات العائليَّة قد ينهمك في نفسه وفي شؤونه إذ إنَّ نشاطات مثل الشراء واتّخاذ القرارات والذهاب والقيام بأمورٍ معيّنة، لا تتعلّق باحتياجات أشخاصٍ آخرين.

- مارِس العطاء. فالعطاء يتطلَّب حِسًّا مُرهَفًا وإدراكًا لحاجات الآخرين. ويتطلّب إدراكُ حاجات الآخرين التَّفكيرَ فيهم. كما أنَّ العطاء لا يقتصر على الأمور الماليَّة فحسب. فيمكن للأعزب أن يُعطي مِن خلال توفير وسيلة نقل للآخرين، أو زيارة المرضى أو الأشخاص الوحيدين، أو مِن خلال مشاركة الطَّعام مع المحتاجين، أو مساعدة الآخرين في القيام بعملٍ شاقّ.
- تَعَهَّد بالاهتمام بمجموعة مِن الأطفال أو الأشخاص المُسِنِّين وعاملهم كما تُعامل أفراد عائلتك. وهذه نُقطة مهمَّة في حياة الأعزب الذي ليست لديه عائلة قريبة من مكان إقامته. لكن لا تُبالغ في تدليلهم، بل ابحث عن فرص لمساعدتهم بطرائق نافعة ودائمة. فعلى سبيل المثال، إذا كنت تَهتمُّ بمجموعة مِن الأطفال، قَدِّم لهم الكُتُب، فهي استثمارٌ أفضل مِن الحلوى. وتقتضي الحكمةُ البحثَ لا عن الأطفال الذين يوجد مَن يعتني بهم جيِّدًا، بل عن الأطفال المُهمَلين.
- اطلب مِن الربِّ أن يَكشف لك بعض الطَّرائق التي يمكنك مِن خلالها خدمة الآخرين في عملك. واكتب لائحة بالأشياء التي يمكنك القيام بها، وضَعْ خُطَّة للقيام بتلك التي تبدو عمليَّة.

٣. يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا الوقوع في فَخِّ الكآبة كَرَدِّ فعلٍ سلبيٍّ على حياة العُزوبة. هناك أشخاصٌ يختارون حياة العُزوبة. ولا شَكَّ أنَّ هؤلاء لا يشعرون بهذه المشاعر السلبيَّة بالقدر الذي يختبره الأشخاص الذين يفضّلون الزواج. والحقيقة هي أنَّ هناك شِراكًا كثيرة يمكن أن يَقَع فيها العُزَّاب. سنتكلّم عن أربعة منها.

أ. **الاستياء.** يَشعر العُزَّاب بالغضب أحيانًا بسبب "نصيبهم" في الحياة. ومع أنَّهم قد لا يُصارحون الآخرين بذلك، فإنَّ كثيرين منهم يُحَمِّلون الآخرين، وأنفسهم، والحياة، بل وحتَّى الله، مسؤوليَّة إحباطهم وحزنهم كعُزَّاب. ويَنظرون إلى أنفسهم كضحايا. وقد لا يُدرك العُزَّاب وجود مشاعر الغضب هذه. فقد تكون

هذه المشاعر مكبوتة، أو منكورة. وقد لا يبدو ذلك غضبًا، أو قد لا يبدو غضبًا مِن حياة العُزوبة. فقد يَطفو على السَّطح في شكل رثاءٍ للذات، أو في شكل حِدَّة مِزاجٍ عامَّة، أو عدم مُبالاة. وقد يَظهَر أيضًا في شكل ازدراءٍ بالمجتمع واستهتارٍ بتوقُّعات النَّاس للعُزَّاب.

وهذا لا يعني البَتَّة أنَّ جميع العُزَّاب غاضبون. إنّما يعني ببساطة أنَّ الاستياء هو رَدُّ فعلٍ شائع عند البشر عندما لا يحصلون على ما يريدون. والاستياء الذي يبقى دون علاج يؤثِّر سلبيًّا في حياتنا، دائمًا.

ويقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ مُلاحظات النَّاس غير اللَّائقة قد تُوَلِّد استياءً. فقد يقول أحدهم: "أَلَمْ تواعد أحدًا قطّ؟" أو "كيف يُعقل أنَّ شخصًا لطيفًا مثلك لم يتزوَّج حتَّى الآن؟" لا بأس بأسئلةٍ مثل هذه إذا طرحها صديقٌ مقرّبٌ بمعزل عن الآخرين. لكن إذا تَمَّ توجيهها بحضور آخرين، قد تُشكّل إحراجًا وتُسَبِّب استياءً.

إنَّ الأعزب الذي يَسمح للاستياء بالتَّرعرع في أعماقه يخسر تدريجيًّا فُرصته في زواجٍ سعيد. والسَّبب في ذلك هو ببساطة أنَّ الاستياء يَجعل الشَّخص يُركِّز على نفسه. والأشخاص المُنهمكون في التَّفكير في أنفسهم لا يجذبون الآخرين للزَّواج بهم.

- اِقبَل حقيقة وضعك العائلي. وهذا لا يعني بالضَّرورة أن تقول: "سوف أقبل حقيقة أنِّي لن أتزوَّج أبدًا"، بل يعني أن تقول: "سوف أقبل حقيقة أنِّي لم أتزوَّج بعد".
- اكتب لائحة بالأمور الإيجابيَّة في حياتك. ما هي الأشياء التي تريد أن تشكر الله عليها؟ ومَن هم الأشخاص الذين أثَّروا إيجابيًّا في حياتك؟ وما الأشياء التي تستمتع بها والتي لا يمكن لآخرين في عالمنا أن يستمتعوا بها؟

- اكتب لائحة بالأمور الإيجابيَّة المتعلّقة بعزوبتك. ما هي الأمور التي أتاحت لكَ حياةُ العُزوبة القيام بها؟ وما هي الأماكن التي تَمَكَّنت من زيارتها بفضل عزوبتك؟ وما هي الأمور التي علَّمَك إيَّاها الله كونك شخصًا أعزبًا والتي لم تَكُن لتتعلَّمها إذا كنتَ شخصًا متزوّجًا؟

- راقب أنماط تفكيرك بأمانة. هل تشعر بالاستياء في أعماقك؟ هل تصرف الوقت في التَّفكير في: "ماذا لو...؟" هل ترى نفسك ضَحِيَّة؟ تَحَدَّث بصدقٍ إلى الرَّبِّ في هذا الخصوص (يمكنك أن تُصارحه تمامًا). ابحث عن شخصيَّات في الكتاب المقدَّس يمكنك التمثُّل بها. وادرس حياتهم. واكتب الآيات التي تعكس أنماط التَّفكير في الحياة الإيجابيَّة. واقرأها، واحفظها، وأعد صياغتها بكلماتك الخاصّة. ثُمَّ اشكر الله على التَّغييرات التي يمكن أن تُحْدِثَها هذه الأمور في منظورك.

ب. **انعدام الهدف**. هناك فَخٌّ آخر قد يَقتنص العُزَّاب وهو غياب القصد أو الهدف في حياتهم. وهذا يَعكس نمطًا سلبيًّا آخر في التَّفكير، لأنه يَحصر العُزَّاب في إطارٍ فكريٍّ يُفضي إلى الشُّعور بالفراغ، وعدم الرِّضا، والإحباط.

وقد يأخذ انعدام الهدف أشكالاً عديدة. ففي المرحلة المُبَكِّرة من العُزوبة، قد يعيش أحيانًا الأعزب الذي يرغب بالزواج بعقليَّة "الانتظار". لذلك، فهو لا شعوريًّا يعمل، ويعيش، ويبني علاقاته كما لو كان كُلُّ شيء مؤقَّتًا. وبسبب هذه العقليَّة قد يُضَيِّع العُزَّاب فُرَصًا ثمينة للتَّدريب، أو الخدمة، أو التعلُّم، وذلك لأنَّهم ينتظرون أن تتغيّر حالتهم قبل أن يضعوا خططًا جِديّة لحياتهم.

ومن دواعي الأسف أنَّ الأعزب قد يُضَيِّع سنوات عديدة من حياته في رَتابَة مُضْجِرَة. فالانتظار الطَّويل يصير جدولاً ثابتًا وروتينًا لا مَعنى له. وحينئذ، لا يعود الأعزب قادرًا على النُّهوض في الصَّباح، ويَشعُر بالضَّجر من عمله، ويَنظر إلى الحياة بمُجملها على أنَّها مُضْجِرَة وغير مُشبِعَة لقلبه. وكُلَّما تَقَدَّم في السِّنِّ، تفاقم شعوره بانعدام الهدف في الحياة.

- لا تتوقَّف عن التعلُّم. فالحياة تقدّم منهاجًا كاملاً في الوعي والتعلُّم. كذلك توفّر لنا الطَّبيعة، والنَّاس، والعلاقات، والعمل، وأوقات المرح فرصًا مستمرَّة لزيادة فهمنا، واختبار معتقداتنا وتعزيزها، وتوسيع مداركنا، وتطوير مهاراتنا. وبالنِّسبة إلى المؤمن الذي يستمرُّ ذهنه في التشكُّل وفقًا لكلمة الله، لا يُعَدُّ هذا تمرينًا ذهنيًّا فقط، بل نُمُوًّا في الحكمة.
- لا تَغفل عن أيِّ فُرَص لزيادة كفاءتك. وترتبط هذه الفكرة ارتباطًا وثيقًا بالنُّقطة السَّابقة. ولكن في حين أنَّ التعلُّم يمكن أن يُمارَس في الحياة بأسرها، فهناك فرصٌ تعليميَّة أو تدريبيَّة مُحَدَّدة. ولست مُضطرًّا لقبول كُلِّ فُرصة تُتاح لك. لكن يجب عليك أن تُقَيِّم الفرص المُتاحة - ولا سِيَّما تلك التي تتوافق مع اهتماماتك وتزيد مِن فاعليَّتك في ملكوت الله.
- ضَع أهدافًا. قد تتضمَّن الأهداف القصيرة الأجل قراءة كُتُب مُعَيَّنة، أو متابعة دراسات أو مشاريع مُحَدَّدة. أمَّا المشاريع الطويلة الأجل فتخُصُّ أشياءً كالخدمة أو المهنة. ويجب أن تكون أهدافك واضحة بالقدر الذي يَحميك مِن التخبُّط، وأن تكون في الوقت نفسه مَرِنَة بالقدر الذي يَسمح لك بإجراء التَّغييرات التي تقتضيها الحكمة. فمعرفة وُجهتك وما تقوم به هو جزء مُهِمٌّ مِن تَجَنُّب انعدام الهدف.

ج. **التخيُّل**. إنَّ شكل التَّفكير السلبيِّ الثَّالث هو عالم الخيالات أو الأفكار التي لا وجود لها. إنَّ مُعظم النَّاس لديهم أحلام يَقَظة. ولكن هناك أشخاص يستغرقون في أحلام اليقظة كوسيلة للهروب مِن الواقع. وقد يسقط العُزَّاب في هذا الفَخِّ نتيجة عدم قبولهم أنفسهم أو وضعهم أو حياتهم عامَّةً. وقد تكون أحلام اليقظة أحيانًا شكلاً مِن أشكال التَّعويض. فإذا شَعَر الأعزب بأنَّه مرفوض في العالم الحقيقيِّ، قد يصنع عالمًا وهميًّا يَشعُر فيه بأنَّه قويٌّ، وذكيٌّ، وبَطَلٌ، ومتزوِّجٌ، ومحبوبٌ. وقد تكون التخيُّلات الجنسيَّة أيضًا شكلاً مِن أشكال التَّعويض إذ إنَّها تُعَوِّض المرء عَمَّا يبدو أنّه مفقودٌ في حياته الحقيقيَّة.

لكنَّ التخيُّل لا يملأ الخواء النَّاجم عن الشُّعور بانعدام الهدف في الحياة. فعندما يُستخدم للهروب مِن الواقع، فإنَّه يملأ الذِّهن بالفراغ ويجعله أكثر كسلًا. وحينئذٍ تتّسع الهُوَّة بين العالم الحقيقيِّ والعالم الوهميِّ أكثر فأكثر.

وحيث إنَّ الاقتراحات الإيجابيَّة التي قَدَّمناها للتغلُّب على الاستياء والشُّعور بانعدام الهدف يمكن أن تُساعد في هذا المجال أيضًا. فإنَّك تفعل حسنًا إذا راجعتها.

- احفظ الآية ٨ في فيلبِّي ٤. اعترف بلسانك أنَّك تُخْضِع ذهنك لسُلطان الرُّوح القُدس. وحَدِّد كُلَّ يوم المواضيع التي تريد أن ينشغل ذهنك بها في أوقات الفراغ. يتطلَّب هذا تدريبًا، ولكنَّك ستجدهُ مُجديًا إذ ستتعلّم كيف تتجنّب الانغماس في عالم الأوهام.
- حَدِّد الأفكار المعوجّة. فالتخيُّلات الخاطئة -ولا سِيَّما تلك التي تُشبع الذَّات- تُبنى على مفاهيم مغلوطة مُعَيَّنة. ويمكنك معرفة هذه المفاهيم المغلوطة عادةً مِن خلال التأمُّل في الآيات الكتابيَّة التي تتناول هذه المشكلة.
- عَمِّق علاقتك بالله. فوراء تلك العبوديَّة لعالم الأوهام شخصٌ لم يَجِد بعد الشّبع الذي يريده الله أن يتمتَّع به. فالله هو مصدر كُلِّ هدف ومعنى وشبع في الحياة.

د. **الإنكار.** إنَّ شكل التَّفكير السلبيِّ الرَّابع الذي يَقَع فيه العُزَّاب عادةً هو إنكار الواقع. فقد يُنكر الأعزبُ أحيانًا حاجته المُلِحَّة إلى رفيق. وقد يَظُنُّ الأعزب -في عقله الباطن- أنَّ هذه هي الطَّريقة الوحيدة للتكيُّف مع هذا الواقع. وقد يزيد مَيْلُ الأعزب لإنكار مشاعره الحقيقيَّة عندما تفشل علاقاته العاطفيَّة ويخون أحدهم ثقته. وقد يُحاول التظاهر بأنَّ الأمر لا يؤلمه. وقد تحاول الفتيات العازبات "إلغاء تجاوبهنّ الأنثويَّ مع الرِّجال، والتَّظاهر بالقسوة أو تحجُّر المشاعر لكي

يَحمين أنفسهنَّ من أيّة علاقة عاطفيَّة جديدة قد تُسَبِّب لهُنَّ الألم".[٦] وقد يحاول الشباب العُزَّاب أيضًا كَبْحَ مشاعرهم الحقيقيَّة تجاه النِّساء وإقناع أنفسهم بأنَّ هذه المشاعر لا وجود لها في حياتهم.

ولكنَّ هذه المشاعر موجودة. والحقيقة هي أنَّ الإنكار لا يُسهم إلَّا في جعل علاقاتنا باردة. وعندما نحاول حماية أنفسنا مِن الألم، فإنَّنا نَحرم أنفسنا مِن أفراحٍ كثيرة.

- كُنْ صادقًا مع نفسك ومع الله في ما يَخُصُّ مشاعرك الداخليَّة. واطلُب من الله أن يُرشدك إلى التَّجاوب السَّليم مع رغباتك وأشواقك الداخليَّة.
- اتَّخِذ عملك، ودعوتك، وخدمتك في ملكوت الله "رفيقًا" لك. وَظِّف طاقاتك وقدراتك وتكريسك في خدمة الله. وهذا هو ما قاله الرَّسول بولس في ما يبدو أنَّه وَصْفٌ لخبرته الشخصيَّة: "غَيْرُ المُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ" (١كورنثوس ٧: ٣٢).
- لا تسمح لآلام الماضي أن تمنعك مِن التمتُّع بأفراح الحاضر. فالتَّعامُل مع الآخرين يَنطوي دائمًا على مُخاطرة. ولكن إذا رَكَّزنا على هدفَي الصداقة الرَّئيسَيْن، أي العطاء والاهتمام، فسنُسهم في التَّخفيف مِن المخاطر.

٤. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا مُلاحقة شريك حياة مُحتمَل.** فمع أنَّ الرَّجُل قد يرغب في التقرُّب من إحدى النِّساء، إلّا أنّه يميل إلى الابتعاد عن المرأة التي تندفع إليه وتُفضي بمكنونات قلبها له. والعكس صحيح أيضًا. الحُبُّ ليس سَعيًا دؤوبًا من أجل "الفوز" بأحد القلوب. فالحبّ المُلِحّ يَخفي وراءه أنانيَّة. وفي أغلب الأحيان يُدرك الشَّخص المُلاحَق ذلك ويخشى مُتطلَّبات الشَّخص الذي يُلاحقه.

---

٦ "موماو"، ص ٤٥.

- رَكِّز على الصِّدق في علاقاتك. تَكَلَّم، واضحك، وتفاعل مع الآخرين بصدقٍ واهتمامٍ حقيقيّ.
- اقبَل المعاملة اللَّطيفة التي يُبديها الجنس الآخر واشكرهم عليها بصدق. لا تُبالغ في تقديم الشُّكر، ولا تُجامل. وأفضل طريقة لاختبار صدق امتنانك هو أن تسأل نفسك: "كيف سيكون رَدُّ فعلي لو صَدَر هذا السُّلوك عن شخصٍ من الجنس نفسه؟"
- تَذَكَّر دائمًا أنَّ الشُّعور الحقيقيَّ بالرِّضا والسَّعادة في الحياة لا يعتمد على وضع المرء العائلي. لذلك، يمكننا إعادة صياغة أمثال ٢١: ٩ على النَّحو التَّالي: "العيشُ وحيدًا في شقّةٍ صيغرة خيرٌ من العيش في قصرٍ مع شخصٍ لا أنسجم معه."
- احترم شخصيَّة الآخرين. فإنَّ محاولة السَّيطرة على الآخرين تُعَدُّ انتهاكًا لخُصوصيَّاتهم. لذلك، إذا شعرت بأنَّك مُهتمٌّ بشخصٍ من الجنس الآخر، اسأل نفسك بأمانة عن الأمور التي تجتذبك إليه. حاول أن تَصِف ذلك الشَّخص وصفًا موضوعيًّا آخذًا بعين الاعتبار جوانب القوَّة وجوانب الضَّعف لديه. كُن مُرَهَف الحسِّ لا من جهة مشاعرك تجاه الآخرين فحسب، بل من جهة مشاعرهم هُم أيضًا تجاهك.

٥. **يجب على العُزَّاب أن يتجنَّبوا استخدام أصدقائهم لِسَدِّ احتياجاتهم المتعلّقة بالرُّفقة بطرائق تنتهك مبادئ الصَّداقة السَّليمة.** الحقيقة هي أنَّ العُزَّاب الذين يُبغضون عُزوبتهم مُعَرَّضون للوقوع في هذا الفَخِّ. فعلى سبيل المثال، قد تسعى المرأة العزباء، عن وعي أو دون وعي، إلى سَدِّ الاحتياجات المتعلّقة بالرفقة من خلال طلب مشورة الرِّجال، ونحن نتحدَّث هنا عن حاجتها للشُّعور بالأمان، وحاجتها إلى مَن يفهمها، وحاجتها إلى وجود شخصٍ قريبٍ منها. وقد تَشعر، من دون أن تدري السبب، بأنَّ لديها مشكلات دائمة تحتاج إلى مناقشتها مع ذلك الشَّخص. كذلك، قد يَسعى الرَّجُل الأعزب إلى سَدِّ بعض الاحتياجات الخاصّة

بالرُّفقة، مِثل حاجته إلى الشُّعور بأنَّه مقبول، وبأنَّ هناك مَن يَعتمد عليه، وذلك مِن خلال مساعدة النِّساء والدِّفاع عن حقوقهنَّ. وقد يجد الرَّجل نفسه يُساعد النِّساء على التغلُّب على مشكلاتهنَّ باستمرار من دون أن يفهمَ دوافعَه.

وقد يَلجأ العُزَّاب إلى اختيار رفْقة بديلة مِن الجنس نفسه. فقد تَنشأ صداقة بين سيِّدتين غير متزوِّجتين أو رَجُلين غير متزوِّجين، ثُمَّ يتولّد شعورٌ بالتملُّك يُقَيِّد حُرِّيَّتهما مع الآخرين. ويَنظر بعض العزّاب إلى زواج أحد الأصدقاء، على أنَّه خيانة. وهذا دليلٌ على أنَّ الصَّداقة التي كانت تَجمع بينهما هي بديلٌ للتَّعويض عن الرفقة.

ويَقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ هذه العلاقات قد تكون غير سليمة دون الحاجة لوجود عُنصر غير أخلاقيٍّ فيها. فقد تَجِد المرأة رَجُلاً رفيقًا لها، وقد يجد الرَّجُل فيها رفيقةً له أيضًا، دون إدراك الارتباط العاطفيِّ الحاصل بينهما. وقد ينزعج أيٌّ منهما في حال كانت هناك تلميحات إلى كون العلاقة غير لائقة. وقد ينطبق الأمر نفسه على علاقات الأصدقاء مِن الجنس نفسه.

ولكن عندما يكون الدَّافع مِن وراء العلاقة هو البحث عن رفقة، وليس عن صداقة سليمة، قد ينتقل التعلُّق غير اللَّائق مِن اللاوعي إلى الوعي دون أن يدرك الشَّخصان ذلك. بل إنَّهما قد ينجرفان إلى خطيَّةٍ لم يَقْصِدها أيٌّ منهما. والحقيقة هي أنَّ الصَّداقات التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى بين الجنسين تَشهد عن وجود هذا الخطر. وهو خَطَرٌ قائمٌ أيضًا في الصَّداقات بين الأشخاص مِن الجنس نفسه.

- عند وجود مشكلة شخصيَّة لديك تتطلَّب مشورة مُتكرِّرة، اطلب المساعدة مِن شخصٍ ناضجٍ روحيًّا مِن الجنس نفسه. ويُفَضَّل أن يكون هذا الشَّخص أكبر مِنك سِنًّا.
- قَيِّم صداقاتك تقييمًا نزيهًا. هل اكتشفتَ أنَّك تَتَّكِل على أحد الأشخاص بطرقٍ تجعله مُقيَّدًا في هذه الصداقة؟ فمع أنَّه سليمٌ أن يكون لدينا أصدقاء

مُقَرَّبون يمكننا أن نأتمنهم على أسرارنا، إلّا أنَّ حُبَّ السَّيطرة والتملُّك ليس سُلوكًا سليمًا. ومن الأفضل أن يكون لديك العديد مِن الأصدقاء المُقَرَّبين على أن يكون لديك صديقٌ مُقَرَّبٌ واحد.

- احرص على بناء صداقاتك والمحافظة عليها مِن خلال التَّفاعل المتفائل والإيجابيِّ. وقد ترغب في تقييم الموضوعات التي تناقشونها عادةً - هل تُشجِّع وتُغني، أَم أنَّها تُرَكِّز على المشكلات وتأخذ طابع التذمُّر؟ يبيّن لنا أمثال ١٧: ٢٢ تأثير الجوانب التي نُرَكِّز عليها في صداقاتنا: "القَلْبُ الفَرْحَانُ يُطَيِّبُ الجِسْمَ، وَالرُّوحُ المُنْسَحِقَةُ تُجَفِّفُ العَظْمَ."
- اطلُب غنى الله الذي يسدّ كُلَّ احتياجاتك غير المُشبَعة. "وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢كورنثوس ٩: ٨). وهذا يَسري على العُزَّاب، والأرامل، واليتامى، والمتزوِّجين أيضًا. وفي ما يَخُصُّ العُزَّاب المؤمنين، يمكن أن تكون الشَّركة مع الله غَنِيَّة جدًّا وأكثر مِن مُشبِعَة لحاجة المرء إلى الرِّفقة. وما أكثر العُزَّاب الذين شَهِدوا أنَّهم وجدوا هذا الشِّبع في علاقتهم بالله حتَّى إنَّه ليس لديهم رغبة في الزَّواج، ولم يتذمَّروا مِن عُزوبتهم. والحياة في نظرهم مُشْبِعَة وغنيَّة ولا يشعرون بأيِّ نقصٍ لكونهم غير متزوِّجين.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كانت "ماري" أرملةً ولديها أربعة أولاد. وبعد أن عاشت بضع سنواتٍ كأرملة، لاحت في الأُفُق فرصةُ وجود رفيق مُناسب لها. ولكنَّ نظرتها إلى الأمر كانت جديرة بالملاحظة. فقد كانت تخوض صِراعًا داخليًّا في ما يَخُصُّ الزَّواج ثانيةً إذ كانت تقول في نفسها: "لقد صارت شركتي المُشْبِعَة مع الله غاليةً جدًّا على قلبي حتّى إنِّي أخشى فقدان هذا الجزء مِن علاقتي به في حال تزوّجتُ ثانيةً."

ومع أنَّ ماري تَزَوَّجت ثانيةً، إلّا أنَّ كلماتها تبقى شاهدةً على مبدأ كفاية الله. "أَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيه" (كولوسي ٢: ١٠).

كيف يمكنني أن أخدِم؟

إنَّ الكثير من الاقتراحات الإيجابيَّة في الجزء السَّابق تعكس الإمكانات المُتاحة للعُزَّاب. وقد ذَكَرنا أيضًا أنَّ الرَّسول بولس كَتَب في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس أنَّ العُزَّاب يمكن أن يكونوا نافعين جِدًّا في الكنيسة. أمّا الآن، فنَوَدُّ أن نُرَكِّز تركيزًا خاصًّا على بعض الاقتراحات الخاصَّة باستثمار الفُرَص المُتاحة في فترة العُزوبة.

دعونا نبدأ بوضع مفهوم الخدمة بأسره في إطاره الكِتابيِّ. فقبل سنوات، نُشِرَت مقالة في مجلَّة "Christian Focus" بعنوان: "هأنَذا - اخدِموني". والمغزى مِن هذه المقالة الصَّريحة هو أنَّ الدَّافع الكامِن وراء الكثير مِن الخدمات الكنسيَّة اليوم هو أن يخدمنا الآخرون. فالنَّاس يريدون مِن "خدمتهم" أن تخدمهم - مِن خلال تأكيد أهميَّتهم، وتحسين صورتهم أمام الآخرين، وإشباع مشاعرهم وطموحاتهم. وقد خَتَم الكاتب مقالته بالقول إنَّ "الله يُعطينا الفُرصة لتكريس حياتنا لمجده. ويمكننا أن نذهب إلى عالمنا للسَّبب نفسه الذي دَفَعَ المسيح إلى المجيء إليه. وما دام المسيح يحيا فينا، يمكننا أن نبدأ بدايةً جديدةً كُلَّ يوم - لا كي نُخْدَم، بل كي نَخْدِم."[٧]

إنَّ خدمةً كهذه هي نِتاج المحبَّة - محبَّتنا لله أوَّلاً، ثُمَّ شعورنا بالالتزام بكُلِّ ما يَؤول إلى خير الآخرين. والخدمة هي التَّعبير العمليِّ عن المحبَّة، وليس إظهار تعدُّد مواهبنا أو شغل منصب مهم في الخدمة، يعطينا شُعورًا بالأمان أو القيمة. "وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى

7 J. H. Horsburgh, "Here Am I - Serve Me," (هأنذا- اخدمني) *Christian Focus,* (Birmingham, Alabama: Gospel Publishing Association, May, 1987), p. 8.

أَنْقُلَ الجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا" (١كورنثوس ١٣: ٢ و٣). فعندما تتدفَّق المحبَّة من قلوبنا، نحو الأعلى أوَّلاً، ثُمَّ إلى الخارج، تُحَرِّرنا من انهماكنا في أنفسنا وتُعطينا التَّواضُع اللَّازم الذي يجعلنا نقول: "هأَنَذَا أَرْسِلْنِي" (إشعياء ٦: ٨).

وفي ضوء الموقف السَّليم من الخدمة، ماذا يمكن للأعزب أن يَفعل؟ لَعَلَّ أفضل طريقة لمناقشة هذا الموضوع هي أن نُوَزِّع الاحتمالات إلى فئات:

١. **فُرَص الكرازة:** من السَّهل أن نتخيَّل ما كان سيَحْدُث للكرازة لولا وجود العُزَّاب. فالكرازة تبدأ في البيت، ولكن ينبغي أن تخرج منه، وتنطلق إلى الخارج. ومع أنَّه بمقدور المتزوِّجين أن يخرجوا ويخدموا، إلّا أنَّ العُزَّاب يمتلكون مرونةً أكثر من المتزوِّجين على الحركة والتنقُّل. لذلك، إنَّهم الأشخاص المثاليُّون لتنفيذ الكثير من مشاريع الخدمة.

والحقيقة هي أنَّ الكنائس والخدمات حول العالم تبحث -في أغلب الأحيان- عن عُزَّابٍ للخدمة. فالعُزَّاب يتكيَّفون بسرعة مع الاختلافات الثقافيَّة أكثر من العائلات. وهناك مهامٌّ تتطلَّب سَفَرًا، وهو أمر لا يُحَبِّذه المتزوِّجون كثيرًا بسبب مسؤوليَّاتهم تجاه عائلاتهم. وهناك خدمات تقتضي التَّضحية بالرَّاحة، وهو أمرٌ أصعب على العائلات أيضًا.

من جهةٍ أخرى، تُقدِّم الكرازةُ المحليَّة فرصًا للعُزَّاب. فبإمكان العُزَّاب أن يخدموا من خلال التَّرنيم، أو درس الكتاب، أو الزِّيارات. وهناك سُجونٌ تَسمح بالزِّيارات الجماعيَّة أو الفرديَّة.

لقد ذَكَرنا للتوِّ تأثير الرَّسول بولُس ككارزٍ أعزب. كانت خدمته تتطلَّب سَفَرًا كثيرًا وتنطوي على مصاعب جَمَّة. ولكِنْ لأنَّه كان يخدم الربَّ يسوع المسيح، كانت خدمته تملأ قلبه بالفرح والشِّبع. فنحن لا نَجِد في شهادته التي شَهِد بها

في نهاية حياته ما يُشير إلى النَدَم أو عدم الرِضا. "قَدْ جَاهَدْتُ الجِهَادَ الحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ البِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلكَ اليَوْم، الرَّبُّ الدَّيَّانُ العَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا" (٢تيموثاوس ٤: ٧ و٨).

٢. **فُرَص الرِّعاية**. يحتاج العديد من الناس في عالمنا اليوم إلى الرِّعاية؛ المُسِنُّون، والمُعاقون، والمرضى، والعاجزون، والمفجوعون. وهناك فُرصٌ كثيرة أمام العُزَّاب للخدمة، وهي فُرصٌ قد لا تَصْلُح تمامًا للمتزوِّجين.

والحقيقة هي أنَّ العديد من فُرص الرِّعاية هذه تُناسب النساء، ولا سيَّما اللواتي سَمَحنَ لأنوثتهنَّ أن تتشكَّل وفقًا لتصميم الله. وتضمّن صِفات المرأة الفاضلة الهدوء، والوداعة، والإيمان، والاحترام، والحَياء، والحكمة، واللُّطف، والعِفَّة، والتَّعاطُف - وهي جميعها صِفات تُضاف إلى الاحتشام في سُلوك المرأة وشكلها. ولا شَكَّ أنَّ المرأة الفاضلة هي الشَّخص المثالي لتقديم الرعاية للآخرين.

ومع أنَّه بإمكان الرِّجال أن يقوموا بهذا العمل، لكنَّ للمرأة خدمة خاصَّة في هذا المجال في أغلب الأحيان. وقد تجد العازبات ما يُشبع نفوسهنَّ في هذه الخدمة. بعبارة أخرى، ليس الزَّواجُ الغايةَ الوحيدة التي خُلِقَ الرَّجُل والمرأة لأجلها. وكم نَشكر الله على العازبات اللَّاتي كَرَّسْنَ أنفسهنَّ لرعاية آخرين.

في ضوء ذلك، ليس من باب المُصادفة أنَّ الكلمة "مُربّية أو ممرّضة" في اللُّغتين العبريَّة واليونانيَّة تَرِد بصيغة المؤنَّث دائمًا. كذلك، نلاحظ -في الأزمنة المعاصرة- أنَّ أغلبيَّة العاملين في مهنة التَّمريض في المستشفيات وفي مراكز الرِّعاية هُنَّ مِنَ النِّساء. وإذا نَظَرنا إلى الحاجة المُلِحَّة إلى الرِّعاية الإنسانيَّة في هذا العالم المُتألِّم، فإنَّ هناك فرصًا عظيمةً أمام النِّساء العازبات لتوفير هذه الرِّعاية - وهي فُرص لا يمكن للأمَّهات توفيرها. وكذلك إنّها تُعطي الشبع لأعدادٍ كبيرة من النِّساء العازبات.

ولكن ليست جميع فُرص الرِّعاية في عالمنا هذا تُناسب المؤمنين. فهناك مخاطر أخلاقيَّة وروحيَّة في العديد من مِهَن التَّمريض. وعلى العازبات اللَّاتي يَرغبن في الخدمة في مجال الرِّعاية الصحيَّة أن يَرْفُضْنَ بعض عروض العمل، ويُقَدِّمن هذه الرِّعاية في الأماكن التي لا خطَر فيها.

٣. **الفُرص التَّعليميَّة**. هناك حاجة ماسَّة في صفوف شعب الربِّ إلى مُعلِّمين أكْفاء. وسواء كان المُعَلِّمون يُعَلِّمون في مدارس خاصَّة أو حكوميَّة، فإنَّ أمامهم فرصة للتَّأثير في طُلَّابهم إيجابيًّا. وعلاوة على التَّعليم في هذه الأماكن، إنَّ مدارس الأحد ومدارس الكتاب المقدَّس الصيفيَّة تُوَفِّر فُرصًا للمُعَلِّمين.

وهناك حاجة لمُعَلِّمين من الجنسين. لكن يبدو أنَّ عوامل عديدة جَعلت مهنة التعليم للنساء. ورُبَّما يرجع السَّبب في ذلك إلى أنَّ أغلبيَّة الفرص التَّعليميَّة تتعلّق بتعليم الأطفال، والنِّساء ينجحْنَ في تعليم الأطفال. ولكنَّ هذا التَّركيز على المُعَلِّمات مُؤسفٌ أحيانًا - لا لأنَّ النِّساء لَسْنَ مؤهَّلات، بل لأنَّ رجالاً كثيرين يتنازلون عن هذا الامتياز وهذه المسؤوليَّة من خلال عدم تقديرهم فُرص التَّعليم المُتاحة لهم.

ونادرًا ما يكون التَّعليم مِهنةً تُدِرُّ دَخْلاً جيِّدًا للمرء. وقد يكون هذا أحد الأسباب التي تَجعل الرِّجال يُحجِمون عن العمل في هذه المهنة. ولكن كما أنَّ الرِّعاية مُلائمة للمرأة من أوجُه عديدة، كذلك إنَّ التَّعليم مُلائم للرَّجُل. والعلاقة التي نَراها بين المُعَلِّم والتِّلميذ في العهد الجديد (انظر مثلاً إنجيل مَتَّى ١٠: ٢٤ و٢٥) تَعكس وضعًا يُشير عادةً إلى أنَّ المُعَلِّم رَجُل. ولا شَكَّ أنَّ النِّساء لَهُنَّ مكانتهنَّ كمُعَلِّمات. ولكن هناك مكانة خاصَّة للرِّجال كمُعَلِّمين أيضًا. ويمكن للرِّجال أن يجدوا في هذه المهنة شبعًا لا يمكن لأيِّ مبلغ من المال أن يَمنحه، وهو شعور ناشئٌ عن مساعدة غير المُتعلِّمين على اكتساب المعرفة، ومساعدة البُسطاء على اكتساب الحكمة. فالتَّعليم يَفتح الباب على مصراعيه اليوم أمام العُزَّاب المُكَرَّسين للمساهمة في بناء ملكوت الله وخدمة الكنيسة.

٤. **الفُرص المكتبيَّة.** يتطلَّب عملُ الله أعمالاً مكتبيَّة. وهناك حاجة إلى موظَّفي مكاتب -بدرجات متفاوتة- في جميع الجهود المُنَظَّمة التي يقوم بها شعب الله. فالكُتَّاب، والطَّابعون، والمُنَسِّقون، والمُراسلون، وغيرهم قادرون على تقديم خدمات عظيمة للكنيسة - سواء في مجال الكرازة، أو النَّشر، أو تقديم المساعدات، أو المشورة، أو التَّدريب، أو الرِّعاية، أو أيّ مزيج من هذه المجالات.

وحيث توجد خدمة مسيحيَّة، هناك مَن يَدعمها بالمال وبالتطوّع. وأحيانًا يَتمُّ إنشاء مراكز لـ"الخِدمة التطوُّعيَّة"، توفّر احتياجات العمّال الأساسيّة مع أجرٍ لا يُذكَر. ومع ذلك، اختبر عُزَّابٌ كثيرون فَرَح العطاء المُضَحِّي في مراكز الخدمة التطوُّعيَّة هذه.

كذلك، إنَّ الخدمات الإرساليَّة، ودُور النَّشر المسيحيَّة، وكُلِّيَّات اللَّاهوت، وخدمات الإغاثة، ومراكز المشورة بحاجة ماسَّة إلى أفراد يُقَدِّرون الخدمة أكثر مِن الأجر العالي. وتتطلَّب العديد مِن هذه البرامج والخدمات مزيدًا مِن الأفراد عدا أولئك العاملين في الوظائف المكتبيَّة. فهناك حاجة إلى الطَبَّاخين، والأوصياء، والميكانيكيِّين، والصَّحافيِّين، وعُمَّال الصِّيانة والإنتاج، والمُشيرين، والعُمَداء، وموظَّفي العلاقات العامَّة.

وأحيانًا قد لا يؤثِّر وضع العامل العائليّ سلبًا أو إيجابًا. ولكن هناك وظائف يُفَضَّل (إن لم يكن ضروريًّا) أن يقوم بها شخصٌ أعزب. فعلى سبيل المثال، هناك برامج خاصَّة لخدمة الجانحين مِن الأحداث، تحتاج إلى عُزَّاب مُمتلئين مِن روح الربِّ كي يخدموا بينهم ويكونوا قدوة لهم. وهناك كُلِّيَّات لاهوت وبرامج تعليميَّة تابعة للإرساليَّات لديها وظائف مشابهة.

وبعد أن ألقينا نظرة على العديد مِن فُرَص الخدمة المتاحة للعُزَّاب، قد يتساءل البعض: هل مِن الصَّواب أن يَعمل العُزَّاب في وظائف عاديَّة؟ وهل يُتوقَّع مِن العُزَّاب أن ينظروا إلى عُزوبتهم كشيءٍ يُلزمهم بخدمة من "نوعٍ خاص"؟ هناك جانبان لهذا الموضوع. فَمِن جهة، يمكننا القول إنَّ العُزَّاب يمتلكون الحُرِّيَّة

المُطلقة للعيش كبقيَّة النَّاس. ولكن مِن جهة أخرى، يمكننا النَّظر إلى "بَقِيَّة النَّاس" وطَرْح السُّؤال التَّالي: هل يعيش أغلبيَّة النَّاس (أي أغلبيَّة أعضاء الكنيسة) ذلك التَّكريس الذي يريده الله منهم مِن نحوه ومِن نحو ملكوته - سواء كانوا عُزَّابًا أم متزوِّجين؟

ينبغي لكُلِّ مؤمن أعزب أو متزوِّج أن يَسعى إلى جَعْل عمله خدمةً لله ولشعب الله. وهذا ينطبق على أيِّ عمل يقوم به المرء مهما بدا مُملًّا أو سخيفًا أو دنيويًّا. فينبغي للمُزارع، كما للمُقاول، والموظَّف، والمُمرِّض، والمُعلِّم، والمُرسَل، أن يبحثوا عن طرائق يستخدمون فيها أعمالهم ومواردهم لخدمة الربِّ وكنيسته.

وهذا لا يعني أنَّ هذه هي فُرص الخدمة الوحيدة المُتاحة للعُزَّاب، بل إنَّ الغاية هنا هي التَّأكيد على أنَّه باستطاعة العُزَّاب أن يخدموا بطرائق توافق حياة العُزوبة التي يَعيشونها. علاوة على ذلك، ذَكَرنا فُرص الخدمة هذه كي نُبَيِّن الغِنى الموجود في حياة العُزَّاب المؤمنين. فمع أنَّه ليس لديهم زوجات أو أزواج أو أبناء في الجسد، ولكنَّ "بَنِي المُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي ذَاتِ البَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ... لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الجُنُودِ اسْمُهُ" (إشعياء ٥٤: ١ و٥). وعندما يفيض هذا الفَرَح مِن حياة الأعزب، فهذا يدلّ على أنَّ الله هو صاحب السِّيادة في حياة هذا الأعزب.

كيف ينبغي أن تكون علاقة البيت والكنيسة بالعُزَّاب؟

لقد ذكرنا آنفًا أنَّ العُزَّاب يخوضون أحيانًا صراعًا داخليًّا لتحديد المكان الذي ينتمون إليه. وهذا يحدث في البيت والكنيسة. ففي البيت، يواجه الأعزب أحيانًا كثيرة الأسئلة التَّالية:

١. هل سيأتي اليوم الذي أترك فيه بيت أبي لأعيش مستقلًّا؟ وإذا فعلتُ ذلك، ماذا ستكون الأسباب التي دفعتني للرحيل؟

٢. إذا كنتُ أعيش في بيت أبي، ما مدى مسؤوليَّتي أمام أبي وأمِّي في ما يَخُصُّ مواعيدي وخططي ومشترياتي؟

٣. إذا كنتُ أعيش في بيت أبي، هل يمكنني دعوة أصدقائي؟ ومِن جهة أخرى، إذا قام أبي وأمِّي بدعوة ضيوف أو بالتَّخطيط لنشاطٍ ما، هل أنا مُلْزَم دائمًا بالحضور والمشاركة؟

٤. عندما يتقدَّم أبي وأمي في السنّ وأبدأُ أنا بتولّي بعض المسؤوليَّات، هل ينبغي لي دائمًا الإذعان لهما، أم يجب أن أبدأ في اتِّخاذ القرارات التي أراها مناسبة؟

٥. إذا كان أبي أو أمِّي بحاجة إلى الرِّعاية، فهل أنا مُلْزَمٌ أكثر مِن إخوتي المتزوِّجين وأخواتي المتزوِّجات بالاعتناء بهما؟

إنَّ العثور على إجابات عن هذه الأسئلة ليس سهلاً دائمًا. فكلُّ موقف يختلف عن سِواه. ولا توجد إجابة واحدة لجميع الأشخاص. ومع ذلك، هناك إرشادات عامَّة قد تكون ذات فائدة.

١. **حين يعيش العُزَّاب مع آبائهم وأمَّهاتهم، يجب أن يكون هناك احترام مُتبادل ومُراعاة مُتبادلة للمشاعر**. يجب على العُزَّاب أن يحترموا آباءهم وأمَّهاتهم. وما دام الأب والأم يتمتَّعان بالصحَّة الجسديَّة والعقليَّة، فإنَّهما المسؤولان المباشران عن تدبير شؤون المنزل. ويجب على الأبناء العزّاب أن يحترموا ذلك. وبالمقابل، على الآباء والأمَّهات أن يحترموا أبناءهم العُزَّاب الرَّاشدين. ومع أنَّه ينبغي لهم الاستمرار في تقديم النُّصح والمشورة لهم، لكن عليهم أيضًا أن يحترموا قراراتهم، وخططهم، وحاجاتهم قدر الإمكان في إطار بيتهم.

وعندما يعيش العُزَّاب في البيت نفسه مع آبائهم وأمَّهاتهم، يجب أن تكون حدود المسؤوليَّات والامتيازات واضحة. ويمكن للآباء والأمَّهات أن يحترموا رُشْد أبنائهم العُزَّاب بطرائق عديدة. فعلى سبيل المثال، يمكنهم أن يُراعوا خصوصيَّة غُرفهم، ويُوكِلوا إليهم بعض المسؤوليَّات، ويتجنَّبوا تداخُل خططهم واهتماماتهم بخطط الأبناء واهتماماتهم. ويجب على العائلة أن توزِّع المهام؛ مثل غَسْل الملابس، وتنظيف المنزل، والطَّهي، وإلخ. وإذا كان الأعزب شريكًا في مشروعٍ تجاريٍّ تُديره العائلة، يجب أيضًا توضيح المسؤوليَّات. ومن الضروري أن يتمَّ التَّواصُل بلطفٍ وصراحة.

وقد يواجه العُزَّاب الذين يعيشون مع أهلهم تحدِّيات خاصَّة عندما يتقدّم الأبوان في السنّ وتتراجع قدرتهما على القيام بمهامهما ومسؤوليَّاتهما. وسوف نُقَدِّم المزيد مِن الإرشادات في الفصل الثَّامن. لكن نُشير هنا إلى أنَّ احترام المُسِنِّين ينبغي أن يَشمل فهم الصِّراعات التي تُرافق سِنَّ الشَّيخوخة. والسُّؤال الذي يَطرح نفسه هنا هو: هل يتحمّل العُزَّاب المسؤوليَّة أكثر مِن إخوتهم المتزوِّجين في أوقاتٍ كهذه؟ الجواب هو: كلّا! ولكن في الوقت نفسه، قد يكون العُزَّاب مُتاحين أكثر مِن إخوتهم المتزوِّجين بِحُكْم مسؤوليَّاتهم القليلة نسبيًّا. وإذا نظرنا إلى الخدمة لا كَعِبْءٍ ثقيل، بل كفرصة، سنُقَلِّل فرصة شعورنا بالاستياء والحقد والظُّلم في حالات كهذه. بمعنى آخر، إذا كانت العائلة بأسرها لديها روح الخدمة، ومستعدَّة للمساعدة والتَّضحية وفعل الخير للآخرين، لن يَشعر أيُّ عضو فيها بالحاجة إلى مقارنة وضعه بأوضاع الآخرين.

٢. **إذا عَقَد العُزَّاب العَزم على الانتقال للسكن بمفردهم، ينبغي أن يفعلوا ذلك بناءً على رؤيتهم وأهدافهم الشخصيَّة، لا كَرَدِّ فعل على ما يجري في المنزل، ولا كوسيلة للهروب مِن الأبوَيْن.** فقد يَشعر العُزَّاب بالحاجة إلى مزيد مِن الهدوء أو العُزلة. أو قد يشعرون بحاجتهم إلى تَعَلُّم مبادئ تدبير شؤون البيت بأنفسهم. أو قد يرغبون في أن يكونوا بالقرب مِن أماكن عملهم أو خدمتهم. ويقتضي

التَّنويه إلى أنَّ التوتُّر المتكرِّر في العلاقة بين العُزَّاب والأبوَيْن لا يعني بالضَّرورة أنَّ أحدهما على خطأ. فقد يكون دلالةً واضحة على ضرورة الجلوس معًا لمناقشة الخيارات المُتاحة كي يَشعر الجميع بالرَّاحة. ولا شَكَّ أنَّ حكمة الطَّرفين، ومُراعاة كُلٍّ منهما مشاعر الآخر تساعدهما في فهم بعضهما البعض. وقد يُفضي ذلك إلى اقتراح ترتيبات جديدة لمصلحة الأهل والأبناء. وفي حالات كهذه، يجب على الأبوَيْن ألَّا يَنظرا إلى رغبة أبنائهم في الانتقال إلى منزلهم الخاصّ كما لو كان رفضًا لهما.

٣. **حين يعيش العُزَّاب مع الأهل، يجب على الجميع أن يتجنَّبوا التصرُّف بطريقة غير منصفة، وفق افتراضاتهم المُسبّقة.** قد لا يُقَدِّر كُلٌّ مِن الأبوَيْن والعُزَّاب ما يقوم به الواحد لأجل الآخر. وغالبًا ما يرتبط هذا بعدم إدراك الأبوَيْن حقيقة أنَّ ابنهما قد صار راشدًا مثل إخوته المتزوِّجين وأخواته المتزوِّجات. بل إنَّهما قد يحاولان إصدار التَّعليمات له، والتحكُّم في قراراته ووقته وأمواله بطرائق خانقة تَخلو مِن أيِّ مُراعاة لمشاعره. وبالمقابل، قد يبقى الأعزب مرتبطًا بأبوَيْه كما لو كان طفلاً صغيرًا عديم المسؤوليَّة. فيتوقَّع مِن أُمِّه أن تُنَظِّف غُرفته، ويتوقَّع مِن أبيه أن يُعالج أخطاءه، ويتوقَّع الحصول على ثلاث وجبات طعام يوميًّا، وأن يكون سريره نظيفًا وجاهزًا، لا مشكلة.

لذلك، يجب على الأعزب وأبوَيْه أن يَقبلوا -بوعي تامٍّ- حقيقة أنَّه صار شخصًا راشدًا. ولا شَكَّ أنَّ الحكمة تقتضي مِن الطَّرفين التحدّث في أمورٍ مِثل الخُطط (قصيرة الأجل وطويلة الأجل)، والتوقُّعات، والتَّرتيبات الماليَّة، والتَّغييرات المُحتملة على جدول الأعمال، والأعباء، والمسؤوليَّات.

إنَّ فَهْمَنا بعضنا لبعض مُهِمٌّ جدًّا مِن أجل الحفاظ على العلاقات الطيِّبة في البيت. ولكنَّ العُزَّاب لديهم علاقات أخرى في الكنيسة. لذلك، يجب عليهم أن يفهموا دورهم في الكنيسة، وأن يُقابَلوا بالفهم أيضًا. وكما ذكرنا آنفًا، يبدو أحيانًا أنَّ مفاهيم "المجموعة" في الكنيسة تأخذ الجميع بعين الاعتبار باستثناء

العُزَّاب. فهناك مجموعة للشَّبيبة، ومجموعة للمُتزوِّجين الجُدُد، ومجموعة للأشخاص الذين بلغوا مُنتصف العُمر، ومجموعة للمُسِنِّين. ولكن أين هو مكان الشَّخص الأعزب؟

فإذا أرادت الكنائس أن تستفيد من قدرات العُزَّاب وفاعليّتهم، يجب عليها أن تَعمل بطريقة تَجعل العُزَّاب يَشعرون حقًّا بأنَّ الكنيسة هي بيتهم. وفي ما يلي بعض النِّقاط التي قد تُساعد في تحقيق ذلك:

١. **الحفاظ على احترام حياة العُزوبيَّة.** وَصَف الرَّسول بولُس العُزوبة بأنَّها موهبةٌ مِن الله (١كورنثوس ٧: ٧). وقال يسوع إنَّ هناك أشخاصًا اختاروا ألّا يتزوّجوا مِن أجل ملكوت السَّماوات (إنجيل مَتَّى ١٩: ١٢). وهذا يُرينا أنَّ يسوع وبولس كانا يُدركان القوّة اللَّازمة لمثل هذه الدَّعوة والتي لا يتمتّع بها جميع النَّاس. وهذا يعني أنَّ العُزوبة جديرة بالاحترام.

ويقتضي التَّنويه إلى أنَّ البيت يتحمَّل جزءًا مِن المسؤوليَّة في الحفاظ على احترام العُزَّاب. فيجب على الأبوَيْن أن يُعَلِّما أبناءهما أن يَحترما العُزَّاب. والتَّطبيق العمليُّ لذلك هو الامتناع عن الضَّحِك والمُزاح والسُّخرية في أثناء التكلّم عن غير المُتزوِّجين.

٢. **ضَمُّ العُزَّاب إلى الأعمال الكنسيَّة العاديّة.** يجب أن يُسمح للعُزَّاب باختبار الفرح النَّاشئ عن المشاركة في التَّعليم، والكرازة، وإنجاز المشاريع المختلفة. ويمكن لخُدَّام الربِّ أن يساعدوا العُزَّاب بالطَّريقة ذاتها التي يساعدون فيها المُتزوِّجين؛ أي مِن خلال تقديم عظاتٍ عن أدوارهم، واحتياجاتهم، وطاقاتهم. ويمكن لخُدَّام الربِّ أن يفعلوا ذلك بطريقةٍ مباشرة مِن خلال الإشارة إلى العُزوبة، أو بطريقةٍ غير مُباشرة مِن خلال التكلّم عن عزّابٍ بارزين في الكتاب المقدَّس.

ويمكن للمتزوِّجين في الكنيسة أن يُسهموا بطرائق عمليَّة فعَّالة في دَمْج العُزَّاب في جماعة المؤمنين في الكنيسة. فعلى سبيل المثال، يمكنهم أن يَضُمُّوهم إلى كُلِّ ما يجري في الكنيسة مِن زيارات، وعِظات، ومنقاشات، ومشورة.

علاوة على ذلك، يمكنهم أن يُعَبِّروا للعُزَّاب عن تقديرهم لكُلِّ ما يفعلونه لأجل الكنيسة. ويمكنهم أيضًا أن يدعوهم للمشاركة في الأنشطة العائليَّة.

٣. **يجب ضَمُّ العُزَّاب إلى مجلس الكنيسة**. ينبغي لكُلِّ كنيسة أن تتّخذ قرارات، وتُناقش خُططًا، وتضع أهدافًا. ولا شَكَّ أنَّ لِكُلِّ مجموعة إجراءاتها وطُرقها في الوصول إلى قرارٍ جماعيٍّ. فهناك مجموعات تعقد اجتماعًا للأعضاء. وهناك مجموعات تُجري مقابلات معهم على انفراد. وهناك مجموعات تُجري مقابلات مع الآباء أو الأمَّهات. وفي ضوء الأسلوب المُعتمَد، قد يتم إهمال العُزَّاب. فإذا كان قادة الكنيسة يرغبون في الاستفادة من قدرات العُزَّاب في الكنيسة، يجب عليهم أن يحرصوا على ضَمِّ العُزَّاب (والأرامل أيضًا) في خُطَط الكنيسة وقراراتها. وفي حال أُجرِيَت لقاءات مع الآباء والأمَّهات، يوكَّلُ البعضُ بطلب رأي العُزَّاب في الكنيسة، وإطلاعهم على نتائج اجتماعاتهم.

الخُلاصة

يمتلك العُزَّاب طاقات وقدرات كثيرة. ولكنَّ القرارات التي يواجهونها، والمسؤوليَّات المُلقاة على عاتقهم، تُرافقها تحدِّيات وصراعات ليست بقليلة. وفي البيت المسيحيِّ والكنيسة، لا ينبغي أن يكون إحساس الشَّخص بالانتماء والقبول قائمًا على وضعه العائلي. فلا شَكَّ أنَّ كُلَّ شخصٍ فريد. ولكُلِّ إنسان جوانب قوَّة وجوانب ضعف. وكُلُّ شخصٍ هو جدير بالفهم.

ينبغي للعُزَّاب أن يقبلوا عُزوبتهم، ويُتيحوا أنفسهم لفرص الخدمة في ملكوت الله، ولا سِيَّما تلك الفُرص التي توافق قدراتهم ومواهبهم.

وحين يَتفهَّم شعبُ الله العُزَّاب، ويتعلَّم العُزَّاب أن يَفهموا أنفسهم، يمكنهم التَّعاون معًا. ويمكن سَدّ الاحتياجات عند العُزَّاب وبواسطتهم حين يجد كُلٌّ منهم مكانه الصَّحيح في عائلته وكنيسته.

لِنُفَكّر معًا

١. كيف يُسيء النَّاسُ المتزوِّجون فَهْم أقرانهم العُزَّاب أحيانًا؟

٢. إلى أيِّ مَدى يمكن للشَّخص الأعزب أن يُناقش رغبته في وجود رفيق له، أو أن يُقِرَّ بذلك؟ وأين يَكْمُن التَّوازن بين الصِّدق والتكتُّم؟

٣. ما هي بعض المفاهيم العالميّة الشَّائعة عن العُزوبة التي تؤثِّر سلبًا في العُزَّاب المؤمنين؟ كيف يمكن التصدِّي لهذه التَّأثيرات؟ هل توجد لدى الكنيسة مفاهيم خاطئة عن العُزوبة؟ وهل يُعامَل العُزَّاب، بأيّ شكلٍ من الأشكال، كأعضاء مِن الدَّرجة الثَّانية في الكنيسة؟

٤. عندما يبدو الشَّخصُ الأعزب متأثِّرًا جدًّا بعوامل العُزوبة السلبيَّة، ما المساعدة التي يمكن لأصدقائه أن يُقَدِّموها له؟

٥. عندما يجد المرء نفسه في وَضْعٍ يَتعرَّض فيه لتجربة مستمرَّة، ما أفضل طريقة للتَّعامل مع الموقف؟ وكيف يمكن للمرء أن يَعرفَ ما إذا كان الصُّمودُ هو الحَلّ المناسب أم الهروبُ كما فَعل يوسُف؟

٦. ما هي أساليب "مُلاحقة الجنس الآخر" التي ينبغي للعُزَّاب تَجَنُّبها؟ كيف يمكن للشَّخص الأعزب أن يكون ودودًا في علاقاته من دون أن يُساء فهمه بأنَّه يسعى وراء علاقة عاطفيَّة؟

٧. حين يبدو أنَّ العُزَّاب يُقيمون صداقات غير سليمة، كيف يمكن مُصارحتهم بذلك ومساعدتهم دون جرح مشاعرهم؟

٨. كيف يمكن استخدام مواهب العُزَّاب وقدراتهم أفضل استخدام في وقتنا الحاضر؟ ما هي الطَّرائق التي من خلالها يمكن أن نقع في خطأ، المُبالغة في توقُّعاتنا المتعلّقة بالعُزَّاب؟

لِنَعمل معًا

١. بصفتكم آباء وأمَّهات، ناقشوا مع أبنائكم احتماليَّة العُزوبة. تَحَدَّثوا عن بعض العُزَّاب في الكتاب المقدَّس، وعن استخدام الله لهم كخُدَّام مُفْرَزين له. اكتبوا لائحة بالطَّرائق المُحتملة للخدمة كعُزَّاب في وقتنا الحاضر. ناقشوا أيضًا ما يُعَلِّمه الكتاب المقدَّس عن الشُّعور بالرِّضا والفرح.

٢. بصفتك شخصًا غير متزوِّج، قَيِّم عُزوبتك. ما هي الأجزاء في هذا الفصل التي ترغب في مراجعتها بشكلٍ خاصّ؟ هل تسمح لله بأن يمتلك حياتك؟ رَتِّب موعدًا لمناقشة أيَّة أسئلة أو صراعات مع شخصٍ تَثِق به.

٣. بصفتكم كنيسة أو مجموعة، قَيِّموا قبولكم للعُزَّاب ومدى استفادتكم من مواهبهم وطاقاتهم. هل هُم جزء من عائلة الكنيسة؟ هل هناك أساليب ساهمت في إهمال العُزَّاب؟ اذكروا بعض الخطوات المحتملة التي يمكن للكنيسة اتِّخاذها لِضَمِّ العُزَّاب أكثر فأكثر، أو لِسَدِّ احتياجاتهم بطريقةٍ مُلائمة.

الفصل الخامس

الزَّواج

المقدِّمة

يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن الزَّواج بصفته سِرًّا. والكلمة "**سِرّ**" المستخدمة في الكتاب المقدَّس في هذا السِّياق لا تُشير إلى وجود لُغْزٍ، بل تُشير إلى نوعٍ مِن المعرفة لا يمكننا الحصول عليه إلَّا بإعلانٍ إلهيٍّ. فهناك أمور خاصّة بالزَّواج لم نكن لنعرفها لو لم يُعلنها الله لنا.

إنَّ الزَّواج، بحسب إعلان الله، هو اتِّحاد. وهو يربط الرَّجُل والمرأة بروابط قلبيَّة غير منظورة إنّما حقيقيَّة، كي لا يبقى الشَّخصان المُتحابَّان مُنفصلين. والله يريد للنَّاس أن يعرفوا هذا المبدأ ويُطَبِّقوه مِن خلال التعهُّد بالزَّواج مدى الحياة. وهذا التعهُّد يَعكس بِدَوْرِه علاقة المحبَّة الأسمى بين المسيح وكنيسته. فإذا نظرنا إلى الأمر بهذه الطَّريقة، سنفهم في الحال لماذا كتب الرَّسول بولس عن الزَّواج إذ قال: "هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ" (أفسُس ٥: ٣٢).

وهذا يساعدنا أيضًا على رؤية سبب الفوضى العارمة التي نراها في العلاقات الزوجيَّة بسبب اتِّكال الإنسان على فهمه الذاتيّ. فبمعزلٍ عن إعلان الله، سينظر الرِّجال والنِّساء إلى الزَّواج من خلال أعينهم فقط، وفي ضوء أهدافهم الآنيَّة أو قصيرة الأجل. ولا شَكَّ أنَّ سعادتهم الشخصيَّة، واحتياجاتهم، وراحتهم، توجّههم في حياتهم، لا في إطار الزواج فحسب، بل خارجه، إذ يبحثون عمّا يُناسبهم على الصَّعيد الشخصيِّ.

وعلى النَّقيض من الزِّيجات الفاشلة السَّائدة في كُلِّ مكان، ينبغي للمؤمنين أن يقفوا بوجه هذا التيّار ويحافظوا على أنفسهم بالقول والفعل. فكلمة الله صادقة، وتعاليم الكتاب المقدَّس صحيحة. لذلك، لِنَجعل ما جَمَعَهُ الله يدوم إلى مدى الحياة.

خُطَّة الله: رَجُلٌ واحدٌ وامرأةٌ واحدةٌ، إلى أن يُفَرِّق الموت بينهما

"لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا" (تكوين ٢: ٢٤). هذا هو المبدأ الأوَّل الذي نجده في الكتاب المقدَّس بخصوص الزَّواج. وبعد أن اقتبس يسوع هذه الكلمات، أضاف: "إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (مَتَّى ١٩: ٦). وعَلَّم الرَّسول بولس أيضًا: "فَإِنَّ المَرْأَةَ الَّتِي تَحْتَ رَجُل هِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ بِالرَّجُلِ الحَيِّ. وَلكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَقَدْ تَحَرَّرَتْ مِنْ نَامُوسِ الرَّجُلِ" (رومية ٧: ٢). وهذا يُرينا أنَّ تعليم الكتاب المقدَّس واضح: رَجُلٌ واحدٌ، وامرأةٌ واحدةٌ، إلى أن يُفَرِّق الموت بينهما.

إنَّ اتِّحادًا كهذا يتطلَّب التزامًا. لذلك إنَّ كُلًّا من الزَّوج والزَّوجة مَدْعُوٌّ ليحبّ الآخر محبّةً مُضحّية ومُخلصة، تَستثني أيَّ شُركاء آخرين. "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ المَسِيحُ أَيْضًا الكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا،... كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ... وَأَمَّا أَنْتُمُ الأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ

امْرَأَتَهُ هكَذَا كَنَفْسه" (أفسُس ٥: ٢٥ و٢٨ و٣٣). "وَأَمَّا المَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا... كَذلكَ العَجَائزُ فِي سِيرَةٍ تَليقُ بِالقَدَاسَة،... لِكَيْ يَنْصَحْنَ الحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ" (أفسُس ٥: ٣٣؛ تيطُس ٢: ٣ و٤).

ولكن ما معنى أن نُحِبَّ؟ إنَّ الجانب المنظور للمحبَّة الزوجيَّة مُلَوَّنٌ بألوان زاهية، ومُفعمٌ بالمشاعر المتدفِّقة والأحلام الجميلة. وهذا هو ما يجذب الرِّجال والنِّساء جميعًا إلى الزَّواج لأنَّ هذه المحبَّة تبدو رائعة. ولكنَّ المحبَّة الزوجيَّة لا تقتصر على المشاعر، بل تتطلَّب التزامًا.

وقد تبدو المحبَّة في ظاهرها جَذَّابة وسهلة. وهي بالفعل كذلك. فمِن السَّهل على الزَّوج أن يُحِبَّ زوجته ما دامت تفعل كُلَّ ما يُسِرُّه ويُرضيه، وهي تُبادله المحبَّة بالطريقة نفسها. ولكنَّ الحياة ستضع هذه المحبَّة تحت الاختبار، لأنَّ الأمور لن تسير دائمًا بالطريقة التي يريدها المرء. وهنا يأتي دور الجزء الأعمق مِن المحبَّة أي الالتزام. قد لا تسير خُطط الزَّوجين كما ينبغي، أو قد يواجهان ظرفًا عصيبًا، أو قد يَمرض أحدهما أو يتعرّض إلى حادث، أو قد تزداد المسؤوليَّات عليهما. وحينئذٍ، يُدرك العروسان أنَّ المحبَّة ليست مشاعر مُتدفِّقة فقط. فالمحبَّة تعني العطاء، والبَذْل، والتَّضحية، والبكاء، وعدم النَّوم، والرِّعاية، والغفران، والاحتمال، والتَّكَيُّف، ثمّ العطاء والمزيد من العطاء.

وهذا لا يعني أنَّ الحُبَّ لن يعود مُسرًّا بعد السَّنة الأولى مِن الزَّواج. فهناك فرحٌ عميقٌ ينبع مِن المحبَّة المستمرَّة التي هي في الحقيقة أعمق بكثير مِن تلك المحبَّة التي يَشعر به الزَّوجان في بداية علاقتهما الزوجيَّة. ولكنَّ هذه المحبَّة العميقة ليست مُتاحة إلَّا للأشخاص المُكَرَّسين الذين يُبدون استعدادًا حقيقيًّا لتجاوز مُتعة الحصول على المحبَّة مِن شريك الحياة، واختبار الفرح النابع من تقديم المحبَّة المُضَحِّية.

لذلك، لا يمكن لأفراح المحبَّة الزوجيَّة الحقيقيَّة أن تصير واقعًا ملموسًا في حياة الزَّوجين إلَّا مِن خلال ممارسة مبدأ المحبَّة المُضَحِّية. وإذا أمكن للمرء

أن يَرى المحبَّة كالتزام، عندها فقط يمكنه أن يُبدي استعداده لممارسة المحبَّة المُضَحِّية. ولكن لا بُدَّ من الإقرار بأنَّ التَّضحية والتَّكريس اللَّذين يُميِّزان المحبَّة الزَّوجيَّة يَفوقان إدراك الإنسان الخاطئ وقُدْرَته. "المَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ" (١يوحنَّا ٤: ٧). لذلك تدفع المحبَّة الزوجيَّة الزَّوج والزَّوجة إلى السُّجود والانكسار أمام الله والاعتراف بعدم قدرتهما على امتلاك هذه المحبَّة لولا سُكْنى المسيح في قلوبهم. ويقتضي التَّنويه أيضًا إلى أنَّ المسيح لا يحيا إلَّا في الأشخاص الذين يُفْرِغونَ أنفسهم. لذلك، إنَّ المحبَّة الزوجيَّة أشبه بتمرين يَشمل الانكسار والنموَّ الروحيّ. والحقيقة هي أنَّ أعمق أبعاد المحبَّة الزوجيَّة هي روحيَّة لأنَّ مَصدر المحبَّة التي لا تموت هو المُخَلِّص الذي لا يموت.

الزَّوجة الفاضلة

نأتي الآن إلى تخصيص الحديث عن الشَّريكين في العلاقة الزوجيَّة. فمِن المعلوم لدينا أنَّ الزَّواج يتألَّف مِن زوج وزوجة. ولكن ما هي الصِّفات الواجب توافرها في الزَّوج والزَّوجة للحصول على زيجات متينة؟ وهل ينبغي لجميع الأزواج والزَّوجات أن يكونوا نُسخة طِبْق الأصل بعضهم عن بعض؟ إنَّ الصُّورة التَّقليديَّة عن الزَّوجة ودورها قد تَغَيَّرت كثيرًا في وقتنا الحاضر حتَّى إنَّها أحْدَثَت ثورة في مفاهيم الزَّواج. لذلك، سنبتدئ حديثنا بالتأمّل بآيات من الكتاب المقدّس تَصِف الزَّوجة الفاضلة.

"امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى غَنِيمَةٍ. تَصْنَعُ لَهُ خَيْرًا لاَ شَرًّا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهَا. تَطْلُبُ صُوفًا وَكَتَّانًا وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ. هِيَ كَسُفُنِ التَّاجِرِ. تَجْلِبُ طَعَامَهَا مِنْ بَعِيدٍ. وَتَقُومُ إِذِ اللَّيْلُ بَعْدُ وَتُعْطِي أَكْلاً لأَهْلِ بَيْتِهَا وَفَرِيضَةً لِفَتَيَاتِهَا. تَتَأَمَّلُ حَقْلاً فَتَأْخُذُهُ، وَبِثَمَرِ يَدَيْهَا تَغْرِسُ كَرْمًا. تُنَطِّقُ حَقَوَيْهَا بِالْقُوَّةِ وَتُشَدِّدُ ذِرَاعَيْهَا. تَشْعُرُ أَنَّ تِجَارَتَهَا جَيِّدَةٌ. سِرَاجُهَا لاَ يَنْطَفِئُ فِي اللَّيْلِ. تَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمِغْزَلِ، وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلْكَةِ.

تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلفَقِيرِ، وَتَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى المِسْكِينِ. ... تَفْتَحُ فَمَهَا بِالحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ المَعْرُوفِ. تُرَاقِبُ طُرُقَ أَهْلِ بَيْتِهَا، وَلاَ تَأْكُلُ خُبْزَ الكَسَلِ" (أمثال ٣١: ١٠ وما يليها من آيات).

"وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًّى، فَتَشِينُ رَأْسَهَا، لأَنَّهَا وَالمَحْلُوقَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ. ... فَلْتَتَغَطَّ" (١كورنثوس ١١: ٥ و٦).

"كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، ... وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلُبْسِ الثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ القَلْبِ الخَفِيَّ فِي العَدِيمَةِ الفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الوَدِيعِ الهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ" (١بُطرس ٣: ١-٤).

"كَذلِكَ العَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالقَدَاسَةِ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، غَيْرَ مُسْتَعْبَدَاتٍ لِلْخَمْرِ الكَثِيرِ، مُعَلِّمَاتٍ الصَّلاَحَ، لِكَيْ يَنْصَحْنَ الحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، لِكَيْ لاَ يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ" (تيطُس ٢: ٣-٥).

إذًا هذه هي المرأة المَرْضِيَّة عند الله. ويمكننا أن نرى مدى بُعْد المرأة المعاصرة عن هذه الصُّورة مِن خلال توضيح الفروق بين الفِكْر البشريِّ وفِكْر الله.

وفق مَعايير البشر، أنتِ امرأة مثاليَّة إذا كُنْتِ:	وَفق مَعايير الله، أنتِ امرأة مثاليَّة إذا كُنْتِ:
١. جميلة.	١. هادئة ورزينة.
٢. جَذَّابة وحسنة القوام.	٢. ذات خُلُق رفيع.
٣. ترتدين ملابس تكشف مفاتنك.	٣. وَفِيَّة وداعمة ومُخْلِصَة لزوجك.
٤. ذات بشرة ناعمة وفاتحة.	٤. تُغَطِّين شعرك وتلبسين ملابس مُحتشمة.

٥. فاتنة في حديثك وسلوكك.	٥. تُحسنين تدبير بيتك وتهتمِّين بكل ما يحتاج إليه أهل بيتك مِن طعام وملابس.
٦. صاحبة ابتسامة رائعة، وضحكة فاتنة، وتفاؤل دائم.	٦. تَتجنَّبين النَّميمة والغيبة.
٧. تحملين شهادة تعليم تتخطّى تغيير الحفاظات وغسل الملابس.	٧. تُنجبين الأطفال وتوفِّرين لأهل بيتك جَوًّا مُلائمًا لحياة التَّقوى.
٨. متزوِّجة مِن رَجُل غنيٍّ.	٨. تُحسنين استقبال الضُّيوف وتُعاملينهم بلُطْف ولا سيَّما الفقراء.
٩. تمتلكين مسارًا مهنيًّا خاصًّا بك.	٩. تكتسبين حكمةً في الحياة وتستخدمينها لتقديم النُّصْح والمشورة للفتيات والنِّساء الأصغر سِنًّا.

ومِن السَّهل علينا أن نَرى التَّبايُن الكبير بين هاتين اللَّائحتين ومدى تأثير ذلك على الحياة العائليَّة من الناحية العمليَّة. فإذا تَخَيَّلنا الحياة العائليَّة بوجود زوجة دُنيويَّة، سنجد أنَّها حياة فوضويَّة، وأنَّ الأبناء الصِّغار هُم مَصْدر إزعاج للأبوَيْن، وأنَّ الطَّعام الذي تتناوله العائلة غير صِحِّيٍّ، وأنَّ مجادلات كثيرة تَحْتَدِم بين الزَّوجين بسبب السيَّارة، والأثاث، والعمل، وأمورٍ أخرى. بالمقابل، إذا تَخَيَّلنا الحياة العائلية بوجود زوجة تَقيَّة، سنرى مزيدًا مِن الأبناء، ومزيدًا مِن الحُبِّ، ومزيدًا مِن الرِّضا، وطعامًا صِحِّيًّا، وتعاونًا، وبيتًا يَتوق الزَّوج إلى العودة إليه مساءً، وبيتًا يَشعر فيه الأبناء بالأمان.

الزَّوج التَّقيُّ

ماذا يقول الكتاب المقدَّس عن الزَّوج؟

"زَوْجُهَا أَيْضًا فَيَمْدَحُهَا" (أمثال ٣١: ٢٨).

"أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ المَسِيحُ أَيْضًا الكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا،... كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلكَنِيسَةِ... فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هكَذَا كَنَفْسِهِ" (أفسُس ٥: ٢٥ وما يليها من آيات).

"وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" (أفسُس ٦: ٤).

"كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الحَيَاةِ، لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ" (١بطرس ٣: ٧).

"لِيَكُنْ يَنْبُوعُكَ مُبَارَكًا وَافْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ الظَّبْيَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْوَعْلَةِ الزَّهِيَّةِ لِيُرْوِكَ ثَدْيَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكَرْ دَائِمًا. فَلِمَاذَا تُفْتَنُ يَا ابْنِي بِأَجْنَبِيَّةٍ وَتَحْتَضِنُ غَرِيبَةً لأَنَّ طُرُقَ الإِنْسَانِ أَمَامَ عَيْنَيِ الرَّبِّ وَهُوَ يَزِنُ كُلَّ سُبُلِهِ" (أمثال ٥: ١٨-٢١).

ونَرى هُنا أيضًا أنَّ معايير الله للرَّجُل تَختلف كثيرًا عن معايير العالم. فما نوع الرِّجال الذين يَحْظَوْنَ بالإعجاب في عالمنا اليوم؟ وما الأشياء التي يَظُنُّ الرِّجال أنَّها مُهِمَّة لسعادتهم وشعورهم بالرِّضا كرجال؟ لنُقارِن بين الصورَتَين.

وَفْق معايير البشر، أنتَ رَجُلٌ مثاليٌّ إذا كُنْتَ:	وفق مَعايير الله، أنتَ رَجُلٌ مثاليٌّ إذا كُنْتَ:
١. وَسيمًا.	١. تُقاوم التَّأثيرات الشرِّيرة.
٢. طويل القامة وقويَّ البُنية.	٢. تَتَفَهَّم زوجتك، وتعاملها باحترام، وكُنتَ أمينًا لها.
٣. ترتدي ملابس غالية الثَّمن.	٣. تُعامل الأولاد بلُطْف.
٤. تقود سيَّارة رياضيَّة أو فاخرة.	٤. تَعمل بِجدٍّ واجتهادٍ لِسَدِّ احتياجات عائلتك.
٥. صاحب أموال كثيرة ويمكنك السَّفر كما تشاء.	٥. تُدَبِّر بيتك دون انشغالٍ بالماديَّات لأنَّك تُرَكِّز على الاستثمار في السَّماء.
٦. تَشغل وظيفة مرموقة وتحمل لقبًا.	٦. تَتَصَدَّق على الفقراء والأرامل.
٧. قادرًا على تقديم إثباتات على نجاحك المادِّيِّ. مثلاً أن يكون لديك سيَّارات أخرى، أو أملاك، أو غيرها.	٧. تقود زوجتك وأبناءك في عبادة الله وتسبيحه.
٨. تحمل شهادة عالية ولديك استثمارات طويلة الأجل.	٨. تُقَدِّم لعائلتك تعليمًا وتدريبًا يُسْهم في بُنيانها روحيًّا.
٩. متزوِّجًا بامرأة جميلة.	٩. تُبدي فهمًا سليمًا لطُرُق الله فتكون بذلك مَصْدر إرشاد وتشجيع للآخرين.

ويمكننا أن نرى هنا أيضًا الفَرْق الشَّاسع بين بيتٍ يُدَبِّرُه رَجُلٌ دُنيويٌّ، وبيت يُدَبِّره رَجُلٌ تَقِيٌّ. فإذا تَخَيَّلنا الحياة العائليَّة بوجود رَجُلٍ دُنيويٍّ، يمكننا أن نرى الكثير من المال، ولكنَّنا سنرى أيضًا أنَّ أفراد العائلة لا يصرفون وقتًا معًا، وأنَّ هناك خلافات كثيرة، والعائلة في عجلة دائمة. بالمقابل، إذا تَخَيَّلنا الحياة العائليَّة بوجود رَجُلٍ تَقِيٍّ، يمكننا أن نرى المحبَّة، والقيادة، والتفهُّم، والشُّعور بالأمان.

ولتوضيح الصُّورة أكثر، فَكِّر في رَجُل دُنيويّ مَتَزَوِّج بامرأة دُنيويَّة. وعلى النَّقيض مِن ذلك، فَكِّر في رَجُلٍ تَقِيٍّ مُتزوِّجٍ بامرأةٍ فاضلة. فمِن المُرَجَّح أنَّ العلاقة بين الزَّوجين في الحالة الأولى ستكون مُمتلئة بأشياءٍ مادِّيَّة، ولكنَّها ستكون خالية مِن الفرح، والهدف، والشُّعور بالاكتفاء. أمَّا في الحالة الثَّانية، فسيكون التَّركيز مُنصبًّا على استخدام الموارد المادِّيَّة لتحقيق مقاصد سماويَّة أبديَّة. وستكون العلاقة ذات معنى، ومُفعمة بالمحبَّة والشُّعور بالأمان.

وعندما نُفَكِّر في معايير الله للزَّوج والزَّوجة في إطار الزَّواج، قد يكون الموضوع المُثير للجَدَل أكثر مِن غيره في وقتنا الحاضر هو خضوع الزَّوجة للزَّوج. دعونا نتأمَّل في ما تقوله كلمة الله: "وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُل هُوَ المَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ المَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ المَسِيحِ هُوَ اللهُ" (١كورنثوس ١١: ٣). وأيضًا: "أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا للرَّبِّ، لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ المَرْأَةِ كَمَا أَنَّ المَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الكَنِيسَةِ،... وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الكَنِيسَةُ لِلمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (أفسُس ٥: ٢٢- ٢٤).

وكثيرًا ما يُفَسَّر خضوع الزَّوجة للزَّوج كما لو كانت تَقِلّ عنه في الأهميَّة، أو كما لو كانت غير مُساوية له، أو تحت العُبوديَّة. وقد يكون هذا هو شعور المرأة التي تعيش مع زوج أنانيٍّ مُتَسَلِّط. ولكنَّ هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة عندما يكون الزَّوج مؤمنًا تَقِيًّا ومُطيعًا لدعوة الله لحياته. والحقيقة هي أنَّ سوء فهم النَّاس لدور الرَّجُل ودور المرأة يَعود، في الأصل، إلى سوء فهمهم لمعنى الإنجاز الشخصيِّ. ففي عقليَّة العالم، إنَّ الحُرِّيَّة والإنجاز يَعنيان أنَّ المرء يستطيع أن يفعل ما يريد. لذلك، يُحسَد الرَّجُل على دَوْرِه لأنَّه يبدو أكثر إشباعًا للإنسان. ولكنَّ الحُرِّيَّة الحقيقيَّة والشِّبع الحقيقيَّ يَنبعان مِن إرضاء الله وخدمة الآخرين. وبالتالي، لا يجوز أن نقول إنَّ أحد الزَّوجين يَفوق الآخر أهميَّةً.

والآن، هل يجوز للزَّوج أن يَفعل ما يَحلو له؟ قطعًا لا! بل سيكون حرًّا ومنجزًا إذا أظهرَ التفهُّم والمحبَّة لزوجته وأبنائه، وسدَّ حاجاتهم.

وهل الزَّوجة مُطالَبة بإرضاء زوجها في كُلِّ صغيرة وكبيرة؟ وهل هي مُطالَبة بدعمه وتشجيعه في كُلِّ ما يفعله - سواء بحكمة أو حماقة؟ وفقًا لتعليم الكتاب المقدَّس، تخضع الزَّوجة لسلطة الزَّوج. وعليها أن تُطيعه، وتَخضع له، وتقف إلى جانبه. لا يَذْكُر الكتاب المقدَّس أيَّة استثناءات، ولا يُشير إلى الأمور التي يمكن للزَّوجة أن تُخالف فيها زوجها، أو التي يمكنها رفضها، أو التي تُقَرِّر أنَّها ليست حكيمة. ومع ذلك، هذا لا يَمنع وجود حوارٍ بين الزَّوجين. ولكن إذا كان الزَّوج يَستغِلُّ سُلطته، يمكن للزَّوجة أن تلتجئ إلى سُلطات أعلى. وإذا طَلَب الزَّوج من زوجته أن تقوم بأمرٍ يُخالف كلمة الله، ينبغي لها أن تُطيع الله أكثر من النَّاس (انظر أعمال ٥: ٢٩). ويبقى هناك بُعْدٌ آخر لهذا السُّؤال. وهو أكثر أهميَّة من الحديث عمّا يمكن أو لا يمكن للمرأة القيام به. ونحنُ نتحدَّث هنا عن نظرة المرأة نفسها إلى علاقتها بزوجها. فإذا كانت الزَّوجة تَرى أنَّ مساندتها وخضوعها لزوجها هو "خضوع للربِّ"، يمكنها أن تتحرَّر في تجاوبها دون أن تَشعر بالعُبوديَّة. كذلك، إذا كانت الزَّوجة تَرى أنَّها تُعين زوجها وتساعده ليكون أفضل ما يُمكنه أن يكون كزوجٍ، وذلك من خلال سلوكها، ستجد أنَّ زوجها أصبح يراعي شعورها أكثر، وستمتلكُ الحكمة اللَّازمة للتعامل مع مشكلات معيّنة.

إنَّ القيادة القائمة على المحبَّة من جانب الزَّوج، والدَّعم القائم على المحبَّة من جانب الزَّوجة مُهِمّان جِدًّا بالنسبة إلى الربِّ حَتَّى إنَّه أَفْسَحَ في المجال للتَّعبير عن ذلك. فبحسب ما جاء في الأصحاح ١١ من رسالة كورنثوس الأولى، نَرى أنَّ شعر المرأة الطَّويل والمُغَطَّى، وشَعْر الرَّجُل القصير والمكشوف، يَشهدان عن خضوع الزَّوج للمسيح، وخضوع الزَّوجة لزوجها.

وما أكثر المسائل المُعَقَّدة والمشكلات المؤلمة التي تواجه الزَّوجين عندما لا يُكرِمان وصايا الله لهما. فيشعر الأزواج بأنَّ زوجاتهم يُهَدِّدْن كِيانهم ويتحايلنَ عليهم. وتشعر الزَّوجات بأنَّ أزواجهنَّ يُسيئون فهمهنَّ ويُضايقونهنَّ. فبدلاً من مناقشة صِفات الأزواج والزوجات السلبيَّة، دعونا نُرَكِّز على أربعة مبادئ ينبغي فهمها عند معالجة المشكلات الزوجيَّة.

١. **إنَّ الأشخاص الذين يُطيعون وصايا الله، وحدهم يختبرون بركته.** تُعدُّ طريقة الرَّجُل في التَّفكير عمليَّةً في أغلب الأوقات ومُوَجَّهةً نحو الموقف. ولا شَكَّ أنَّه ينبغي لنا التَّفكير في المواقف، ولكن علينا أن نفعل ذلك في ضوء ما تقوله كلمة الله. ويجب على الزَّوج أن يكون القائد. أمَّا الزَّوجة فينبغي لها أن تَدعم زوجها. وعندما يكون الرَّجُل ضعيفًا، يمكن للمرأة مساعدته ليكون قويًّا. ولكن لا يمكنها أن تأخذ مكانه. وعندما تكون الزَّوجة في غير مكانها، ينبغي للزَّوج أن يُخبرها بذلك، ويُشَجِّعها، ويوبّخها، ويُحِبَّها، ويَسُدَّ حاجاتها. ولكن لا يجوز له أبدًا أن يَحيد عن المثال الذي وضعه المسيح له. ليست لديه الحريّة لأن يُرغم زوجته على دعمه. ونُعيد القول إنَّ إكرام الله هو الطَّريقة الوحيدة للحصول على بَرَكته.

٢. **عندما لا يُطَبِّق أحد الزَّوجين وصايا الله، فإنَّه يضع ضغوطًا على الآخر.** مِن الصَّعب على الزَّوجة أن تحترم زوجها وتدعمه إن لم يَكُن يُحِبُّها. وعندما تكون الزَّوجة غير خاضعة، مِن الصَّعب على زوجها أن يُحِبَّها ويُراعي مشاعرها. لذلك، يجب على الزَّوجين أن يَفحصا نفسيهما بصدقٍ وبروح الصَّلاة: "هل أنا الشَّخص الذي يريدني الله أن أكونه؟"

٣. **أكثر الطُّرق فاعليَّةً في مساعدة شريك الحياة الذي لا يلعب دوره جيّدًا هو أن تسعى لتكون الشريك التقيّ الذي يدعوك الله لتكونه.** الزَّوجة المُتمرِّدة لن تُطيع زوجها بسهولة. لكن يستطيع الزَّوج أن يكسب احترامها وخضوعها مِن خلال زيادة محبَّته لها، وإظهار المزيد مِن الاهتمام والتفهُّم لها. كذلك، إذا كان الزَّوج متأمّرًا وقاسيًا، مِن الصَّعب على الزَّوجة أن تُذكّره بأنّه ينبغي أن يُحِبَّها. ولكن يمكن للمرأة التقيَّة أن تكسب قلب زوجها لا بالجَدَل والنِّقاش، بل مِن خلال خضوعها ودعمها له (انظر ١بُطرس ٣).

٤. **على الرَّغم من احتماليَّة حدوث أخطاء في اختيار شريك الحياة، إلّا أنَّ الزَّواج يربط الزَّوجين مدى الحياة.** فنحن نعيش في عالم متهوِّر وطائش تَكْثُر

فيه الآلام والمشكلات. وهناك أشخاص كثيرون يُدركون بعد فترة قصيرة مِن زواجهم أنَّهم اقترفوا خطأً فادحًا ويلومون أنفسهم على غباوتهم. وحينئذٍ، تتدهور حياتهم أكثر فأكثر. لذا، ما الذي يمكن فِعله بعد اقتراف هذه الغلطة الفادحة؟

"إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لله فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الوَفَاءِ بِه، لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالجُهَّالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ. أَنْ لاَ تَنْذُرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ. لاَ تَدَعْ فَمَكَ يَجْعَلُ جَسَدَكَ يُخْطِئُ، وَلاَ تَقُلْ قُدَّامَ المَلاَكِ: "إِنَّهُ سَهْوٌ"" (الجامعة ٥: ٤-٦).

إنَّ الله يدعونا إلى الوفاء بنذورنا. لذلك، حتَّى لو أخطأنا في اختيار شريك الحياة، يجب علينا أن نَقبل حقيقة أنَّ هذا الشَّريك هو العلاقة الشرعيَّة الوحيدة لدينا. وعندما نَفي بنذورنا، فإنَّنا معرّضين لأن نتألَّم. ولكنَّ الله راغبٌ وقادرٌ على مساعدة كُلِّ مَن يَتَّكِل عليه.

الاحتياجات الأساسيَّة وكيفيَّة تلبيتها

خَلَق اللهُ الرَّجُل والمرأة، ليُكَمِّل كُلٌّ منهما الآخر. وقد أشارَ الله إلى ذلك بقوله: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ" (تكوين ٢: ١٨). لذلك، خَلَق الله المرأة لِتُكَمِّل نَقْص الرَّجُل فيكون الاثنان لا خَصْمَيْن، بل رَفيقَيْن جسديًّا، واجتماعيًّا، وعاطفيًّا، وفكريًّا، وحتَّى روحيًّا.

والحقيقة هي أنَّ الكثير مِن التوتّر والخلافات في الزواج، وفي علاقات أخرى، في وقتنا الحاضر، نابعة مباشرةً مِن التَّركيز على الحقوق، والتَّغاضي عن المسؤوليَّات. لكن عندما تعود الأمور إلى وضعها الصَّحيح ويُركّز الشريكان على مسؤوليّاتهما الشخصيّة، مِن المؤكَّد أنَّ الخلافات بينهما ستتضاءل، وسيفكّرا أكثر في الخدمة. وبدلاً مِن أن ينهمك كُلٌّ منهما في فِعل ما يريد، سيُرَكِّز على تلبية احتياجات الآخر.

يركّز الجزء التالي على بعض حاجات الأزواج والزَّوجات الأساسيّة. وهو موجّهٌ إلى الأشخاص الذين يُفَكِّرون جديًّا في الاضطلاع بمسؤوليَّاتهم في إطار علاقتهم الزَّوجيَّة.

حاجات الزوجة الأساسيَّة

إنَّ فهم حاجات الزَّوجة مقابل إرادة زوجها، يَعتمد على فهم الأنوثة والذُّكورة، والفروق بين الجنسين. لقد تغيّرت المفاهيم الثقافيّة الخاصّة بالرَّجُل والمرأة مع مرور السنين. وفي وقتنا الحاضر الذي تَكثر فيه الدَّعوة إلى المساواة بين الجنسين، لم يَعُد كثيرون يُقِرُّون بوجود فروقٍ بين الذكر والأنثى. ولكنَّ إنكار وجود فروق بين الجنسين أمرٌ غير واقعيٍّ ولا يُوافق تعليم الكتاب المقدَّس.

لم تَكُن جميع المفاهيم الثقافيَّة المُتعلّقة بالذَّكر والأنثى صحيحة قبل القرن العشرين أيضًا. فما دام الله قد خَلَق الإنسان ذكرًا وأنثى، فإنَّ هذا يُؤكِّد أنَّهما ليسا مُتشابهَيْن. وكذلك إنَّ الاختلاف بينهما لا علاقة له بالقيمة أو الأهميَّة. فعلى سبيل المثال، عندما ينظر الرَّجُل إلى مشروعٍ ما ويُفَكِّر في كيفيَّة تحقيقه، وتنظر المرأة إلى المشروع نفسه كوسيلة لبناء العلاقات، هذا لا يعني أنَّ أحدهما أفضل مِن الآخر. إنّما يؤكِّد حقيقة أنَّ الرَّجُل والمرأة مُختلفان.[١]

في ضوء ما سَبَق، ما هي حاجات المرأة؟

١. **تحتاج الزَّوجة إلى شخص يَفهمها.** "كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ" (١بُطرس ٣: ٧). ترينا هذه الآية أنَّ الزَّوج يميل إلى الانهماك في أمورٍ أخرى خارج إطار بيته وزواجه. وقد يُهمِل أمورًا تخصّ زوجته وتُعدّ مُهِمَّةً بالنسبة إليها. فلكُلِّ امرأة عاداتها، ومخاوفها، وميولها، وأمورٌ

١ على سبيل المثال، يناقش "غاري سمالي" (Gary Smalley) هذه الاختلافات في كتابه: "لو كان يَدري" *(If Only He Knew)*، من منشورات: Grand Rapids, Michigan: Zonder-van، ١٩٨٨. وهو يقول إنَّ أحد الأسباب الرَّئيسيَّة لفشل الزِّيجات في وقتنا الحاضر هو أنَّ النَّاس لا يفهمون الاختلافات بين الذُّكور والإناث (انظر الصَّفحات ١٣ وما يليها).

تُحبُّها وأخرى لا تُحبُّها. وهي تَشعُر، في إطار العلاقة الزَّوجيَّة، بالحاجة إلى مَن يفهمها. ويمكن للزَّوج أن يُظهر فَهمه لزوجته مِن خلال اهتمامه بها. فالكتاب المقدَّس لا يقول إنَّ الزَّوج مُطالب فقط بمعرفة زوجته، بل إنّه يجب أن يَعيشَ مَعَها وَفْقًا لمعرفته بها.

٢. **تحتاج الزَّوجة إلى شخصٍ يَقبلها كما هي.** إنَّ هذه الحاجة امتدادٌ للحاجة إلى مَن يَفهمها. يصف الكتاب المقدَّس العلاقة الزوجيَّة الحميمة بأنها "مَعرفة" الواحد للآخر. فالزَّواج يَجعل كُلًّا مِن الزَّوج والزَّوجة يَعرف ذِهن الآخر وقلبه "على حقيقته". وقد تكون هذه المعرفة مؤلمة أو رائعة، وهذا يَعتمد على الاستعداد لتقديم القَبول للطَّرف الآخر. فالزَّوج يُرسل رسائل رَفْضٍ واضحة إلى زوجته عندما يُقارنها سلبيًّا بنساءٍ أُخريات، أو عندما يَهزأ بشخصيَّتها، أو يُلقي عليها مسؤوليَّات كثيرة ثُمَّ ينتقدها بسبب إخفاقها. وقَبول الزَّوج للزَّوجة لا يعني موافقته على كُلِّ ما تَفعله أو قبوله لكلِّ طِباعها، لكنَّه يعني احترام شخصيَّتها الفريدة ودعمها في تحقيق خُطَّة الله لحياتها.

٣. **تحتاج الزَّوجة إلى شخصٍ يُحبُّها ويُكرمها.** ولا شَكَّ أنَّ المحبَّة تَختلف أيضًا عن القبول. والحقيقة هي أنَّ قَبول الزَّوج لزوجته وحُبَّه لها يتوقَّفان على فهمه لها. ورُبَّما يُعدّ الحُبُّ والإكرام الحاجة الأساسيَّة للزَّوجة في إطار الزَّواج. لذلك، ليس مِن باب المُصادفة أنَّ العهد الجديد يوصي الرَّجُل مرارًا وتكرارًا بأن يُحبَّ زوجته. فقد كَتَب الرَّسول بولس: "كَذلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ، بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضًا لِلْكَنِيسَةِ" (أفسُس ٥: ٢٨ و٢٩). والكلمة "يُرَبِّي" في هذا النَّصِّ تعني حرفيًّا: "يُدْفِئ، كما يُدْفِئ الطَّائر صِغارَهُ". فالزَّوجة بحاجة إلى مَن يَفهمها. وهي بحاجة إلى مَن يَقبلها كشخص. ولكنّها بحاجة أيضًا إلى الشُّعور بمحبَّة زوجها لها، وإلى ذلك الشُّعور بالأمان النَّاشئ عن ضَمِّه لها بالقرب مِن قلبه - لا لسببٍ آخر سوى أنَّها عزيزة وغالية على قلبه.

ويَقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ سدّ هذه الحاجات الثَّلاث هو عمليَّة تراكُميَّة. فكُلُّ واحدة تَتوقَّف على تلك التي سَبَقَتها. لا يمكن للزَّوج أن يَقبل زوجته إن لم يَفهمها. ولا يَقدر أن يُحِبَّها ما لم يَفهمها ويَقبلها.

٤. **تحتاج الزَّوجة إلى قائد حازم وحكيم**. "كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الحَيَاةِ، لِكَيْ لا تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ" (١بطرس ٣: ٧). وعندما يُشير الكتاب المقدَّس إلى المرأة بأنَّها "الإناء الأضعف"، فإنَّه لا يَعني أنَّها أضعَف من الرَّجُل في كُلِّ شيء. وكما ذَكَرنا آنفًا، هذا لا يعني أنَّها أقَلُّ شأنًا من الرَّجُل. إنّما المقصود هو أنَّ المرأة تنجذب إلى القُوَّة التي عند الرَّجُل – شرط أن تكون قُوَّة مُنضبطة. لكن يميل الرِّجال إلى التباهي بقوّتهم واستخدامها للسَّيطرة على النِّساء، واستغلال ضعفهنَّ. فهذه "القوَّة" تفقد جاذبيَّتها سريعًا. لذلك، ينبغي للزَّوج أن يَستخدم قوَّته بحسب القصد الإلهيِّ، أي لحماية زوجته وأبنائه من الأذى والضِّيق المادِّيِّ، والعاطفيِّ، والروحيِّ، ولقيادة عائلته بمراعاة.

٥. **تحتاج الزَّوجة إلى شخص مُخْلص**. "اجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ، كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لأَنَّ المَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالمَوْتِ. الغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالهَاوِيَةِ. لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارٍ لَظَى الرَّبِّ" (نشيد الأنشاد ٨: ٦). تستبعد المحبَّةُ الحميمة بين الزوجَين الآخرين. لذلك، في الحُبَّ غيرةٌ لائقة تقول: "أنا لك، وأنت لي". وبعبارة أخرى، تحتاج الزَّوجة إلى الشُّعور بالأمان النَّاشئ لا عن محبَّة زوجها لها فحسب، بل أيضًا عن أنَّه يكنّ لها حبًّا لا يكنّه لأحد آخر. ولا شَكَّ أنَّ هناك غَيْرَة غير سليمة أساسها الأنانيَّة. وهذه الغَيْرَة تَظهر من خلال الشكِّ والخوف. وتضع قَيْدًا خانقًا على الزَّوج. لذا، تحتاج الزَّوجة إلى زوجٍ مُخْلص، يَفهم هذه الحاجة عند زوجته ويُحافظ على ثقتها. فلا يُغازل نساءً أُخريات، ولا ينظر إلى المجلَّات الإباحيَّة. بل يَحفظ عينيه، ولسانه، وقلبه. ويُرَكِّز على إظهار محبَّته المُخْلِصَة للمرأة **الوحيدة** في الكَون التي اختارها زوجةً له.

حاجات الزوج الأساسيَّة

إنَّ حاجات الزَّوج تختلف كثيرًا عن حاجات الزَّوجة، بل ربَّما تكون على النَّقيض منها. فقد خَلَق الله المرأة في ضوء حاجات الرَّجُل (تكوين ٢: ١٨). ولذلك، زَوَّدها بكُلِّ ما يلزمها لإشباع هذه الحاجات. إذًا، ما هي حاجات الزَّوج؟

١. **يحتاج الزَّوج إلى الشُّعور بأنَّ هناك مَن يعتمد عليه.** لقد أعطى اللهُ الرَّجُلَ مسؤوليَّة القيادة في البيت. لذلك، عندما يُدرك الزَّوج أنَّ زوجته تَعتمد عليه، فإنَّ رُجولته تدفعه إلى القيام بمسؤوليَّته تجاهها وإعالتها، والاعتناء بها، وحمايتها. ويشعر بالرِّضا والاكتفاء مِن خلال تلبية حاجات زوجته. وكما أنَّ الزَّوج قد يُسيء استخدام قُوَّته مِن خلال التسلُّط على زوجته، فقد تُسيء الزَّوجة أيضًا استخدام ضعفها واتِّكالها على زوجها مِن خلال التَّحايُل عليه. وما أكثر الزَّوجات اللَّاتي استخدَمنَ دموعهنَّ، وصُداعهنَّ، وأنينهنَّ لاستدرار عطف الزَّوج مِن أجل الحصول على مبتغاهنّ. ولكنَّ هذا التَّظاهُر بالضَّعف لن يدوم طويلاً. فالمرأة الحكيمة تَسمح لزوجها بأن يكون معيلها من دون أن تتحايل عليه لتحصل على ما تُريد.

٢. **يحتاج الزَّوج إلى شخص يَقبله كما هو.** الإنسان بِطَبيعته بحاجة إلى الشُّعور بالقبول. والزَّواج هو أعمق وأوطد صداقة ممكنة بين البشر. فيمكنه أن يلبّي هذه الحاجة، كما يُمكنه أن ينطوي على الرفض. فانتقادات الزَّوجة الدَّائمة، وحديثها عن إخفاقات الزَّوج أمام الآخرين هما أقوى مؤشِّرَيْن شائعَيْن يُعَبِّران عن رفض الزَّوجة للزَّوج. وكما ذكرنا سابقًا ، لا يعني القبول بالضَّرورة موافقة الزَّوجة الكاملة على كُلِّ ما يفعله الزَّوج. ولكنَّه يعني أن ترى زوجها كما هو بدلاً مِن مقاومة هذا الواقع، وتُساعده ليكون الإنسان الذي يريده الله أن يكونه.

٣. **يحتاج الزَّوج إلى شخص يُشَجِّعه ويَدعمه.** قال اللهُ في توضيح قَصْده من خَلْق زوجة لآدم: "لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ" (تكوين ٢: ١٨). إذًا، المرأة "مُعينٌ" لزوجها. وهذا لا يعني البَتَّة أنَّها شيءٌ كَمالِيٌّ، أو شخص موجود لوقت الحاجة فقط، بل يعني أنَّها خُلِقَت للقيام بدورٍ داعِمٍ رئيسيٍّ في

مؤازرة زوجها. ففكرها وإرادتها وطاقاتها هي مِلْكٌ لها لتستخدمها. وهي ليست في مُنافسة مع زوجها، بل يتّحد الاثنان معًا في الفِكْر والإرادة والطَّاقة فيُكَمِّل أحدُهما الآخر. ولا شَكَّ أنَّ مقدار تشجيع المرأة ودعمها لزوجها يَتوقَّف على مدى استعداد الزَّوج للتشاور والتَّعاون معها. لكنَّ الزَّوجة الحكيمة تُدرك أنَّ لكُلِّ زوج جوانب ضعف. لذلك، إنَّها لا تفشل وتتراجع عن دعمه وتشجيعه في حال أخفق أو فشل. بل تسنده، وتساعده، من خلال وجودها في حياته، على ترسيخ جوانب القوَّة لديه. وقد يكون امتنانُ الزَّوجة واحدةً من أفضل الطَّرائق العمليَّة لتشجيع زوجها. فابتسامتها، وعبارات الشُّكر، وقدرتها على الحفاظ على فَرَحها حتَّى في الأوقات العصيبة هي أمورٌ تُشبع إحدى الحاجات الأساسيَّة لدى زوجها.

٤. **يحتاج الزَّوج إلى أنوثة زوجته في البيت.** "حِكْمَةُ المَرْأَة تَبْني بَيْتَهَا، وَالحَمَاقَةُ تَهْدِمُهُ بِيَدِهَا" (أمثال ١٤: ١). "كَذلِكَ العَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالْقَدَاسَةِ... لِكَيْ يَنْصَحْنَ الحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحِبِّنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ" (تيطُس ٢: ٣- ٥). ومع أنَّ الزَّوج مسؤول عن القيادة في البيت، لكنّه لا يستطيع أن يَبني البيت بمفرده. فهو بحاجة إلى زوجته لتُهيّئ بيئةً مُنَظَّمة، وجميلة، ونظيفة، ومُفعمة بالعناية. وعلى النَّقيض من التَّفكير السَّائد حاليًّا، ليس تدبيرُ المنزل عملاً وضيعًا ومُملًّا لا يُناسب إلَّا المرأة التي تَفتقر إلى الذَّكاء؛ بل هو مسؤوليّة تتطلَّب تكريسًا، وإبداعًا، وذكاءً، ومهاراتٍ إداريَّة رفيعة المستوى. والحقيقة هي أنَّ أُنوثة الزَّوجة هي قلب البيت النَّابض، وهي تُشبع زوجها. أمَّا المرأة التي تُفَضِّل العمل خارج المنزل فإنَّها تترك في بيتها وحياتها الزوجيَّة فراغًا لا يمكن لأيِّ شيءٍ آخر أن يُعَوِّضه.

٥. **يحتاج الزَّوج إلى امرأةٍ مُخْلِصَة.** "امْرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا" (أمثال ٣١: ١٠ و١١). إنَّ إخلاص الزَّوجين ضرورةٌ مُلِحَّة في العلاقة الزوجيَّة. فكما أنَّ المحبَّة المُخْلِصَة تولّد أحلى المشاعر في العلاقات البشريَّة، هكذا تُفْضي الخيانة إلى المَرارة. والخطر الأكبر الذي يُهدِّد

العلاقة الزَّوجيَّة هو أن يُدرك أحد الزَّوجين أنَّ شخصًا ثالثًا قد نجح في تَدنيس قُدْسيَّة العلاقة الزوجيَّة. لذلك تحتاج الزَّوجات إلى أزواج مُخْلِصين. ويحتاج الأزواج إلى زوجاتٍ مُخْلِصات. ولا شَكَّ أنَّ الزَّوجة التَّقيَّة تُحافظ على أخلاقها، وكلامها، ومظهرها، وتحتفظ بجمالها ومفاتنها لزوجها فقط. "وَكَذلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلبَاسِ الحشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّل، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَال صَالِحَةٍ" (١تيموثاوس ٢: ٩ و١٠).

ولا شَكَّ أنَّ فَهْم كُلٍّ من الزَّوجين حاجات الآخر هو الخطوة الأولى التي يَخطوها الحُبُّ لتلبية هذه الحاجات. فإن رَكَّزنا على حاجاتنا بدلاً من حاجات شريك حياتنا، قد نتعَثَّر بسهولة بالرثاء للذَّات بدلاً من التقدّم بالمحبَّة. فنجاح العلاقة الزوجيَّة يَعتمد كثيرًا على مدى استعدادنا للتَّضحية بذواتنا في سبيل توفير حاجات شريك حياتنا العميقة. وهكذا تُمارَس المحبّة الحقيقيّة. والمحبَّة تثبّتُ الزَّواج.

أخطاء شائعة في الزَّواج

هناك أخطاء كثيرة تُحيط بالزَّواج. ويبدو أنَّ الضُّغوط المؤدِّية إلى الوقوع في هذه الأخطاء هي في تزايد مستمر بسبب زيادة صعوبة الحياة وتعقيداتها. وما أكثر الأخطاء التي قد يقترفها الزَّوج والزَّوجة في أيَّامنا هذه. لذلك، سنكتفي بالحديث عن أبرز هذه الأخطاء.

١. **العبوديَّة الماليَّة:** هناك ضغوط هائلة على الزَّوجين للشِّراء، والتملُّك، والاستهلاك. فالشَّيء الذي لا يمكننا دفع ثمنه اليوم، سندفعه لاحقًا. وتتردّد هذه الرسالة على مسامعنا في المجتمع من حولنا. ولكِنْ سُرعان ما يجد العريس والعروس نفسَيْهما غارِقَيْن إلى آذانهما في الدُّيون؛ في حين أنَّ الحُبَّ لم يَصِلْ

بعد إلى الكاحلَيْن. ففي دراسة أُجريت سنة ١٩٩٦، قال ٥٧ بالمئة من الأزواج المُطَلَّقين والزَّوجات المُطَلَّقات في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة إنَّ المشكلات الماليَّة كانت السَّبب الرَّئيسيِّ في انهيار زِيْجاتهم.[٢]

ولكن ما هي العبوديَّة الماليَّة؟ إنَّ العبوديَّة الماليَّة تعني أن نقصّر فِعل الشَّيء الصَّحيح أو الملائم لأنفسنا، أو لعائلتنا، أو للربِّ بسبب اهتمامنا المُفرط في الأمور الماليَّة. وقد تأتي العبوديَّة في شكل ديون ضاغطة، أو فواتير غير مدفوعة، أو تعقيدات في المشاريع التجاريّة. من جهة أخرى، قد يقع المرء في فَخِّ العبوديَّة الماليَّة نتيجة موقفه من المال - مِثل رغبته في أن يصير غَنِيًّا، أو قلقه المُفرط على استثماراته (أو قلقه على عدم وجود استثمارات لديه)، أو بسبب استعداده لاستخدام الخداع في تعامله مع الآخرين.

ويمكن للمرء أن يبقى بمنأى عن العبوديَّة الماليَّة من خلال التزامه الرَّاسخ بمبادئ كلمة الله، واستخدام البصيرة والحكمة. فَكِّر في الإرشادات التَّالية:

- اطلب ملكوت الله قبل أيِّ شيءٍ آخر.
- كُن أمينًا، ومُنصِفًا، وسخيًّا في جميع تعاملاتك الماليَّة.
- اهتمّ بوحدة العائلة والنشاطات البنّاءة أكثر من الرِّبح المادِّيِّ.
- انظر إلى المال باعتباره ملكًا لله (أنت وكيل على هذه الأموال ولستَ مالِكًا لها).
- ابحث عن فُرَص لاستثمار أموالك في مشاريع سماويَّة لا أرضيَّة.
- تَجَنَّب أيَّة أهداف ماليَّة تُنافس الأهداف الروحيَّة.
- تَجَنَّب الشَّراكة.
- تَجَنَّب الاقتراض لشراء أشياء استهلاكيَّة أو أشياء تنخفض قيمتها سريعًا.

---

2 "Why Money is the leading cause of divorce" (ما الذي يَجعل المال سببًا رئيسيًّا في الطَّلاق). Jet. FindArticles.com. 18 Jul, 2012.

- لا تستخدم بطاقات الائتمان إلَّا إذا كنت ستدفع كُلَّ ما عليك في نهاية الشَّهر.
- لا تكن شريكًا مع أحد في التَّوقيع.
- ادفع فواتيرك فورًا.
- كُن أمينًا في دفع ضرائبك.
- اعمل بجِدٍّ، وعِش ببساطة، وأعْطِ بحُرِّيَّة وكَرَم، وادَّخر بحكمة.

٢. **انعدام حسّ المسؤوليَّة**. وفقًا لتعليم الكتاب المقدَّس، إنَّ الزَّوج مسؤول عن القيادة في البيت، وعن توفير حاجات زوجته وأولاده. والزَّوجة مسؤولة عن دعم زوجها في عمله، وفي الحفاظ (حرفيًّا: في الوصاية) على بيتها. وقد تحدث المشكلات في الزَّواج بسبب إهمال المسؤوليَّات. فالزَّوج الكسول، الذي لا يحتفظ بأيّة وظيفة يعمل بها، أو الذي يُكَدِّس الفواتير غير المدفوعة، يدفع زوجته إلى الشُّعور بعدم الأمان ويكون سببًا في احتدام المشكلات الزوجيَّة. كذلك، إنَّ الزَّوجة التي تترك البيت في حال فوضى، أو تَصرف الجزء الأكبر مِن وقتها في الزِّيارات، أو في ممارسة هواياتها، أو في التسوُّق، أو في التسكُّع، تدفع زوجها وأولادها إلى الشُّعور بالإحباط.

وقد تحدث المشكلات أيضًا في الزَّواج بسبب محاولة أحد الزَّوجين القيام بدور الآخر. فبعض الأزواج يحاولون فَرْض إجراءات في البيت تَجعل الزَّوجة تَشْعُر بأنَّ مكانها سُرِقَ منها. أو قد تحاول الزَّوجة أحيانًا السَّيطرة على زوجها، أو تستغلُّ عدم درايته في أمورٍ مِثل الإدارة الماليَّة والعبادة العائليَّة. والحقيقة هي أنَّ هذه المشكلات تتفاقم دائمًا على المدى البعيد بسبب تبادُل الأدوار بين الزَّوج والزَّوجة، لأنَّ ذلك لا يَؤول إلى تعاون الزَّوجين، بل إلى التنافس. وما أكثر الأبناء الذين يشهدون عن الصراع الذي عاشوه بسبب اضطرارهم لإطاعة أمر الربِّ في إكْرام أبيهم أو أُمِّهم اللذين لم يقوما بالدور المُحدّد لكلٍّ منهما.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كان زواج "ديف" و"جانيت" مُتقلقلاً منذ البداية. فهما لم يكونا مُؤمِنَيْن مع أنّهما وُلِدا في عائلتَيْن مُتديِّنتَيْن.

وبعد فترة قصيرة مِن زواجهما، خانَ ديف زوجته. ولكنَّها لم تكتشف الأمر إلَّا بعد أن آمن كلاهما. فقد شعر ديف بتأنيب الضَّمير واعترف لزوجته بذلك. وبما أنَّ جانيت كانت تفتقر إلى الشُّعور بالأمان على الصَّعيد الشخصيِّ وعلى صعيد العلاقة الزوجيّة، انهارت تمامًا. لذلك، أهملت بيتها فأصبح في حالٍ يُرثى لها. كما أهملت إعداد الطَّعام وتنظيف المنزل.

ومع أنَّ ديف كان يرغب في إطاعة وصايا الربِّ، إلّا أنّه كان يُعاني من ناحية القيام بمسؤوليَّاته كما يجب. فمثلاً، أراد أن يُخصّص وقتًا للمذبح العائليّ، لكنّه لم يجد الوقت الملائم أو المِزاج المناسب. كذلك، تمنّى الحصول على عمل دائم، لكنَّه كان يعاني ألمًا في ظهره. لذلك، لم تَسِر الأمور على ما يُرام. كما أنَّ جانيت تولّدت فيها غيرةٌ جعلتها تشعر بعدم الأمان حول فكرة عمل ديف خارج المنزل.

ولا حاجة إلى القول إنَّ الضُّغوط الماليَّة زادت الأمر سوءًا.

ولأنَّ كُلٌّ واحدٍ كان يُرَكِّز على تقصير الآخر، لم يقم أيٌّ منهما بمسؤوليَّاته. وصار كُلٌّ منهما سببًا في شقاء الآخر.

في ما يلي بعض الاقتراحات:

- ناقش أنت وزوجتك مسؤوليَّات كُلٍّ منكما. حدّدا جوانب التقصير، واستمعا لبعض واقترحا أمورًا تُساعد في إتمام المسؤوليّات الشخصيّة.

- في حال نشأ خلافٌ حول المسؤوليَّات، ناقشا المسألة مع أحد خُدَّام الربِّ.
- صَلِّيا من أجل هذه المسؤوليَّات.
- إذا كان أحدكما مُقَصِّرًا في القيام بمسؤوليَّاته، يمكنه معالجة الأمر نقطة تلو الأخرى. اطلب مِن شخصٍ تَثِق به أن يُتابع تَقَدُّمك ويُشَجِّعك.
- اكتب تعهّدَك بالقيام بمسؤوليَّاتك على أكمل وجهٍ مُمكن. كُنْ منطقيًّا ومُحَدَّدًا في الوقت نفسه.
- إذا كان شريك الحياة ضعيف العزيمة أو مُهملاً، فَكِّر في كيفيَّة مساعدته من دون التورُّط في القيام بمسؤوليَّاته. ضع لائحة باقتراحاتك.

٣. **غياب التَّواصُل**. تفاقمت هذه المشكلة وصارت أكثر تعقيدًا بسبب سُرعة وتيرة الحياة في وقتنا الرَّاهن. فيكون الزَّوج والزَّوجة في عجلة مِن أمرهما عند استيقاظهما، وعند خروجهما من المنزل، وعند عودتهما إلى المنزل، وعند تناول العشاء، وعند النَّوم. ولا شَكَّ أنَّ هذه العَجَلة **تزيد** احتماليَّة سوء الفهم بين الزَّوجين، **وتُقَلِّل** فرصة مناقشة أيَّة مشكلات تنجم عن ذلك. فلا يجوز للزَّوجَيْن أن يتركا مشكلات اليوم تتراكم، ويُحاولا حَلَّها قبل ميعاد النَّوم مباشرةً. ومِن دواعي الأسف أنَّ بعض الأزواج والزَّوجات لا يحاولان حتّى حَلَّ مشكلاتهما. وعندها، تصير الحياةُ الزوجيَّة مُجَرَّد وجود تحت سقفٍ واحد، في مكانٍ يفتقر إلى التَّواصُل، فيكون الحديث مجرّد "مرحبًا" و "إلى اللقاء".[٣]

وفي حين أنَّ غياب الاتِّصال مؤذٍ للزَّواج بمُجمله، فإنَّ الزَّوجة هي التي تُلاحظ ذلك قَبْل الزَّوج عادةً، وتتأثَّر به. فالمرأة بحاجة إلى أن تسمع صوت

٣ حين ينعدم التَّواصل، فإنَّ التَّعبير عن المحبَّة يكون ضحلاً وتافهًا. يمكن الحصول على مزيد مِن المعلومات المفيدة عن العلاقة الحميمة السَّليمة في الفصلين الخامس والسَّادس من الكتاب التدريبيّ: *"God›s Will for Love in Marriage"* ("مشيئة الله الخاصّة بالمحبَّة بين الزَّوجين"). هذا الدَّليل الدِّراسيّ، الذي ننصح المُقدِمين على الزَّواج والمتزوِّجين بقراءته، متوفِّر في:

Christian Light Publications, Inc., Harrisonburg, Virginia, 22802.

زوجها، وتتيقَّن مِن اهتمامه الكامل بها. لذلك، عندما لا يتواصل الزَّوج جيّدًا مع زوجته، تَشْعُر هذه الأخيرة بانعدام الأمان، وبأنَّها مُهمَلة. وعندما لا يُعيرها انتباهه الكامل، تَشْعُر بأنَّها عديمة الأهميَّة. فالزَّوج يَميل إلى التَّجاوب مع هذه المشاعر بـِ "المنطق". فيقول إنَّ زوجته تفترض أمورًا لا وجود لها، وإنَّها بحاجة إلى إراحة أعصابها وعدم الإفراط في عاطفتها. وقد يكون الزَّوج مُحِقًّا في أنَّ زوجته تَفترض أمورًا ليست صحيحة. ولكنَّه يُجانب الصَّواب حين يَظُنُّ أنَّ المشكلة تقتصر على زوجته فقط. إنَّ حاجة الزوجة للتَّواصُل تختلف عن حاجته، وهو المسؤول عن تلبية هذه الحاجة. وقد يتطلَّب ذلك أحيانًا تخفيف سُرعة الحياة، أو إلغاء بعض الأمور الجانبيَّة، أو حتَّى تخصيص وقتٍ لتبادُل أطراف الحديث مع زوجته.

مِن جهة أخرى، يجب على الزَّوجة أيضًا أن تُفَكِّر في زوجها وفي حاجاته. فبسبب الواجبات الكثيرة المُلِحَّة، قد لا يتمكَّن الزَّوج مِن التحدُّث إلى زوجته على الفور. وقد يكون الزَّوج أحيانًا مُنهمكًا في التَّفكير في قرارٍ يتطلَّب وقتًا. لذلك، قد يواجه صعوبةً في التَّركيز على الأشخاص المُحيطين به. وإذا كانت هناك حاجة لتخصيص وقتٍ للحديث في جدولٍ مزدحم، ينبغي الاتّفاق على وقتٍ مُحدَّد للتكلّم إذ سيكون مفيدًا. ويزيد توتّرُ الرجلِ إذا طلبت زوجته أن تتحدَّث إليه وهو يَعلم أنَّه لا يملك أكثر مِن عشر دقائق.

ولا شَكَّ أنَّ الملاحظات المذكورة آنفًا تَعكس الفرق بين الرَّجُل والمرأة في معالجة المعلومات ونقلها. فالرَّجُل يَميل إلى معالجة المعلومات مِن خلال التَّفكير فيها. أمَّا المرأة فتَميل إلى معالجة المعلومات مِن خلال التكلّم عنها. لذلك، عندما يواجه الزَّوج والزَّوجة مشكلةً، يريد الزَّوج أن يفكّر فيها. أمَّا زوجته فتريد أن تتحدَّث عنها. وإذا أدركا هذه الاختلافات سيتمكّن كلّ واحد من فَهْم الآخر والتَّعامل معه (توفير وقتٍ "للتَّفكير" ووقتٍ "للحديث"). أمَّا في حال لم يُدركا هذه الاختلافات، فقد يؤدّي ذلك إلى إثارة غضبهما وتبادُل الاتِّهامات.

تأمَّل في هذه الإرشادات التي قد تُسهم في تعزيز التَّواصُل بين الزَّوجين:

- حافظ على جدول عملك مُنَظَّمًا (تجنَّب الأعمال التي تتطلَّب غيابًا طويلاً).
- خَصِّص وقتًا تصرفه مع زوجتك بمفردكما عدا عن أوقات وجودك في البيت ليلاً (اخرجا لتناول الطَّعام، أو اعتنيا بحديقة المنزل معًا، أو تنزّها، وإلخ). اتّفقا على أوقاتٍ للقيام بهذه الأنشطةٍ.
- إذا كنتَ زوجًا، احرص على تخصيص وقتٍ تتحدَّث فيه إلى زوجتك عن المشكلات التي تواجهها هي، أو عن التحدِّيات التي تواجهكما كزوجٍ وزوجة.
- إذا كنتِ زوجةً، اسمحي لزوجك أن يجلس في هدوء إذا كان بحاجة إلى التَّفكير في مسألة ما قَبل التحدُّث عنها.
- لا تسمحا للامتعاض بأن يَملأ قلبَيْكما.
- تَعَهَّدا بمعالجة حالات سوء التفاهم والخلافات.
- كونا مُنفتِحَيْن وصريحَيْن. تَجَنَّبا تبادل المشاعر السلبيَّة بأسلوب غير مباشر.
- لا تَتَّخِذا قرارات مهمَّة دون مناقشتها معًا.
- لا بأس بتأجيل القرارات في حال لم تتّفقا (يجب على الزَّوج ألَّا يتجاهل اعتراضات زوجته على القرارات، حتَّى عند عجزها عن ذِكْر الأسباب. فقد شَهِد العديد مِن رجال الله الأتقياء أنَّ الله حَماهُم مِن قرارات خاطئة عديدة مِن خلال اعتراضات زوجاتهم الحدسيَّة).
- لا تُشارك أيَّة معلومات مع آخرين، ممكن أن تُضعف الثِّقة بينك وبين شريك حياتك.
- لا تُقَلِّل مِن شأن شريك حياتك، ولا تسخر منه، ولا تهزأ به، ولا تُكْثِر مِن الشَّكوى.
- عَبِّر دائمًا عن امتنانك لشريك حياتك، وتذكَّر دائمًا عبارات المديح والتَّشجيع.

- عامِل شريك حياتك بلياقة ولُطف. استخدم العبارات "لو سمحت"، و"شكرًا"، و"آسف"، وإلخ.

٤. **روابط غير سليمة مع الماضي**. إنَّ إحدى المشكلات الأكثر إيلامًا في الزَّواج هي مشكلة تَعارُض علاقات الماضي مع الولاء القائم بين الزوج والزوجة. ومِن الأمثلة الشَّائعة على ذلك هو أن يكون ولاء الزَّوج أو الزَّوجة للوالدَين يَفوق الولاء لشريك الحياة. يصف الكتاب المقدَّس الزَّواج بأنَّه "تَرْكٌ" و"التصاقٌ". فكي يتمكَّن الزَّوج والزَّوجة مِن الارتباط معًا بعلاقة زوجيَّة سليمة، ينبغي لكُلٍّ منهما أن يَترك أبوَيْه. وهذا لا يعني أنَّه ينبغي لهما أن يَتخلَّيا عن والديهما، ولكن أن يَجِد الزَّوج في زوجته ما كان يجده في أُمِّه، وأن تقدّم له زوجته الولاء، الذي كانت تُظهره يومًا لأبوَيْها.

وعندما يحين وقت تزويج الأبناء، يجب على الأبوَيْن أن يُطْلِقا أبناءهما. ومع أنَّه يمكن لهما أن يستمرّا في تقديم النُّصح والمشورة لأبنائهما، ولا سِيَّما عندما يُطلَب منهما ذلك، إلّا أنَّ التدخُّل في قرارات الأبناء المتزوِّجين يُخالِف ترتيب الله. وقد يَحْدُث مِثل هذا التدخُّل غير السَّليم بسبب ضغوطٍ عاطفيَّةٍ تُمارَس، أو نوعٍ من "الرشوة"، أو زياراتٍ مُفرطة. لذلك، أيًّا كانت المسافة التي تفصل بين العائلتين، يجب الفَصْل بين ولاء الزَّوج والزَّوجة لوالدَيْهما لكي تكون لديهما الحُرِّيَّة اللَّازمة لاتِّخاذ القرارات.

وقد تكون الاقتراحات التَّالية مفيدة:

- يجب أن يعيش الزَّوجان في بيتٍ مُستقلٍّ عن أهل الزَّوج وأهل الزَّوجة. ويجب على الأبوَيْن احترام ذلك.
- يجب على الزَّوجة أن تتجنَّب عقد المقارنات بين آراء زوجها وآراء أبيها.
- يجب على الزَّوج ألَّا يُملي على زوجته أن تسأل أُمَّه عن كيفيَّة القيام بالأشياء.
- في حال رغبَ الزَّوجان في الحصول على النَّصيحة مِن الأبوَيْن، يجب عليهما الذَّهاب معًا.

- يجب على الزَّوج والزَّوجة أن يتجنَّبا القول: "لقد كان والداي يقومان بهذا الأمر بشكلٍ مُختلف". ويجب على الزَّوج أن يتجنَّب القول: "لقد كانت أُمِّي دائمًا تفعل كذا وكذا...". ويجب على الزَّوجة أيضًا أن تتجنَّب القول: "لقد كان أبي دائمًا يفعل كذا وكذا ...".
- يجب توزيع الأنشطة التي يقوم بها الزَّوجان مع الأهل توزيعًا عادلاً.
- في حال أفرط الوالِدان في التدخُّل في حياة الزَّوجين، يجب على الزَّوجين مُناقشة الموضوع معهما بصدقٍ ولُطْفٍ في آنٍ واحد.

انتهاك خُطَّة الله

كما ذَكَرنا في بداية هذا الفصل، إنَّ مُتطلّبات المحبَّة الزوجيَّة تفوق قدرة الإنسان الساقط. وقد تُساعدنا هذه الحقيقة على فهم سبب وجود تعَدِّيات كثيرة على المحبَّة في عالمنا. فالأزواج يَتعبون من الزَّوجات الأنانيَّات، والزَّوجات يَتْعَبْنَ مِن الأزواج الأنانيِّين. لكنَّ المحبَّة البشريَّة تَتوقُ إلى الالتزام والتَّكريس. لذلك، يستمرّ النَّاس في الارتباط والزَّواج. لكنَّ كثيرين ليسوا مُستعدِّين لدفع الثَّمن اللَّازم للعثور على مكافآت المحبّة العميقة. ولذلك، يُوَرِّط النَّاسُ أنفسهم في علاقات عاطفيَّة، وَحال زوال المشاعر الرُّومانسيَّة التي تَطفو على سَطْح أغلبيَّة العلاقات العاطفيَّة الجديدة، يَنتقلون إلى علاقةٍ أخرى. وفي نهاية المطاف، نَجِدُ في حُطام تلك العلاقات الماضية لا أحلام هؤلاء التي لم تتحقَّق فحسب، بل أيضًا جُرْحَ أصدقاءٍ، وأزواجٍ أو زوجاتٍ، وأولاد.

الزِّنى - تَدنيس ما هو مُقَدَّس

يَصِفُ العهدان القديم والجديد الزِّنى بأنَّه خطيَّة. "لاَ تَزْنِ" (الخروج ٢٠: ١٤). "وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ"

(اللَّاويِّين ٢٠: ١٠). "وَأَعْمَالُ الجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ... إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ" (غلاطيَّة ٥: ١٩ و٢١).

لقد صَمَّم الله الزَّواج لخيرِنا، لا على الصَّعيد الاجتماعيِّ فحسب، بل على الصَّعيد الروحيِّ أيضًا. لذلك، إذا لم يَلتزم الزَّوج أو الزَّوجة بعهد الزَّواج، فإنَّ ذلك يُدَنِّس ما هو مُقَدَّس. وهذا التَّدنيس يَحْدُث بثلاث طرائق على الأقل:

١. **الزِّنى يَنتهك العهد المُقَدَّس بين الزَّوجين.** فكأنَّ الشَّخص الذي اقترف خطيَّة الزِّنى يقول لشريك حياته: "أنا لا أُبالي بالوعد الذي قطعته لك".

٢. **الزِّنى يُحَطِّم الثِّقة المقدَّسة بين الزَّوجين.** ليس الزَّواجُ مُجَرَّد تَعَهُّد يَلتزم فيه الزَّوجان، بل هو تَعَهُّدٌ بأن يُحافظ كُلٌّ منهما على ثِقة الآخر. لذلك، يُحَطِّم الزِّنى هذا العهد ويهدم الثِّقة بين الزَّوجين. فكأنَّ الشَّخص الذي اقترف خطيَّة الزِّنى يقول لشريك حياته: "أنا لا أُبالي بثقتك بي".

٣. **الزِّنى يُدَنِّس الوحدة المُقَدَّسة بين الزَّوجين.** ليس الزَّواج مُجَرَّد عهدٍ بين طرفَين، بل هو اتِّحادٌ يختمه الله، ويسجّله، ويُحَمِّل الزَّوجين مسؤوليَّته. بعبارة أخرى، إنَّ عهود الزَّواج ليست مُجَرَّد وعود بين رَجُل وامرأة، بل بينهما وبين الله. وبسبب مقاصد الله في الزَّواج، إنَّ الاتِّحاد بين الزَّوجين لا يحدث على المستوى البشريِّ فحسب، بل هو ثمينٌ في عيني الله أيضًا. أمَّا الزِّنى فإنَّه يُحَطِّم هذه الوحدة المقدَّسة التي هي مُهِمَّة بالنسبة إلى الله. فكأنَّ الشَّخص الذي اقترف خطيّة الزِّنى يقول: "أنا لا أُبالي برأي الله في ما يَخُصُّ زواجي".

وأيًّا كانت البهجة التي يَشعُر بها الزَّوج أو الزَّوجة في لحظة الخيانة، فإنَّ العواقب المُدَمِّرة للزِّنى تفوق الوصف. فهناك شُعورٌ بالذَّنب، والألم، والجفاء في العلاقة، والتوتُّر والألم، والخوف. وهي كُلُّها مشاعر سلبيَّة تَتسلَّل إلى أعماق الزَّاني. وقد عَبَّرت إحدى النِّساء عن تلك المشاعر قائلةً: "مع أنَّك قد تجدين الغُفران، لكنّك ستدفعين ثمنًا باهظًا، أكثر وأكثر!" وقد عَبَّر كاتب سِفْر الأمثال عن

ذلك تعبيرًا قويًّا فقال: "أَمَّا الزَّانِي بِامْرَأَةٍ فَعَدِيمُ الْعَقْلِ. الْمُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ. ضَرْبًا وَخِزْيًا يَجِدُ، وَعَارُهُ لاَ يُمْحَى" (أمثال ٦: ٣٢ و٣٣).

الطلاق - روح تتميَّز بطابع الخيانة

يوصَف الطَّلاق في الكتاب المقدَّس بأنَّه "تَخَلِّي" أحد الشَّريكين عن رفقة الآخر بعد الزَّواج أو في فترة الخطبة. وتُستخدَم هذه الكلمة عادةً لوصف الرَّجُل الذي يُطَلِّق زوجته؛ وهو أمرٌ مَحظور. والعكس صحيحٌ أيضًا. ويؤكّد إنجيل مرقس ١٠: ١٢ ذلك. فبحسب شريعة موسى، سُمِحَ بالطَّلاق في ظروف مُعَيَّنة. ولكنَّ يسوع قال بوضوح: "مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةَ" (إنجيل مرقس ١٠: ٥). وفي ضوء ذلك، بَيَّنَ يسوع قَصْد الله الأصليِّ: "وَلكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللهُ. مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ" (إنجيل مرقس ١٠: ٦- ٩). لذلك، إنَّ الوصايا الإلهيَّة واضحة: رَجُلٌ واحد، وامرأةٌ واحدةٌ مدى الحياة، دون طلاق.

ومع أنَّ الله سَمَح بالطَّلاق في ظروف مُعَيَّنة في العهد القديم، إلّا أنّه لا يُوافق عليه: "مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الشَّاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ شَبَابِكَ الَّتِي أَنْتَ غَدَرْتَ بِهَا، وَهِيَ قَرِينَتُكَ وَامْرَأَةُ عَهْدِكَ... فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ وَلاَ يَغْدُرْ أَحَدٌ بِامْرَأَةِ شَبَابِهِ. لأَنَّهُ يَكْرَهُ الطَّلاَقَ، قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ..." (ملاخي ٢: ١٤- ١٦).

ولكن ما الخطأ في الطَّلاق؟ في ما يلي سبعة أسباب تجعله خطأً:[٤]

١. **الطَّلاق يُخالِف كلمة الله الواضحة.** "فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ" (مرقس ١٠: ٩).

٤ إنَّ الطَّلاق الذي نتحدَّث عنه هنا هو فسخ الزَّواج الشَّرعيِّ. ولكن هناك علاقات أخرى كانت تسمح بها الثَّقافات المختلفة في الماضي، أو تسمح بها الآن بالرَّغم من "عدم شرعيَّتها" (لأنَّها تُخالف معايير الله البارِّ)؛ وهي علاقات ينبغي فسخها. ومِن الأمثلة على ذلك: سِفاح القُربى، والشُّذوذ الجنسيُّ، والزِّنى.

٢. **الطَّلاق يُخالف صفات الله وطبيعته**. لاحظ الآيات المُقتبسة آنفًا من سِفر ملاخي، الأصحاح الثَّاني. فالله يُسَمِّي الطَّلاق "غَدْرًا". ولكنَّ الله أمين. وعندما يَقطع وعدًا، يَفي به. ويتعارض الطَّلاق بالكُلِّيَّة مع أمانة الله. والمحبَّة تتطلَّب وفاءً. ولا شَكَّ أنَّ الأشخاص الذين يُطَلِّقون شُرَكاءهم يتعدُّوْن على هذا العهد المقدَّس القائم على المحبَّة، ويُبْدُونَ –بدلاً من ذلك- خيانةً وغدرًا. والحقيقة هي أنَّ ما جاء في الأصحاح الثَّاني من سِفْر ملاخي لا يتحدَّث -في الأصل- عن خَرْق عهود الزَّواج، بل عن تَعَدِّي شعب الله القديم على العهد الذي قطعوه مع الله. وقد استخدَم الله تلك اللُّغة التصويريَّة المُعبِّرة ليقول إنَّ مَن يَخرقون عهودهم التي قطعوها أمام أُناسٍ آخرين إنَّما يَخرقونها أمام الله أيضًا. بعبارة أخرى، إذا وُجِدَ روح غَدْرٍ في علاقة الإنسان بالإنسان، فإنَّ هذا يَعني وجود غَدْرٍ في علاقته بالله. لذلك، لا عَجَب أنَّ الله يقول إنَّه "يَكْرَه الطَّلاق".

٣. **الطَّلاق يَدُلُّ على تَحَجُّر القلب**. قال يسوع بكلِّ وضوح إنَّ الطَّلاق سُمِحَ به "مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ" (مرقس ١٠: ٥). وهذا هو ما يَشهد به العديد من العاملين في حقل المشورة الزوجيَّة. فالمشكلة الأساسيَّة الكامنة وراء الكثير من الخلافات الزوجيَّة هي الأنانيَّة. والطَّلاق ليس إلَّا شكلاً آخر من أشكال التَّعبير عن القلب القاسي. ومن أجل حَلِّ المشكلات بين الزَّوجين وتمتُّعهما بالوحدة التي يريدها الله لهما في علاقتهما الزوجيَّة، يتطلَّب الأمر تواضُعًا، ومحبَّةً، وانكسارًا.

٤. **الطَّلاق يؤذي شريك الحياة**. الغَدْرُ كلمةٌ تُشير إلى الخيانة. وحيث توجد خيانة يوجد ألم. فالثِّقة والوفاء يرتبطان بالمحبَّة. أمَّا الطَّلاق فإنَّه كالسِّكِّين التي تقطع هذه الأواصر دون رحمة مُسَبِّبةً دائمًا آلامًا لشريك الحياة. لذلك، من رابع المستحيلات أن يُطَلِّق المرء شريك حياته الشَّرعيَّ بدافع المحبَّة والرَّحمة. فالطَّلاق يُرافقه دائمًا ألَمٌ وكراهية.

٥. **الطَّلاق يؤذي الأولاد ويترك ندوبًا في حياتهم**. وفي ما يلي اختبارُ فتاة تطلّق والداها:

"أرجوك، أرجوك، لا تُوَقِّعها! لا يا أبي، لا توقِّع تلك الأوراق!" مِن المؤكَّد أنَّ تَوسُّلاتي تلك زادت العبء الذي شعر به أبي. ولكنَّ ذلك لم يَمنعه مِن الإمساك بالقلم بقوَّة ومُتابعة كتابة اسمه على الصَّفحة الأخيرة.

حينئذٍ، شَعَرتُ بأنَّ عالمي كُلَّه انهار، وانْهَرْتُ أنا معه. ففي ذلك اليوم، مات شيءٌ في قلب تلك الطِّفلة...

لقد ضاعت احتجاجاتي ودموعي البائسة هباءً. فمحاكم الطَّلاق لا تنظر إلى قلوب البشر حين تقبض رسوم معاملة الطَّلاق. وباكتمال إجراءات الطَّلاق يَحصل الأب والأمُّ على "حُرِّيَّتهما"؛ وأمَّا نحن الأطفال فلا نحصل عليها. فقد صِرْتُ تحت عبوديَّة اليأس. ولكن ماذا عن المشاجرات الحادَّة؟ مِن المؤكَّد أنَّها توقَّفت، ولكنَّ صرخات قلوب الأطفال المُحَطَّمة حَلَّت مَحَلَّها. وأمّا أنا، فقد تُقْتُ إلى سماع تلك المشاجرات إذا كان ذلك يعني استعادة أبي وأمِّي! ...

ليت بمقدوري أن أُمسكَ يَدَ كُلِّ أبٍ أو أُمٍّ يُفَكِّران في الطَّلاق، كي أصحبهما معي إلى ذلك الوادي الذي اضطُررتُ للسَّير فيه. فلو سَمَحَتْ محاكم الطَّلاق بسماع شهادات قلوب الأطفال الأبرياء المتألِّمين، وبتذوُّق طعم المرارة الذي يذوقه الأطفال المصدومون، وبمشاهدة دموع الأطفال الذين يَشعرون بأنَّهم غير محبوبين وغير مرغوب فيهم، وعلامات الرُّعب والكآبة، لما اضْطُرَّ أيُّ طفلٍ للسَّير في ذلك الدَّرب المُرعب الذي يبدأ بتوقيع تلك الأوراق النِّهائيَّة في محاكم الطَّلاق. فحينذاك، أنت الذي ستبكي. وفي ذلك الوادي، لا بُدَّ أن تدرك أنَّ الأشخاص الذين يُعانون عواقب الطَّلاق والزَّواج ثانيةً هُم الأطفال الأبرياء.[٥]

٦. **الطَّلاق يَبني حواجز إضافيَّة تُعيق المُصالحة**. في الرِّسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس، يُوصي الرَّسول بولس شريك الحياة المؤمن بعدم الانفصال عن شريكه

٥ "نُدوب الطَّلاق" (Scars of Divorce)، الصفحات ١ و ٣ و ٦. مِن منشورات:
Gospel Tract Society, Inc., Independence, Missouri.

غير المؤمن. ولكنَّه يُضيف قائلاً: "وَإِنْ فَارَقَتْهُ، فَلْتَلْبَثْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَة، أَوْ لِتُصَالِحْ رَجُلَهَا. وَلاَ يَتْرُكِ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ" (١كورنثوس ٧: ١١). ومع أنَّنا لا نتحدَّث هنا عن الانفصال، لكن من السَّهل أن نُلاحظ أنَّ بولس يوصي الزَّوجين بالمُصالحة، لا بالانفصال، حتَّى لو كان شريك الحياة غير مؤمن. فالطَّلاق أشبه ما يكون بإضافة قفْلٍ جديد إلى الباب الذي خَرَج منه شريك الحياة غير الوفيِّ. ولكن إذا كان الزَّوجان يرغبان في المُصالحة، فإنَّ الطَّلاق ليس خِيارًا مطروحًا.

٧. **الطَّلاق يُشَجِّع على الخطيَّة.** يختار النَّاس الطَّلاق كرَدٍّ فعلٍ على مشكلاتهم الزوجيَّة. ولكن لا يمكن حلّ المشكلات من خلال عصيان وصايا الله. والحقيقة هي أنَّ الطَّلاق يُفضي إلى مزيدٍ من المشكلات. وقد أشار يسوع إلى أنَّ الطَّلاق يؤدّي إلى الزِّنى (مَتَّى ٥: ٣٢). فلا يمكن لأيِّ شخص أن يَحتفظ بعواقب الخطيَّة لنفسه. ويبدو أنَّ هذا المبدأ يَصِحُّ بالأخصِّ على الطَّلاق. خطيَّةٌ واحدةٌ تُفضي إلى خطايا عديدة. وهذه الخطايا تزداد وتتفاقم في حياة الأجيال القادمة. وقد أظهرت الدِّراسات أنَّ الأشخاص الذين اختبروا طلاق الأبوَيْن مُعَرَّضون للطَّلاق بنسبة أكبر من أولئك الذين نشأوا مع آباء وأمَّهات حافظوا على وفائهم الواحد للآخر. بمعنى آخر، إنَّ الخطيَّة قابلة للنموِّ والتَّكاثر.

ولا شَكَّ أنَّ هناك حالات يَتعرَّض فيها شريك الحياة المؤمن للطَّلاق ضدَّ إرادته. وحين يحدث ذلك، لا يكون هذا قد اقترف أيَّة خطيّة. ولكنَّه مَدعُوٌّ في هذه الحالة إلى عدم الزَّواج ثانيةً، وإلى إبداء رغبته الواضحة والصَّريحة في المُصالحة إذا كان ذلك ممكنًا (انظر ١كورنثوس ٧: ١١).

الزَّواج ثانيةً - حياة مُنغمسة في الخطيّة

إن كان الطَّلاق خطيّة، فالزَّواج ثانيةً عقب الطَّلاق هو خطيّة أعظم. إنّه خطوة إضافيَّة في طريق التمرُّد على وصايا الله الأخلاقيَّة. والكتاب المقدَّس يَصِف دائمًا الزَّواج ثانيةً، بينما ما يزال شريك الحياة على قيد الحياة، بأنَّه زِنى. تأمَّل في الآيات التَالية:

"فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا. وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي" (إنجيل مرقس ١٠: ١١ و١٢).

"وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي" (إنجيل مَتَّى ١٩: ٩).

"كُلُّ مَنْ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ وَيَتَزَوَّجُ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَكُلُّ مَنْ يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ مِنْ رَجُل يَزْنِي" (إنجيل لوقا ١٦: ١٨).

"فَإِذًا مَا دَامَ الرَّجُلُ حَيًّا تُدْعَى زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُل آخَرَ. وَلكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَهِيَ حُرَّةٌ مِنَ النَّامُوسِ، حَتَّى إِنَّهَا لَيْسَتْ زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُل آخَرَ" (رومية ٧: ٣).

نَرى هنا أنَّ هذه الآيات جميعها تَصِف الزَّواج ثانيةً بأنَّه زِنى. والفِعل اليونانيُّ المُتَرجَم "يَزني" يُشير إلى عملٍ يقوم به المرء باستمرار. لذلك، إنَّه يُشير لا إلى حادثة زِنى مُنفردة، بل إلى ممارسة الزِّنى باستمرار. كذلك، إنَّ الآية المُقتبسَة مِن الرِّسالة إلى كنيسة رومية تُرينا أنَّه ما دام شريك الحياة على قيد الحياة، لا يجوز للشَّريك الآخر أن يتزوَّج ثانيةً. فإذا فَعَل ذلك، لا يُعَدُّ الزواج زواجًا مشروعًا، بل حالة زِنى. فهناك حادثة زِنى عندما يمارس المرء الجنس مع شخصٍ آخر غير شريك حياته. وهناك حالة زِنى أخرى عندما يتزوَّج المرء ثانيةً على الرغم مِن أنَّ شريك حياته الفعليَّ ما زال على قيد الحياة.

في ضوء هذه الآيات الكتابيَّة الواضحة، لماذا يحاول المسيحيُّون الاسميُّون تبرير الطَّلاق والزَّواج ثانيةً؟ وَصَفَت إحدى السيِّدات سُقوطها بعد أن تزوَّجت رَجُلاً مُطَلَّقًا وأدركت الخطأ الذي اقترفته فتركته. تقول هذه السيِّدة:

إنَّ "**التَّفكير المُتَرَوِّي المنطقيِّ**" في بعض الأمور هو أحد الأسلحة الفَتَّاكة التي يستخدمها الشَّيطان. فمِن السَّهل علينا العثور على "أسباب منطقيَّة" تُبَرِّر عصياننا كلمة الله. فالقصد الأسمى لحياتنا على الأرض هو ليس أن

نكون سُعداء، بل أن نكون قِدِّيسين. والحقيقة هي أنَّنا لا نستطيع أن نجد السَّعادة الحقيقيَّة بمعزلٍ عن الحياة البارَّة.

لقد صُمْتُ وَصَلَّيْتُ كثيرًا، وتَضَّرعتُ إلى الله كي أحصل على جوابٍ مباشرٍ منه. ومع أنِّي كنتُ أسأله أن يَتَلَطَّفَ عليَّ بكلمة، فإنَّه لم يُجِب طلبتي. لا شيء البَتَّة! صَمْتٌ مُطْبِق! ولكنِّي أدركتُ أخيرًا أنَّه لا فائدة مِن انتظار كلمة مِن الله لأنَّه بَيَّن مشيئته بوضوحٍ تامٍّ مِن خلال كلمته المكتوبة. صحيحٌ أنَّنا قد نسمع كلامًا يُناقض ما قاله الله في الكتاب المقدَّس؛ ولكنَّ ذلك الكلام جاء، بكُلِّ تأكيد، مِن مصدرٍ خاطئ.[٦]

لذلك، مِن المستحيل أن يكون المرء نزيهًا في زواجه ثانيةً إذا كان شريك حياته ما زال على قَيْد الحياة. والحقيقة هي أنَّ روح الغَدْر الذي يَدفع المرء إلى الطلاق هو الرُّوح نفسه الذي يَدفعه إلى الزَّواج ثانيةً. وهذه خيانة. يستطيع الإنسان أن يُقدِّم حُبَّه وتكريسه لشريك حياته عند الزَّواج، ولكن كُلَّ ما يمكنه تقديمه عند الزَّواج ثانيةً هو الخيانة وانعدام الثِّقة.[٧]

ولعلَّ أوضح بُرهان على ذلك هو ارتفاع مُعَدَّلات الطَّلاق بين الأشخاص الذين تَزَوَّجوا ثانيةً. ففي الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، تنتهي ٦٠٪ مِن الزِّيجات الثَّانية بالطَّلاق. وتنتهي ٧٣٪ مِن الزِّيجات للمرَّة الثَّالثة بالطَّلاق أيضًا.[٨]

---

٦ "الانعتاق مِن الزِّنى" (Out of Adultery)، الصفحتان ١١ و ١٢. نُشرت في:
Herald of His Coming, Los Angeles, California, Sept., 1982.

٧ هناك جدل كبير ينشأ بسبب القلوب المتحجِّرة التي لا تمانع الطَّلاق والزَّواج ثانيةً. لمزيد مِن الآيات الكتابيَّة بخصوص هذا الموضوع، انظر الكتاب التَّالي:
What the Bible Says About Marriage, Divorce, and Remarriage
(ما يقوله الكتاب المقدَّس عن الزَّواج، والطَّلاق، والزَّواج ثانيةً),
by John Coblentz, Christian Light Publications, Harrisonburg, Virginia 22802.

٨ مكتب الإحصاءات السُّكَّانيَّة في الولايات المتَّحدة لسنة ٢٠٠٦.

تقويم انتهاكات الزَّواج

تتفاوت انتهاكات الزَّواج في درجتها ونوعها. فهناك انتهاكات تَحْدُث قبل إيمان المرء، وأخرى تَحْدُث بعد إيمانه. وقد تؤدِّي العادات والتَّقاليد إلى تشويش موضوع الزَّواج. فعلى سبيل المثال، هناك بلاد تَسمح بالزَّواج العُرْفِيِّ، والزَّواج التَّعاقُدِيّ، وفَسْخ الزَّواج، وتَعَدُّد الزَّوجات، وإلخ. لذا، لا نستطيع التحدُّث عن جميع انتهاكات الزَّواج في هذا الكتاب. وبدلًا من محاولة القيام بذلك، سنَذكُر عشرة مبادئ ينبغي أخذها بعين الاعتبار لتقويم انتهاكات الزَّواج.

١. **إنَّ زواجَ شخصَيْن مؤهَّلَيْن للزَّواج، سواء كانا مؤمنَيْن أم غير مؤمنَيْن، هو زواجٌ صحيحٌ في نظر الله. وأمَّا الزِّنى، والطَّلاق، والزَّواج ثانيةً فهو سلوك خاطئ في نظر الله بغَضِّ النَّظر عمّن يقوم به.** "لأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ" (مرقس ٦: ١٧ و١٨). "لِيَكُنِ الزِّوَاجُ مُكَرَّمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا العَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللهُ" (عبرانيِّين ١٣: ٤).

٢. **الطَّاعة مؤلمة أحيانًا.** ولكن كما ذَكَرنا آنفًا، إنَّ قداستنا في نظر الله هي أكثر أهميَّة من سعادتنا الآنيَّة. لذلك، قال يسوع في حديثه عن كُلْفة التَّلمذة: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا" (لوقا ١٤: ٢٦ و٢٧).

٣. **ألَم الطَّاعة لا يُقارَن بعواقب العصيان المستمرّ.** بسبب فهمنا المحدود، قد نَظُنُّ في بعض الحالات أنَّ الطَّاعة ستوقعنا في المتاعب، وأنَّ العصيان سوف يُنَجِّينا منها بكلِّ تأكيد. ولكنَّ هذا التَّفكير هو تفكير بشريٌّ جسديٌّ، لا ينبع من إرشاد روح الله. فلا شَكَّ أنَّ عواقب عدم الطَّاعة وآلامها على المدى البعيد تَفوق

آلام الطَّاعة. "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ المَوْتِ" (أمثال ١٤: ١٢). لذلك، قد يُخَيَّل للزَّوجين أنَّ فسخ زواجهما المشروع سيكون أَقَلَّ إيلامًا من البحث عن حلول للمشكلات القائمة بينهما. وقد يبدو أنَّ الاستمرار في علاقة زواج غير مشروعة هو أَقَلُّ إيلامًا من قطعها والبحث عن حلول بحسب فكر الله للمشكلات النَّاجمة عن ذلك. ولكنَّ الطَّاعة تَحظى دائمًا بدعم الله. وأمَّا العصيان فيرافقه تأنيب الربِّ. "الكَثِيرُ التَّوَبُّخِ، المُقَسِّي عُنُقَهُ، بَغْتَةً يُكَسَّرُ وَلاَ شِفَاءَ" (أمثال ٢٩: ١).

٤. **لا يكفي أيُّ مقدار من "البِرِّ" للتَّكفير عن أيّة خطيّة يقوم بها المرء مُتعمّدًا.** عندما حاول شاول أن يُبَرِّر خطيّته من خلال الحديث عن نواياه الحسنة، أجابه صموئيل قائلًا: "هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الكِبَاشِ" (١صموئيل ١٥: ٢٢).

٥. **عندما يَقترف المرء خطيّةً، يجب عليه أن يَعترف بها بصراحة (١يوحنَّا ١: ٩)، ويتوب عنها تمامًا (٢أخبار الأيَّام ٧: ١٤).** وهذا يعني ضرورة تسمية الخطيَّة باسمها، وتركها، والرُّجوع إلى معايير القداسة التي وضعها الله لنا. "مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ" (أمثال ٢٨: ١٣). ويبدو أنَّ أصعب تطبيق لهذا المبدأ هو في حال تزوّج المرء ثانيةً. ولكن إذا كانت الحالة هي حالة زنى، فإنَّ الحَلَّ الوحيد للتوقّف عن هذه الخطيَّة هو قطع العلاقة.[٩]

٩ نادرًا ما يكون هناك حَلٌّ سهل لمسألة انفصال الشَّخصين المرتبِطَيْن بعلاقة مُحَرَّمة، ولا سيَّما عندما يكونان قد أنجبا أبناءً. ولكنَّهما قد يعثران على الحَلِّ عندما يَتعهَّدان بالرُّجوع إلى وصايا الله. وفي حالٍ كهذه، يجب تطبيق مبدأين: الأوَّل، يجب علينا إطاعة مبدأ البِرِّ والقداسة؛ أي أن نقطع تلك العلاقة المُحَرَّمة. ثانيًا، يجب علينا إطاعة مبدأ المسؤوليَّة؛ أي أن نُعنى -قدر استطاعتنا- بتربية أبنائنا في تقوى الربِّ. والحقيقة هي أنَّ هذين المبدأين مُهمَّان لا لحَلِّ المشكلات النَّاجمة عن العلاقات المُحَرَّمة فحسب، بل ينبغي التقيُّد بها في العلاقات الزوجيَّة السَّابقة والأبناء الذين تَمَّ إنجابهم من علاقات زوجيَّة سابقة.

٦. **قد تكون حياة العزوبة ضروريَّة أحيانًا في حال تَعَهُّد المرء بخدمة الله.** فقد قال يسوع، بعد أن أوصى بعدم الطَّلاق والزَّواج ثانيةً: "لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مَتَّى ١٩: ١٢).

٧. **عندما يولد الأبناء نتيجة علاقة مُحَرَّمة، يكون أفضل حَلّ لتنشئتهم في الربِّ هو قطع كُلِّ خطيَّة والبدء بتأسيس ميراث قائم على البِرِّ والقداسة.** قد نجد أُناسًا يُعارضون انفصال الرَّجُل والمرأة اللَّذَيْن تجمعهما علاقة زِنى (زواج ثاني) في حال إنجاب أبناء من هذه العلاقة.[١٠] ولكن في موقف كهذا، من المهمِّ جدًّا أن يتركا الخطيَّة لأنَّ الأبناء بحاجة ماسَّة إلى أن يكون الأب والأمُّ قدوة لهم في محبَّة الله، وفي السَّير معه - لا وراء رغباتهما. فكيف يتوقّع الأبوان أن يربّيا أبناءهما "في الربِّ" إن كانا هُما نفسَيْهما يعيشان في الخطيَّة؟ كذلك، في حال الطَّلاق والزَّواج ثانيةً، نرى مرارًا وتكرارًا أنَّ الأبناء يسيرون على خُطى الوالدَيْن. فالخطايا التي يَقترفها الأبوان هي بذرة يزرعانها في حياة الأجيال القادمة.

٨. **مع أنَّه بإمكان المرء أن ينالَ الغُفران حال اعترافه بخطاياه وتوبته عنها، لكنَّ عواقب الخطيَّة قد تدوم طويلاً.** فالأشخاص الذين يَنتهكون وصايا الله المُتعلّقة بالزَّواج قد يجدون أنفسهم باستمرار في ضيقٍ أو ألَمٍ أو صِراع. لذلك، يحتاج الزوج (أو الزوجة) الذي يعيش بمفرده، أو يُرَبِّي أبناءه بمفرده، أو يعاني جروحًا عاطفيَّة، إلى دعمٍ وتفهُّمٍ ومشورةٍ دائمةٍ من إخوته وأخواته في الربِّ.

٩. **عند التَّعامل مع الانتهاكات التي تحدُث في إطار الزَّواج، يمكن الرُّجوع إلى مبادئ المحبَّة والأمانة بين المسيح والكنيسة كدليلٍ يرشدنا.** هذه هي الصُّورة

---

١٠ إنَّ الأشخاص الذين يُعارضون انفصال الشَّخصين اللَّذين تربطهما علاقة زنى من أجل السُّلوك في حياة البِرِّ والقداسة، هُم أنفسهم الأشخاص الذين يُبَرِّرون الطَّلاق لأسباب شخصيَّة. وقد أكَّد أحدهم هذا الأمر فقال إنَّه تَلَقَّى معارضة شديدة من أعضاء كنيسته عندما اختار أن يترك حياة الزِّنى التي كان يعيشها، ولكنَّ المجموعة نفسها أبدت "تَفَهُّمًا" تُجاه الأشخاص الذين اختاروا الطَّلاق والزَّواج ثانيةً لأسبابٍ شخصيَّة.

التَّشبيهيَّة التي قَدَّمها الرَّسول بولس بوضوح في الأصحاح الخامس مِن رسالته إلى كنيسة أفسُس. وينبغي أن تكون الحلول المطروحة للمشكلات الزوجيَّة مُتَّفقة مع المبادئ المذكورة في هذا التَّشبيه. وأمَّا الطَّلاق، والزَّواج ثانيةً، والمُساكَنة، وغيرها، فتُعَدُّ انتهاكًا لتشبيه المسيح والكنيسة.

الخُلاصة

يواجه الزَّواج ضغوطًا هائلةً في أيَّامنا هذه. وفي ضوء الألم الذي يَذوقه النَّاس بسبب سلوكهم الطُّرق التي اختاروها لأنفسهم، تُصبِح وصايا الربِّ الصحيحة واضحة أكثر فأكثر. لذلك، ينبغي للزَّوج والزَّوجة أن يَفهما أحدهما الآخر. وينبغي لهما أن يُحَسِّنا التَّواصُل بينهما ويكون كُلٌّ منهما مُخْلِصًا للآخر. وعندما يقوم الزَّوج بجميع المسؤوليَّات المُلقاة على عاتقه في إطار العلاقة الزوجيَّة، سيكون مِن الأسهل على الزَّوجة أن تقوم بمسؤوليَّاتها. لذلك، يجب على كِلا الزَّوجين أن يَقوما بِما يُريدُه الله منهما بكُلِّ حكمة، واهتمام، وأمانة. ولتجنُّب المشكلات الشَّائعة في الزَّواج، ولبناء بيوت تُمَجِّد الله، ينبغي للزَّوج والزَّوجة المؤمِنَيْن أن يَعلما أنَّهما لن يتمكَّنا مِن التكيّف مع العادات والتَّقاليد في مجتمعهما. كذلك، لا ينبغي للزَّوج أن يَسمح لنجاحه في العمل بالتَّأثير سلبًا في مسؤوليَّاته تُجاه زوجته، أو في وفائه لها. وبالمقابل، لا ينبغي للزَّوجة أن تَسمح للضغوط التي تَتعرَّض إليها المرأة المعاصرة بالتأثير سلبًا في قيامها بمسؤوليَّاتها تُجاه بيتها أو في وفائها لزوجها وأبنائها. ومِن خلال التَّعاون معًا، بدلاً مِن الخِصام، يمكن للزَّوج والزَّوجة أن يختبرا ذلك التَّوافُق الذي لأجله خلقهما الله ذكرًا وأنثى.

لِنُفَكِّر معًا

١. عندما يَلتقي المؤمنون بأشخاص ينتهكون وصايا الله المتعلّقة بالزَّواج، ماذا ينبغي لهم أن يقولوا لهؤلاء؟ هل هناك فرق إن كان هؤلاء الأشخاص مسيحيِّين اسميِّين؟ ما هي الأمثلة الكتابيَّة التي يمكننا الاسترشاد بها؟

٢. كيف يمكن للكنيسة أن تقوم بدورها في دعم الأشخاص المُطَلَّقين أو الذين تزوَّجوا ثانيةً ويرغبون في الرُّجوع إلى وصايا الله في ما يَخُصُّ الزَّواج؟

٣. كيف يمكن للزَّوجة المؤمنة أن تتعامل مع زوجها غير العقلانيِّ؟ وكيف يمكن للزَّوج المؤمن أن يتعامل مع زوجته المستقلِّة التي ترفض الخضوع له؟

٤. كيف يمكن للزَّوج أن يجعل خضوع زوجته له أكثر سهولة أو أكثر صعوبة؟ وكيف يمكن للزَّوجة أن تَجعل محبَّة زوجها لها أكثر سهولة أو أكثر صعوبة؟

٥. ما هي بعض الاقتراحات العمليَّة للعيش بدَخْل العائلة؟ وكيف يقع النَّاس عادةً في فَخِّ الإنفاق الزَّائد عن الدَّخل؟

٦. كم مَرَّة ينبغي للزَّوجين أن يَخرجا معًا لتناول الطعام؟

٧. كيف يمكن للزَّوجة أن تُسَهِّل عمليَّة التَّواصل بينها وبين زوجها؟

٨. ما هي الأمور المألوفة التي قد تجعل الزَّوج ينشغل عن بيته وعائلته إلى حَدٍّ يُهمِل فيه حاجات زوجته؟

٩. إلى أيِّ مدى يجب على الزوج أن يساعد في الأعمال المنزليَّة مثل غسل الأطباق، وغسل الملابس، وتغيير حفاضات الأطفال، وإلخ؟

١٠. إذا كان الزَّوج والزَّوجة يعيشان مع الأبوَيْن في المنزل نفسه، ما هي الاقتراحات العمليَّة التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار لتجنُّب الخلافات معهما؟ هل يمكن للزَّوجين أن يتفاعلا مع والديهما أكثر مِن اللَّازم؟ أو أقلّ مِن اللَّازم؟ وما هي مؤشِّرات كُلِّ حالة؟

لِنَعمل معًا

١. اقرأ بروح التأمُّل والصَّلاة الآيات الكتابيَّة التي تتحدَّث عن الصِّفات الواجب توفُّرها في شخصيَّتك (كزوج أو زوجة)، ومسؤوليَّاتك، وعلاقتك بشريك حياتك. لاحِظ الجوانب التي ينبغي تحسينها. وصَلِّ بخصوص هذه الجوانب، واكتب قائمة بالخطوات العمليَّة التي يمكنك القيام بها لإجراء هذه التَّحسينات.

٢. اجلسا معًا (كزوج وزوجة) وناقشا موضوعَي "حاجات الزوجة الأساسيَّة" و"حاجات الزوج الأساسيَّة". هل هناك حاجات لم تُشْبَع بعد؟ اطلب من شريك حياتك أن يُقَدِّم بعض الاقتراحات التي قد تساعد في تلبية تلك الحاجات. هل هناك حاجات أخرى لم تُشْبَع بعد؟ ناقشاها معًا إلى أن تتيقَّنا مِن أنَّ كُلًّا منكما يَفهم الآخر جيِّدًا ويَعرف كيف يُلَبِّي حاجاته.

٣. ناقشا معًا أحوالكما الماليَّة. هل أنتما غارِقان في الدَّيْن؟ هل تشاجرتما يومًا بسبب المال؟ هل تتفاقم المشكلة بينكما بسبب مواضيع مُعَيَّنة إمّا تُناقشانها معًا، أو لا تتحدّثان عنها؟ إذا كانت الحالة المادِّيَّة أو الممارسات الماليَّة بحاجة إلى تعديل أو تغيير، ما هي الخطوات العمليَّة الواجب اتِّخاذها؟

٤. قَيِّما فاعليَّة التَّواصُل بينكما. ولاحِظا العادات الجيِّدة والعادات المزعجة. وناقشا معًا سُبُل تحسين التَّواصُل بينكما مِن حيث الوقت والجودة.

الفصل السادس
الأُبوَّة والأمومة

المقدِّمة

يُحكى أنَّ رجُلاً أعزب تَحَدَّث إلى مجموعة مِن رفاقه المتزوِّجين عمّا يقوله الكتاب المقدَّس عن تربية الأبناء. ولكنَّ أحدهم قال له: "انتظر إلى أن تُنجِب أطفالاً. فحينئذٍ سترى الأمور بمنظار مختلف!" وبعد سنوات، تزوَّج ذلك الشَّاب وأنجب أطفالاً. وقد تَحَدَّث ذات يوم عن الموضوع نفسه. فقال أحدهم: "انتظر إلى أن يصير أطفالُك مُراهقين. فحينئذٍ، ستتعلَّم أشياء أخرى". وبعد سنوات، تَحَدَّث الرَّجُل نفسه عن موضوع تربية الأبناء بعد أن كَبِرَ أبناؤه. وفي هذه المرَّة، كان التَّعليق: "لقد تَغَيَّرت الأحوال الآن!"

المُضحِك في هذه القصَّة الطَّريفة هو أنَّها تَدور حول نُقطتين مُهمَّتين في موضوع الأبوَّة والأمومة. الأولى هي أنَّ المعرفة النظريَّة أسهل مِن التَّطبيق.

والثَّانية هي أنَّ الأبوَيْن يميلان، شأنهما في ذلك شأن الآخرين، إلى إيجاد مُبَرِّرات للتنصُّل مِن المسؤوليَّة.

لقد تَمَّ إعداد هذا الفصل مع أخذ تحدِّيات الأبوَّة والأمومة بعين الاعتبار. وهو يُقدِّم مجموعة مِن المفاهيم العمليَّة المفيدة للآباء والأمَّهات. فعندما نقوم بمسؤوليَّاتنا بوعيٍ، لن نشعر بالحاجة المُلِحَّة إلى اللُّجوء للأعذار.

أهداف للأبوَيْن

لقد أوكل الله للآباء والأمَّهات مسؤوليَّة نقل ميراث الإيمان إلى أبنائهم. "أَقَامَ شَهَادَةً فِي يَعْقُوبَ، وَوَضَعَ شَرِيعَةً فِي إِسْرَائِيلَ، الَّتِي أَوْصَى آبَاءَنَا أَنْ يُعَرِّفُوا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ، لِكَيْ يَعْلَمَ الجِيلُ الآخِرُ. بَنُونَ يُولَدُونَ فَيَقُومُونَ وَيُخْبِرُونَ أَبْنَاءَهُمْ" (المزمور ٧٨: ٥ و٦). وفي ضوء هذه المسؤوليَّة، يجب على الآباء والأمَّهات أن يدركوا أنَّ أهدافهم ينبغي أن تتعدَّى الحياة الحاضرة والأشياء المادِّيَّة. فالحقيقة هي أنَّ قَصْد الله لم يقتصر يومًا على أن يجد الرَّجُل والمرأة الاكتفاء في نفسَيْهما أو في الأشياء الموجودة في هذه الحياة كي يعيشا في سعادة وهناء. فالأبوَّة والأمومة عمل جادٌّ. ويجب على الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات أن يقوموا بدورهم على أكمل وجه في ملكوت السَّماوات إذا أرادوا أن يكون أبناؤهم معهم في السَّماء.

وفي ما يلي خمسة أهداف ينبغي للآباء والأمَّهات أن يسعوا إلى تحقيقها في أثناء تربية أبنائهم إذا أرادوا أن يكون أبناؤهم معهم في السَّماء في يومٍ ما:

١. **نريد أن يكون بيتُنا بيتَ صلاة.** يجب على الآباء والأمَّهات أن يُحَدِّدوا وقتًا منتظمًا للصَّلاة مع أبنائهم. ويجب عليهم أحيانًا أن يُصَلُّوا في أوقات غير مُحدّدة. فكلُّ بيت لديه أزماته، وحاجاته، ومشكلاته، وصراعاته. لذا، يجب وضع هذه الاحتياجات أمام الربِّ في الحال. ولا شَكَّ أنَّ هذه فرص عظيمة لتدريب

الأبناء على طلب وجه الربِّ لأنَّهم سيجدون فيه الشبع، والحلّ، والعون الذي يحتاجون إليه.

٢. **نريد أن يكون بيتُنا بيتَ تسبيح**. لا شَكَّ أنَّ أوقات الصَّلاة يمكن أن تتيح الفرصة لتسبيح الربِّ وتمجيده. فعندما يستجيب الربُّ لصلوات العائلة، يجب أن يُشارِك الآباء والأمَّهات أبناءهم بما فعله الربُّ. ومع أنَّ الله لن يَعبُرَ مع كُلِّ جيلٍ البحر الأحمر، لكنّه "سيُقيم شهادةً" في كُلِّ بيت وفي كُلِّ جيلٍ عندما يتَّكل الأبوان عليه بإيمان. وكما قال المُرَنِّم: "صَنَعَ ذِكْرًا لِعَجَائِبِهِ" (المزمور ١١١: ٤).

وهناك طريقة جيِّدة لترسيخ ممارسة التَّسبيح وهي أن يُرَنِّم أفراد العائلة معًا. ومع أنَّ أصوات الآباء والأمَّهات وقدراتهم الموسيقيَّة قد تكون ضعيفة قليلاً، لكنَّ الأبناء لن يُبالوا كثيرًا بذلك، بل سيهتمُّون أكثر باللَّحن والكلمات. وإذا فشلت محاولة التَّرنيم أو التَّسبيح العائليَّة فشلاً ذريعًا، يمكن الاستعانة بالتَّرانيم المُسَجَّلة. ولكن ينبغي الحذر من الترانيم المُسَجَّلة لأنَّها قد تكون صاخبة جدًّا، أو على درجة عالية من الاحتراف حتَّى إنَّها تَدفع أفراد العائلة إلى الصَّمْت. لذلك، لا تقع في هذا الفَخِّ، ولا تسمح للآخرين بالتَّرنيم بدلاً منك. فالله يريد أن يَسمع التَّسبيح من شفتيك. لذلك، رَنِّم لله بصوتك!

٣. **نريد أن يكون بيتُنا مدرسةً لتعليم الحَقِّ**. امتدح بولس الرَّسول بيت تيموثاوس إذ كتب قائلاً: "إِذْ أَتَذَكَّرُ الإِيمَانَ العَدِيمَ الرِّيَاءِ الَّذِي فِيكَ، الَّذِي سَكَنَ أَوَّلاً فِي جَدَّتِكَ لَوْئِيسَ وَأُمِّكَ أَفْنِيكِي، وَلكِنِّي مُوقِنٌ أَنَّهُ فِيكَ أَيْضًا... وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الكُتُبَ المُقَدَّسَةَ، القَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي المَسِيحِ يَسُوعَ" (٢تيموثاوس ١: ٥؛ ٣: ١٥). فالأبناء لا يأتون إلى هذا العالم جاهزين ومؤهَّلين، بل هم بحاجة إلى التَّعليم، والتَّأديب، والتدريب. ومن دواعي الأسف أنَّ التَّفكير المعاصر يدعو إلى تسليم الأطفال إلى "الخبراء" للإشراف على تدريبهم. لذلك، يُرسِل الآباء والأمَّهات أطفالهم إلى الحضانات لأجل رعايتهم في ساعات النَّهار، وإلى المدارس لأجل تعليمهم، وإلى الكنيسة لأجل خلاصهم، وإلى

الجامعات التِّقنيَّة لأجل تدريبهم على مهنة أو وظيفة، وإلى المُشيرين لأجل حَلِّ مشكلاتهم. ومع أنَّ مكانة المؤسَّسات التعليميَّة محفوظة، فإنَّه يجب ألّا يغيب عن أذهاننا أنَّ الآباء والأمَّهات مسؤولون عن حياة أبنائهم. علاوة على ذلك، إنَّ المكان الذي يتلقَّى فيه الطِّفل تعليمه الأساسيَّ وتربيته الأساسيَّة هو البيت. وسوف نعود إلى هذا الموضوع في وقتٍ لاحق.

٤. **نريد أن يكون بيتُنا ملاذًا آمنًا لحماية أبنائنا مِن الشرِّ.** إنَّ الشرَّ والمتاعب في تزايدٍ مستمرٍّ في عالمنا. والحقيقة هي أنَّنا لا نستطيع توفير الحماية الكاملة لأبنائنا. فلا مَناص مِن أن يروا ويسمعوا ويختبروا أشياء تُلَطِّخ ضمائرهم وذكرياتهم بالشرِّ. ومع ذلك، يمكن أن يكون البيت المسيحيِّ ملاذًا آمنًا يحميهم. ولكنَّ هذا لن يتحقَّق إلَّا بتخطيطٍ مِن الأبوَيْن. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يحذروا وسائل الإعلام المُنغمسة في الخطيَّة. والأهل المؤمنون الذين يَجلبون وسائل التَّسلية الدُّنيويَّة إلى بيوتهم (مِن خلال التلفزيون، والمذياع، والمجلَّات، والموسيقى) يَضربون بمبادئ البِرِّ والقداسة عُرْض الحائط. وفي وقتنا الحاضر، يمكن للنَّاس الوصول إلى وسائل التَّسلية الدُّنيويَّة مِن خلال الحاسوب والإنترنت والهواتف الخلويَّة. والحقيقة هي أنَّ هذه الأجهزة الإلكترونيَّة تُثير القلق لأنَّها سلاح ذو حَدَّين. فهي ذات فوائد جَمَّة مِن جهة، ولكنَّها توفِّر أيضًا الكثير مِن الشرِّ والخطيَّة بنقرة واحدة. ويجب علينا أن نضع في ذهننا أنَّ وسائل التَّسلية التي يُنتجها أهل العالم لا تُنشئ رجالاً أتقياء ونساءً تقيّات. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يفعلوا كُلَّ ما يلزم لحماية أبنائهم مِن التَّجربة والخطيَّة، ويوفِّروا لهم أنشطة ملائمة ووسائل تثقيفيَّة مفيدة.

٥. **نريد أن يكون بيتُنا مكانًا للخدمة.** نقرأ في الرِّسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس أنَّ بيت استفانوس "قَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقِدِّيسِينَ" (١كورنثوس ١٦: ١٥). فالأطفال يميلون بطبيعتهم إلى التَّمركز حول ذواتهم. فهُم يريدون كُلَّ شيءٍ لأنفسهم، ويريدونه حالاً. لذلك، تقتضي الحكمة مِن الآباء والأمَّهات أن

يُدَرِّبوا أبناءهم على العطاء، والخدمة، والزِّيارات، ومساعدة الآخرين. وينبغي تعليم الأبناء بالقدوة الحسنة، ومِن خلال المشاركة في الفرح النابع من التَّضحية لأجل الآخرين. وقد يعني ذلك إعداد وجبات طعام، أو تقديم الهدايا، أو مساعدة الآخرين في أعمال التَّنظيف. وقد تُقَرِّر العائلة معًا تقديم مبلغٍ مِن المال لإحدى الجمعيَّات الخيريَّة أو هيئات الإغاثة. ولكنَّ هذا كُلَّه مجرَّد إعدادٍ وتدريبٍ للأبناء - ولا سِيَّما عندما يحين وقت خروجهم من المُحيط الآمن. فالتَّدريب على الخدمة في البيت سيكون المِنَصَّة التي سينطلق منها الأبناء في حياتهم وخدمتهم ودعوتهم. وحينئذٍ، لن يترك الأبناء البيت دون قصد أو وُجهة، بل لغايةٍ ورؤيةٍ واضحتَين. "كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ، هكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ" (المزمور ١٢٧: ٤).

متى تَمتلئ الجُعبَة؟

كم طفلًا ينبغي للأبوَيْن أن يُنجِبا؟ قد يَطرح الأبوان الشابَّان هذا السُّؤال ويجيبان عنه عادةً في ضوء ظروفهما. بل قد يستخدمان وسائل تنظيم النَّسل المعروفة. ولكن هل تنظيم النَّسل أمر صائب؟

قبل الإجابة عن هذا السُّؤال، يجب علينا أن نُلقي الضَّوء على بعض الآراء المعاصرة في ما يَخُصُّ الأبناء. وقد ذكرنا في الفصل الأوَّل، أنَّ حجم العائلة في تناقص مستمرٍّ. فما السبب؟ إذا درسنا الدَّوافع بحقّ، سنخرج بالأسباب التَّالية:

- ثمنُ إنجاب الأولاد باهظ.
- ثمنُ الملابس والطَّعام والتَّعليم في تزايد مستمرٍّ.
- الأبناء يأخذون قدرًا كبيرًا مِن وقت الأبوَيْن.
- الأبناء يحتاجون إلى كثيرٍ من الرعاية في النَّهار وفي اللَّيل أيضًا.
- الأبناء يستنفدون صَبْر الأبوَيْن، ولا سِيَّما أنَّ الأبوَيْن يتعرَّضان لضغوط أخرى.

- إنجاب مزيدٍ مِن الأطفال يتطلَّب شراء سيَّارة أكبر حجمًا للعائلة.
- إنجاب مزيدٍ مِن الأطفال يَجعل السَّفر والتنقُّل أكثر صعوبةً وتكلفةً.
- العائلة الكبيرة تحتاج إلى منزلٍ أكبر.

إذا نظرنا إلى الأسباب المذكورة آنفًا، سنكتشف أنَّ العائلة الكبيرة تتعارض مع معايير الحياة المعاصرة وسرعتها. ولكن يجب علينا أن نُلاحظ أيضًا أنَّ هذه الأسباب لا تبعد سوى خطوة واحدة فقط عن التَّفكير في أنَّ الأطفال هم مَصْدر إزعاج ينبغي تَجَنُّبه قدر الإمكان.

ولكن ليست العائلةُ الصَّغيرة سِرَّ الحياة العائليَّة السَّعيدة، ولا سِرَّ الحياة العائليَّة الخالية من الهموم. إذا نَظرنا إلى سلوكيَّات الأهل تُجاه أبنائهم في وقتنا الحاضر، سنجد أنَّ الأُمَّ في زماننا هذا تَصرخ على طِفليها الصَّغيرين أكثر بكثير ممَّا كانت الأُمَّ تصرخ على أطفالها الثَّمانية أو العشرة قبل سنوات خَلَت. وهذا لا يعني بكُلِّ تأكيد، أنَّه بوسع الأبوَيْن في وقتنا الرَّاهن أن يُخَفِّفا مِن توتُّرهما وعصبيَّتهما مِن خلال إنجاب ستَّة أطفال آخرين. ولكنَّ المقصود هنا هو أنَّ السَّبب الحقيقيَّ وراء شعور الآباء والأمَّهات بالضَّغط والتوتُّر ليس الأبناء، بل النزعة المادِّيَّة. وقد ذكرنا في الفصل الأوَّل أنَّ المعيشة غالية جدًّا، وأنَّ سرعة الحياة مُرهِقَة للأبوَيْن إلى حَدٍّ يمنعهما مِن التَّفكير في إنجاب الكثير مِن الأطفال.

والحقيقة هي أنَّ طريقة التَّفكير المعاصرة المُتعلّقة بالأطفال تُصبِح مُثيرة للقلق عندما نُدرك أنَّ هذه العقليَّة هي التي أنتجت ذلك الرُّعب الذي يُسَمَّى "الإجهاض". فعلى الرغم مِن محاولة التَّخفيف مِن بشاعة الإجهاض من خلال استخدام عبارات غير جارحة لوصفه مثل "إزالة الأنسجة الجنينيَّة"، فإنَّ الأطبَّاء والآباء والأمَّهات هم شُركاء في جريمة القتل هذه. فبحلول سنة ٢٠١٢، بلغ عدد الأطفال الذين تَمَّ إجهاضهم في الولايات المتَّحدة وحدها ٥٤ مليون طفل.[١]

١ إحصائيَّات الإجهاض في الولايات المتَّحدة (من سنة ١٩٧٣ إلى الآن). اللَّجنة الوطنيَّة للحقِّ في الحياة، ٢٠١٢.

ولا شَكَّ أنَّ الإجهاض هو قتلٌ وحشيٌّ. فالجنين يُمَزَّق أشلاءً ويُزال قطعةً تلو الأخرى، أو أنَّه يُحقن بمحلولٍ مِلحِيٍّ يجعله يتلوَّى مِن الألم إلى أن يموت ويتمَّ التخلُّص منه.

لذلك، يجب على المؤمنين أن يُبغضوا الإجهاض. فحقيقة أنَّ تلك الأجِنَّة لم تتشكَّل تمامًا بعد، وأنَّها لم تُرَ بالعين ولم تُحتَضَن بعد، لا تلغي الحقيقة المؤلمة بأنَّها تعرّضت للقتل. وعلى الرغم مِن صغرهم، إنّهم بشرٌ أحياء ماتوا نتيجة الإجهاض.

وقد يقع المؤمنون في فَخِّ التَّفكير في الإجهاض دون أن يدركوا ذلك. والحقيقة هي أنَّ الإطار العاطفيَّ والفكريَّ الذي يُفضي إلى اللُّجوء إلى إجهاض الجنين هو الحمل غير المرغوب فيه. فالمرأة تحمل، دون شَكٍّ، مِن خلال علاقتها الجنسيَّة بالرَّجُل. ولكنَّ العقليَّة الكامنة وراء الإجهاض تقول: "نحن نريد الاستمتاع بالجنس دون تَحَمُّل تَبِعاته. ونريد تلك العلاقة الشَّبيهة بعلاقة الزَّوج والزوجة، ولكنَّنا لا نريد أن نصير آباء وأمَّهات."

وهذه العقليَّة نفسها هي التي تَكْمُن وراء صناعة وسائل مَنْع الحَمْل. فهناك مَن يُرَوِّجون لما يُسَمُّونه "الجنس الآمن" مُشدّدين على فكرة الحَمْل غير المرغوب فيه، والتمتُّع بمزايا الجنس دون تَحَمُّل تَبِعاته، وتقليص حجم العائلة. ولا شَكَّ أنَّ الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات في الغرب يتعرَّضون لضغوط شديدة تدفعهم إلى التَّفكير في تقليص حجم العائلة والاهتمام بتحسين مستوى معيشتهم. لذلك، لا بُدَّ مِن طَرْح السُّؤال التَّالي: هل تنظيم النَّسل أمر صائب؟

لا نَجِد تعليمًا مُباشرًا في الكتاب المقدَّس عن هذا الموضوع. ولكن يمكننا معرفة الكثير عنه مِن خلال ملاحظة المبادئ الكتابيَّة. فهي وثيقة الصِّلة بهذا الموضوع، وهي صالحة لكُلِّ زمانٍ ومكان. إذًا، فَكِّر في النِّقاط التَّالية:

١. **الكتاب المقدَّس يُقَدِّر الأطفال دائمًا.** جاءت بَرَكَةُ الله لآدم ونوح في صورة نَسْلٍ (تكوين ١: ٢٨؛ ٩: ١). وقد كانت سارة، وراحيل، وحَنَّة، وأليصابات يَنْظُرْنَ إلى عُقْمِهِنَّ كما لو كان وَصْمَة عارٍ في حياتِهِنَّ. وقد فَرِحْنَ كثيرًا بإنجاب أطفالهنَّ (تكوين ٢١: ٦؛ ٣٠: ١؛ ١صموئيل ١: ١-١١؛ إنجيل لوقا ١: ٢٥). ونقرأ في سِفر المزامير أنَّ البَنين "مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ"، وأنَّهم "مِثْل غُرُوسِ الزَّيْتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ"، وأنَّهم "كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ". ونقرأ أيضًا: "طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جُعْبَتَهُ مِنْهُمْ" (المزموران ١٢٧ و١٢٨). وقد انْتَهَر يسوع تلاميذه لأنَّهم أبعدوا الأطفال عنه: "دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مَتَّى ١٩: ١٤).

٢. **الكتاب المقدَّس لا يَذكُر البَتَّة أيَّة وسائل لمنع الحَمْل.** ففي حالة "أونان" (تكوين ٣٨) الذي تَجَنَّب إنجاب أبناء من ثامار، أنزَل الله عليه عقابًا صارمًا حالاً. ولا شَكَّ أنَّه كانت هناك أسباب أخرى لذلك العقاب، فهو أخطأ تُجاه أبيه، وأخيه، وثامار. ومع ذلك، ما فَعَلَهُ يُرى لا كأمرٍ إيجابيٍّ، بل سلبيٍّ. ونقرأ في موضع آخر أنَّ "ليئة" "توقَّفَتْ عن الولادة" بعد أن أنجبَتْ أربعة أبناء (تكوين ٢٩: ٣٥). وفي وقتٍ لاحق، أنجبَتْ ليئة ابنَيْن وابنة (تكوين ٣٠: ١٦- ٢١). ولكنَّ "وقت الرَّاحة" ذاك حدثَ في إطار المنافسة المُتعلّقة بالزواج. وتدلّ كلمات ليئة: "أَقَلِيلٌ أَنَّكِ أَخَذْتِ رَجُلِي" (العدد ١٥)، على أنَّ هذا حدث ضِدَّ إرادتها.

٣. **العقليَّة التي تنظر إلى الأطفال كعبء، والتي تريد الاستمتاع بالجنس دون تَحَمُّل مسؤوليّة الأبوَّة والأمومة هي عقليَّة لها مضارُّها في الزَّواج.** وفي تقييم للعقليَّة التي تُشَجِّع على ضَبْط النَّسل والإجهاض في عالمنا اليوم، تحدَّث كاتبٌ ألمانيٌّ عن تزايد العداء تُجاه الأطفال.[٢] فالأزواج الذين يؤجِّلون الإنجاب من أجل تحقيق أهداف أخرى ينمّون (عن وعيٍ أو دون وعيٍ) مقاومةً ومواقف سلبيَّة

٢ حسب ما جاء في الكتاب التَّالي:
Larry and Nordis Christenson in *The Christian Couple* (الزَّوجان المسيحيَّان) (Minneapolis, Minnesota: Bethany House Publishers, 1977), p. 101.

تُجاه الإنجاب، وتُجاه الأطفال، وتُجاه الأبوَّة والأمومة. ولا شَكَّ أنَّ مواقف كهذه تؤثِّر سلبًا لا على نظرة الآباء والأمَّهات للأطفال فحسب، بل أيضًا على العلاقة الزوجيَّة.[٣]

٤. **يجب على كُلِّ زوجين أن يُدركا الدَّورات الطَّبيعيَّة للخصوبة.** أعطى الله تعليمات مُحَدَّدة لشعبه في العهد القديم في ما يَخُصُّ هذه الدَّورات (على سبيل المثال، انظر لاويِّين ١٥: ١٩- ٣٣ و ١٨: ١٩). وقد ساعد هذا الوعي بني الأمّة القديمة على الإنجاب والحفاظ على صِحَّتهم في الوقت نفسه. وما زال هناك أناسٌ في وقتنا الحاضر يستخدمون هذه المعرفة للمُباعدة بين الولادات أو للتوقُّف عن الولادة دون اللُّجوء إلى الوسائل الصِّناعيَّة.

٥. **الكتاب المقدَّس يعتبر أنَّ الحياة البشريَّة مُقَدَّسة، حتَّى في الجنين الذي لم يولد بعد.** "لا تَقْتُل" (الخروج ٢٠: ١٣). "أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَبًا. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ، وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِينًا. ... رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي، وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا" (المزمور ١٣٩: ١٤ و١٦). "قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي البَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ" (إرميا ١: ٥). "وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. ... وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ" (إنجيل لوقا ١: ١٣ و١٥). لذلك، إنَّ العبث بالحياة البشريَّة هو مُعضلة أخلاقيَّة. فالتخلُّص من الجنين، في مراحل تكوينه الباكرة أو اللَّاحقة، هو إزهاق نَفْس. وفي ضوء هذا المبدأ، تُعدُّ جميع وسائل منع الحمل التي تَسمح بتلقيح البويضة إنّما تَمنع نُمَوَّها في الرَّحم، خطأً أخلاقيًّا. وهناك من يُدْرِجون حبوب مَنع الحمل في هذه الفئة أيضًا لأنَّ بعض الأنواع تَمنع عمليَّة الزَّرع في الرَّحم في حال عدم نجاح تلك الحبوب في منع الإباضة.

---

٣ فقد عَلَّقت "نورديس كرستينسن Nordis Christenson" -من وجهة نظرها كامرأة- على تأثير وسائل منع الحمل على العلاقة الحميمة بين الزَّوجين قائلةً: "لن أعود لاستعمال وسائل منع الحمل ثانيةً - حتَّى لو كان البديل هو أن أنجب واحدًا وعشرين طفلاً" (الكتاب السَّابق، ص ٧٤).

٦. **إنَّ مبدأ الامتناع عن ممارسة الجنس يُضفي جمالاً على المحبَّة الزوجيَّة ويحافظ على ديمومتها**. ليست المحبَّةُ الحقيقيَّة في الزواج شهوةً غير قابلة للضَّبْط، ولا هي شهوة تجعل الزَّوجَيْن مُنجذِبَيْن الواحد تُجاه الآخر دون أن يتمكَّنا مِن السَّيطرة على نفسَيْهما؛ بل هي محبَّة تُراعي مشاعر الآخر. لذلك، هي تمارس الامتناع عن الجنس أحيانًا كوسيلة للتَّعبير عن المحبَّة الزوجيَّة. وهذا الامتناع لا يُضعِف المحبَّة، بل يُعَمِّقها. فالعقليَّة القائمة على مبدأ "أريد أن آخذ وأستمتع الآن" لا تَتَّفق مع مبدأ الامتناع. وهذا هو سبب إخفاق زيجاتٍ كثيرة. ويمكننا أن نجد الإرشاد بشأن كيفيَّة التَّوازن في هذا الأمر في ١كورنثوس ٧: ٥ إذ يوصي الرَّسول بولس الزَّوجين بألّا يحرم أحدهما الآخر بالامتناع التامِّ إلَّا بالاتِّفاق المتبادل لفترة وجيزة ولأسبابٍ نبيلة. وهذا يُرينا أنَّ المحبَّة الزوجيَّة هي مسؤوليَّة لا يجوز إساءة استخدامها.

٧. **لا يجوز للزَّوجين أن يتَّخذا قرارات دائمة اعتمادًا على ظروفٍ مُتغيِّرة**. باللجوء إلى الطبِّ الحديث، يتّخذ العديد من الأزواج اليوم قراراتٍ دائمة تَحول دون إنجاب الأطفال. ومع أنَّه قد توجد أسباب مشروعة لاتِّخاذ هذا القرار (مثلاً عندما يُشكّل الحَملُ خطرًا على حياة الأم)، إلّا أنَّ أزواجًا كثيرين يتَّخذون قرارًا كهذا نتيجة مشاعر وقتيَّة. ولكنَّهم يكتشفون بعد حين أنَّ تفكيرهم السَّابق قد تغيَّر. فعلى سبيل المثال، قد يُفاجَأ الأبوان بحادثٍ مأساويٍّ يخسران فيه أولادهما. أو قد يشعر الأبوان بمحبَّة شديدة للأطفال فيرغبان في إنجاب المزيد. وهذا يُرينا صِحَّة ما جاء في الأمثال: "بَطِيءُ الْغَضَبِ كَثِيرُ الْفَهْمِ" (أمثال ١٤: ٢٩).

لا يَتَّفق جميع المؤمنين على موضوع ضَبْط النَّسل. فهناك مَن يُنادي بعدم التخطيط للإنجاب. وهناك مَن يُنادي بعدم استخدام وسائل مَنع الحمل الصِّناعيَّة. وهناك مَن يَشعرون بأنَّهم يُحِبُّون الأطفال ويُقَدِّرون العائلة، ولكنَّهم يستخدمون وسائل مَنع الحمل الطَّبيعيَّة أو الصِّناعيَّة للمباعدة بين الولادات أو للحَدِّ مِن زيادة عدد أفراد العائلة في ظِلِّ الظُّروف والأحوال غير العاديَّة التي يعيشونها.

ومِن دواعي الأسف أنَّ مسيحيِّين اسميِّين كثيرين لا يُفَكِّرون في هذا الموضوع تفكيرًا جادًّا، بل يَقبلون اعتباطًا أيَّة وسائل تُقَدَّم إليهم لمَنع الحمل، وأيَّة عقليَّة يُرَوَّج لها في أيَّامنا هذه.

ومع أنَّه يمكن ترك بعض الأمور والقرارات لضمير المرء، إلّا أنّه ينبغي لكُلِّ زوجَيْن مؤمنَيْن أن يُدركا أنَّ تفكير المجتمع المعاصر يُعارض تعاليم الكتاب المقدَّس المتعلّقة بالعائلة، والأطفال، وكثرة النَّسل. والقرارات التي تتجاهل هذه التَّعاليم والمبادئ الكتابيَّة بسبب الخوف مِن الظُّهور بمظهرٍ غريب أمام العالم ستقود العائلة والكنيسة إلى الانجراف وراء أهل العالم. ولا شَكَّ أَنَّ تَكَيُّفَنا مع هذا العالم يُفضي -عاجلاً أم آجلاً- إلى تَجَرُّع كأس الأسى التي يَتَجَرَّعُها العالم.[٤]

تربية الأبناء في حياة التَّقوى

"رَبِّ الوَلَدَ فِي طَرِيقِهِ، فَمَتَى شَاخَ أَيْضًا لاَ يَحِيدُ عَنْهُ" (أمثال ٢٢: ٦). كم يحتاج الأبوَان المؤمِنَان إلى الصَّلاة والتأمُّل في كلمة الله لكي يتمكَّنا مِن الاضطلاع بالمسؤوليَّة المذكورة في هذه الآية! يريد الله أن يَتبعه الآباء والأمَّهات. ويريد أن يتبعه أولادهم، وأولاد أولادهم أيضًا. ولكنَّ ميراث الإيمان لا يتأتَّى تلقائيًّا. إنّما يتطلَّب تخطيطًا، وصلاةً، وتربيةً. ولأنَّه لا يوجد أبوان كاملان، يتطلَّب الأمر منّا جميعًا أن نتعلَّم دائمًا مِن أخطائنا.

ولكن قبل أن نتناول موضوع تربية الأبناء، ينبغي التَّحذير مِن نقطة مهمَّة. لا تَصِحُّ المعرفة النظريَّة تمامًا على الحياة العمليَّة. الوَيْل للأبوَيْن اللَّذين يقرآن الكُتُب التَّربويَّة ويعرفان كلّ شيء عن تربية الأولاد. فالطِّفل الصَّغير الذي لم

٤ لمزيد مِن النُّصح والإرشاد في هذا الموضوع، انظر الفصلين الخامس والسَّادس مِن كتاب *"God's Will for Love and Marriage"* (مشيئة الله في ما يتعلّق بالحُبِّ والزَّواج). هذا الكتاب متوفِّر لدى (Christian Light Publications, Inc.). يُنصح بهذه الدِّراسة للخُطَّاب والمتزوِّجين.

يتجاوز عُمره الثلاث سنوات، والذي يُفترَض به أن يتجاوب بإيمانٍ طُفوليٍّ عند سماع قصص الكتاب المقدَّس، قد يقوم -دون سابق إنذار- بإلقاء قطعة الحلوى التي أكل جُزءًا منها فوق صفحات قِصَّة "دانيال في جُبِّ الأسود". وإلى جانب احتماليَّة إفساده وقت العبادة العائليَّة، وامتحان صَبْر أبوَيْه، قد يُحَطِّم كُلَّ ما يعرفانه نظريًّا من الكتب التربويَّة.

ولكن يجب على الأبوَيْن ألَّا ييأسا. فهناك عَوْنٌ أفضل من ذاك الذي توفِّره الكُتُب. ومع أنَّ الكُتُب قد تُقَدِّم الكثير من النَّصائح المفيدة، لكنّها تبقى عاجزة عن وَصْف جميع الأطفال وصفًا دقيقًا. لذلك، يجب على الأبوَيْن الحكيمَين أن يتّكلا على الربِّ كُلَّ يوم فيتعلَّما كيفيَّة تطبيق تلك المبادئ على أولادهما. "وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ، فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ. وَلكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ البَتَّةَ" (يعقوب ١: ٥ و٦).

لاحظ جيِّدًا التَّركيز على الإيمان. فتربية الأبناء لا تعني مُجَرَّد نقل الإيمان لهم، بل أيضًا ممارسة هذا الإيمان. وفي ضوء التشويش الذي قد يحصل للوالدين بسبب وجود العديد من الأطفال الصِّغار، قد تبدو طُرُق الله غير منطقيَّة، بل ربَّما تبدو خاطئة تمامًا. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يطلبا الحكمة. ولكن عليهما أن يطلبا بإيمانٍ غير مُرتاب البَتَّة! فطُرُق الله مُستقيمة (المزمور ١١٩: ١٢٨). وهناك أوقاتٌ ينبغي لنا فيها أن نُبدي استعدادنا لإطاعة الله بالرَّغم من عدم فَهمنا الكامل لما يَطلبه منَّا. ولكنَّ هذه الطَّاعة تأتي بثمارٍ لاحقًا.

والآن، ماذا يقول الكتاب المقدَّس عن تربية الأبناء؟ إنَّه يقول الكثير. ولكن يمكن تلخيص تعاليم الكتاب المقدَّس في ثلاث كلمات: التَّعليم، والقدوة، والتَّقويم.

١. **الآباء والأمَّهات مسؤولون عن تعليم أولادهم.** "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ،

وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ" (التَّثنية ٦: ٤- ٧).

لاحِظ أنَّ الآباء والأمَّهات هُم المسؤولون عن تعليم أبنائهم. إنّهم مسؤولون عن تعليمهم طُرُق الربِّ بمثابرة.

ومِن خلال التَّعليم الواضح، يبيّن الآباء والأمَّهات لأبنائهم معايير السُّلوك التي يتوقّعونها منهم. وحينئذٍ، سيُدرك الأطفال الأمور المتوقَّعة منهم، والأشياء التي أخطأوا فيها. بعبارة أخرى، يُعدُّ التَّعليمُ الواضح الأطفالَ للقيام بالصَّواب. ولكن إذا أخطأوا، فإنَّهم سيشعرون أيضًا بتأنيب الضَّمير ويُبدون استعدادًا لقبول عواقب أفعالهم العادلة.

ويجب أن يستمرَّ التَّعليم في جميع مراحل نُمُوِّ الطِّفل إلى أن يصير راشدًا. ولكن مِن أجل تعليم الأطفال بفاعليَّة، يجب على الآباء والأمَّهات أن يَفهموهم. ينبغي لهم أن يفهموا الصِّفات العقليَّة والعاطفيَّة والروحيَّة التي تُمَيِّز كُلَّ مرحلة مِن مراحل الطفل العُمريَّة. وبمعزلٍ عن هذه المعرفة، قد يُلقي الآباء والأمَّهات بذورًا كثيرة صالحة في تُربة غير جاهزة بعد.

٢. **الآباء والأمَّهات مسؤولون عن أن يكونوا قُدوة لأولادهم**. في المقطع الكتابيِّ نفسه الذي يوصي الله فيه الآباء والأمَّهات بتعليم أبنائهم بجِدٍّ، يوصيهم قائلاً: "احْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا. وَاعْمَلِ الصَّالِحَ وَالْحَسَنَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ" (التَّثنية ٦: ١٧ و١٨). التَّعليم الجادُّ لا يأتي بثمرٍ إذا لم يَكُن مقرونًا بالقدوة الحسنة. فلا يمكن للأبوَيْن أن يُرْسِلا أبناءهما في طُرُق اللُّطف، والصَّبر، والإيثار. بل ينبغي لهما أن **يقتاداهم** فيها. وكما يقول المَثَل، إنَّنا نُعَلِّم القليل مِن خلال أقوالنا، ونُعلِّم الكثير مِن خلال أفعالنا، ولكنَّنا نُعَلِّم الكثير جِدًّا مِن خلال شخصيَّاتنا.

تأتي القدوة الحسنة بثمارها عند بلوغ الأبناء سِنَّ المُراهقة. فالأطفال يُعجَبون بآبائهم وأمَّهاتهم، والمُراهقون يقيّمونهم. لذلك، إنَّ الأفكار المثاليَّة لدى الأبناء المُراهقين تدفعهم إلى إظهار ردود أفعال مُعَيَّنة تُجاه التَّناقضات التي يُلاحظونها مِن حولهم. وبسبب مَيلهم إلى الاستقلال بحياتهم، قد يُظهرون ردود أفعال قويَّة إذا رأوا هذه التَّناقضات في حياة أحد رموز السلطة. وإذا تَبَيَّن للابن المُراهق أنَّ سُلوكيَّات أبيه تُناقِض ما يُنادي به ويُعَلِّمه، فإنَّ الابن غير المُطيع سيَستخدم ذلك كذريعة لسلوكيَّاته الخاطئة. ولا شَكَّ أنَّه لا وجود للأب الكامل أو الأمِّ الكاملة. ومع ذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يتوخَّوا النَّزاهة. يجب عليهم أن يكونوا صادقين ومتواضعين. ويجب عليهم ألَّا يضعوا معايير لأبنائهم لا يُطَبِّقونها بأنفسهم.

ويجب على الآباء والأمَّهات أن يُقدّروا التحدِّي بأن يكونوا قدوة لأبنائهم، لأنّه سيحميهم مِن الوقوع في فَخِّ التقاعس على الصَّعيد الروحيِّ. وحين يُدركون أهميَّة أن يكونوا قدوة لأبنائهم، قد يكون ذلك سببًا آخر يدفعهم إلى خدمة الربِّ بكُلِّ أمانة وإخلاص.

٣. **الآباء والأمَّهات مسؤولون عن تقويم أولادهم**. ولأنَّ هذا الجانب مِن تربية الأبناء قد تعرَّض لهجمات عنيفة في أيَّامنا هذه، يجب علينا أن نتوقَّف لتوضيح ما يُعَلِّمه الكتاب المقدَّس. فالتَّعليم الكتابيُّ باستخدام العَصا قائمٌ على الحَقِّ الذي يقول إنَّ الإنسان السَّاقط لديه مَيْل نحو الخطيَّة؛ وهو أمر واضح كُلَّ الوضوح مُنذ الطُّفولة. فإن أهملنا هذا التُّقويم أو التَّأديب، سيقود الأبناء إلى الهلاك. مِن جهة أخرى، إنَّ الاعتراض المعاصر على استخدام العَصا قائم على الفَرضيَّة الخاطئة أنَّ الإنسان صالحٌ بطبيعته، وأنَّ الأطفال بحاجة فقط إلى التَّشجيع المناسب لاكتشاف قدراتهم الكامنة وتطويرها. والآن، تأمَّل في المبادئ التَّالية المُستخلصة مِن تعاليم الكتاب المقدَّس في ما يَخُصُّ تأديب الأبناء لتقويم سلوكيَّاتهم:

١. **تُنَجِّي العَصا الطِّفل من طريق الموت.** "الجَهَالَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِقَلْبِ الوَلَدِ. عَصَا التَّأْدِيبِ تُبْعِدُهَا عَنْهُ" (أمثال ٢٢: ١٥). وأيضًا: "لاَ تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الوَلَدِ، لأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصًا لاَ يَمُوتُ. تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصًا فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الهَاوِيَةِ" (أمثال ٢٣: ١٣ و١٤).

إنَّ الكلمة "جاهل" المُستخدمة في سِفر الأمثال تُشير إلى الشَّخص الذي يَختار السَّير في طريقه الخاصّ بالرَّغم مِن الإرشاد الذي حَصَل عليه. وهذه هي طبيعة العِناد الذي هو أصل العِصيان. وهذه "الجهالة" مُتأصِّلة في قلب كُلِّ طفل. لذلك، يجب استخدام العَصا لمحاربتها. ولا يمكن لأيِّ مقدار مِن التَّوبيخ أو التَّهديد أو التَّعليم أن يَحِلَّ مَحَلَّ العَصا في إخضاع الطِّفل المتمرِّد.

٢. **يجب استخدام العَصا بمحبَّة.** "مَنْ يَمْنَعُ عَصَاهُ يَمْقُتِ ابْنَهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ يَطْلُبُ لَهُ التَّأْدِيبَ" (أمثال ١٣: ٢٤). إنَّ الفشل في فهم هذا المبدأ وتطبيقه كان واحدًا مِن أسباب كثيرة أدَّت إلى ظهور التوجُّه الحاليِّ الذي لا يشجِّع استخدام العَصا في تأديب الأطفال. فبمعزلٍ عن المحبَّة، تصير العَصا وسيلةً للإساءة للأطفال وإذلالهم.

وقد بَرهنت دراسةٌ قام بها العديد مِن الطَّلبة الجامعيِّين أنَّ هذا صحيح تمامًا. فقد أرادوا أن يعرفوا سبب نجاح عددٍ مِن الآباء والأمَّهات في تربية أبنائهم، وسبب إخفاق آخرين. وفي هذه الدِّراسة، قام الطَّلبة بتوزيع الآباء والأمَّهات ضمن أربع فئات: حازِمُون، ومُتَسَلِّطون، ومُهمِلون، ومُتساهلون. وقد قاسوا نجاح الآباء والأمَّهات وفقًا لمدى تَكَيُّف أطفالهم اجتماعيًّا، ووفقًا لمدى اقتدائهم بالقِيَم والمبادئ التي تَعَلَّموها مِن أهاليهم، وما إلى ذلك. ومع أنَّ الآباء الحازمين والمُتسلِّطين كانوا يؤدِّبون أولادهم بالعصا، إلّا أنَّ الآباء الحازمين كانوا يفعلون ذلك بمحبَّة. أمَّا الآباء المُتسلِّطون فكانوا يضربون أولادهم عشوائيًّا وبغضب. وقد حصل الآباء الحازمون على أفضل النَّتائج مع أبنائهم على جميع الأصعدة. في

حين أنَّ الآباء المُتسلِّطين حصلوا على أسوأ النَّتائج بين الفئات الأربع.[٥] والخُلاصة هي: إذا لم تُستَخدَم العصا بمحبَّة، فالنَّتائج ستكون عكسيَّة تمامًا.

٣. **يجب استخدام العَصا في سِنٍّ مُبَكِّرة.** "أَدِّبِ ابْنَكَ لأَنَّ فِيهِ رَجَاءً وَلَكِنْ عَلَى إِمَاتَتِهِ لاَ تَحْمِلْ نَفْسَكَ" (أمثال ١٩: ١٨). سيأتي وقتٌ لن تعود فيه العَصا نافعة. ولكنَّ الآباء والأمَّهات الذين يتجنَّبون التَّأديب التَّقويميَّ مِن أجل تَجَنُّب الصدمة النَّاجمة عن استخدام العَصا إنَّما يؤجِّلون شعورهم بالحزن والأسى إلى حين. فالألم النَّاجم عن مشاهدة أبنائهم المراهقين يَضحكون بالرَّغم مِن انحدارهم في الطَّريق المؤدِّي إلى الهلاك هو أقسى -بما لا يُقاس- مِن الألم الذي قد يشعرون به عند احتضان ابنهم الباكي بعد تأديبه بالعَصا.

٤. **يجب أن يكون استخدام العَصا مَقرونًا بالتَّعليم.** "العَصَا وَالتَّوْبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً، وَالصَّبِيُّ الْمُطْلَقُ إِلَى هَوَاهُ يُخْجِلُ أُمَّهُ" (أمثال ٢٩: ١٥). وأيضًا: "وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" (أفسُس ٦: ٤). والآن، لاحظ أنَّ هاتين الآيتين (المُقتبستين مِن العهد القديم والعهد الجديد) تَقرنان التَّأديب بالتَّعليم. فصَفْع الطِّفل على مؤخِّرته لا يُغني عن تعليمه. يسير التَّأديب والتَّعليم جنبًا إلى جنب. والحقيقة هي أنَّ عدم الانصياع للتَّعليم هو الذي يُفْضي إلى استخدام العَصا. ولكنَّ استخدام العَصا أيضًا يَجعل الطِّفل جاهزًا ومستعدًّا لسماع التَّعليم. فالأطفال المتمرِّدون لا يرغبون في سماع التَّعليم. أمَّا الأطفال النَّادمون فيُسَرُّون بالتَّعليم. وعندما يُقَسِّي الطِّفل قلبه ولا يعود راغبًا في سماع التَّعليم، يجب استخدام العَصا لإرغامه على قبول تَعليم أبوَيْه دون مقاومة ظاهرة أو مُستترة.

٥. **تُحَرِّر العَصا العلاقة بين الآباء والأبناء مِن التوتُّر.** "أَدِّبِ ابْنَكَ فَيُرِيحَكَ وَيُعْطِيَ نَفْسَكَ لَذَّاتٍ" (أمثال ٢٩: ١٧). حين يلجأ الأبوان إلى استخدام أساليب

---

٥ حسب ما جاء في: Training Light, Unit ٤" (نُور التَّأديب، الوحدة ٤)، مِن منشورات "Christian Light Publications, Inc." لسنة ١٩٨٠، الصَّفحتان ٥ و ٦.

التَّوبيخ والتَّهديد والرَّشوة لمعالجة مَيْل طفلهما إلى العصيان، تصير العلاقة بين الطَّرفين قائمة على الخداع والتَّلاعب، والغضب، والإحباط. وفي نهاية المطاف، قد يَخضع الآباء والأمَّهات لأبنائهم لأنَّ أعصابهم باتت مُحَطَّمة، ولأنَّ أبناءهم خارجون عن السَّيطرة، وغير سُعداء، ولا يشعرون بالأمان. بالمقابل، إذا واجه الآباء والأمَّهات ابنهم العنيد بالعَصا، لن تستولي عليهم مشاعر الإحباط المتزايدة، ولن يشعر الطِّفل بالضَّياع بسبب عدم معرفته عواقب تصرُّفاته. وفي البيوت المحرومة مِن "الرَّاحة" و "السُّرور"، يجب إعادة استخدام العَصا بمحبَّة.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كان ترتيب "بيثاني" هو الثَّالث بين إخوتها. لذلك، لم يَكُن أبواها مُبتدئَين في تربية الأطفال. ولكنَّهما لم يكونا جاهزَيْن للتَّعامل مع "بيثاني" بسبب عنادها الشَّديد. وقد بدأ الصِّراع الشَّديد في نهاية السَّنة الأولى مِن حياتها واستمرَّ بعد ذلك.

عندما لم تكن "بيثاني" تحصل على ما تريد، كانت الدُّنيا تقومُ ولا تَقْعُد! فقد كانت "بيثاني" تَرتمي أرضًا، وترفس برجليها في جميع الاتِّجاهات، وتصرخ بأعلى صوتها دون توقُّف. ويبدو أنَّ تأديبها بالصفع لم يُحَقِّق نتيجةً إيجابيَّةً معها. فقد كانت تتلقَّى هذا التأديب أحيانًا، ولكن بعد خمس دقائق كانت القصَّة تتكرَّر بكُلِّ حذافيرها!

استنتج والدا "بيثاني" أنَّ خُطَّة الله القائمة على استخدام العَصا قد تنفع مع جميع الأطفال ما عدا "بيثاني". وظَنَّا أنَّه توجد طريقة أخرى. لذلك، دَرَسا كلمة الله، وقرأا كُتبًا مسيحيَّةً عن تربية الأولاد. وأخيرًا، اتَّخذا قرارًا بتنفيذ خُطَّة الله بإيمان ما دامت هذه هي مشيئته.

وقد قال والد "بيثاني" لوالدتها: "لن نحاول تحقيق الانتصار في معركة واحدة، بل سنستمرُّ في الوقوف في وجه تمرّدها على سُلطتنا مِن خلال الوسيلة التي أوصانا الله بها: العَصا."

وبعد بضع سنوات، قال والد "بيثاني": "إنَّ بيثاني في قِمَّة التَّهذيب والرقَّة ... ولكنَّها بالتَّأكيد لم تُولد هكذا!"

وبذلك، نجح والداها في تربيتها بعد أن طَبَّقا طريقة الله بالأسلوب الذي أوصاهما به.

إرشادات لاستخدام العَصا

١. تأكَّد أنَّ طفلك يَفهم ما تتوقَّعه منه، واحرص على أن يكون ما تَطلبه منه مُناسبًا لقُدراته. (قد يُساعد تحذير الطِّفل [وليس تهديده] في حمايته مِن الصفع على المؤخِّرة في حال حدوث سوء تفاهم بينكما).

٢. استخدم العَصا بعيدًا عن الأنظار دائمًا. (الخصوصيَّة مطلوبة احترامًا لشخصيَّة الطِّفل، وإدراكًا لحاجته إلى تفريغ انفعالاته العاطفيَّة).

٣. تأكَّد مِن تهدئة طفلك قبل محاولة معالجة سلوكه الخاطئ. فإذا صفعت طفلك على المؤخِّرة وهو في حالة هياج، قد تكون النَّتائج عكسيَّة. فيجب أن يكون الطِّفل هادئًا لكي يسمع تعليمات والديه ويَفهم سبب تأديبه.

٤. تَكَلَّم مع طفلك قبل صفعه على المؤخِّرة، واطلب منه أن يُخبرك بما قام به. (الاعتراف يساعد في التَّوبة. لذلك، مِن المهمِّ أن تسأل طفلك "ماذا فعلت؟" وليس "لماذا فعلت ذلك؟" وأن تطلب منه أن يُخبرك "ماذا" فَعل قبل أن تسأله

عن سبب قيامه بذلك. فاكتساب عادة التحدُّث أوَّلاً إلى طفلك تحميه أيضًا مِن الصفعة وأنت في حالة غضب شديد).

٥. اشرح لطفلك أنَّ سلوكه غير مقبول. ولكن احذر مِن أن يتحوَّل هذا الشَّرح إلى تَذَمُّر أو محاضرة طويلة. وقد يساعد استخدام آية مناسبة مِن الكتاب المقدَّس في قبول طفلك هذا التأديب العادل.

٦. استخدم العَصا على مؤخِّرة الطِّفل. ولا يجوز استخدام أيّة أداة تُعطي مفعولاً أكثر مِن اللَّسْع.[٦]

٧. استخدم العَصا حسب حاجة الطِّفل. (فالهدف هو دفع الطِّفل إلى الرُّضوخ والطَّاعة، لا إلحاق الأذى به أو التَّنفيس عن غضب الأبوَيْن. فاستخدام العصا المُفرِط يمكن أن يُعطي نتائج سلبيّة شبيهة بتلك النَّاجمة عن عدم استخدامها).

٨. اسمح للطِّفل أن يبكي، ولكن دون صُراخ أو هِياج. (هناك أطفال يحاولون السَّيطرة على وقت التأديب. لكنَّ الغاية مِن صفع الطِّفل على المؤخِّرة هي كبح غضبه وإخضاعه لسُلطة الأبوَيْن، لا إعطاؤه فرصة أخرى لمزيدٍ مِن التمرُّد).

---

٦ في الكتاب الذي يحمل العنوان: "ما الذي يقوله الكتاب المقدَّس عن تربية الطِّفل" (*What the Bible Says About Child Training*)، يَصِف الكاتب "ج. ريتشارد فوغات" (J. Richard Fugate) العصا بأنَّها "عصا رفيعة تُستخدم بسُلطة الأهل لتأديب الطِّفل المتمرِّد". (Garland Texas: Aletheia Publishers, Inc., 1980)، ص ١١٤. ونضيف إلى ذلك أنَّ الله أعطانا أغصانًا ليِّنة على الشَّجر. وهناك أغصان تلسع الطِّفل دون أن تؤذيه. ويُعارض السيِّد "فوغات" وكُتَّاب مسيحيُّون آخرون استخدام اليد للصَّفع بسبب العلاقة النفسيَّة بين اليد التي تضرب الطِّفل واليد التي تحتضنه. وهذه نُقطة مثيرة للجدل. فمع أنَّ الكتاب المقدَّس يشير إلى العَصا دائمًا، وليس إلى اليد، كوسيلة لتأديب الأطفال، فإنَّه يُشير إلى "يد" التأديب الإلهيَّة (انظر مثلًا سفر التَّثنية ٢: ١٥). علاوة على ذلك إنَّ الأذى النفسيَّ الذي قد يلحق بالطِّفل ينجم عن الحالة العاطفيَّة للأبوَيْن أكثر ممَّا هو بسبب الأداة المستخدمة في التَّأديب. ولكن إذا كان الأب (أو الأُمُّ) يَصفع طفله أو يضربه وهو في سَوْرة غضب، يجب عليه الالتزام باستخدام العصا لا اليد. فحين يذهب لإحضار العصا، قد يَمنحه ذلك بعض الوقت للتحكم في غضبه.

٩. طَيِّب خاطِر طفلك. (يجب أن تأتي التَّعزية مِن الشَّخص نفسه الذي أذَّب الطِّفل). ومع أنَّ هذا الوقت مُهِمٌّ لتعميق العلاقة بين الأبوَيْن وأطفالهما، لكن يجب على الطِّفل أن يرتمي بين أحضان أبيه أو أُمِّه بدلاً مِن أن يُسارع الأب أو الأم إلى احتضان طفلهما وغمره بالحنان بعد تأديبه مباشرةً. يجب أن يكون تطييب خاطِر الطِّفل أمرًا منظّمًا. فإذا قام الأب أو الأم بغَمر الطِّفل المُعاقَب بالحنان، قد يُفضي ذلك إلى حدوث تشويش عاطفيٍّ لدى الطِّفل. وفي حالات مُعَيَّنة، قد يكون الوقت مناسبًا للصَّلاة مع الطِّفل.

يجب على الآباء والأمَّهات أن يستخدموا التَّعليم، والقدوة الحسنة، والتَّأديب بالعصا لتربية أبنائهم على إطاعة توجيهاتهم اللَّفظيَّة التي يصدرونها بنبرة صوت عاديَّة حالاً. أمَّا إذا كان الطِّفل يتأخَّر في إطاعة توجيهات والديه، أو يُطيع توجيهاتهما بطريقته الخاصَّة، أو لا يُطيعهما إلَّا إذا عرف سبب إصدار تلك التوجيهات، فإنَّ هذا يعني أنَّه يُمارِس نوعًا مُستترًا مِن التمرُّد. والأبوان اللَّذان يُخفقان في تدريب أطفالهما على الطَّاعة الفوريَّة يزرعان فيهم أشكالاً عديدة مِن العِصيان. فكأنَّهما يقولان لطفلهما:

- أنت لستَ مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا كَرَّرْتُ تعليماتي بضع مَرَّات.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا رَفَعْتُ صوتي، أو هَدَّدتُك، أو صَرختُ في وجهِك.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا رأيتَني ذاهبًا لإحضار العَصا.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إلَّا إذا أَجَبْتُك عن جميع اعتراضاتك ومجادلاتك.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا تَمَكَّنتَ مِن تشتيت انتباهي أو دفعي إلى الضَّحك.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا تَوَسَّلْتَ إليَّ، أو انتَحَبْتَ، أو بكيتَ كثيرًا.
- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا تظاهرتَ بأنَّك أُصِبْتَ بنوبة غضب.

- أنت لست مُضطرًّا لإطاعتي إذا أثرتَ جلبةً أمام الناس.
- يمكنك أن تُطيعني وتردّ الضربة مِن خلال كلماتك أو نَظراتك أو لغة جسدك التي تدلّ على التمرُّد.

ولكنَّ كُلَّ ما ذكرناه عن استخدام العَصا لا يعني البَتَّة أنَّ العَصا هي السَّبيل الوحيد لتأديب الأطفال. إنّها الوسيلة المناسبة لتأديب الأطفال المتمرِّدين وإرغامهم على الخضوع لسُلطة الأبَوَيْن وسيطرتهما ومشيئتهما. ولكن هناك حاجة ماسَّة إلى تطويع سلوكيَّات الأطفال حتَّى عندما يكونون خاضعين. يجب على الطِّفل أن يتعلَّم الأدب، والتَّهذيب، والعادات الحسنة، وإلخ. وهذا الجزء مِن التَّربية يتطلَّب استخدام أسلوب المُكافأة والعِقاب.

فعلى سبيل المثال، لنفترض أنَّ طفلك بحاجة إلى تحسين عادات النظافة لديه. يمكنك إعداد لائحة بالسلوكيَّات الصَّائبة والسلوكيَّات الخاطئة. في عمود السلوكيَّات الصَّائبة، اكتب مثلاً: "تنظيف الأسنان بعد تناول الفطور". وفي عمود السلوكيَّات الخاطئة، اكتب مثلاً: "تَرك المَجلى مُتّسخًا". ويمكنك أيضًا مكافأة طفلك عندما يُظهِر تَحَسُّنًا في سلوكه.

كذلك، إنَّ العقاب ضروريٌّ مِن أجل تقويم سلوك الأطفال. ويختلف العقاب عن استخدام العَصا في أنَّه لا يُستخدَم لحَلِّ مشكلة التمرُّد، بل لتعليم الطِّفل عواقب السُّلوكيَّات الخاطئة. فعلى سبيل المثال، إذا سكب الطِّفل الحليب على الطَّاولة بسبب إهماله، سيكون عقابُه الاعتذارَ وتنظيفَ الطَّاولة (شرط أن يكون الطِّفل في سنٍّ تسمح له بإدراك أنَّ إهماله هو الذي أدَّى إلى سكب الحليب على الطَّاولة، وأنَّ هذا خطأ). وإذا كان الطِّفل يُزعِج الأطفال الآخرين الذين يلعبون، يمكن معاقبته بأن يعتذر منهم ويجلس وحده بهدوء بعض الوقت.

فيتطلّب العقابُ حكمةً واستخدامًا للمنطق السليم. وقد تساعد المبادئ التَّالية في توضيح كيفيَّة استخدام العقاب:

١. يجب أن يتناسب العقاب قدر الإمكان مع سوء السُّلوك. فإذا قام الطِّفل بتوسيخ الأرض، يجب عليه تنظيفها. وإذا كسر شيئًا ما، يجب عليه إصلاحه (قدر استطاعته، أو يمكنه أن يساعد أباه أو أُمَّه في ذلك). وإذا تَعَدَّى على الآخرين، سَيُحْرَم مِن بعض الامتيازات.

٢. يجب ألَّا يكون العقاب مُبالغًا به ولا تافهًا. فالعقاب قائمٌ على قوانين الله العادلة. ولكن يجب ألَّا نَسحق الطِّفل سحقًا عند تطبيق هذه العدالة، بل أن نستخدمها لتعليمه.

٣. يجب عدم معاقبة الأطفال في حال كانوا يجهلون القواعد والمعايير السلوكيَّة المطلوبة. فكلمة الله تُفَرِّق بين السلوكيَّات الخاطئة التي يقترفها المرء عن براءة، وتلك التي يقترفها عن سابق قَصْد. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات أن يفرّقوا بينها أيضًا.

٤. يمكن استخدام العَصا لمعاقبة الطِّفل إذا كان قد تَسَبَّب في إيذاء الآخرين، أو إذا كان الخطأ الذي اقترفه يستحقُّ التَّأديب بالعَصا. فهناك عدالة في الشُّعور بالألم عند إيذاء آخرين. وإذا استغلَّ طفلك سذاجة طفل آخر أصغر منه، أو استهزأ بشخصٍ لديه إعاقة، قد لا يكون الضَّرر الذي تَسَبَّب فيه ظاهرًا، ولكنَّ الألم العاطفيَّ يستحقُّ العقاب بالعَصا.

٥. يجب على الأطفال أن يعترفوا بأخطائهم قبل تلقِّي العقاب. فالاعتراف يُمَهِّد الطَّريق أمام العدالة لتأخذ مَجراها وتأتي بالثمار المرجوَّة.

والشَّيء الأكثر أهميَّةً مِن جميع هذه النِّقاط هو موقفك كأب أو أُمٍّ. فبراعة الأطفال في إدراك مشاعر آبائهم وأمَّهاتهم تفوق مهارتهم في الإصغاء إلى ما يقولونه لهم. لذلك، يجب على الآباء والأمَّهات الرَّاغبين في تقويم سلوك أبنائهم بفاعليَّة أن يتصرَّفوا بشكلٍ يُعزّز التأديب ويتجنّبوا التصرّفات التي تقوّض من الفعاليّة. وقد يساعد الجدول التَّالي في توضيح هذه النُّقطة:

مواقف سُلوكيَّة تساعد في تقويم الأطفال	مواقف سلوكيَّة لا تساعد في تقويم الأطفال
الهدوء.	الغضب.
احترام الطِّفل.	الامتعاض من الطِّفل.
مُمارسة السُّلطة برزانة.	مُمارسة السُّلطة بروح الغطرسة.
اللُّطف مع الحَزْم.	القسوة أو الوحشيَّة.
نبرة الصَّوت المعتدلة.	نبرة الصَّوت العالية أو الحادَّة.
التوقُّعات المنطقيَّة.	التوقُّعات المُبالَغ بها.
الإصرار على تأديب الطِّفل بدافع المحبَّة.	ضعف إرادة الأبوَيْن أو اكتفائهما بالتبرُّم.
الثِّقة.	عجز الأبوَيْن عن فعل أيِّ شيء.

ولا يمكننا المُبالغة في التَّوكيد على أهميَّة موقف الوالدَيْن في أثناء تأديب أطفالهما. ففي غياب الموقف المناسب، قد يَشعر الوالدان بعدم فاعليتَّهما وبالإحباط، على الرغم من معرفتهما بجميع الوسائل التأديبيَّة اللَّازمة.

يُحَمِّل الله الأبوَيْن مسؤوليَّة تربية أبنائهم لكي يكونوا أبناء مُطيعين لأنَّه يريد أن يكون هؤلاء الأطفال خُدَّامه المُطيعين له في السَّنوات القادمة. ولا شَكَّ أنَّ الأنماط السُّلوكيَّة التي يَعتاد عليها المرء في طفولته ستُلازمه في رُشْده. لذلك، إنَّ الآباء الذين لا يقومون بدورهم تُجاه أبنائهم لا يقومون بدورهم تُجاه الله أيضًا.

تطبيق مبادئ تربية الأبناء

إنَّ معرفتنا بأنَّ الأطفال يحتاجون تعليمًا، وتقويمًا، وقدوةً لا يُجيب عن جميع أسئلة الآباء والأمَّهات. لذلك، سوف نتحدَّث في هذا الجزء عن السِّمات التي تُمَيِّز كُلَّ مرحلة عُمريَّة. وسوف نُقَدِّم نقاطًا عمليَّة مفيدة في تربية الأولاد. كذلك، سوف نقترح أنشطة مناسبة للأبناء في المراحل العُمريَّة المختلفة.

السَّنة الأولى

سِمات هذه المرحلة:

- الطِّفلُ يعتمد تمامًا على والديه ويتمتَّع بجاذبيَّة تدفع والديه إلى مُعانقته.
- التَّواصُل بسيط ويتمُّ مِن خلال قَسَمات الوجه، والأصوات، ونَبرات الصَّوت.

إرشادات تربويَّة

- الأطفال في عُمر السَّنة بحاجة إلى فيض مِن المحبَّة، والرِّعاية، والعناية، والمعانقة (مِن كِلا الأبوَيْن). وهذه هي السَّنة المُناسبة لبناء الثِّقة.
- قد يكون التأديب لازمًا في نهاية هذه السَّنة، ولكن فقط في الحالات التي يكون فيها التَّواصُل واضحًا بين الطِّفل ووالدَيْه. فإذا كان الطِّفل يُدرك ما يقوله له والداه، ولكنَّه يُعاندهما، يمكن للوالدين أن يُظهرا بعض الصَّرامة معه. أمَّا تأديب الطِّفل قبل هذا الوقت فقد يؤدِّي إلى شعور الطِّفل بعدم الأمان ويُبطِل فاعليَّة التَّأديب.

إرشادات لاختيار الأنشطة الملائمة

١. مِن المهمّ أن يختار الأبوان أنشطةً وألعابًا تحوي معانقةً وتُظهر رعايتهما واهتمامهما بطفلهما.

٢. يتجاوب الأطفال مع الأنشطة التي فيها تواصُلٌ مِن خلال الكلام أو الغناء.

٣. يجب على الأبوَيْن أن يهتمَّا بطفلهما ويتواصلا معه بنفسَيْهما بدلاً مِن تسليم هذه المهمَّة لإحدى المُرَبِّيات. فقد يكون غياب عِناق الوالدَيْن طفلهما سببًا في وجود آثار سلبيَّة على الطِّفل عاطفيًّا، وفكريًّا، ورُبَّما جسديًّا أيضًا.[٧]

٧ هناك خلاف أحيانًا على أهميَّة الحضن. ولكنَّ الدِّراسات تُشير إلى أنَّه عندما يتمُّ إبعاد الأطفال الذين لم يتجاوز عمرهم ستَّة أشهر إلى سنة عن أمَّهاتهم، فأنَّهم يعانون ما أسماه

السَّنة الثَّانية

سِمات هذه المرحلة:

- يبدأ الطِّفل بالمشي.
- يترافق المشي عادةً بمَيل الطِّفل إلى الاستقلاليَّة.
- هذه هي سِّنُّ استكشاف الأشياء واختبارها.
- قد يبدأ الطِّفل بنُطق كلماتٍ في هذه السِّنِّ.

إرشادات تربويَّة

- يجب تعليم الأطفال في هذه السِّنِّ معنى الكلمة "لا". وفي مرحلة التَّدريب هذه، قد يتطلَّب الأمر إبعاد الأشياء القابلة للكسر عن مُتناول يد الطِّفل.
- في أثناء السَّنة الثَّانية، يظلّ الطِّفلُ بحاجةٍ إلى البقاء قريبًا مِن والدَيْه، وبحاجةٍ إلى أن يحملاه ويعانقاه. ولكنَّه يحتاج أيضًا إلى التَّوجيه والتَّوبيخ. ويجب أن يتعلَّم الاستجابة للتَّعليمات المؤلَّفة مِن كلمة أو كلمتين مِثل "تعال"، أو "اجلس هُنا"، أو "اهْدَأ"، أو غيرها. وكما عليه أن يواجه التَّأديب عندما يقاوم أوامر والدَيْه. وطبعًا ينبغي التأكّد من أنَّ الطِّفل فهم هذه التَّعليمات. (انظر "إرشادات لاستخدام العَصا" في هذا الفصل).
- يجب تنمية حواسِّ الطِّفل الفطريَّة مِن خلال تحذيره مِن الأشياء السَّاخنة أو الخطرة، وجعله يكتشف ملمس العُشب والماء، وإلخ.

أحد الباحثين بالاكتئاب النَّاشئ عن الحِرمان. أمَّا أعراض هذا الاكتئاب فتشمل الحزن، وفقدان الوزن، وكثرة المرض. وقد قَدَّم باحِث آخر براهين تُبَيِّن أنَّ نوعيَّة المشاعر التي تُظهرها الأم عند احتضان طفلها واهتمامها به تؤثِّر في احتماليَّة إصابته بالاضطرابات النفسيَّة في وقتٍ لاحقٍ مِن حياته.

إرشادات لاختيار الأنشطة الملائمة

١. شَجِّع الطِّفل على ممارسة الأنشطة التي تتطلَّب مهارات حَرَكِيَّة، مِثل الأغاني التي ترافقها حركات، وبناء المُكَعَّبات، وغيرها.
٢. عند القراءة للطِّفل في هذه السِّنِّ، استخدم كُتُبًا مُصَوَّرةً لمساعدته على الفهم وجذب انتباهه.
٣. تَحَدَّث إلى الطِّفل لأنَّ ذلك ضروريٌّ جدًّا لتطوير مهارات التَّواصُل لديه.

مِن السنة الثَّالثة إلى السَّادسة

سِمات هذه المرحلة:

- إنَّ مَيْل الطِّفل إلى اكتشاف الأشياء يَتبعه عادةً مَيْلٌ إلى تجربتها. لذلك إنَّ تَقَلُّب مزاج الطِّفل في هذه السِّنِّ (أي الاتِّكال عليهما تارةً، والاستقلال عنهما تارةً أخرى) لا يَرجع في الأصل إلى شقاوته أو تَمَرُّده، بل إلى حاجته إلى معرفة حدوده.
- الطِّفل في هذه السِّنِّ يُقَلِّد الآخرين كثيرًا. ويبدو أنَّ خياله لا يتوقَّف عن العمل، وأنَّ طاقته لا تنضب.
- الطِّفل في هذه السِّنِّ يُصَدِّق كُلَّ ما يَسمع. لذلك، يمكن للوالدَيْن أن يستخدما أسئلة الطِّفل الكثيرة لتعليمه دروسًا قَيِّمة.
- تفكير الطِّفل في هذه السِّنِّ يعتمد على الأشياء الملموسة أكثر مِن الأشياء المُجَرَّدة. لذلك، مع أنَّ الطِّفل ينظر إلى الله في شكل إنسان، لكنَّ الأمور غير المنظورة تبدو بالنسبة إلى الطفل حقيقيَّة كما لو كانت منظورة.
- مع أنَّه بوسع الأطفال أن يتعلّموا أمورًا كثيرة في هذه السِّنِّ، إلّا أنّهم ينجذبون إلى الكبار عاطفيًّا أكثر مِمَّا ينجذبون إليهم فكريًّا. ومِن المُرَجَّح أنَّ

ما يتعلَّمونه مِن خلال مشاعرهم وأحاسيسهم يَفوق ما يتعلَّمونه مِن خلال ما يُقال لهم.

إرشادات تربويَّة

- الجزء الأساسيُّ في تقويم الأطفال يَحدُث بين سِنِّ الثَّانية والسَّادسة. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يُدَرِّبا أطفالهما على طاعتهما واحترام أوامرهما حالاً. ومع أنَّه ينبغي مواجهة أيّة نوبات غضب أو عصيان بالعَصا، إلّا أنَّ الأبوَيْن مُطالَبان بعدم تحويل كُلِّ حادثة صغيرة إلى مواجهة.
- لا تلجأ إلى تَوبيخ الطِّفل أو تهديده أو رشوته كي يَفعل ما تأمره به. فهذه الأساليب تُعَلِّم الطِّفل المراوغة بدلاً مِن الطَّاعة.
- يجب تدريب الأطفال على القيام بالأعمال التي تُناسب أعمارهم وقدراتهم، مِثل إرجاع الألعاب إلى أماكنها، وتنظيف الغُبار، وغسل الأطباق، وترتيب الأسِرَّة، وغيرها.
- يجب تعليم الطِّفل آداب السُّلوك واللَّياقة، مِثل آداب المائدة، والتَّهذيب وقت اللَّعب، وآداب المحادثة مثل "مِن فضلك" و "شُكرًا" و "لو سمحت".
- يظلّ الأطفال بحاجة إلى الكثير مِن الحنان والتَّشجيع. لذلك، يجب ألَّا يُرَكِّز الأبوان على معاقبة الطِّفل على سلوكيَّاته الخاطئة فقط، بل يجب عليهما مكافأته على سلوكيَّاته الإيجابيَّة. ويمكن للأبوَيْن أن يُعِدَّا جدولاً يحوي أهدافًا معقولة ومكافآتٍ للسلوكيَّات الإيجابيَّة. وقد يكون هذا الأسلوب فعَّالاً.

إرشادات لاختيار الأنشطة الملائمة

١. الطِّفل بحاجة دائمة إلى تَعَلُّم الحقائق الروحيَّة. لذلك إنَّ المذبح العائلي، والصَّلاة قَبْل النَّوم، وقصص الكتاب المقدَّس (التي تُوافق مستوى فَهْم الطِّفل)، ومدارس الأحد هي أمور تُسهم في وضع أساسٍ روحيٍّ راسخٍ لديه مدى حياته.

٢. المشاركة الفاعلة أفضل مِن المشاركة السلبيَّة. لذلك، إنَّ اللَّعب بالرَّمْل أفضل جدًّا مِن مشاهدة الأفلام.

٣. الأنشطة التي تُنَمِّي الإبداع جيِّدة. مثلاً اللَّعب بالصَّلصال، أو الرَّسم بالأصابع، أو تمثيل الأدوار (تمثيل الذَّهاب إلى المدرسة، أو الكنيسة، أو التسوُّق، أو التَّخييم، وإلخ). وقد تُشارك العائلة بأسرها في لعب الأدوار (كأن "يُخَيِّموا" في حديقة المنزل مثلاً).

٤. يجب تشجيع الأطفال مِن خلال الأنشطة التي تعمل على تطوير التنسيق وتحريك أجسامهم (مِثل لُعبة الغُمَّيضة، أو التَّلوين، أو النُّزهات العائليَّة، أو تَعَلُّم ركوب الدَّرَّاجة الهوائيَّة، وإلخ).

٥. احذر مِن الألعاب التي تُشَوِّه الواقع أو التي تُشَجِّع الطِّفل على اقتراف الخطيَّة. فالكثير مِن الألعاب هي نماذج لأشخاص راشدين وليسوا أطفالاً. كذلك، إنَّ الشخصيَّات التلفزيونيَّة الغريبة والألعاب المُصَمَّمة لتقليد العنف والشرِّ تُثير الخيالات الخاطئة لدى الطِّفل.

مِن السنة السَّابعة إلى الثَّانية عشرة

سِمات هذه المرحلة:

- هذا هو العُمر المُهْمَل مِن الآباء والأمَّهات أكثر مِن غيره في أغلب الأحيان. فالطِّفل الصَّغير لم يَعُد صغيرًا، ولكنَّه ما زال بعيدًا عن سِنِّ الرُّشْد.
- مع أنَّ الطِّفل في هذا العُمر قد يقوم بأمور سخيفة أحيانًا، وتُغيظ الوالدين، وتكون عديمة المسؤوليَّة، لكنّه يرغب في القيام بالأمور التي يقوم بها الرَّاشدون ويَستخدم الأدوات التي يستخدمها الكبار وإلخ.

- قد يكون تفكير الطِّفل في هذا العُمر مُرَكَّزًا على الأبطال والبطلات اليافعين، وقد يَظهر هذا مِن خلال إعجابه بهم ومحاولة تقليدهم.
- قد يكون الطِّفل في هذا العُمر مُرْهَف الحِسِّ، ولديه مخاوف عديدة؛ ولكنَّه قد لا يُعَبِّر عن ذلك إلَّا إذا كان يَثِق بأبيه أو أُمِّه ثِقَة كبيرة.

إرشادات تربويَّة

- يجب على الأبوَيْن أن يحاولا جاهِدَيْن أن يكونا مُرْهَفَي الحِسِّ في تعامُلهما مع أبنائهما في هذه السِّنِّ، وأن يغمراهم بالمحبَّة والحنان. فمع أنَّ الطِّفل ينمو جسديًّا، لكنّه يبقى بحاجة إلى دليلٍ ملموسٍ على أنَّه محبوب ومَقبول.
- احترم شخصيَّة أبنائك في أثناء تَشَكُّلها. لا تُحرجهم مِن خلال الضَّحك عليهم أو ذِكْر الأمور الغريبة التي يقومون بها، أمام الآخرين.
- خصّص وقتًا لأبنائك. فالأوقات التي تصرفها معهم مِن حيث الكَمِّ والكَيْف، هي الأساس الذي ستُبنى عليه علاقتك بهم عندما يصبحون مراهقين.
- أكِّد لهم أنَّك تَثِق بهم. ولا شَكَّ أنَّ هذا يتطلَّب حكمة. لا ينبغي إثقال كاهل الأبناء في هذا العُمر بمسؤوليَّات الوالِدَيْن. ولكن يمكنك أن تَطلب منهم القيام بما يمكنهم القيام به. واحذر مِن توبيخهم بسبب إخفاقهم أو عدم قدرتهم على القيام بالمهامِّ التي قد تطلبها منهم. فالإرشادات المُفيدة أفضل مِن الانتقادات الجارحة.
- تَحَدَّث إلى أبنائك واستمع إليهم. امنحهم الحُرِّيَّة اللَّازمة للتَّعبير عن أنفسهم. احذر مِن محاولة فتح باب التَّواصُل عنوةً.

إرشادات لاختيار الأنشطة الملائمة

١. يميل الأطفال في هذا العُمر -في أغلب الأحيان- إلى الأنشطة التي تُناسب جنسهم. ففي هذه السِّنِّ، تتوقّف الفتيات عن ممارسة الأنشطة

الخشنة والعنيفة. أمَّا الصُّبيان فينغمسون أكثر فأكثر في ممارسة المصارعة والملاكمة، وفي استعراض قُوَّتهم البدنيَّة.

٢. يجب تَجَنُّب الأنشطة التي تُفضي إلى اكتشاف الأطفال أجسادهم مُبكرًا (مثلاً السِّباحة المُختلطة).

٣. يجب الحفاظ على التَّهذيب عند تبادُل المُزاح. لذلك، ابعِد أبناءك عن الأنشطة غير المحتشمة أو التي تستخفُّ بالأمور المقدَّسة. يجب أن يكون كُلُّ شيءٍ -من موسيقى ومُطالعة وحفلات- رصينًا ونافعًا.

٤. احذر مِن الأنشطة التي تَفرض على الأطفال الذين لم يبلغوا سِنَّ المُراهقة أن يعيشوا حياة الرَّاشدين. فهذه الأنشطة هي إحدى البلاوى التي أصابت عصرنا هذا. ففي هذه السنّ، يحتاج الأولاد إلى صَرْف وقتٍ مع آبائهم وأمَّهاتهم للعمل، والتحدُّث، واللَّعب معًا بدلاً مِن خوض المنافسات في الألعاب الرياضيَّة. ولا شَكَّ أنَّ وسائل الإعلام التَّرفيهيَّة تُسهم كثيرًا في الضَّغط على الأطفال لكي يَتَخَلُّوا عن طفولتهم.

٥. يجب أن تُحفّز الأنشطة التَّرفيهيَّة العقل على نحو خلّاق، لا أن تَستعبد المرء. لذلك، إنَّ الألعاب التي تُعَلِّم المهارات أو التَّخطيط هي أفضل مِن ألعاب الحَظِّ. واحذر مِن الألعاب الإلكترونيَّة التي قد تُخَدِّر عقل أبنائك إذا استمرُّوا في صَرْف السَّاعات في لعبها.

٦. هناك طرائق كثيرة لِجَعل الوقت الذي نَصرفه مع أبنائنا مُثمرًا. مثلاً التنَزُّه، والتَّخييم، والاهتمام بحديقة المنزل، وإعداد الحلويَّات، وطهي الطَّعام، وممارسة الحِرَف اليدويَّة، وغيرها.

٧. يجب أن تكون المواد التي يقرأها الأبناء زاخرة بالقدوة الحسنة - ولا سيَّما عندما يبدأ الطِّفل بالتَّفكير في شخصيّة البطل. فالسُّوق تَزْخُر بقصص تُثير دهشة وخيالات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثَّانية عشرة. وكم هو مؤسفٌ أنَّ الكثير مِن القصص التي تَزْعُم بأنَّها "مسيحيَّة" تستخدم

الأسلوب نفسه تقريبًا. ولكن هناك سِيَر حياتيَّة حماسيَّة مكتوبة للأطفال في هذه المرحلة العُمريَّة تُقَدِّم لهم شخصيَّات عظيمة تَصْلُح لأن تكون قدوة حسنة لهم.

٨. إنَّ الأوقات التي يتحدَّث فيها الآباء والأمَّهات مع أبنائهم على انفراد مُهمَّةٌ جدًّا. وقد تكون الصَّلاة قَبل النَّوم جزءًا مِن ذلك، ولكن قد يقتضي الأمرُ تخصيصَ أوقات محدّدة لذلك، لا سِيَّما عندما يَقترب الطِّفل مِن سِنِّ المُراهقة.

سنوات المُراهقة

سِمات هذه المرحلة:

- نحن هنا أمام فترة انتقاليَّة. فعلى الصَّعيد البدنيِّ، يصير الأطفال شُبَّانًا وشابَّات. وعلى الصَّعيد الاجتماعيِّ، يَنتقلون مِن مرحلة الاعتماد على الأبوَيْن إلى سِنِّ الاضطلاع بالمسؤوليَّة. وعلى الصَّعيد الروحيِّ، يَنتقلون مِن سِنِّ البراءة إلى سِنِّ المُساءلة.
- يَطرح المراهقون أسئلةً، ويَعرضون تحدِّيات، ويستخدمون المنطق. ومع أنَّ الإجابة عن هذه الأسئلة ليست بالأمر السَّهل، إلّا أنَّ صعوبتها تزداد عندما لا تكون العلاقة بين الأبوَيْن والأبناء على ما يُرام.
- ينظر المراهقون إلى العالم نظرة مثاليَّة، ويُبدون ردود فِعْلٍ قويَّة عندما يَرَون تناقضات في حياة الآخرين أو رياءً أو تَمَسُّكًا بالشكليّات، مع أنَّ هذه الأمور نفسها قد تكون موجودة في حياتهم.
- ينجذب المراهقون أكثر فأكثر إلى الجنس الآخر.

إرشادات تربويَّة

- يحتاج الأبناء المراهقون إلى التَّوجيه والإرشاد من دون الشعور بالضَّغط. ويحتاجون إلى مَن يَفهمهم دون أن يشعروا بالتَّهديد، كما يحتاجون إلى تَعَلُّم أشياء ومبادئ جديدة لكن دون مُبالغة. وهُم بحاجة إلى محبَّة الوالدَيْن من دون الشعور بأنَّهم يُعامَلون كأطفال، وبحاجةٍ إلى مَن يُصغي إليهم من دون التَّقليل مِن شأنهم، وبحاجةٍ إلى مَن يَثِق بهم من دون أن يتخلَّى عنهم.
- مِن حيث المبدأ، يجب أن تكون أيَّام الصَّفع على المؤخرة قد وَلَّت قبل سنوات طويلة مِن بلوغ سِنِّ المراهقة.
- يمكن للآباء والأمَّهات أن يكونوا أكثر فاعليَّة مِن خلال حفاظهم على نزاهتهم ومحبَّتهم لأبنائهم. كذلك، يجب أن تكون صَرامتهم وصراحتهم مصحوبتَين باللُّطف، والرِّعاية، والثَّبات على المبادئ.
- يبقى التواصل مهمًّا. فهناك فُرَص عديدة في هذا العُمر لتعليم الأبناء. ولكنَّ فاعليَّة التَّعليم تتوقَّف -في المقام الأوَّل- على الضَّبط الذي كان الأبوان يمارسانه في السَّنوات الماضية (فلا يمكن تعليم طفل متمرِّد). وتتوقَّف -في المقام الثَّاني- على استعداد الأبوَيْن للإصغاء إلى أفكار أبنائهم المراهقين، وعلى استعدادهما لمُراعاة شخصيَّتهم (فمِن الصَّعب أن يُصغي الأبناء إلينا إن لم نُصْغِ نحن إليهم).
- يجب أن تكون المزايا مصحوبة بالمُساءلة. فمع أنَّ المراهقين يتذمَّرون أحيانًا بسبب القيود المفروضة عليهم، لكنّهم يكونون أكثر سعادةً ويشعرون أكثر بالأمان عندما يَعرفون حدودهم.
- يجب تعليم الأبناء المراهقين مبادئ المسؤوليَّة والوكالة في الأمور الماليَّة. ومع أنَّ هذا موضوعٌ مهمٌّ، لكنّه مُهمَل. لذلك، سوف نَذْكُر مجموعة مبادئ عمليَّة بهذا الخصوص في نهاية هذا الجزء.

- يجب تعليم الأبناء المراهقين كيفيَّة التصرُّف عندما يُبادرهم شخص مِن الجنس الآخر بالكلام. ويجب على الأبوَيْن أن يتوقَّعا تقديم النُّصْح والإرشاد في هذا الموضوع، وعليهما أن يكونا واضِحَيْن في التَّعبير عن توقُّعاتهما.
- عندما تتشكَّل شخصيَّات الأبناء، يجب على الأبوَيْن أن يكونا مُرهفَيْ الحِسِّ تجاه شخصيَّاتهم المُتميِّزة واهتمامات كُلٍّ منهم. ويجب عليهما مناقشة الاحتمالات والاتِّجاهات المستقبليَّة بصراحةٍ مع تقديم التَّشجيع والإرشاد.

إرشادات لاختيار الأنشطة الملائمة

١. يجب أن تكون الأنشطة مُحَفِّزة فكريًّا، وممتعة، ويجب أن تشجّع على التَّفاعُل الاجتماعيِّ الصحيح.

٢. هناك خَطَر في ممارسة الأنشطة التي تجعل التَّسلية غايةً في حَدِّ ذاتها. فهي تُفْضي إلى خفض جودة النَّشاط، والاختلاف مع سُلْطة الوالِدَيْن.

٣. هناك خَطَر في ممارسة الأنشطة المُكلفة ماديًّا دون مُبَرِّر، مِثل استئجار السيَّارات السياحيَّة الفاخرة، أو اللُّجوء إلى وسائل التَّرفيه الباهظة الثَّمن.

٤. يجب إعداد الأنشطة الاجتماعيَّة بطريقة تَحمي المراهقين مِن المخاطر الأخلاقيَّة، وتُعَزِّز علاقة المراهق بأهله وولاءهُ لهم. ولكنَّ مجموعات الشَّبيبة ذات التَّنظيم العالي والأنشطة المُفرطة تَفعل العكس تمامًا. فهي تَجعل مجموعة الشَّبيبة مُنافسًا للبيت. لذلك، إنَّ العلاقة بين المراهقين والأبوَيْن تبقى أقوى عندما يقوم الوالدان بتنظيم الأنشطة مِن داخل البيت بدلاً مِن السَّماح لآخرين مِن خارج البيت بالقيام بذلك.

٥. يجب أن تقوم العائلة بأنشطة عائليَّة. وقد تَشمل هذه الأنشطة أفراد العائلة وحدهم، أو أفراد العائلة المُمتدَّة، أو مجموعة مِن العائلات. فمِن شأن ذلك أن يُشَجِّع الاندماج والاختلاط بين المستويات العُمريَّة المختلفة. ومِن الأمثلة على هذه الأنشطة: الرّحلات، والنُّزهات، والتَّخييم، وألعاب

الكُرة، وزيارة المتاحف ومراكز العلوم والطَّبيعة، وغيرها. كذلك، يمكن للعائلة أن تقوم بأنشطة مسيحيَّة مِثل زيارة المرضى والمُسِنِّين، والتَّرنيم، ودراسة الكتاب المقدَّس مع كبار السِّنِّ في دور رعاية المُسِنِّين، وتوزيع النَّشرات المسيحيَّة.

٦. يجب تشجيع المراهقين على اختيار مواهب تُنمِّي مهاراتهم، ومعرفتهم، وإبداعهم. ومِن الأمثلة على ذلك: جَمْع الحشرات، أو جَمْع الطَّوابع، أو جَمْع عَيِّنات مِن الصُّخور، أو الرَّسم، أو العَزْف على آلة موسيقيَّة، أو الخياطة، أو صِناعة السِّلال، أو التَّطريز، وإلخ. (ملاحظة: لقد تَبَيَّن أنَّ جَمْع الأشياء عن طريق شرائها هي أقلُّ فائدةً مِن جَمْعها شخصيًّا).

إرشادات لتعليم الأبناء المسؤوليَّة الماليَّة

١. يجب على الآباء أن يفهموا مبادئ الوكالة المسيحيَّة ويُمارسونها بأنفسهم إذا أرادوا أن ينقلوها إلى أبنائهم.

٢. يجب أن يتعلّم الأبناء أنَّ كُلَّ شيءٍ نملكه هو للربِّ. فنحن مُجَرَّد وُكلاء عن الأشياء التي يَأتمنُنا الله عليها. والعشور هي إحدى الطَّرائق الملموسة للتذكير بذلك.

٣. يجب على الآباء والأمَّهات أن يُعَلِّموا أبناءهم الفرق بين الحاجات والرَّغبات، وأنَّ شراء ما يحتاج إليه المرء هو أكثر أهميَّةً مِن شراء ما يرغب فيه.

٤. يجب على الآباء والأمَّهات ألّا يسمحوا لأبنائهم بإنفاق المال قَبل تعليمهم مبادئ إنفاقه. وهناك خطأ شائع يَقترفه الآباء والأمَّهات الأغنياء ألا وهو إعطاء الأبناء "كُلَّ ما يطلبونه" مِن مال. فالأبناء يُحِبُّون المرح، وقد يجدون مئة طريقة لإنفاق المال على التَّسلية كالتسكُّع، وتناول الطَّعام في المطاعم، وشراء الملابس الجديدة، وجَمْع الأشياء، وشراء المعدَّات الرياضيَّة، وأنظمة الصَّوت، والأدوات الموسيقيَّة، وغيرها.

٥. يجب تعليم الأبناء أنَّ هناك علاقة مباشرة بين العمل والمال. ويجب على الأبوَيْن أن يتجنَّبا عقليَّة المجتمع الذي يريد الحصول على الكثير مُقابل لا شيء، والذي يبحث عن طرائق سريعة وسهلة للحصول على المال. ويجب عليهما أن يُعَلِّما أبناءهما أيضًا أن يَتَجَنَّبوا ذلك.

٦. عندما يبدأ الأبناء في كَسْب المال، يجب وضع تعليمات واضحة حول كيفيَّة إنفاق هذا المال. وهناك خِيارات عديدة:

أ. أن يتسلَّم الأبوان المال كُلَّه. وفي هذه الحالة، يمكن تعليم الابن أنَّ هذا المال يُستخدَم لفائدة العائلة. وبالمقابل، يشعر الابن بالانتماء، وبمكافأة ملموسةٍ لاحتياجاته التي أُشبِعَت. وعند اللُّجوء إلى هذا الخِيار، يُعطي الأبوان، في أغلب الأحيان، جُزءًا مِن ذلك المال للابن عندما يصير قادرًا على تولِّي شؤونه بنفسه.

ب. أن يتسلَّم الابن كُلَّ المال أو جزءًا منه، مع وضع ميزانيَّة أو خُطَّة لكيفيَّة إنفاقه. وفي هذه الحالة، يصير الابن مسؤولاً عن تقديم عُشوره بنفسه، وعن سَدِّ بعض حاجاته مِثل شراء الملابس. ويتعلَّم المهارات الماليَّة وهو تحت رعاية أبوَيْه.

ج. أن تُدفَع العُشور مِن المبلغ الذي يحصل عليه الابن، وأن يُترك بين يديه مبلغٌ صغير كمصروفٍ شخصيٍّ، وأن يوضع المال المتبقِّي في حساب توفير لتغطية احتياجات الابن المستقبليَّة.

٧. يجب تعليم الأبناء مقاومة التخفيضات على السِّلَع. فينبغي للآباء والأمَّهات أن يُقاوموا توسُّل أبنائهم ويعلّموهم ألّا يتوسَّلوا. عَلِّم أبناءك أن يُفَكِّروا مَليًّا قَبل شراء أيِّ شيء، وأن يقارنوا السِّلع والأسعار، ويتجنَّبوا الشِّراء المتسرِّع.

٨. يجب تعليم الأبناء مبادئ العطاء: فَرَح العطاء المُضَحِّي، ورهافة الحِسِّ تُجاه المحتاجين، وخطر العطاء مِن أجل الحصول على المَدح، وقيمة أن

يكنزوا لهم كنزًا في السَّماء، والاضطلاع بمسؤوليَّة سَدِّ احتياجات الكنيسة وأفراد العائلة.

٩. يجب تعليم الأبناء مخاطر الشِّراء بالدَّين. لا يُعَلِّم الكتاب المقدَّس مبدأ "اشْتَرِ الآن، وادفع لاحقًا". فهذا تأثير الناس الذين يقدّمون بطاقات الائتمان ويجمعون أرباحًا طائِلَة، ويبقون النَّاس تحت عبوديَّة الدَّيْن باستمرار. لذلك، يجب أن يتعلّم الأبناء مبادئ ادِّخار المال، والعيش وفقًا للإمكانات الماليَّة المُتاحة، وإصلاح الأشياء المعطوبة بدلاً مِن التخلُّص منها.

١٠. إذا التزم الأبوان بتعليم أبنائهما كيفيَّة استخدام المال بحكمة، يجب أن يتقبّلا ويعلّما أبناءهما أيضًا أن يتقبّلوا أنَّهم سيختلفون عن العديد من أصدقائهم. فلن ينصاعوا لشهواتهم ورغباتهم، ولن يحصلوا على آخر صَيْحات الموضة، ولن يُبَذِّروا المال كما يفعل كثيرون مِن حولهم.

التحكُّم في الغضب

إذا أرَدنا تلخيص مسؤوليَّة تربية الأبناء بكلمةٍ واحدة، فإنَّ الكلمة ستكون "**المحبَّة**". ونحن لا نتحدَّث هنا عن المحبَّة العاطفيَّة فحسب، بل عن المحبَّة المُلتزمة التي تَدفع الأب أو الأم إلى القول: "سأفعل كُلَّ ما بوسعي فِعله لأجل مصلحتك".

مِن جانبٍ آخر، هناك أمرٌ مُدَمِّرٌ في تربية الأبناء وهو الغضب الخارج عن السَّيطرة. لا شَكَّ أنَّ هناك غضبًا مشروعًا يشْعُر به الأبوان عندما يقترف أبناؤهما خطأً مُعَيَّنًا، وهو استياءٌ واضح. لكن ينبغي للأبوَيْن ألَّا يَسْمَحا لهذا الغضب بالتَّأثير سلبًا على تعَهُّدهما تُجاه أبنائهما، أو بدفعهما إلى مهاجمة شخصيَّة أبنائهما، أو بالحُلول مَحَلِّ الحِكمة. وقد يَظْهَر الغضب المُدَمِّر لدى الأبوَيْن بأشكالٍ عديدة مِثل الازدراء بالأبناء، أو سَوْرات الغضب، أو النَّقد الجارح، أو السُّخرية الشَّديدة،

أو الصُّراخ الحادِّ. وفي ما يلي سبعة أسباب تُبَيِّن خطأ هذا النَّوع مِن الغضب عند الأبوَيْن:

١. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُدَمِّر الثِّقة.

٢. الغضب الخارج عن السَّيطرة يقطع قنوات الاتِّصال.

٣. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُعَكِّر صَفْو العائلة.

٤. الغضب الخارج عن السَّيطرة يَمنع المرء مِن التحكُّم في أفعاله.

٥. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُدَمِّر صورة الذَّات عند الأطفال.

٦. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُعطي الشَّيطان مكانًا (أفسُس ٤: ٢٦ و٢٧).

٧. الغضب الخارج عن السَّيطرة يُحْزِن الرُّوح القُدُس (أفسُس ٤: ٣٠ و٣١).

يجد آباءٌ كثيرون صعوبةً بالغة في كَبْح غضبهم. ويؤسفنا القول إنَّ هذا الغضب لا يُساعد في ضبط الموقف، بل يَجعل الأبوَيْن يفقدان السَّيطرة عليه. كذلك، يُظْهِر الغضب ضعفَ الأبوَيْن وعجزَهما أمام الأبناء، ويُقَلِّل مِن فاعليَّة أقوالهما، ويُضعف سُلطتهما.

وإذا وَجَدَتْ أنماطُ الغضب المُدَمِّرة سبيلَها إلى كلمات الأبوَيْن، ونظراتهما، وردود فعلهما، سيكون مِن الصَّعب عليهما التخلُّص منها. ولكنَّ التحرُّر مِن هذه الأنماط الخاطئة ضرورةٌ مُلِحَّة إذا أراد الأبوان أن يستعيدا ثقة أبنائهما واحترامهم. وفي ما يلي مجموعة مِن النصائح التي قد تساعد في التغلُّب على أنماط الغضب المُدَمِّرة:

١. **اعترف بالمشكلة تحديدًا أمام الله.** لعلّ الأفضل هو أن تدوّن المشكلة، وتَذكُر طريقة تعبيرك عنها، وتأثير ذلك على العائلة. "مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ" (أمثال ٢٨: ١٣).

٢. **اِعلم أنَّ الغضب يُعَبِّر عن إرادة المرء الذَّاتيَّة التي تُحْزِن الرُّوح القُدُس.** "وَلاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ القُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الفِدَاءِ. لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ" (أفسُس ٤: ٣٠ و٣١).

٣. **اِبحث عن آيات كِتابيَّة عن الغضب، وأعِد صياغتها لتتواءم مع حالتك.** اكتب هذه الآيات، واقرأها مرَّة تلو الأخرى، وضعها في مكانٍ بارز كي تتذكّرها دائمًا. فكلمة الله تمتلك القدرة على تطهير قلوبنا وتصحيح أذهاننا. "نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الجَاهِلَ حَكِيمًا" (المزمور ١٩: ٧).

٤. **صَلِّ يوميًّا كي تختبر حياة يسوع بدلاً من العبوديَّة للذَّات.** "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (٢كورنثوس ٣: ١٨). وأيضًا: "مَعَ المَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ المَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ" (غلاطيَّة ٢: ٢٠).

٥. **اِعترف بالمشكلة أمام أفراد عائلتك.** ناقشوا الخطوات التي تقوم بها لتحقيق النُّصرة، وصَلُّوا معًا. اطلب منهم أن يؤازروك دائمًا من خلال صلواتهم. وإذا استمرَّت المشكلة، رَتِّبوا لقاءات عائليَّة منتظمة لتعزيز روح المُساءلة. "اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا" (يعقوب ٥: ١٦).

٦. **انظر نظرةً عقلانيَّة إلى الأشياء التي تُثير غضبك، وابحث عن طرائق أخرى للتَّعامل معها تَعامُلاً بَنَّاءً.** إذا كان هناك شخص مُعَيَّن يُثير غضبك، يمكنك أن تبدأ بالتَّفكير في الجوانب الإيجابيَّة التي رُبَّما تُقَدِّرها فيه. وإذا كانت الفوضى في البيت، أو في الغرفة، أو في أيِّ رُكْنٍ آخر في البيت تُثير غضبك، ناقش مع أفراد العائلة سُبُل تحسين الوضع. وإذا كان الوضع خارج سيطرتك ولا يمكنك تغييره، فَكِّر في كيفيَّة قبوله أو التأقلم معه. وفي جميع المواقف، يمكنك أن تسأل نفسك: "كيف كان يسوع ليتصرَّف في هذا الموقف؟" فقد قال يسوع: "تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ القَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ" (مَتَّى ١١: ٢٩).

٧. **ارفض البحث عن مُبَرِّرات لغضبك.** "كَم مَرَّة سَمِعت أحدَهم يقول: 'لقد أثار فُلانٌ جنوني'"؟[٨] هذه سخافة. لا أحد يثير الغضب فينا. ومع أنَّ الغضب قد يكون شعورًا غير إراديٍّ في حَدِّ ذاته، لكنَّ ردود أفعالنا، وطريقة تعبيرنا عن غضبنا، وسيطرتنا أو عدم سيطرتنا على مشاعرنا تعتمد على خِياراتنا. فَكِّر في سهولة السَّيطرة على الغضب عندما يَرِنُّ جرس الهاتف. فقد نهدأ كما لو كُنَّا قد قرأنا المزمور ٢٣ للتَّوِّ. لكِنَّ العقل قادر، ويا للأسف، على اختراع عُذْرٍ لكُلِّ شيءٍ إن سَمَحنا له بذلك. لذلك، يجب علينا أن نَتَّبِع إرشاد الرَّسول بولُس الذي قال: "البَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ المَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلجَسَدِ..." (رومية ١٣: ١٤).

٨. **إذا كانت لديك مشكلة غضب مُستمرّة، افتح قلبك وحاول أن تُخْرِج منه أيَّ غضبٍ مُتراكم مِن السَّنوات الماضية.** فالغضب -كما ذَكَرنا قَبل قليل- يُعَبِّر عن ضُعف الجسد. ولكن في بعض الأحيان، قد يكون القلبُ ممتلئًا امتعاضًا ومَرارةً بسبب أحداثٍ وقعت في حياتنا في الماضي. وعندما يَكبت النَّاس غضبهم بسبب إساءة ما، أو رفض، أو تجربة قاسية، قد يُعمِّقون بذلك الاستياء في قلوبهم. وعندما يواجهون في الحاضر أشخاصًا أو مواقف يَصْعُب التَّعامل معها، قد تتأجَّج مشاعر الغضب لديهم بسبب جِراح الماضي التي لم تَنْدَمِل. لذلك، قد تؤدِّي مشكلةٌ صغيرة إلى ردود أفعال قويَّة جدًّا. وفي حالاتٍ كهذه، يجب على المرء أن يُواجه مكنونات قلبه بصدق. فإذا كان مستاءً مِن والديه، أو مُعَلِّميه، أو قادة كنيسته، أو جيرانه بسبب إساءات حدثت في الماضي، يجب عليه أن يواجه هذا الغضب ويَفتح قلبه للتَّطهير الذي يقوم به دَمُ يسوع المسيح. وقد تكون معالجة الغضب المتراكم أمرًا صعبًا لأنَّنا نَبني عادةً جدرانًا دفاعيَّةً تُخفي وراءها امتعاضنا. وقد تمنعنا هذه الجدران مِن رؤية أنفسنا بوضوح. لذلك، قد يساعدنا أحدُ الأشخاص المُقَرَّبين مِنَّا على مواجهة المشكلة بصدق.

8 William Lee Wilbanks, "The New Obscenity," (السَّفاهة الجديدة) *Reader's Digest,* December, 1988, p. 24.

ماذا عن مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة؟

في أيَّامنا هذه، هناك الكثير من الأمَّهات العاملات اللواتي لديهنَّ أطفال دون سِنِّ المدرسة. فعلى سبيل المثال، إنَّ نصف عدد الأمَّهات في الولايات المتَّحدة اللواتي لديهن أطفال في سِنِّ ما قَبل المدرسة، يَعملن خارج البيت. والنَّتيجة هي أنَّ هؤلاء الأطفال الصِّغار يُغادرون بيوتهم في أعمارٍ مُبَكِّرة جِدًّا إلى مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة. ويحاول خبراء كثيرون إقناع الأبوَيْن بأنَّ هذه المراكز مُعَدَّة للاهتمام باحتياجات الأطفال، وبأنَّ الأطفال يتكَيَّفون بسرعة مع التغيُّرات والبيئات الجديدة. ومع ذلك، إنَّ الملاحظات التَّالية كَفيلة بإقناع الأبوَيْن المؤمِنَيْن بعكس ذلك:

١. مراكز العناية النَّهاريَّة تُضْعِف ارتباط الأطفال بآبائهم وأمَّهاتهم. قال رئيس مشروع مرحلة ما قَبل المدرسة في جامعة هارفرد (Harvard)، بعد ثلاثين سنة من الخبرة في مجال الأبحاث الخاصَّة بمراكز الرِّعاية، إنَّه لا يُفَكِّر البَتَّة في وضع طفله في أيِّ برنامج بديل لرعاية الأطفال. وقد أصاب في تحذيره بأنَّ "مشاعر الارتباط والتعلُّق بالآخرين تتشكَّل لدى الأطفال مَرَّة واحدة فقط".[٩]

٢. مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة تُقَدِّم رعايةً غير شخصيَّة. لا يمكن للحضانات أن تُعامل أطفالنا في هذه البيئة الجماعيَّة كما نُعاملهم نحن في بيوتنا. وقد صَرَفت إحدى الكاتبات مئات السَّاعات في مراقبة مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة. وقد لاحَظَتْ أنَّه على الرَّغم من أنَّ هذه المراكز لا تُسيء معاملة الأطفال، لكنَّ حياة هؤلاء الأطفال "فارغة إلى حَدٍّ مُخيف". وقد قَدَّمت الكاتبة أمثلة عديدة على ذلك. ولكنَّ خلاصة تقريرها هي أنَّ هناك مشكلة جوهريَّة في مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة وهي أنَّ الأمَّ رحلت.[١٠]

---

9 Karl Zinsmeister, "Hard Truths About Day Care," (حقائق مُرَّة عن مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة) *Reader›s Digest,* October 1988, p. 90.

10 Zinsmeister, p. 91.

٣. مراكز الرِّعاية النَّهاريَّة لا تُوَفِّر -في أغلب الأحيان- التَّربية والتَّعليم اللَّذَيْن يُطالب الله بهما الأبوَيْن المؤمنَيْن. وقد بَيَّنت الدِّراسات أنَّ الأطفال الذين يذهبون في سنوات طفولتهم الباكرة إلى مراكز الرِّعاية البديلة يُظْهِرون في سنوات لاحقة سلوكيَّات عدائيَّة وضعفًا في الأداء الأكاديمي أكثر من الأطفال الذين تَرَبُّوا في كَنَف آبائهم وأمَّهاتهم.

وهذا لا يعني أنَّ جميع مراكز الرِّعاية لا تقوم بدورها. فهناك مراكز رعاية تُقَدِّم أفضل ما لديها. ومع ذلك إنَّ أفضل ما تُقَدِّمه لا يمكن أن يُضاهي رعاية الأبوَيْن.

الأبناء بالتَّبَنِّي

هناك أزواج كثيرون اليوم يؤجِّلون الإنجاب. وقد أدَّى هذا السُّلوك، علاوة على الضَّغوط المتزايدة والعديد من العوامل الأخرى، إلى زيادة حالات العُقْم. وعليه، فقد زاد الاهتمام بتَبَنِّي الأطفال. وفي الوقت ذاته، هناك عوامل اجتماعيَّة أخرى ساهمت في تضاؤل أعداد الأطفال المُتاحين للتَّبَنِّي. فعلى سبيل المثال، إنَّ الإجهاض وَحْدَهُ يُزهِق حياة ما يتراوح بين مليون ومليوني طفل سنويًّا. لذلك، مع أنَّ التَّبَنِّي صار مرغوبًا أكثر من السَّابق، إلّا أنَّ ثمّة صعوبات تَكتنفه. وفي الولايات المتَّحدة، إذا رغب شخصان بتَبَنِّي طفل، ينبغي لهما الانتظار مُدَّةً تتراوح من خمس سنوات إلى ثماني سنوات.[١١] وفي بلاد أخرى، قد يكون تَبَنِّي الأطفال أكثر صعوبة أو استحالة، وفقًا لقوانين التَّبَنِّي. والتبنِّي يتطلَّب تعبئة أوراق كثيرة، وهو مُكْلِفٌ ماديًّا عادةً. ولكنَّ العديد من الأشخاص الرَّاغبين في تَبَنِّي الأطفال يُظهرون استعدادًا كبيرًا لاحتمال هذه الصُّعوبات في سبيل اختبار مشاعر الفَرَح النَّاشئة عن تربية الأطفال.

١١ هذه الإحصائيَّات تَخُصُّ تَبَنِّي الأطفال الأصحَّاء في العقد التَّاسع من القرن العشرين. أمَّا الأطفال الذين لديهم إعاقات، فإنَّ تَبَنِّيهم أكثر سهولة ولا يتطلَّب انتظارًا طويلاً.

والحقيقة هي أنَّ التَّبَنِّي يُشبه إنجاب الأطفال الطبيعي مِن جانب ويَختلف عنه مِن جانب آخر. فهو يُشبهه مِن حيث مسؤوليَّة الأبوَيْن عن تربية الطِّفل والاهتمام به. ولكنَّ التَّبَنِّي له إيجابيَّاته وسلبيَّاته الخاصَّة به. فالطِّفل الذي يَعلم أنَّ هذين الشَّخصين ليسا أبوَيْه الحقيقيَّيْن، قد يَستخدم هذه المعرفة للإيقاع بين الزَّوجين أو التَّحايل عليهما، أو ما شابه ذلك. والوجه الآخر للحقيقة نفسها هو أنَّ التَّبَنِّي خدمةٌ في حَدِّ ذاته. فهو يُظْهِر مَحَبَّةً أكبر مِن نداء الواجب. وهي محبَّة ناشئة عن "عمل النِّعمة" لأنَّها شبيهة بمحبَّة الله.

ومع أنَّ إجراءات التَّبنِّي قد تَختلف مِن مكانٍ إلى آخر ومِن وكالة إلى أخرى،[١٢] فقد تخطُر على بال الزَّوجَيْن أسئلةٌ اعتياديّةٌ تتعلّق بما ينبغي أن يتوقّعاه مِن الطِّفل الذي سيتبنَّيانه، وبما يجب أو لا يجب القيام به. ولكنَّ الأمر يختلف مِن حالة إلى أخرى. فبعض الوكالات تطلب مِن الزَّوجَيْن الرَّاغبَيْن في تَبَنِّي طفل أن يحضرا جلسات مشورة قبل التَّبَنِّي وبعده. ولكنَّ المبادئ التَّالية تَصِحُّ على أغلبيَّة المواقف:

١. **الطِّفل المُتَبَنَّى لديه حاجات طبيعيَّة للمحبَّة والقبول والتَّقويم. ويجب معاملته كأيِّ طفلٍ آخر.** في الولايات المتَّحدة، هناك سؤالٌ يُطرَح على الزَّوجَيْن الرَّاغبَيْن في تبَنِّي طفل، وهو: "هل تُدركان أنَّه في حال تمّت الموافقة على طلبكما، ستصيران طرفًا في اتِّفاقيَّةٍ مع هذه الولاية تتعهَّدان بموجبها بمعاملة هذا الطِّفل -مِن جميع الجوانب ودون استثناء- كما لو كُنتما قد أنجبتماه"؟[١٣] وكُلَّما زادت قدرة الأبوَيْن على معاملة الطِّفل المُتَبَنَّى كما لو كان ابنهما الحقيقيَّ، زاد شعور الطِّفل بالأمان في البيت. ولا شَكَّ أنَّ المحاباة بين الأبناء وتفضيل

---

١٢ يقول "دوغلاس ر. دونيللي" في نشرةٍ له بعنوان "دليل التَّبَنِّي" *(A Guide to Adoption)* إنَّ الموافقة على التَّبَنِّي تتطلَّب دراسةً لوضع البيت. وهذه الدِّراسة تنظر عادةً إلى أربعة عوامل: السِّجل العَدلي، والحالة الزَّوجيَّة، ومُعَدَّل الدَّخل، والحالة الصِّحِّيَّة. انظر:
Pomona, California: *Focus on the Family*, 1988, p. 6.

١٣ دونيللي Donnelly، ص ٣.

الواحد على الآخر يُعَدُّ خَرْقًا لهذا المبدأ. ولكنَّ بعض الأشخاص ذوي النيّة الحسنة قد يتطرَّفون في الجهة المعاكسة فيَمنحون الطِّفل المُتَبَنَّى مزايا أكثر أو تسهيلات أكبر. وربّما يقوما بهذا الأمر لتعويض الطِّفل عن الرَّفض الذي اختبره في الماضي. ولكن إذا كان الأمر مُبالَغًا فيه، فإنَّ هذه المُعاملة التَّفضيليَّة قد تُعطي نتائج عكسيَّة إذ يَشعر الطّفل بأنَّه مرفوض. فالرِّسالة التي قد يَفهمهما الطِّفل هي: "أنت مُختلف". وقد يُفْضي ذلك على المدى البعيد إلى شعور الطِّفل بعدم الأمان.

٢. **يجب على الأبوَيْن أن يُجيبا الطِّفل بصدقٍ عن أسئلته المُختصَّة بماضيه حسب مستوى فهمه.** فالأطفال يتفاوتون في فضولهم. لذلك، يحتاج الأبوَان إلى الحِكمة لكي يتمكَّنا من إطلاع الطِّفل على المعلومات الضَّروريَّة فقط، وفي التوقيت المناسب أيضًا. وبصورة عامَّة، ينبغي للطِّفل أن يكبر وهو عالمٌ بأنَّه طِفْلٌ بالتَّبَنِّي. وفي بعض الحالات، لا بأس بأن يَعرف الطِّفل السَّبب وراء ذلك (مثلاً في حال وفاة والِدَيْه الحقيقيِّيْن). وهناك قوانين تَحمي خصوصيَّة الأبوَيْن الحقيقيَّيْن. وفي حالات كثيرة، لا تَعرف أُمُّ الطِّفل الحقيقيَّة عن الشَّخصَيْن اللَّذَيْن قاما بِتَبَنِّي طفلها إلّا اسمهما الأوّل والعكس صحيح أيضًا. لذلك، في أغلبيَّة الحالات، لن تكون هناك تفاصيل كثيرة يمكن للزَّوجَيْن أن يشاركاها مع ابنهما بالتَّبَنِّي عن والدَيْه الحقيقيَّيْن. ولكن من الضروري أن يُصارِحا الطِّفل بأنَّه تمّ تبنّيه دون الدُّخول في تفاصيل كثيرة.

٣. **لا تَسمحا لطفلكما بالتَّبَنِّي أن يستفيد من وضعه لتحقيق مصالحه الشخصيّة.** فالأطفال هُم أطفال. والطِّفل الذي يَشعُر بالاستياء قد يَفعل أيَّ شيءٍ يَقدر عليه، بما في ذلك التَّلاعُب بمشاعر أبوَيْه: "أنتما لا تُحِبَّاني" أو "أنتِ لستِ أُمِّي الحقيقيَّة". وليست هناك طريقة فضلى لطمأنة الطِّفل سوى التصرُّف بهدوء وحزم، وتقويم تَمَرُّده. فهذا في حقيقة الأمر تَمَرُّدٌ لأنَّه محاولةٌ لفرض السَّيطرة. ولا شَكَّ أنَّه ستأتي أوقات يَشعر فيها الطِّفل المُتَبَنَّى بالحزن على ذكرياته السَّابقة - لا سِيَّما إذا تَمَّ تَبَنِّيه بعد مرحلة الطُّفولة المبكِّرة. ولا بأس في التَّساهُل والتَّعاطُف مع هذه المشاعر كما قد نَفعل مع أيِّ شخصٍ آخر. لكنّ النُّقطة المهمَّة هنا هي

أنَّه لا ينبغي السَّماح لهذا الشُّعور بأن يكون سببًا في حصول الطِّفل على مبتغاه.

٤. **لا ينبغي للأبوَيْن أن يَتعاملا مع ابنهما بالتَّبَنِّي بعقليَّة "المُنْقذ".** لا يَختلف هذا التصرُّف في شيء عن محاولة الطِّفل المُتَبَنَّى التَّحايُل على أبوَيْه. ومع أنَّنا ذَكَرنا أنَّ التَّبَنِّي هو تعبيرٌ عن المحبَّة و"النِّعمة"، لا يَفوتُنا أن نَذْكر أيضًا أنَّه لا يجوز لهما أن يَستخدما عبارة "لقد فَعَلنا هذا كُلَّه لأجلك" في محاولة التَّحايُل عليه. فمثل هذا التَّصَرُّف يولّد استياءً لا امتنانًا. يحتاج الطِّفل المُتَبَنَّى إلى أبَوَيْن لا مُنْقذَيْن. وهذا لن يتحقَّق إلَّا حين يقوم الأبوان بالدَّور الطَّبيعيِّ الذي يقوم به الآباء والأمَّهات. وحينئذٍ فقط، يمكنهما أن يتوقَّعا مِن طفلهما بالتَّبَنِّي أن يتصرَّف كما يتصرَّف الأبناء الحقيقيُّون.

٥. **كُلَّما بَكَّر الزَّوجان في تَبَنِّي الطِّفل، قَلَّت حاجتُه إلى التأقلم في بيته الجديد.** ومع أنَّه يبقى بإمكانهما تَبَنِّي طفلٍ أكبر، لكنَّ الأمر يتطلَّب منهما أن يَقبلاه كما هو قَبل مساعدته تدريجيًّا في أن يُصبح فردًا من العائلة. وينبغي أن يَعلم هذا الطِّفل ما هو مُتوقَّع منه في البيت الجديد. لكنَّه يحتاج، في الوقت نفسه، إلى مقدارٍ مِن الحُرِّيَّة للتَّعبير عن آرائه، بما في ذلك عدم إعجابه ببيئته الجديدة. والحقيقة هي أنَّ التكيُّف بمُجمله يتوقَّف على جودة التَّواصُل بين الطِّفل وأفراد عائلته الجديدة.

٦. **الفروق العِرْقيَّة بين الأبوَيْن والطِّفل المُتَبَنَّى تَظهر خارج المنزل أكثر مِن داخل المنزل، ويمكن أن تُسَبِّب صعوبات في سِنِّ الرُّشْد أكثر مِن سِنِّ الطُّفولة.** ففي البيت، يتمكَّن الأبوان، عادةً، مِن توفير جَوٍّ مُناسبٍ للطِّفل ومُفعم بالمحبَّة والقبول. ولكن لا يُمكنهما أن يَتَحَكَّما في البيئة الخارجيَّة. ومع ذلك، إنَّ الفروق العِرْقيَّة قد لا تُشَكِّل مشكلات في سِنِّ الطُّفولة، إلَّا مشكلةَ الاهتمام الزَّائد على الأرجح. وهذه المعاملة التَّفضيليَّة قد تُفْسِد الطِّفل "المميّز". وعندما يقترب الطِّفل مِن مرحلة الرُّشْد، ويَشعر برغبات اجتماعيَّة طبيعيَّة، قد تأخذ الاختلافات العِرْقيَّة بُعدًا جديدًا. فعلى سبيل المثال، قد يُفَسِّر الشَّابُّ تَرَدُّد الفتيات في

التعرُّف إليه بشكلٍ مُقرَّب ومُصادقته بأنَّه رفض، وبأنّه يتعلّق بالتمييز العُنصريِّ (وقد يكون الشابُّ مُحِقًّا أو مُخطئًا في تفكيره).

٧. **إنَّ كُلَّ عمليَّة تَبَنِّي لها خصوصيَّتها. وكلُّ طفلٍ مُتَبَنَّى له شخصيَّته المتميِّزة. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يتجنَّبا محاولة جَعْل عمليَّة التبنِّي أو جعل الطِّفل في حَدِّ ذاته يوافقان توقُّعاتهما المُسَبَّقة.** فسوف تكون هناك مفاجآت وأخطاء. لذلك، يجب على الأبوَيْن أن يُظْهِرا استعدادَهما للتعلُّم والتكيُّف على الصَّعيد الشخصيِّ في أثناء مرحلة استقبال الأطفال وتربيتهم (سواء كانوا أطفالهم الحقيقيِّين أو بالتبنِّي). والآباء والأمَّهات الذين يتَّكلون على الربِّ وعلى كلمته للحصول على الحكمة، يملكون قاعدةً متينةً يمكنهم الانطلاق منها للتغلُّب على الصُّعوبات التي ستواجههم.

الخُلاصة

يَضطلع الأهالي المؤمنون بمسؤوليَّة إعداد أبنائهم لخدمة الله. وعليهم أن يُعَلِّموهم، ويكونوا قدوةً لهم، ويُقوِّموهم، ويُبَيِّنوا لهم الطَّريقة الصَّحيحة للعيش، ويَحموهم مِن الطُّرق الخاطئة. وعندما يستخدمون العَصا، يجب عليهم أن يَفعلوا ذلك بمحبَّة إلى أن يتعلَّم الأبناء أن يُطيعوا تعليماتهم حالاً وعن طيب خاطر. ولا شَكَّ أنَّ المراحل المختلفة في نُمُوِّ الطِّفل تُهَيِّئه للمراحل المختلفة في عمليَّة التَّربية. والتَّربية تبدأ في سِنٍّ مُبَكِّرة وتستمرُّ حتَّى نهاية فترة المراهقة. لكنَّ العَصا مُفيدة في سنوات الطُّفولة الباكرة لتخليص الطِّفل مِن التمرُّد، وجَعله مستعدًّا لقبول الإرشاد. ويجب على الآباء والأمَّهات أن يتواصلوا مع أبنائهم بفاعليَّة، ويُظهروا احترامهم لهم، ويسيروا على النَّهج نفسه طَوال حياة أبنائهم، ولا سيَّما عندما يبلغ الأطفال سِنَّ المُراهقة. وينبغي معاملة الطِّفل المُتَبَنَّى كبقيَّة الأبناء لأنَّ جميع الأطفال بحاجةٍ إلى الشُّعور بالأمان النابع من شعورهم بالمحبَّة، والقبول، والتَّربية التي بحسب فِكر الله.

لِنُفَكِّر معًا

١. ما هي بعض الطَّرائق العمليَّة التي تجعل وقت المذبح العائلي مفيدًا؟ وما الذي يمكن أن يُعيق العبادة ويُعَطِّل فائدتها؟ وكيف يمكن تغيير ممارسات العبادة بينما يكبر الأطفال؟

٢. ما هي مزايا ومساوئ الدِّراسة المنزليَّة؟

٣. كيف يمكن للعائلة أن تتعاون معًا في مشاريع الخدمة؟

٤. هل توجد أمورٌ عمليَّة يمكن للمؤمن أن يقوم بها لمعارضة الإجهاض دون تجاهُل مبادئ الكتاب المقدَّس؟

٥. ما هي بعض المواقف الاعتياديَّة التي تُتيح للأبوَيْن فرصة تعليم أبنائهما طُرُق الربِّ؟ وما هي المعوِّقات المألوفة لِمثل هذا التَّعليم؟

٦. ما هي المشكلات الشَّائعة النَّاشئة من عدم استعمال عَصا التَّأديب؟ وما هي المشكلات الشَّائعة النَّاشئة من الإفراط في استخدام عَصا التَّأديب؟ وما الفرق بين التَّحذير والتَّهديد؟

٧. كيف يمكن للأبوَيْن مساعدة ابنهما على نحوٍ سليم في الجوانب التَّالية؟

- تَعَلُّم عادات النَّظافة.
- التغلُّب على عادات الأكل الخاطئة.
- تَجَنُّب عدم القيام بالمسؤوليَّات.

٨. اكتب لائحة بالأنشطة الملائمة وغير الملائمة للأبناء في كُلٍّ مِن المراحل العُمريَّة التَّالية: العمر بين ٣-٧، و٨-١٢، و١٣-١٥، و١٦-١٩.

٩. إذا اضطُرَّ الأب والأم إلى ترك أبنائهما مع مُرَبِّية، ما هي الإجراءات التي ينبغي لهما اتّخاذها (مثلاً تحديد عدد مَرَّات القيام بذلك، وفترة الغياب عن الأبناء، وأرقام الهاتف، وشخصيَّة جليسة الأطفال، وإلخ)؟

١٠. ما هي الوصايا الكتابيَّة الخاصّة بزواج شخصين مِن خلفيَّتين ثقافيَّتين مختلفتين أو مِن عِرْقَيْن مُختلِفَيْن؟

لِنَعمل معًا

١. ناقشا معًا، كأب وأمّ، جودة تربية أبنائكما وتعليمهم. اكتبا لائحة بجوانب الضَّعف، وناقشا سُبُل التغلُّب عليها. وضَعَا خُطَّة لتقييم تقدُّمكما بشكلٍ منتظم.

٢. قَيِّما استخدامكما عَصا التَّأديب، والمكافآت، والعقاب. هل هناك أمور بحاجة إلى تحسين؟ هل هناك حاجة إلى توضيح نظام الثَّواب والعقاب؟ ناقشا معًا أيضًا سُبُل إدخال التَّحسينات اللَّازمة، واتَّخذا الخطوات اللَّازمة للقيام بها.

٣. هل هناك أنشطة غير بنَّاءة تُمارَس في بيتكما؟ ناقشا الأمر كزوجين، ثُمَّ كعائلة، مِن أجل إدخال التَّعديلات اللَّازمة على هذه الأنشطة. خُذا اهتمامات الأبناء ومهاراتهم بعين الاعتبار، وناقشوا معًا بعض الهوايات الإبداعيَّة التي يمكن للأبناء مُمارستها بتشجيعٍ منكما.

الفصل السابع
البيت والكنيسة

المقدِّمة

إنَّ البيت والكنيسة هُما وحدتان اجتماعيَّتان أقامهما الله لمجده ولخير الإنسان. وعندما يسير البيت والكنيسة حسب خُطَّة الله، يعملان معًا بانسجام تامٍّ دون أيِّ تضارُب. وإذا انجرف كُلٌّ مِنهما مع تيَّار العالم السَّريع، نجد بينهما مُشاحنة أحيانًا كما لو كان كُلٌّ منهما غريبًا عن الآخر، أو كما لو كانا خَصْمَيْن بدلاً من شريكَيْن.

ولكن لا يمكن إلقاء اللَّوم كُلِّه على سُرعة الحياة. فالبيت المعاصر والكنيسة المعاصرة قد ابتعدا عن خُطَّة الله. وهذا الابتعاد يَقود دائمًا إلى المتاعب. وفي هذا الفصل، سنرى كيف يكون البيت والكنيسة سندًا الواحد للآخر عندما يسيرا بحسب وصايا الله.

ما هي الكنيسة؟

"وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاء، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ العَجِيبِ. الَّذِينَ قَبْلاً لَمْ تَكُونُوا شَعْبًا، وَأَمَّا الآنَ فَأَنْتُمْ شَعْبُ اللهِ" (١بطرس ٢: ٩ و١٠).

إنَّ الكلمة اليونانيَّة المُتَرجمة "**كنيسة**" تعني حرفيًّا "المَدعوُّون". وهي تُشير في العهد الجديد إلى جماعة المؤمنين الذين تجاوبوا مع دعوة الله. لذلك ليست الكنيسة بناءً مؤلَّفًا مِن حجارة ومواد بِناء، بل هي جماعة المؤمنين. لذلك، لا يذهب فعليًّا المؤمنون إلى الكنيسة، بل هُم الكنيسة. والكنيسة تجتمع في المكان الذي يلتقي فيه المؤمنون معًا.

وهناك تشابيه واستعارات عديدة استُخدمَت في العهد الجديد لتصف الكنيسة.

- الكنيسة هي جسد المسيح؛ والمسيح هو رأسها (أفسُس ١: ٢٢ و٢٣).
- الكنيسة هي عروس المسيح؛ والمسيح هو العريس (أفسُس ٥: ٢٣- ٢٧).
- الكنيسة هي بناء الله، وهيكل الله، ومسكن الله. والمسيح هو حجر الزَّاوية والأساس (أفسُس ٢: ١٩- ٢٢؛ ١كورنثوس ٣: ١١).
- الكنيسة هي ملكوت المسيح (كولوسي ١: ١٣).

وفي كُلِّ صورة للكنيسة، نَرى المسيح في الطَّليعة. فهو الرَّئيس، ومُشْبِع الاحتياجات، ونَبَض حياة جماعة المؤمنين هذه. كلُّ عضوٍ يَحصل على الغُفران مِن خلال عمل المسيح، وعلى الإرشاد مِن خلال كلمة الله، وعلى المَسْحَة والقوَّة مِن خلال روح الله. وهو يَنمو مِن خلال التفاعل والخدمة في جسد المسيح.

إنَّ عمل يسوع في الكنيسة سيستمرُّ إلى أن يأتي "مِلْء الأزمنة"، عندما "يَجْمَعَ [اللهُ الآبُ] كُلَّ شَيْءٍ فِي المَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ"

(أفسُس ١: ١٠). ومع أنَّ كُلَّ عضوٍ في جماعة المؤمنين يَدْخُل بمقتضى اعترافه وإيمانه الفرديِّ، لكنَّ عملَ الفداء عملٌ جماعيّ. فمن خلال يسوع، يَدعو الله جماعة المؤمنين. "جَمْعٍ كَثِير لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلسِنَةِ" (رؤيا ٧: ٩). وكما نَرى، إنَّ عمليَّة الجَمع هذه تَجري الآن وستستمرُّ في الحدوث "إلى أَنْ يَتِمَّ فِدَاءُ مَا قَدِ اقْتُنِيَ" (أفسُس ١: ١٤).

وكان القدِّيسون -على مَرِّ العصور- يتطلَّعون بشوقٍ إلى اكتمال عمل الله العظيم. ووَصَف الرَّسول بولس ذلك بعبارات تفيض بالحياة، فقال: "لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ الله، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي المَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ البَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ" (١تسالونيكي ٤: ١٦ و١٧). وسوف يكون هذا النِّداء الأخير، واللِّقاء الانتصاريُّ، وعودة جميع المؤمنين المجيدة –في جميع العصور- ليكونوا مع ملك الملوك ورَبِّ الأرباب.

وفي ضوء ذلك، ليست الكنيسة بناءً حجريًّا، بل جماعة المؤمنين الذين يَسْكُن فيهم يسوع المسيح، والذين سيأتي لأجلهم ثانيةً.

العُضويَّة في الكنيسة

إنَّ فهم الكنيسة السَّليم ضروريٌّ من أجل فهم عضويَّة الكنيسة بشكلٍ سليم. فإذا كانت "الكنيسة" مُجَرَّد بناءٍ حجريٍّ يَنتصب في هذا المكان أو ذاك، فمن حَقِّ قادة الكنيسة أن يضعوا الشُّروط التي يرونها ملائمة للدُّخول. وتنطوي العُضويَّة على أكثر من مُجَرَّد تدوين أسماء الأعضاء في سِجِلٍّ خاصّ، وحضور كُلِّ عضوٍ الأنشطة التي تُلائمه. لكن إذا فَهِمنا معنى الكنيسة بالمفهوم الكتابيِّ، أي على أنَّها جماعة المَفدِيِّين بدم يسوع المسيح، ينبغي لنا أيضًا أن نبحث في الكتاب المقدَّس عن المعنى الصَّحيح للعُضويَّة. ولا يَفصل العهدُ الجديد بين مفهومَيْ "الكنيسة" و"العُضويَّة".

مفاهيم الكنيسة	مفاهيم العُضويَّة
١. اشترى المسيحُ الكنيسة، فأصبحت تنتمي إليه.	• "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ ... أَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟" (١كورنثوس ٦: ١٩).
٢. تتألَّف الكنيسة مِن جميع مَن قبلوا عمل المسيح الفدائيّ.	• كوني عضوًا في جسد المسيح، توصيني كلمة الله بالحفاظ على الوحدة مع المؤمنين الآخرين الذين هُم، بمجملهم، الجسد الذي افتداه المسيح بدمه (أفسُس ١: ١٠- ١٤).
٣. الكنيسة كَكُلٍّ هي هيكل مجد الله.	• ليست حالتي الروحيَّة شأنًا مِن شؤوني الشخصيَّة (١كورنثوس ٣: ١٦ و١٧).
٤. الكنيسة هي الوكيل الأرضيُّ لتنفيذ مقاصد يسوع.	• لا يمكنني أن أُتَمِّم مشيئة المسيح بمفردي، بل أنا بحاجةٍ إلى مساعدة الأعضاء الآخرين في جسد المسيح (١كورنثوس ١٢: ١٤- ٢٧).
٥. تختبر الكنيسةُ كجماعةٍ القوَّة، والحكمة والنموّ.	• لا يمكنني الصُّمود بمفردي، ولا يمكنني أن أرى الأمور بوضوحٍ بمفردي، ولا يمكنني أن أنموَ بمفردي (أفسُس ٤: ١١- ١٦).

ومِن دواعي الأسف أنَّ أغلبيَّة الكنائس اليوم تعرف القليل عن الكنيسة بمعناها الحقيقيِّ، وعن عُضويَّة الكنيسة الصحيحة، وعن الأُخُوَّة المسيحيَّة الحقيقيّة. فالكنيسة صارت أشبه ما يكون بنادٍ يفتح يوم الأحد، ويرأسه رئيسٌ يُلقي محاضرات أسبوعيَّة وخطابات حماسيَّة. أمَّا بقيَّة الأسبوع، فيعيش الأعضاء حياتهم كما يَحلو لهم، ويُفَكِّرون قليلاً في ما حدث في "نادي يوم الأحد" دون أيّة مُساءلةٍ مِن أيِّ نوع.

على النَّقيض من ذلك، إنَّ نظرةَ الكتاب المقدَّس إلى الكنيسة وعُضويَّة الكنيسة تَعني الانخراط الشَّامل والكامل. فكُلُّ ما يَقوم به الأعضاء من عمل، أو لعب، أو تعليم، أو أنشطة، إنَّما يقومون به كمواطنين سماويِّين. وليس هذا فحسب، بل إنَّهم يتوقون خلال الأسبوع إلى التَّفاعل مع الأعضاء الآخرين كي يشجِّعوا بعضهم بعضًا، ويتعلَّموا بعضهم من بعض، ويُصَلُّوا بعضهم مع بعض، وتكون بينهم شركة. وبالمُجمل، يُدرك كُلُّ عضوٍ أنَّ له دَوْرًا في بناء ملكوت الله، وأنَّه ليس مُضطرًّا إلى فعل أيِّ شيءٍ يُناقض شخصيَّته من خلال عضويَّته في جماعة المَفديِّين. بل بالحَريِّ سيحاول أن يَستخدِم شخصيَّته ومواهبه لبركة الجميع.

إنَّ النَّظرة الكتابيَّة إلى الكنيسة تجعل الأعضاءَ ينظرون إلى أنفسهم في إطارٍ من الاتِّكال الروحيِّ المُتبادل. فَهُم يَرَون أنفسهم أعضاء في وحدة عاملة. وبالتالي تُعدُّ صحّة الأعضاء الرُّوحيَّة مهمَّةً لصحَّة الجسد بكامله. وفي ضوء ذلك يَحُضُّون بعضهم بعضًا، ويُصَلُّون بعضهم لأجل بعض، ويُشَجِّعون بعضهم بعضًا. ويُوَبِّخون بعضهم بعضًا عندما تدعو الحاجة. ولأنَّهم "أَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (رومية ١٢: ٥)، فإنَّهم يُقَدِّرون قيمة اتِّكالهم المُتبادل بعضهم على بعض، ويهتمُّون بصحَّة بعضهم الروحيَّة بروح المحبَّة. "انْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الحَيِّ. بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الوَقْتُ يُدْعَى اليَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الخَطِيَّةِ" (عبرانيِّين ٣: ١٢ و١٣).

الكنيسةُ هي جماعة المَدْعُوِّين. أمَّا "جنسيَّة" أعضائها فهي سماويَّة. وأتباع يسوع لديهم ولاءات ومقاصد سماويَّة تَمنعهم من استخدام القوَّة (إنجيل مَتَّى ٥: ٣٩- ٤٤)، وتَحُوْل دون اشتراكهم في أيّة حربٍ أرضيَّة (إنجيل يوحنَّا ١٨: ٣٦؛ ٢كورنثوس ١٠: ٤)، وتجعلهم يرفضون اللُّجوء إلى المحاكم لحماية مصالحهم الشخصيَّة (١كورنثوس ٦: ١- ٧؛ عبرانيِّين ١٠: ٣٤).

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

نشأ "برايان" في عائلة غير مؤمنة. وتَعَرَّف إلى فتاة مؤمنة اسمها "جاكي". ثُمَّ تَعَرَّف مِن خلال "جاكي" إلى مجموعة مِن المؤمنين وقَبِلَ الرَّبَّ يسوع مُخَلِّصًا لحياته. وتَطَوَّرت علاقة "برايان" بـ "جاكي" إلى علاقة حُبٍّ تَكَلَّلَتْ بالزَّواج.

وبسبب ظروف العمل، اضطُرَّ "برايان" و "جاكي" إلى تغيير مكان سكنهما. وانضمَّا هناك إلى كنيسة جديدة. وكانت المجموعة "عاديَّة" مِن أوجه عديدة، وكانت العِظات تحمل رسائل مهمّة. ولكِنْ عندما تَعَمَّقت علاقة الزَّوجين بأعضاء الكنيسة، تَبَيَّن لهما أنَّ هناك أمورًا غير صحيحة تجري في الكنيسة. فقد كان هناك حقد، ونميمة، ومنافسات، وخصومات ومناورات شبيهة بالمناورات السياسيّة. وكان بعض الأعضاء مُنغمسين في مُمارَسات أهل العالم. وبعضهم كان يُبَرِّر الطَّلاق والزَّواج ثانيةً. ويبدو أنَّ الأغلبيَّة كانوا يشعرون بأنَّه لا يجوز لأحدٍ أن "يتدخَّل" في شؤون الآخرين.

وذات يوم، سَمِع "برايان" و"جاكي" بوجود مجموعة أخرى في المنطقة تؤمن بأخويَّة المؤمنين في المسيح. وكان هؤلاء يؤمنون بأنَّه إذا كان أحد الأعضاء يعيش حياةً لا تُوافق كلمة الله، فإنَّ الأعضاء الآخرين مسؤولون عن مواجهته ومساعدته على إطاعة الله. في بادئ الأمر، كان "برايان" و"جاكي" مُتردِّدَيْن خوفًا مِن أن تكون هذه المجموعة مُفرِطة في تدقيقها بحياتهما بحثًا عن الخطأ. ومع ذلك قَرَّرا الانضمام إليها. وقد تفاجأ كُلٌّ منهما بأنَّ الرُّوح العامل في هذه المجموعة هو روح قداسة ومحبَّة، وليس روح انتقادٍ وبحثٍ عن عيوب الآخرين. وقد أدركا أنَّ هذه المجموعة تَعمل بروح الأُخوَّة الحقيقيَّة، الأمر الذي يجعل كُلَّ عضوٍ منهم يَعمل لمصلحة

الآخرين. ولم يكن هؤلاء الأشخاص يَجتمعون مَرَّةً واحدةً في الأسبوع فقط في جَوٍّ من العلاقات السَّطحيَّة، بل كانوا يستمتعون برؤية بعضهم بعض في أثناء الأسبوع، وكانوا يتبادلون الزِّيارات، ويُصَلُّون معًا، ويدرسون كلمة الربِّ معًا، ويتبادلون النَّصائح، ويُشَجِّعون بعضهم بعضًا في حياتهم اليوميَّة. واستنتج "برايان" و"جاكي" أخيرًا أنَّ "هذه هي الأُخوَّة المسيحيَّة الكِتابيَّة".

التَّعاون بين البيت والكنيسة

إنَّ هذه النَّظرة إلى الكنيسة وعضويَّة الكنيسة لها تأثير مباشر على البيت. فالكنيسة هي جماعة المَفْدِيِّين، ولكنَّ البيت هو المكان الذي يقضي فيه النَّاس الكثير من وقتهم. لذلك إنَّ جودةَ الحياة البيتيّة أساسيَّةٌ لأنَّها تؤثِّر في جودة الحياة الكنسيَّة. فحيث توجد بيوتٌ تَقيَّة، توجد رَعِيَّة تَقيَّة. وحين تحدث المشكلات في البيوت، فإنَّها تحدث في الكنيسة أيضًا. وحين يَستسلم المؤمنون للانهيار العائليِّ في الثقافة التي يعيشون فيها، فإنَّ هذا كُلَّه ينعكس على الكنيسة سلبًا في شكل متاعب وابتعاد عن الحَقِّ. لذلك، إنَّ العلاقة بين سلامة البيت وسلامة الكنيسة وثيقةٌ جِدًّا.

ومع أنَّه ينبغي للبيت والكنيسة أن يتعاونا معًا، لكنَّ هذا لا يَحْدُث دائمًا. فهناك أوقاتٌ يصير فيها ولاء المؤمنين لعائلاتهم قويًّا جِدًّا حتَّى إنَّه يُمَزِّق وَحدة الكنيسة. ومِن جهة أخرى تُبالغ بعض الكنائس في تنظيمها ونشاطاتها حتَّى إنَّها تُفرّق العائلات. وفي ما يلي بعض الإرشادات التي تساعد في الحفاظ على التَّعاون السَّليم بين البيت والكنيسة:

١. **ينبغي أن يُسهم الانخراط في الكنيسة في تقوية الوَحدة العائليَّة.** يجب على الكنيسة أن تُعَلِّم الرِّجال أن يكونوا أزواجًا وآباءً وفقًا للمبادئ التي يُعَلِّمها

الكتاب المقدَّس. ويجب عليها أيضًا أن تُعَلِّم النِّساء أن يَكُنَّ زوجاتٍ وأمَّهاتٍ وفقًا للمبادئ الكتابيَّة. كما يجب على الكنيسة أن تُعلِّم الأبناء مبادئ الطَّاعة وإكرام الوالدَيْن. فإذا كانت لدى الكنيسة رؤية سليمة وإشراف صحيح، يمكن لمدارس الأحد والبرامج التَّعليميَّة فيها أن تكون نافعة جدًّا لأفراد العائلة. لذلك، يجب أن تُرَكِّز البرامج التعليميَّة في الكنيسة على تشجيع أفراد العائلات على التَّفاعل السَّليم في ما بينهم، وأن تُحَذِّر -في الوقت نفسه- بشكلٍ مُحدَّد مِن أيّة أمور قد تؤذي العائلة أو تُشَكِّل خطرًا عليها. وباختصار، يجب أن يُسهِم تفاعل أفراد العائلة مع الكنيسة إلى تعميق المحبَّة بين أفراد العائلة وتشجيعهم على حياة التَّقوى.

٢. **ينبغي ألَّا تُضعضِع الأنشطةُ الكنسيَّة الوحدةَ العائليَّة**. قد تبدو هذه النُّقطة إعادة صياغة للنُّقطة الأولى. ولكنَّ تنظيم الأنشطة الكنسيَّة هو مُشكلة تحتاج إلى عناية خاصَّة. فهناك أنشطة كثيرة تُقام باسم "الخدمة" لكُلِّ مرحلة عُمريَّة، ولكلِّ فئةٍ يجمعها قاسم مُشترك. فهناك أنشطة لأطفال ما قبل المدرسة، وأنشطة لأطفال المرحلة الابتدائيَّة، وأنشطة للفتيان، وأنشطة للشَّبيبة، وأنشطة للعُزَّاب، وأنشطة للمتزوِّجين الشباب، وأنشطة لكِبار السِّنِّ... ولكنَّ هذه الأنشطة الكثيرة جدًّا قد تَجعل الأشخاص المُشاركين فيها مُخْلِصين لها ومهتمّين بها أكثر من اهتمامهم بأفراد عائلتهم. فبوجود هذه الأنشطة، مَن سيرغب في البقاء في البيت مع أخيه الأكبر أو مع أُخته الصُّغرى في وقتٍ يجتمع فيه "جميع الأصدقاء" للتدرّب على مسرحيَّة عيد الفصح؟ وكُلَّما زاد تَشَبُّع العائلة بروح هذا الزَّمان الحاضر، قَلَّت قدرتها على إدراك الخطر الكامن وراء كثرة هذه الأنشطة أو جودتها. ولا شكَّ أنَّ العائلات ستشعر بوجود توتُّرٍ مُقلِقٍ في العائلة.

٣. **يجب أن تكون الأنشطة التي تُنَظِّمها الكنيسة متوافقة مع شخصيَّة المَفديِّين ودعوتهم**. إنَّ المجتمع المعاصر مهووسٌ بوسائل التَّسلية والمرح، وقد انتقلت هذه العدوى إلى الكنيسة. فبرامج الأنشطة المُعَدَّة للفتيان أو

الشبيبة أو الأطفال مُشَوِّقة أكثر من اللَّازم. وعندما تقوم الكنيسة بالتَّخطيط لهذه الأنشطة التي تَضُمُّ آياتٍ معدودة من الكتاب المقدَّس، وبِضْع تَرانيم، فإنَّ القليل من الآباء والأمَّهات فقط يتوقَّفون لتقييم تلك الأنشطة. ولكن للأسف، تَمَكَّن العالم، تحت هَالَة "الأنشطة الكنسيَّة" المُصْطَنَعَة، من اقتحام الكنيسة. فوُضِعَت العبادة الحقيقيَّة في رُكْنٍ غير جَذَّابٍ البَتَّة، وتَمَّ تسليط الأضواء على وسائل التَّسلية والمرح. وليس صعبًا أن يُدرك أحدهم أنَّه عندما يزيد الاهتمام بالتَّمثيل والأفلام والحفلات، يتضاءل الاهتمام بالوعظ والصَّلاة. كذلك، إنَّ الكنيسة المعاصرة تُحِبُّ أن تستمرَّ في تقديم برامجها المُسَلِّية طوال الأسبوع. ولذلك نجد أنَّ برامجها مُزدحمة بالولائم، وحفلات الشِّواء، واجتماعات جمع الأموال، والكثير من الأنشطة والمباريات الرياضيَّة. ولكن هل هذا يعني أنَّه لا ينبغي للكنيسة أن تدعو المؤمنين إلى حفل عشاء أو إلى حَدَثٍ اجتماعيٍّ ما؟ لا، ليس بالضَّرورة. ولكن يجب أن يكون كُلُّ نشاطٍ كنسيٍّ لائقًا ومناسبًا لجماعة المَفديِّين، ويجب أن يكون التَّركيز الأكبر مُنصبًّا على العبادة، والخدمة، والكرازة، توافقًا مع طبيعة الكنيسة وإرساليَّتها. وإذا أردنا أن ننظر إلى هذا الاهتمام المُفْرِط بوسائل التَّسلية في الكنيسة من منظار السَّماء، يمكننا إعادة صياغة كلمات الربِّ يسوع على النَّحو التَّالي: "بَيْتِـي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى، وأَنْتُم جَعَلْتُموهُ مَرْكزًا للتَسْلِيَة".

٤. **يجب على الكنيسة أن تتجنَّب القيام بالمسؤوليَّات المُلقاة على عاتق الوالِدَيْن.** هناك بيوت كثيرة تُعاني سوء الإدارة، وعواقب ذلك كثيرة. لذلك، قد يشعر مجلس الكنيسة أو قادتها بضرورة التدخُّل والاضطلاع بمسؤوليَّاتٍ لا تخصّ الكنيسة في الأصل. فعلى سبيل المثال، قد يُقَدِّم راعي الكنيسة المشورة إلى الأبناء أو الزَّوجات في الكنيسة دون عِلْم الأبوَيْن أو الأزواج. وقد تقوم المدارس التَّابعة للكنائس بمهامها كما لو كانت المسؤوليَّة التَّربويَّة تَقَع عليها وحدها، بدلاً من القيام بذلك لِمُعاوَنَة الأبوَيْن.

٥. **يجب على الأبوَيْن تربية أبنائهم على مبدأ الخدمة في الكنيسة.** لا شَكَّ أنَّ جميع الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات يرغبون في أن يتبع أبناؤهم يسوع المسيح. ولكنَّ هذا لا يتحقَّق بمُجَرَّد اصطحاب الأبناء إلى الكنيسة بل مِن خلال التَّربية البيتيَّة القائمة على إرشاد الأولاد وتعليمهم عن ملكوت الله. وهناك شِعارٌ مُهِمٌّ لكُلِّ بيتٍ وهو: "اطْلُبوا أوَّلاً مَلَكوتَ اللهِ وَبِرَّهِ". وهذه القِيَم أساسيّة في تدريب أبنائنا على الخدمة في الكنيسة.

٦. **يجب على العائلات أن تُشَجِّع الاجتماعات الكنسيَّة التي تُقام لأجل العبادة، والصَّلاة، والخدمة، والكرازة.** فعندما تكون الكنيسة هي جسد المؤمنين، وجماعة المَفْدِيِّين، فإنَّ اجتماعاتها وأنشطتها تكون لأجل العائلة. لذلك، يجب التَّرحيب بالأطفال كما كان يسوع يُرَحِّب بهم في أثناء خدمته على الأرض. ومع أنَّ الكنيسة ليست مُضطرَّة إلى توجيه اجتمعاتها هذه إلى الأطفال تحديدًا، لكن يجب ألّا تكون هذه أيضًا أكاديميَّة أو رسميَّة لدرجة أنّها تُصبح بلا معنى بالنسبة إلى الأطفال.

٧. **يجب ألَّا تكون الولاءات العائليَّة أكثر أهميَّة من وَحدة الكنيسة أو سببًا في تعطيلها.** لا شَكَّ أنَّه فرحٌ عظيمٌ أن يكون لدينا أجداد وجَدَّات، وأعمام وعَمَّات، وإخوة وأخوات، وأبناء أعمام وعَمَّات، وأبناء أخوالٍ وخالات في الجماعة نفسها. لكنَّ العائلة الكبيرة قد تكون سببًا في مشكلات كثيرة إذا كان وَلاء أفرادها خاطئًا، أو إذا لم يلتزموا بنظام الكنيسة. لذلك، عندما يوجد أفراد كثيرون مِن عائلة واحدة في الكنيسة، يجب على هؤلاء الأفراد أن يحذروا مِمَّا يلي:

- التحَيُّز لأفراد العائلة عند تعيين أحدٍ في منصبٍ معيّن.
- حماية أفراد العائلة من التَّأديب الكنسيِّ.
- تعديل القرارات الكنسيَّة بما يوافق مصلحة العائلة.
- نشر الشَّائعات بين أفراد العائلة لهدم الثِّقة داخل الكنيسة، أو لمناقشة القضايا الخاصَّة مع أشخاصٍ ليست لهم علاقة بالأمر.

- فَرْط الانشغال بأفراد العائلة إلى حَدِّ إهمال المؤمنين الجُدُد.
- اتّباع أساليب مُعَيَّنة في الكنيسة تَجعل الأشخاص الذين لديهم أفكار جديدة يشعرون بأنَّ أفكارهم لا تجد ترحيبًا أو أنّها ليست مهمّة.

وقد ترتفع احتماليَّة حدوث هذه الأمور إذا كان راعي الكنيسة عضوًا في هذه العائلة. وقد تزيد الاحتماليَّة أكثر إذا كان العديد من خُدَّام الكنيسة أعضاءً في هذه العائلة. وهذا لا يعني أنَّ خدمة الأب وابنه لا تَصْلُح، ولكنَّ المقصود أنَّ الأمر يحتاج إلى مزيدٍ من الحرص والانتباه.

٨. **يجب على العائلات أن تُبادر إلى القيام بأنشطةٍ تُشَجِّع اهتمامات الأطفال والشَّبيبة الاجتماعيَّة وإلى توفير البيئة المناسبة للقيام بذلك.** وقد تُقاطِع هذه النقطة الخدمات التي تُنَظِّمها الكنيسة. لكن فَكِّر في ما قد يَحدُث لو جَرَت ألعاب الكُرة، والنُّزهات، ورحلات التَّخييم، والمؤتمرات لا تحت إشراف لجنة الكنيسة أو إحدى الهيئات الرَّاعية، بل تحت إشراف عائلات الكنيسة. فأوَّلاً، سيكون هناك اندماجٌ أكبر بين جميع الفئات العُمريَّة، وستكون هناك فوائد أخرى طويلة الأجل. ثانيًا، سيتمُّ تنظيم هذه الأنشطة بعد أخذ حاجات العائلات وتَفَرُّغها بعين الاعتبار، بدلاً من أن تضطرُّ العائلات إلى تكييف نفسها ووقتها مع تلك البرامج والأنشطة الكثيرة. وثالثًا، لن تَشعر العائلات بضغطٍ كبيرٍ لاضطرارها للتكيُّف مع شُروط كُلِّ نشاط. وقد تَشعر عائلاتٌ بحاجتها إلى الأنشطة أكثر من غيرها. وقد تجد عائلاتٌ أنَّ بعض الأوقات في السَّنة (أو الشَّهر أو الأسبوع أو حتَّى اليوم) تناسبها أكثر من غيرها للقيام بتلك الأنشطة.

ولكنَّ الخطر الذي يرافق إشراف العائلات على تنظيم الأنشطة هو نشوء الزُمرات. فقد يَتحكَّم أشخاصٌ في تلك الأنشطة ويتمُّ إقصاء آخرين.

لذلك، إذا كان هناك تعاون وثيق بين البيت والكنيسة (بدلاً من التَّنافس)، ستكون الفوائد عظيمة للفريقين. فالآباء والأمَّهات سيشاركون بنشاطٍ في تربية

أبنائهم، وتعليمهم، وتدريبهم إلى أن يأخذوا قرارًا شخصيًّا بقبول المسيح والانضمام إلى جماعة المَفديِّين. وفي الوقت نفسه تَقبل الكنيسة هؤلاء المؤمنين الجُدُد مِن خلال المعموديَّة وتوفِّر لهم مزيدًا مِن التَّعليم والتَّدريب وفُرصِ الخدمة.

ولا شَكَّ أنَّ البيوت ليست متشابهة تمامًا، والآباء والأمَّهات يختلفون بعضهم عن بعض، والأبناء ليسوا مُتشابهين أيضًا. لذلك، إذا لم تَتِمَّ عمليَّة جَلْب الأبناء إلى جماعة المؤمنين بحكمة، قد يحصل تشويش. وفي هذا الإطار، يجب على قادة الكنيسة أن يوفِّروا إرشادات كِتابيَّة واضحة للأبوَيْن. فعلى سبيل المثال، فَكِّر في الإرشادات العامَّة التَّالية (يمكن لقادة الكنيسة أن يكونوا أكثر تحديدًا، حسب وَضع كنيستهم المحليّة):

إرشادات لقَبول المؤمنين الشباب للانضمام إلى الكنيسة

١. يجب على الآباء والأمَّهات أن يمتنعوا عن مُمارسة الضَّغط على أبنائهم ويتجنَّبوا "رشوتهم" مِن أجل الذَّهاب إلى الكنيسة.

٢. إنَّ قادة الكنيسة مسؤولون عن التحقُّق مِن صِحَّة إيمان الأبناء.

٣. يتطلّب الاهتداءُ الحقيقيَّ ليسوع المسيح إدراكًا لحقيقة الخطيَّة، والتَّوبة عنها، والاعتراف بيسوع المسيح رَبًّا ومُخَلِّصًا.

٤. مع أنَّه يمكن تعليم الأطفال بكلّ سهولة كلمة الربِّ مِن أجل تهيئتهم لقبول الخلاص، لكنَّ هذه المبادئ الأساسيَّة، مثل إدراك وجود الخطيَّة، والتَّوبة، وتكريس الذَّات ليسوع المسيح، لا يُمكن اختبارها في فترة الطُّفولة البريئة.

٥. مِن أجل التحقُّق مِن صحّة اهتداء أحدهم إلى يسوع المسيح قبل المعموديَّة، يُمكن لقادة الكنيسة أن يجتمعوا مع الشابّ أو الشابّة، ويناقشوا معهم مبادئ الإيمان.

٦. إذا لم يَكُن هؤلاء الأشخاص صادقين، لا ينبغي تعميدهم، بل يجب تحذيرهم ودعوتهم إلى التَّوبة.

٧. إذا كان هؤلاء الأشخاص صادقين، لكنَّهم لا يستوعبون الحقائق الروحيَّة الأساسيّة، يجب توفير مزيدٍ مِن التَّعليم لهم. وإذا لم يبدوا جاهزين لمِثل هذا التَّعليم، ينبغي تشجيعهم على الاستمرار في فتح قلوبهم ليسوع المسيح ولدعوته لحياتهم.

٨. يجب تعميد الأشخاص الصَّادقين والتَّرحيب بهم في الكنيسة.

وحين يَفهم الآباء والأمَّهات إرشادات قادة الكنيسة المتعلّقة بقبول المؤمنين الجُدُد، يمكنهم أن يتعاونوا معهم في تهيئة أبنائهم للعُضويَّة. أمَّا في غياب هذه الإرشادات، قد يَتَسَبَّب الآباء والأمَّهات في إحباط أبنائهم بسبب "اقتيادهم إلى قبول المسيح" قَبل أن يكونوا جاهزين روحيًّا، مِمَّا يؤدِّي لاحقًا إلى تأخّرهم في الانضمام إلى عضويَّة الكنيسة.

وكما أنَّه ينبغي للبيت والكنيسة أن يتعاونا معًا في جَلْب مؤمنين جُدُد إلى الكنيسة، يجب على الفريقين أن يتعاونا أيضًا في مسألة العُضويَّة التي هي عمليَّة مستمرَّة. ولعلَّ الجزء الأصعب في هذا التَّعاون هو حين يتَسَلَّل الفُتور الروحيُّ إلى حياة أعضاءٍ في الكنيسة ويتطلَّب ذلك توبيخًا أو تأديبًا مِن الكنيسة. فأعضاء الكنيسة الذين ما زالوا يعيشون في البيت تحت إرشاد أبوَيْهم هُم مسؤولون أمام القيادة والتعليم في كلٍّ من البيت والكنيسة. ومِن الواضح أنَّه ينبغي لقادة البيت

وقادة الكنيسة أن يعملوا في انسجامٍ تامٍّ في ما بينهم. ولكنَّ هذا لا يَحُول دون حصول خلافات.

فلنفترض، على سبيل المثال، أنَّ أحد الشُّبَّان ابتدأ في سماع أغانٍ غير لائقة، وأنَّه اتّجه نحو "التَّقاليع" المرافقة لذلك النَّوع مِن الأغاني. وقد يرغب أحد خُدَّام الكنيسة القَلِق في معالجة المسألة لمصلحة الشابِّ نفسه، ولمصلحة الشُّبَّان الآخرين في الكنيسة. ولكن افترض أنَّه وجد أنَّ والِدَي الشابِّ يُدافعان عنه.

مِن أجل تَجَنُّب الصِّدام بين الكنيسة والبيت في مواقف كهذه، ينبغي أخذ بعض الأمور بعين الاعتبار: أوَّلاً، يتطلَّب الأمر التزامًا من الذين لديهم سُلطة بالتَّعاون معًا بدلاً مِن أن يُعارِض أحدهما الآخر. فالخلاف العلنيُّ بين قائدٍ في الكنيسة وقائدٍ في البيت لا يَقِلُّ خطورةً عن خلافٍ علنيٍّ بين أبٍ وأمّ. ومِثل هذا الخلاف قد يُقَوِّض مبدأ احترام السُّلطة في أذهان الأشخاص الخاضعين لسُلطة هذين الشَّخصَيْن المتخاصمَيْن. وقد يؤدِّي هذا إلى ظهور أحزابٍ متعارضة، ومِن شأن ذلك أن يُستخدَم كوسيلة للتهرُّب مِن إطاعة مشيئة الله. لذلك نقول مجدّدًا إنَّ الخطوة الأولى لتجنُّب الخلافات هي الشُّعور المتبادل بالالتزام بالتَّعاون معًا.

أمَّا المطلب الثَّاني لتعاون قادة الكنيسة مع قادة البيوت واتِّحادهم معًا فهو احترام كُلٍّ منهم منصب الآخر. وفي ضوء ذلك، مِن الأفضل أن يناقش قادة الكنيسة مشكلات الأبناء مع آبائهم وأمَّهاتهم، إذا كان الأبناء تحت إشرافهم وسُلطتهم المباشرة. وهذا أشبه ما يكون بالتَّشاور بين الأب والأمِّ بشأن إحدى المشكلات. وعند التوصُّل إلى موقفٍ واحد، يمكن لِكِلا الفريقَيْن أن يُعالج المشكلة مِن جهته. لذلك، يُظهِر الآباء والأمَّهات الاحترام لقادة الكنيسة مِن خلال انفتاحهم لسماع النَّصائح منهم، ومِن خلال مواقفهم السَّليمة في مناقشة المشكلات مع أبنائهم وإيجاد حَلٍّ لها.

أمَّا المطلب الثَّالث للوَحدة بين الكنيسة والبيت فيمكننا استخلاصه مِن المَطلَبَيْن السَّابقَيْن، وهو التَّواصُل الجيِّد. يجب على قادة الكنيسة والآباء

والأمَّهات أن يُراعوا في ما بينهم الصَّراحة، والصِّدق، واللُّطْف، ومبادئ الكتاب المقدَّس. ولا شَكَّ أنَّ الحوار السَّليم عند حَلِّ المشكلات يتطلَّب حوارًا سليمًا في جميع الأوقات.

وحتَّى عندما يحاول قادة الكنيسة أن يتبعوا الإرشادات المذكورة آنفًا، قد يواجهون آباء وأمَّهات يُدافعون عن أبنائهم على الرغم من أنَّهم على خطأ. ولا شَكَّ أنَّه ينبغي للأبوَيْن أن يُدركا طبيعة المشكلة عند أبنائهم. ولكن إذا كانا يُدافعان عن الخطيَّة، يجب على قادة الكنيسة أن يُعالجوا هذا الأمر أوَّلاً قَبل معالجة مشكلة الشابِّ الذي أخطأ.

وهناك وجه آخر للموضوع وهو أن يكون أحد خُدَّام الكنيسة قد أخطأ في حُكْمه. فإذا كان الأبوان مُقْتَنِعَيْن بذلك، يجب عليهما مُصارحته بالموضوع. ولكي يكون هذا الاعتراض فعَّالاً، يجب أن يكون نابعًا من قلبٍ طاهرٍ وبارٍّ (انظر دانيال ١: ٨). وإذا لم يُصْغِ الخادم إلى اعتراضهما، يمكنهما أن يسألاه عن إمكانيَّة عرض الأمر على خادمٍ آخَر أو راعٍ آخر لمناقشة الأمر (وهُنا تَكْمُن أهميَّة الوحدة والشَّركة بين الكنيسةً وغيرها من الكنائس).

ومع ذلك، أيًّا كانت قناعة الأبوَيْن بأنَّ قائد الكنيسة هو مؤمن جسديّ وقد أخطأ، يجب عليهما الحفاظ على الاحترام في كلامهما وأفعالهما (أعمال الرُّسُل ٢٣: ٥)، وألّا يَسمحا لنفسَيْهما بتوجيه أيّة اتِّهاماتٍ له. وحياة الخادم مكشوفة من أوجه عديدة للنَّاس، وهو يحتاج من إخوته وأخواته في الكنيسة أن يُظهرا له المحبَّة والمراعاة. وليت الخُدَّام الآخرين، مثلهم مثل أعضاء الكنيسة، يُراعون ذلك المبدأ الذي عَلَّمَهُ بولُس لتيموثاوس: "لا تَقْبَلْ شِكَايَةً عَلَى شَيْخٍ إِلَّا عَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ" (١تيموثاوس ٥: ١٩).

ولا شَكَّ أنَّ صاحب السُّلطان النِّهائيِّ هو الله. لذلك، قد يتعيَّن على الأب (أو الأمِّ) أحيانًا قبول قرارٍ ليس مثاليًّا تمامًا، ووَضْع الأمر برُمَّته بين يديِّ الله. وهذا القبول كتابيٌّ وسليمٌ في حال لم يُخالف الأب (أو الأمِّ) وصايا الله.

يوم الربِّ

لقد جاءت الوصيَّة بأن يكون هناك يوم راحة في أعقاب قصَّة الخَلْق. "وَبَارَكَ اللهُ اليَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا" (التَّكوين ٢: ٣). وفي الشَّريعة التي أعطاها اللهُ لموسى، قدّم الله مزيدًا من التَّعليمات والقيود الخاصّة بهذا اليوم. ولا شَكَّ أنَّ شريعة موسى قد اكتملت في المسيح يسوع. ووفقًا للعهد الجديد، بدأت الكنيسة الباكرة بتكريم اليوم الأوَّل في الأسبوع (اليوم الذي قام فيه المسيح من الأموات) إذ أفرَزَتْه ليكون يومًا خاصًّا للربِّ، وقد أُطْلِقَ على ذلك اليوم اسم "يوم الربِّ". وتَمَّت مُراعاة يوم العبادة والخدمة هذا بطريقة تتوافق مع بعض الشعائر التي كانت تُقام في يوم الرَّاحة السَّابق في العهد القديم.

تأمَّل في الآيات التالية المقتبسة من العهد الجديد في ما يَخُصُّ يوم الرَّاحة:

١. **أكَّد يسوع أنَّ يوم الرَّاحة وُجِدَ لمصلحة الإنسان:** "السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ" (إنجيل مَرقُس ٢: ٢٧).

٢. **في زمن تطبيق الشريعة، كان يُسْمَح بتقديم العون في هذا اليوم عند وقوع حادث أو إصابة:** "أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكونُ لَهُ خَرُوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ، أَفَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟" (إنجيل مَتَّى ١٢: ١١).

٣. **كانت الشَّريعة توصي بالقيام بأعمال الرَّحمة واللُّطف في هذا اليوم:** "إِذًا يَحِلُّ فِعْلُ الخَيْرِ فِي السُّبُوتِ!" (إنجيل مَتَّى ١٢: ١٢).

٤. **كان يوم الرَّاحة يوم عبادة جماعيَّة:** "وَدَخَلَ [يَسوعُ] المَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ" (إنجيل لوقا ٤: ١٦). وقد أوصَت الكنيسة بعدم التغيُّب عن هذه الاجتماعات: "غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ اليَوْمَ يَقْرُبُ" (العبرانيِّين ١٠: ٢٥).

٥. **في زمن يسوع، كان يوم الرَّاحة خاضعًا للتَّقاليد والطُّقوس، حتى إنَّ الغاية الحقيقيَّة منه اختفت.** فقد كان الفرِّيسيُّون يركّزون على الطُّقوس في ذلك الوقت حتَّى إنَّهم لم يعودوا يُفكِّرون في الربِّ: "وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الهَيْكَلِ! فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الأَبْرِيَاءِ! فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا" (إنجيل مَتَّى ١٢: ٦-٨).

٦. **بعد قيامة يسوع، بدأ أتباع يسوع بحفظ أوَّل يوم في الأسبوع بوصفه يومًا خاصًّا للرَّاحة والعبادة.** وقد كانت الكنيسة الباكرة تجتمع في هذا اليوم لسماع الوعظ (أعمال الرُّسُل ٢٠: ٧). وكانوا يَجمعون العطاء (١كورنثوس ١٦: ١ و٢)، وكانوا يُشيرون إلى اليوم الأوَّل في الأسبوع بـ "يوم الربِّ" (الرُّؤيا ١: ١٠).

ووفقًا لقول بولس الرَّسول، لقد اكتمل السَّبْت في المسيح (كولوسي ٢: ١٦ و١٧). ومع ذلك، إذا نظرنا إلى تقاليد الكنيسة الأولى، يمكننا أن نقدِّرَ المبادئ التي كانوا يُراعونها في يوم الربِّ. وهذا اليوم هو لمصلحتنا وفائدتنا الروحيَّة. لذلك، إنَّه يوم مناسب للعبادة، والرَّاحة، وطلب الربِّ، وعمل الخير. كذلك، هو يوم مناسب للتوقُّف عن العمل (باستثناء الأعمال الضروريَّة مثل إطعام الحيوانات، أو العناية بالمرضى، أو القيام بالأعمال الطَّارئة). أمَّا الأنشطة الترفيهيَّة، والأعمال التجاريَّة، وأمور الحياة الحاضرة، فينبغي وضعها جانبًا من أجل التَّركيز على الربِّ.

ولا شَكَّ أنَّ البيت يلعب دورًا مُهمًّا في الحفاظ على المفاهيم الخاصّة بيوم الربِّ. فمواقف الآباء والأمَّهات تُؤثِّر في سلوك الأبناء. وعندما يَرى الأبناء آباءهم وأمَّهاتهم يفرزون يومًا في الأسبوع لطلب وَجْه الربِّ، وللشَّركة الروحيَّة، ولبناء ملكوته، من المؤكَّد أنَّهم سينظرون إلى هذا اليوم كما يجب.

ولكنَّ غرس هذه الرؤية في الأبناء لا يخلو من التحدِّيات. فإذا أخذنا الولايات المتَّحدة على سبيل المثال، سنَرى أنَّ سُرعة الحياة والسَّعي وراء المُتع والملَذَّات هي أمورٌ لا صِلَة لها بمُراعاة يوم الربِّ كيوم للرَّاحة والعبادة. وفي سعي الإنسان الدَّؤوب لزيادة الإنتاج، هناك ضغطٌ دائم على العُمَّال للعمل

على مَدار السَّاعة وعلى مدار الأسبوع. وفي سبيل إشباع الشَّهوات، والتَّرفيه عن النَّفس، قد تصير العُطلة الأسبوعيَّة وقتًا للتسكُّع، واللَّعب، والمُتعة. لذلك، يجب على الآباء المؤمنين والأمَّهات المؤمنات أن يرسموا حدودًا واضحةً. وعند قيامهم بذلك، يجب عليهم أن يُدركوا أنَّ هذه الحدود التي ينبغي رَسْمُها قد لا تكون بين الصَّواب والخطأ بالضَّرورة؛ بل بين الأمور المؤاتية والأمور غير المؤاتية لمبادئ الرَّاحة، والعبادة، وفِعْل الخير.

وفي ضوء هذا الهدف، يجب على الآباء والأمَّهات أن يفحصوا الأنشطة في يوم الربِّ التي:

- تُنهك الجسم وتخلو مِن الفائدة الروحيَّة (قد يتباين مستوى النَّشاط الجسديِّ تبايُنًا كبيرًا وفقًا لعُمر الأولاد. لذلك، إنَّ هذه النُّقطة تَخُصُّ الأبناء الذين تجاوزوا سِنَّ الطُّفولة).
- تَحْرِم العائلة مِن العبادة الجماعيَّة.
- تَعتمد على تَعَب الآخرين في يوم الربِّ.
- لها صِلَة بالعمل.
- تَرمي، في المقام الأوَّل، إلى المُتعة الوقتيَّة.
- مِن جهة أخرى، يجب على الآباء والأمَّهات أن يُشَجِّعوا في يوم الربِّ الأنشطة التي:
- تُساعد في ترسيخ معرفة الربِّ.
- تُنعش العقل والرُّوح، وتَمنح أفراد العائلة راحةً جسديَّة.
- تَعكس لُطْف يسوع، ورحمته، ومحبَّته.
- تُسهم في نَشْر رسالة الإنجيل وتلمذة المؤمنين.
- تُقَوِّي الإيمان وتُوَطِّد العلاقات بين المؤمنين.

ونُعيد التَّذكير بأنَّه ينبغي القيام بهذه الأمور كجزءٍ من الحياة العائليَّة والقِيَم العائليَّة. فالتشدُّد في وضع المبادئ الخاصّة بيوم الربِّ قد يُعطي نتائج عكسيَّة. لذلك، يجب أن يكون يوم الربِّ بالنسبة إلى العائلات المسيحيَّة يومًا مُمتعًا ومُنعشًا، لا يومًا مكروهًا بسبب كثرة القيود المفروضة فيه. وهذا كُلُّه يتوقَّف على مواقف الأبوَيْن وحكمتهما في التَّخطيط.

الخُلاصة

الكنيسةُ هي عائلة الله إلى أبد الآبدين. والعائلة المسيحيَّة لديها روابط ينبغي الحفاظ عليها بطريقة تُسهم في توطيد الرَّوابط بين أفراد عائلة الله. ومِن خلال التَّعاون المتبادل، يمكن للكنيسة والبيت أن يحصلا على فائدة مشتركة. فالبيت يَدعم الكنيسة، والكنيسة توفِّر الإرشاد الروحيَّ والاستقرار العائليَّ. ويمكن الحفاظ على هذه العلاقة السَّليمة بين البيت والكنيسة من خلال الاحترام المتبادل والتَّواصل السَّليم بين الآباء والأمَّهات من جهة وخُدَّام الربِّ من جهة أخرى.

لِنُفَكِّر معًا

١. ما هي بعض أوجه سوء الفهم الشَّائعة في ما يَخُصُّ الكنيسة؟ وما هي النَّظرة الصَّحيحة التي يُقَدِّمها الكتاب المقدَّس؟

٢. كيف ينبغي للكنيسة أن تتعامل مع الأعضاء الذين ليست لديهم نظرة صائبة لعضويَّتهم والذين يرغبون في التنصُّل مِن المُساءلة؟

٣. ما هي بعض الأساليب العمليَّة التي يمكن للعائلة استخدامها للحفاظ على وحدتها والتَّفاعل السَّليم بين أفرادها عندما تزيد الضُّغوط عليهم؟ وما هي أنواع الأنشطة التي ينبغي للعائلات المسيحيَّة أن تُعطيها الأولويَّة؟

٤. كيف ينبغي لقائد الكنيسة أن يتصرَّف مع الأبوَيْن اللَّذَيْن يُدافعان عن أبنائهما بالرَّغم مِن سوء سلوكهم (علمًا أنَّ الأبناء هم أعضاء في الكنيسة)؟

٥. كيف ينبغي للأب والأمّ أن يتصرَّفا إذا كانا مُقتَنِعَين بأنَّ أحد قادة الكنيسة قد ظَلَم ابنهما أو تعامل معه تعامُلاً يَفتقر إلى الحكمة؟

٦. في ضوء الإرشادات الخاصّة بيوم الربِّ، كيف تَنْظُر إلى كُلِّ نشاطٍ مِن الأنشطة التَّالية؟

- القيام بجولة في السيَّارة بعد الظُّهر.
- القيام برحلة.
- توزيع نشرات مسيحيَّة.
- التسوُّق.
- مساعدة أرملة في صيانة منزلها.
- لعب كُرة القدم.
- تقديم الطَّعام للعَجَزة.
- تناول الطَّعام في أحد المطاعم.
- زيارة الجيران أو الأصدقاء.
- التَّنَزُّه معًا كعائلة.
- القراءة.
- تنظيم الحسابات الخاصَّة بعملك.
- الحياكة أو الخياطة.
- تصليح الأثاث المكسور في المنزل.

لِنَعمل معًا

١. قَيِّموا، كعائلة، الأنشطة التي تُبعِد أفراد العائلة بعضهم عن بعض. هل تصرفون وقتًا كافيًا معًا؟ إذا كانت الإجابة "لا"، ما هي الاقتراحات التي يمكنكم تقديمها لتصحيح الوضع؟

٢. هل تُشَجِّع دائمًا خدمات الوعظ، واجتماعات الصَّلاة، والخدمات الكرازيَّة؟ ما هي طبيعة الأنشطة التي تقوم بها كنيستك؟ هل تَشعُر بأنَّ أيًّا مِن هذه الأنشطة غير ملائم لمجموعة الأشخاص الذين كَرَّسوا حياتهم لملكوت الله؟ (أم هل تَشعُر بأنَّ مبالغة الكنيسة في التركيز على هذه الأنشطة أمرٌ غير صحيح؟)

٣. مِن وُجهة نظركم كآباء وأمَّهات، هل تقومون -بأيِّ شكلٍ مِن الأشكال- بحماية أبنائكم مِن تحمّل مسؤوليّة تصرُّفاتهم الخاطئة؟

٤. في رأيكم كعائلة، هل تُرَكِّز الأنشطة التي تمارسونها في يوم الربِّ على الرَّاحة، والعبادة، وبناء ملكوت الله؟ وكيف يمكنكم تحسين ذلك؟

الفصل الثامن

عندما تتفاقم المشكلات

المقدِّمة

إنَّ شعب الله ليس بمَنأى عن الألم، والتَّجارب، والمرض، والموت. فقد أُصيب إسحاق بالعمى في شيخوخته. وأُصيب ابنُه يعقوب بالعَرَج بعد أن ضرب مَلاكُ الربِّ مِفْصَلَ فَخْذِهِ عندما تَصارع معه. ومَرض حَزَقِيَّا للموت. وخسر أيُّوب قُطعانه، وأبناءه، وصِحَّته. وفقد داود ابنه حديث الولادة. وكانت حَنَّة النبيَّة أرملة، وكذلك كانت المرأة التي أَلْقَت الفَلْسَيْن. وكان بولس الرَّسول يُعاني "شوكةً" في جسده (مُشكلة صِحِّيَّة مجهولة). وشهدَ لمؤمِني كورنثوس قائلاً: "وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ في ضَعْفٍ، وَخَوْفٍ، وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ". وفي وقتٍ مِن الأوقات، اضْطُرَّ بولس إلى تَرْك رفيقه "تُرُوفِيمُس" مريضًا في مِيلِيتُس.

وفي أوقات الألم واليأس، قد يتساءل المؤمن عن صلاح الله وعنايته. فقد تَذَمَّر أيُّوب قائلًا: "الإِنْسَانُ مَوْلُودُ المَرْأَةِ، قَلِيلُ الأَيَّامِ وَشَبْعَانُ تَعَبًا... فَاعْلَمُوا إِذًا

أَنَّ اللهَ قَدْ عَوَّجَنِي، وَلَفَّ عَلَيَّ أُحْبُولَتَهُ... وَأَضْرَمَ عَلَيَّ غَضَبَهُ، وَحَسِبَنِي كَأَعْدَائِه" (أيُّوب ١٤: ١؛ ١٩: ٦ و١١). وقد اعترَف آساف بضعفه قائلًا: "أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزِلُّ قَدَمَايَ. لَوْلاَ قَلِيلٌ لَزَلَقَتْ خَطَوَاتِي. لأَنِّي غِرْتُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ... لَيْسُوا فِي تَعَبِ النَّاسِ، وَمَعَ الْبَشَرِ لا يُصَابُونَ" (المزمور ٧٣: ٢ و٣ و٥). وقد كَتَب كاتب سِفْر الجامعة في يأس: "قَدْ رَأَيْتُ الْكُلَّ فِي أَيَّامِ بُطْلِي: قَدْ يَكُونُ بَارٌّ يَبِيدُ فِي بِرِّهِ، وَقَدْ يَكُونُ شِرِّيرٌ يَطُولُ فِي شَرِّهِ... لأَنَّهُ الْوَقْتُ وَالْعَرَضُ يُلاَقِيَانِهِمْ كَافَّةً" (الجامعة ٧: ١٥؛ ٩: ١١).

وفي وسط الألم والضِّيق والإحباط، ربما لا نُحافظ على صورةٍ واضحة للواقع. فما نراه بوضوحٍ في الأيَّام العاديَّة قد نراه مُشَوَّهًا أو غير صحيح في أوقات الألم والضِّيق.

وفي هذا الفصل، سنُلقي نظرة واقعيَّة على مشكلات مثل الألم، والمرض، والإصابات، والشَّيخوخة، والموت. وسنُلقي الضَّوء أيضًا على الإرشادات التي وَفَّرها الله لنا للتكيُّف مع هذه المشكلات.

نظرة واقعيَّة إلى الألم

هناك آراء مختلفة في ما يَخُصُّ المرض، والحوادث، والموت السَّابق لأوانه. فهناك مَن يؤمنون بأنَّ مصدرَ هذه الأمور هو الشَّيطان. ويقولون إنَّ الله يريد أن يتمتَّع المؤمنون المسيحيّون بالصِّحَّة الجيِّدة والرَّخاء طَوال حياتهم. ومِن جهة أخرى، هناك مَن يُدركون أنَّنا ما زلنا نعيش في عالم واقعٍ تحت لَعنة الخطيَّة، وأنَّ خلاصنا لم يَكتمل بعد. وبالنسبة إليهم، سواء عاش المؤمنون المسيحيُّون مَرضى أو أصِحَّاء، فُقراء أو أغنياء، فإنَّ هذا ليس مُهِمًّا أكثر من عَيش حياةٍ تُمَجِّد الله.

وقد تساعدنا المبادئ التَّالية على فَهم الموضوع في ضوء تعليم الكتاب المقدَّس:

١. **الإنسانُ فَانٍ.** "مِنْ أَجْلِ ذلكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الخَطِيَّةُ إِلَى العَالَمِ، وَبِالخَطِيَّةِ المَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ المَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الجَمِيعُ" (رومية ٥: ١٢).

٢. **الأرض تحت اللَّعنة.** "فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (رومية ٨: ٢٢).

٣. **جسد الإنسان مُعَرَّض للألم والضِّيق والمرض في الحياة الحاضرة.** "وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا" (رومية ٨: ٢٣).

٤. **هناك أمراض وآلام ومتاعب ناجمة عن الخطيَّة مباشرةً.** "وَسَارَ [يَهورام] فِي طَرِيقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ كَمَا فَعَلَ بَيْتُ أَخْآبَ، لأَنَّ بِنْتَ أَخْآبَ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةً. وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ... وَهُوَ أَيْضًا عَمِلَ مُرْتَفَعَاتٍ فِي جِبَالِ يَهُوذَا، وَجَعَلَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ يَزْنُونَ، وَطَوَّحَ [أَيْ: أَضَلَّ] يَهُوذَا... وَبَعْدَ هذَا كُلِّهِ ضَرَبَهُ الرَّبُّ فِي أَمْعَائِهِ بِمَرَضٍ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ. وَكَانَ مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ وَحَسَبَ ذِهَابِ المُدَّةِ عِنْدَ نِهَايَةِ سَنَتَيْنِ، أَنَّ أَمْعَاءَهُ خَرَجَتْ بِسَبَبِ مَرَضِهِ، فَمَاتَ بِأَمْرَاضٍ رَدِيَّةٍ" (٢أخبار الأيَّام ٢١).

٥. **هناك أمراض وآلام ومتاعب ناجمة عن هجوم الشَّيطان.** "فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلَى هَامَتِهِ" (أيُّوب ٢: ٧). "وَلِئَلاَّ أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ لِيَلْطِمَنِي، لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ" (٢كورنثوس ١٢: ٧).

٦. **هناك أمراض وآلام ومتاعب ليست ناجمة عن خطايا شخصيَّة، ولا عن هجوم الشَّيطان، بل عن وجودنا في عالمٍ فاسد.** فكما ذَكَرنا قَبل قليل، أُصيب إسحاق بالعمى في شيخوخته. وتَرَك بولس رفيقه "تُرُوفِيمُس" مريضًا في مِيليتُس. ويبدو أنَّ يسوع كان يُشير إلى هذا المبدأ عندما قال: "أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلاَءِ الجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هذَا؟... أَوْ أُولئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ البُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتَلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ

هؤُلاَءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ" (إنجيل لوقا ١٣: ٢ و٤ و٥).

٧. **عندما نَمرض أو نقع في المتاعب، يوصينا الكتاب المقدَّس بأن نُصَلِّي من أجل الشِّفاء والنَّجاة.** "أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي المَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ" (يعقوب ٥: ١٤ و١٥). كذلك، هناك أمثلة في العهد الجديد على مؤمنين وضعوا الأيدي على المرضى وصَلُّوا لأجلهم: "فَحَدَثَ أَنَّ أَبَا بُوبْلِيُوسَ كَانَ مُضْطَجِعًا مُعْتَرًى بِحُمَّى وَسَحْجٍ. فَدَخَلَ إِلَيْهِ بُولُسُ وَصَلَّى، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ فَشَفَاهُ" (أعمال الرُّسُل ٢٨: ٨). وسواء كُنَّا مرضى أو نواجه ظروفًا صعبة، فالله قادر على التدخّل في حياتنا حين نُلقي بأحمالنا عند قدميه بالإيمان. فكما قال الملاك لمريم: "لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ" (إنجيل لوقا ١: ٣٧).

٨. **عندما يَسمح الله بإصابة المؤمنين بأمراض مُزمنة أو بموتهم، فإنَّه يُسْبِغ عليهم نعمته وتعزياته وقت الحاجة.** لذلك، عندما نأتي باحتياجاتنا إلى الربِّ، يجب علينا أن نأتي إليه بروح الخضوع. فقد شَهِدَ الرَّسول بولس عندما صَلَّى ثلاث مَرَّات لكي يُخَلِّصه الربُّ من تلك الشَّوكة التي كانت في جسده، فكتبَ: "مِنْ جِهَةِ هذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ". فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ المَسِيحِ" (٢كورنثوس ١٢: ٨ و٩). ولدينا أيضًا مثال يسوع في بستان جثسيماني عندما صَلَّى من أجل تغيير ظروفه، ولكنَّه أبدى خضوعه التَّامَّ لمشيئة الآب. "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (إنجيل لوقا ٢٢: ٤٢).

التمسُّك بالمواقف السَّليمة

إنَّ أكثر المواقف صعوبةً هي عندما تواجهنا أمورٌ في حياتنا لا نملك سيطرةً عليها. فقد يموت طفل أحدهم بسبب إصابته بسرطان الدَّم. وقد يُصاب أبٌ شابٌّ بشللٍ دائم بسبب حادث. وقد يُنجِب الزَّوجان طفلاً مُصابًا بمُتلازمة "داون". وقد تصبح إحداهنَّ أرملة فتُضْطَرُّ إلى إعالة عائلتها الكبيرة بمفردها. وقد تتدهور صِحَّة الأبوَيْن المُسِنَّيْن الجسديَّة أو العقليَّة أو النفسيَّة.

وقد يبدو أحيانًا أنَّ المِحَن والضِّيقات تأتي مُتلاحقة، وقد يَشْعُر المرء بأنَّ حياته تتهاوى من حوله. بل قد يَشْعُر المؤمن بأنَّ الله ووعوده هُما مُجَرَّد أحلام.

وفي أوقاتٍ كهذه، مِن المهمِّ جدًّا أن يتمسَّك المؤمن بمواقف مُحَدَّدة، وأن يحذر مِن مواقف أخرى لأنَّها خطيرة. لذلك، سوف نتطرَّق أوَّلاً إلى المواقف السَّليمة قبل أن نأتي على ذِكْر المواقف غير السَّليمة.

المواقف الصَّائبة

١. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالإيمان.** فنحن لسنا بحاجة إلى فَهْم ما يَفعله الله كي نُعَبِّر عن إيماننا به واتِّكالنا عليه. قال أيُّوب في وسط مِحْنَته: "هُوَذَا يَقْتُلُنِي. لاَ أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أُزَكِّي طَرِيقِي قُدَّامَهُ" (أيُّوب ١٣: ١٥). فما أحْوَجَنا إلى التمسُّك بإيماننا في الأوقات التي لا نَفهم فيها ماذا يَجري! قال الله: "لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إشعياء ٥٥: ٩). وما أكثر المؤمنين الذين وجدوا أنَّ المتاعب والضِّيقات التي مَرُّوا بها لم تَكُن سوى بَوَّابات أدْخَلَتْهُم إلى رِحاب نِعمة الله وصَلاحِه بطرائق لم تَكُن لتَخْطُر ببالهم قبل دخولهم في التَّجربة.

ولا شَكَّ أنَّ الإيمان ليس أمرًا سهلاً. فهو لا يَعني أن نؤمن بالله في أوقات الضِّيق فحسب، بل أيضًا أن نُسَلِّم بأنَّه قد يَسمح بازدياد المتاعب. وهو لا يَعني فقط أن نَثِق بالله عندما لا تَنجح خُططنا، بل أيضًا أن نَثِق به عندما يتمُّ سَحْق خُططنا تمامًا ولا يعود لها وجود. بعبارة أخرى، إنَّ الإيمان يَعني أن نؤمن بأنَّ كُلَّ ما قد يَحْدُث لنا لا يمكن أن يَخْرُج عن نِطاق سيطرة الله القدير، وأنَّ الله قادر على تحويل تلك المِحَن والضِّيقات إلى بَرَكات ومَراحم أبديَّة. "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رومية ٨: ٢٨).

٢. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالوداعة.** فنحن نَميل، بطبيعتنا، في أوقات المصاعب إلى التجاوب معها. لكِن بالمقابل، الوداعةُ هي روح الخضوع لمشيئة الله. بعبارة أخرى، إنّها التَّجاوُب مع المواقف التي لا يمكننا تغييرها وفقًا لما يُمليه علينا روح الله السَّاكن فينا، وليس وفقًا للتذمُّر والشَّكوى والمَرارة، التي تنتج عن الجسد.

والحقيقة هي أنَّ الوداعة مُتأصِّلة في الإيمان. فأعْيُن الوداعة مُثَبَّتة دائمًا على الله. وهي تَجعلنا نَقْبَل كُلَّ الخير الذي يُغدقه الله علينا، وكُلَّ المِحَن والضِّيقات التي يَسمح بها. قامت زوجة أيّوب بِرَدّة فعلٍ تجاه المصائب التي ألَمَّت بها وبزوجها، أمّا أيُّوب فقال بروح الوداعة: "أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟" (أيُّوب ٢: ١٠).

كذلك، إنَّ موقف الوداعة يُحَرِّرنا ويَجعلنا ننظر إلى المِحنة بموضوعيَّة، ويُساعدنا في التَّمييز بين ما ينبغي لنا قبوله وما يمكننا تغييره. والوداعة لا تَعني البَتَّة أن نكون سَلبيِّين تمامًا ونتوقَّف عن مقاومة قوى الشرِّ. وهي لا تعني أن نتخلَّى عن عزمنا على التغلُّب على إعاقتنا. بل تُطْلقنا الوداعة أحرارًا وتساعدنا على القيام بما ينبغي لنا القيام به لأنَّها تَحمينا مِن هَدْر طاقتنا على أمورٍ ينبغي لنا قبولها كما هي. وتُحَرِّرنا الوداعة مِن الغضب الأعمى وتَفتح أعيننا كي نرى

الأمور من منظور الله. لذلك يقول المرنّم إنَّ الله "يُدَرِّبُ الوُدَعَاءَ فِي الحَقِّ" (المزمور ٢٥: ٩).

٣. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالصَّلاة.** ومع أنَّ الصَّلاة فِعْل، لكنّها موقفٌ أيضًا. فعندما نواجه المِحَن والضِّيقات، علينا أن نلتجئ إلى أبينا السَّماويِّ. وعندما يُواجه الإنسان الطبيعي ضيقًا فإنَّه يَميل أوَّلاً إلى التَّخطيط، والتَّحليل، والارتباك، والصِّراع، والقلق، والخوف. وكملاذ أخير، قد يَصْرُخ إلى الله. ولكن يمكن لأولاد الله أن يوفِّروا على أنفسهم عناءً كبيرًا إذا تَمَسَّكوا بالصَّلاة. "لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى الله" (فيلبِّي ٤: ٦). فالقلب الذي يَطْرَح همومه عند قَدَمي الربِّ، لن يصير مُثقَلاً بها. وعندما نرفع طلباتنا بثقة ويقين، فإنَّنا نتخلَّص مِن الإحباط النَّاجم عن المشكلة الأرضيَّة، ونمتلئ أملاً ورجاءً في أثناء انتظار استجابة الله.

٤. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتمسَّكوا بالشُّكر.** قد يكون هذا الموقفُ الأكثرَ صعوبة. وهو موقف مستحيل في غياب الإيمان والوداعة والصَّلاة. لكن إذا ثَبَّتنا أعيُننا على الله، سيكون بمقدورنا الاستمرار في تقديم الشُّكْر لله. والحقيقة هي أنَّ تقديم الشُّكْر في المِحَن والضِّيقات ليس ضربًا مِن الجنون أو مُنافاةً للعقل والمنطق. فكلمة الله تقول: "افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ وَأَقُولُ أَيْضًا افْرَحُوا" (فيلبِّي ٤: ٤). الله، بذاته، هو سَبَب كافٍ للفرح. لذلك، لا يمكن للمؤمن المُتَّكل على الله أن يُطيل التأمُّل في شخص الله دون أن يُعَبِّر عن شُكره له، أيًّا كان الظَّرف الصَّعب الذي يَمُرُّ به.

المواقف الخاطئة

١. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا التذمُّر.** عندما واجه العبرانيُّون التائهون في البرِّيَّة أوقاتًا عصيبة، كان تَذَمُّرهم سببًا في

عدم حصولهم على بَرَكات الربِّ وفي وقوعهم في مشاكل جَمَّة. فالتذمُّر يتحدّى سِيادة الله ويُنكر سلطانه وصلاحه. وهو يَحْصُر تفكير المؤمنين في المشكلات الآنيَّة، فيَمنعهم مِن اختبار نعمة الله ومِن رؤية سُلَّم النَّجاة الذي أعَدَّه الله لهم.

٢. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا روح الانهزام.** وفي أغلب الأحيان يُرافق روحُ الانهزام التذمُّر. فكُلَّما زاد تركيزنا على مشكلاتنا، اشتَدَّ الظَّلام مِن حَوْلِنا. وسُرعان ما نبتدئ لا في وَصْف المشكلة الحقيقيَّة فحسب، بل وفي وَصْف المشكلات المُحتملة أيضًا. فالصُّورة الحاليَّة تسوء أكثر فأكثر حين نكون مُتشائمين تُجاه المستقبل. وهذا الموقف كَفيلٌ بأن يَمنعنا مِن التمتُّع بقوَّة الله وصلاحه. "لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الفَشَلِ، بَلْ رُوحَ القُوَّةِ وَالمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ" (٢تيموثاوس ١: ٧). لذلك، يجب على المؤمنين أن يَفعلوا ما فَعَلَهُ "كالب" و"يشوع"، أي أن ينظروا إلى العمالقة بعيني إيمانهم الرَّاسخ بالله القدير. أمَّا إذا استسلمنا لمشاعر الرثاء للذات، قد نَشْعُر بالرِّضا في الجسد، ولكنَّنا سنكون قد تَسَبَّبنا في إضعاف الرُّوح.

٣. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يتجنَّبوا الافتراضات.** فالإيمان يقوم على حقيقة الذَّات الإلهيَّة. أمَّا الافتراضات فإنَّها تَقتلع الآيات الكِتابيَّة مِن قرينتها الصَّحيحة، وتُطالب الله بأشياء كثيرة باسم الإيمان. فقد افترض أحد الآباء أنَّ ابنه المُصاب بداء السُّكريِّ قد شُفِي مِن مرضه؛ فقام هو وزوجته بمَنع الدَّواء عنه. ونتيجة لذلك، مات الابن. وقد كَتَب الأبُ: "هناك خطأٌ جسيمٌ في مبدأ "**إعلان الإيمان الإيجابيِّ**" السَّائد في وقتنا الحاضر. فهذه المُمارسة تُشَجِّع النَّاس على اقتلاع بِضع آياتٍ مِن مواضع مُتفرِّقة مِن الكتاب المقدَّس، والتمسُّك بها كما لو كانت وعودًا شخصيَّة لهم مِن الله. وقد يكون لهذه الآيات مَعَانٍ روحيَّة وتطبيقات عامَّة. ولكنَّها قد لا تَصِحُّ جميعها على حالتك أو على خُطَّة الله لحياتك. لذلك إنَّ الادِّعاء الاعتباطيَّ بأنَّ الوعود العامَّة المذكورة في الكتاب المقدَّس تَصْلُح لاحتياجات خاصَّة يَفتح الباب على مِصراعيه أمام

الافتراضات الخاطئة. وإذا انتَقَيْنا التَّعاليم الكتابيَّة انتقاءً "عشوائيًّا" غير متوازن، قد تكون العواقب ساحِقَة للقلب".[١]

لذلك، من المُهِمِّ أن نَفْهَم هذا المبدأ جيِّدًا في أوقات المرض والضِّيق لكي لا يَسْقُط إيمانُنا في فَخِّ الافتراضات الخاطئة.

٤. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا المَرارة.** والمَرارة تَنبع في الأصل من إلقاء اللَّوم على الآخرين. فالمتاعب التي نُصادفها في الحياة تقترن عادةً بأناسٍ آخرين. فقد صار يوسُف عبدًا في مصر بسبب إخوته. وعاش داود مُشَرَّدًا وهاربًا سنواتٍ عديدة بسبب شاول. ووقَع شمشون في الأسْر بسبب دليلة. وخُدِعَ عيسو بسببِ يعقوب. وبقيت ابنة يَفتاح عزباء بسبب تَهَوُّر أبيها. ولكن إذا تأمَّلنا في هذه الأمثلة جميعها، سنكتشف أنَّ هناك علاقة مباشرة بين نَجاح أو فشل الشَّخص في التصدِّي للمتاعب وموقفه تجاه ما حدث. فالمَرارة تُصَيِّر النَّاس أشخاصًا غير قادرين على الغُفران والتَّوبة، تمامًا مثل عيسو. من جهة أخرى، إنَّ الغُفران ومُمارسة الإيمان يُفْضيان إلى ظهور أشخاصٍ كيوسُف وداود. "مُلاَحِظِينَ... لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ" (العبرانيِّين ١٢: ١٥). فالمَرارة لا تُدَمِّر العلاقات فحسب، بل تُدَمِّر أيضًا شخصيَّة صاحبها. إنّها تُقْصي المرء عن الله وعن نِعمته الغنيَّة المانحة للقوَّة. وبالتالي، إنَّ العناصر اللَّازمة للتكيُّف مع المتاعب، كالأصدقاء، والشخصيَّة، والمعونة الإلهيَّة، هي الأشياء نفسها التي تُدَمِّرها المَرارة.

٥. **في أوقات المِحَن والشَّدائد، يجب على المؤمنين أن يَحذروا الأنانيَّة.** ففي العائلة المسيحيَّة ومجتمع الكنيسة، يجب أن تكون أوقاتُ المِحَن والضِّيقات

---

١ "لاري باركر" (Larry Parker)، "لقد تَرَكنا ابننا يَموت" *(We Let Our Son Die)*، من منشورات: (Irvine, California: Harvest House Publishers, 1980)، ص ١٦٠ و١٦١. يَصِف "لاري باركر" -بصراحة فريدة- العوامل التي قادته هو وزوجته إلى استخلاص افتراضات خاطئة من وعود الله. وهو يناقش أيضًا العواقب المؤلمة التي احتملاها نتيجة ذلك قبل أن يُمَيِّزا الفرق بين الافتراضات الخاطئة والإيمان الكتابيِّ.

أوقاتَ مشاركة. فالنَّاس يتجاوبون بطرائق مختلفة عندما يَجدون أنفسهم في ظرفٍ صعب يضعهم في احتياج. وقد يَشعر أُناسٌ بالمهانة والغضب. وقد يشعر آخرون بالشُّكر والامتنان. وقد يلعب آخرون على أوتار عجزهم وحاجتهم. لذلك، عندما نكون في حاجة، يجب علينا أن نُدَرِّب أذهاننا على التَّفكير في الآخرين أيضًا. فحاجاتنا ومشكلاتنا هي ليست الحاجات والمشكلات الوحيدة في العالم. لذا، يجب علينا ألَّا نَطلب الخدمة مِن الآخرين. ويجب علينا ألَّا نَنفرد بالحديث عن المآسي التي عشناها. بل يجب علينا أن نتعاطف مع الآخرين، ونَفهمهم، ونعتني بهم، ونُصغي إليهم لئلَّا نَسمح لمشكلاتنا بأن تحوّلنا إلى أشخاصٍ يُتقنون الأَخْذَ فقط، وكي لا نَخسر الأفراح النَّاجمة عن الحُبِّ والعطاء. أمَّا الوجه الآخر للرَّغبة في الأخذ فهو رفض الأخذ. وهذا مُتأصِّل أيضًا في الأنا. فالقبول يتطلَّب اتِّضاعًا كبيرًا.

الإعاقات البدنيَّة

قد تتفاوت الإعاقات البدنيَّة في نوعها ودرجتها. والكلمة "إعاقة" هي تعبيرٌ عامٌّ يُشير إلى أيّة مشكلة جسديّة تَمنع الشَّخص مِن المشاركة الطبيعيَّة في المهام الحياتيَّة الاعتياديَّة. وتتضمّن الإعاقات البدنيَّة فقدان حاسَّة مِن الحواسِّ الخمس كحاسَّة البصر أو السَّمع، أو فقدان أحد الأطراف كالذراع أو السَّاق، أو عدم القدرة على استخدام أعضاء الجسم استخدامًا فعَّالاً بسبب أحد الأمراض كالشَّلل أو داء المفاصل، أو بسبب إصابةٍ ما.

يولد بعض الأشخاص بإعاقةٍ ما. وهناك أشخاص يُصابون بإعاقة نتيجة حادثٍ أو مرض. ولكن أيًّا كان السَّبب، إنَّ لِكُلِّ إعاقة تحدِّياتها، وصعوباتها، وفُرَصها. فالأشخاص الذين يولدون بإعاقة ما يواجهون تحدِّيًا دائمًا بضرورة التكيُّف مع عالمٍ لا يُراعي قدراتهم المحدودة. أمَّا الأشخاص الذين يُصابون بإعاقة نتيجة حادثٍ أو إصابة، فإنَّهم مُعَرَّضون لصدمة كبيرة بسبب اضطرارهم للتكيُّف فجأةً

مع وضعهم الجديد. فبعد أن كانوا قادرين على القيام بأعمالٍ مُعَيَّنة، وجدوا أنفسهم فجأةً عاجزين عن القيام بها!

نصائح عامَّة للتكَيُّف مع الإعاقة الجسديَّة

١. واجه الموقف بواقعيَّة. اتَّخذ خطوات ذهنيَّة ونفسيَّة وروحيَّة لتَقَبُّل الواقع.

٢. صَلِّ كي يُعطيك الربُّ نِعمة وحِكمة لاختبار المسيح بطرائق لم تختبره فيها مِن قبل (انظر ٢كورنثوس ١٢: ٩ و١٠).

٣. تَعَلَّم الطَّرائق السَّليمة لمواجهة الإحباط. وهذا يعني أن لا تتجاهل عواطفك، وأن لا تَسمح لعواطفك بالسَّيطرة عليك. فنحن بحاجة عادةً إلى تَعَلُّم كيفيَّة التحدُّث عن الأشياء التي تُسَبِّب لنا الإحباط، ومتى نتحدَّث عنها، ومع مَن نتحدَّث عنها.

٤. تَعَرَّف إلى أشخاصٍ آخرين تَمَكَّنوا مِن التَّكَيُّف مع إعاقاتهم. يمكنك القيام بذلك مِن خلال قراءة الكُتب، والاستماع إلى التَّسجيلات، أو مِن خلال الصَّداقات الشخصيَّة.

٥. اسْمَح للمسيح أن يُشَكِّلك، ويَفتح عينيك على حاجات الآخرين. فالرُّوح المَرِحَة، والنَّوايا الحَسَنة، ومراعاة مشاعر الآخرين، وروح الشُّكْر هي أمور تساعدك في تكوين الصَّداقات وإيجاد القبول. كذلك، إنَّ روح الدُّعابة المُتَّزنة هي صِفَة لا تُقَدَّر بثمن.

٦. تَقَبَّل حقيقة أنَّ هناك أشخاصًا لن يُراعوا مشاعرك. وينبغي لك أن تَعلم أنَّ النَّاس لا يُسيئون الأدب عن قَصْد. ولكن حتَّى لو فعلوا ذلك، لا تأخذ الأمر على مَحْمَلٍ شخصيّ. فمِن المُرَجَّح أنَّ هؤلاء يُسيئون الأدب مع آخرين أيضًا.

٧. عِشْ حياةً طبيعيَّةً قَدْر الإمكان. تَمَسَّك بمواقفك الإيجابيَّة، وابحث عن طرائق لتطوير مهاراتك، والتغلُّب على العقبات، وابذل جهدَكَ في كُلِّ ما تقوم به.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كان "ألفين" البالغ مِن العُمر عشر سنوات طفلاً طبيعيًّا يتمتَّع بصحَّةٍ جيِّدة. ولكنَّه تَعَرَّض لحادثٍ في المدرسة أصابه بشللٍ جزئي. ومع أنَّه صَرَف سنوات عديدة في برامج إعادة التَّأهيل داخل المستشفى وخارجه، إلّا أنّه لم يَسْتَعِد عافيته ولم يتمكَّن مِن استخدام ساقَيه ويده اليُمنى كما كان في السَّابق.

وفي سنوات المراهقة، لم يتمكَّن "ألفين" مِن ممارسة حياته كبقيَّة المُراهقين. وحين صار راشدًا، لم يتمكَّن مِن العمل في كثيرٍ مِن المجالات التي يَعمل فيها أقرانه.

ولكِنْ عوضًا عن أن يَصير "ألفين" مُرَّ النَّفس، قَرَّر أن يَبذل جهده ويَفعل كُلَّ ما في وسعه. لذلك، قد راح يقرأ، ويدرس، ويُطَوِّر مهاراته في مجال الصَّحافة. وتَعَلَّم كيفيَّة تصليح السَّاعات بمختلف أنواعها. وأخيرًا، تَزَوَّج "ألفين" وصارت له عائلة. وكان يَعمل في الكتابة والتَّعليم لإعالة أُسرته.

مِن جهة أخرى، كان "ألفين" معروفًا بإيمانه وتقواه، وبذكائه، وبسعة اطِّلاعه على الكتاب المقدَّس. وابتدأ كثيرون يطلبون المشورة منه حين يواجهون مشكلات أو صعوبات في حياتهم.

ومِن خلال قبول قصوره، ورَفْض الشُّعور بالمرارة، وتسليم قلبه وذهنه للربِّ، عاش "ألفين" حياةً مُثمرةً وذات مغزى.

وينبغي للأبوَيْن المؤمِنَيْن أن يُعَلِّما أبناءهما كيفيَّة التَّعامل مع أصحاب الإعاقات. وفي ما يلي بعض الإرشادات العامَّة للتَّعامل مع الأشخاص الذين لديهم

إعاقات، وأيضًا إرشادات للتَّعامل مع إعاقات مُحَدَّدة. ويمكن لأفراد العائلة مناقشة هذه الإرشادات في أوقات المذبح العائلي باستخدام الآية ١٤ في لاويِّين ١٩ كنُقطة انطلاق. كذلك، يمكن للأبناء التمرّن على هذه الإرشادات. فعلى سبيل المثال، يمكن لأحد الأبناء أن يُمَثِّل دور شخصٍ أعمى بوضع عصابة على عينيه. ويمكن لولدٍ آخر أن يحاول وَصْف ما يَحْدُث خارج المنزل. كذلك، يمكن للأولاد أن يحاولوا قراءة الشِّفاه. ويمكن أيضًا استخدام آيات وترانيم عن اللُّطف، والمحبَّة، والاحترام، واللِّياقة.

إرشادات عامَّة للتَّعامل مع أصحاب الإعاقة

١. أَظْهِر اهتمامًا حقيقيًّا بالشَّخص. فالنَّاس جميعًا بحاجة ماسَّة إلى القبول والصَّداقة.

٢. تجاهل التصرُّفات والسلوكيَّات غير الملائمة التي قد تَصْدُر عن صاحب الإعاقة، إلَّا إذا كانت علاقتك به وثيقةً تَسمح لك بمواجهته دون جَرْح مشاعره.

٣. عندما يكون صاحب الإعاقة مع مجموعة، احرص على وجود أنشطة يمكنه المشاركة فيها (ولكن دون التَّصريح أو التَّلميح بأنَّكم تفعلون ذلك لأجله).

٤. كصديق، تَجَنَّب الضَّغط على صاحب الإعاقة أو دفعه إلى القيام بأشياء قد تزيد توتُّره أو تجعله يَشْعُر بالحَرَج. ومع أنَّنا جميعًا نحتاج إلى الحَضِّ والتَّشجيع، لكنّنا لا نَتقبَّل ذلك جيِّدًا إلَّا مِن الأشخاص الذين يفهموننا ويهتمُّون بنا.

٥. في حال مناقشة الإعاقة، افعل ذلك بكُلِّ تهذيب. فأغلبيَّة أصحاب الإعاقة لا يُمانعون في الحديث عن إعاقتهم إذا شعروا بأنَّ الشَّخص الآخر يهتمُّ بهم اهتمامًا حقيقيًّا. ومع ذلك، تَجَنَّب المبالغة في العاطفة، أو الفضول، أو المُزاح بشكلٍ غير مناسب.

٦. عَلِّم أبناءك التَّعامل اللبق مع أصحاب الإعاقة. لا ينبغي لهم التَّحديق بهم عند رؤيتهم، أو الإشارة إليهم بإصبعهم، أو التحدُّث عنهم هَمْسًا، أو السُّخرية منهم، أو فعل المقالب بهم (لاويِّين ١٩: ١٤؛ ١تسالونيكي ٥: ١٤). فينبغي لأبنائنا أن يُراعوا أصحاب الإعاقة، ويعاملوهم بلُطف، ويبنوا صداقات معهم، ويَتعلَّموا الصَّبْر عند التَّعامل معهم.

٧. شَجِّع صاحب الإعاقة وادعمه. وساعده في تحقيق أهدافه بدلاً مِن فَرْض توقُّعاتك عليه. كُن إيجابيًّا ومتفائلاً، ولكن ابعد عن الإلحاح.

إرشادات للتَّعامل مع إعاقات مُحَدَّدة

التَّعامل مع الشَّخص الأعمى

١. عَرِّف الشَّخص الأعمى بنفسك، إلَّا إذا كان صوتك مألوفًا جيِّدًا لديه.

٢. لا تَصْمُت عندما يقترب إليك الشَّخص الأعمى لأنَّه يحتاج إلى سَماع صوتك لمعرفة مكانك.

٣. بادر إلى التحدُّث إلى الشَّخص الأعمى. فالأعمى لا يرغب في مقاطعتك أو إزعاجك إذا كنت مشغولاً.

٤. عند رغبتك بالمغادرة، أشْعِرْهُ بذلك بلياقة. فمغادرتك بِصَمْتٍ بعد حديثك معه قد تكون مُحْرِجَة.

٥. إذا كان الشَّخص الأعمى بحاجة إلى المساعدة لمعرفة الطَّريق (في الأماكن المزدحمة أو غير المألوفة)، ولم تَكُن قد فَعلت ذلك مِن قَبل، اسأله عن كيفيَّة القيام بالأمر. فقيادة الأعمى كما يجب أمرٌ سَهل. لكنَّ الشخص الأعمى لا يُحِبُّ أن يدفعه أحدهم أو يَجُرَّه مِن يده.

٦. إذا بدا لك أنَّ الأعمى ضَلَّ الطَّريق، عَرِّفه بنفسك واسأله إن كان بحاجة إلى المساعدة. فالجميع بحاجة إلى العون أحيانًا.

التَّعامل مع الشَّخص الأصَمِّ

١. إذا كان الأصَمُّ يُتْقِن قراءة الشِّفاه، تَكَلَّم بسرعة مُعتدلة دون المبالغة في تحريك فمك.

٢. تَجَنَّب الاستدارة عندما تتكلَّم. وإذا أشَرْتَ إلى شيءٍ يَجعل الأصَمَّ يَلتفت إلى جهة أخرى، انتظر إلى أن ينظر إليك ثانيةً قبل مُواصلة كلامك.

٣. إذا كنت تجلس بجانب شخصٍ أصَمٍّ في اجتماعٍ عامّ، دَوِّن الملاحظات لكي يتمكَّن ذلك الشَّخص مِن فَهْم النِّقاط الأساسيَّة.

٤. إذا كانت المجموعة تتكلَّم بسرعة تفوق قدرة الأصَمِّ على المتابعة والفهم، لَخِّص له الحديث الذي دار بينكم. (يمكنك القيام بذلك دون لَفْت الأنظار).

التَّعامل مع الشَّخص المُقْعَد

١. عند التحدُّث مع شخصٍ مُقْعَد، حاول أن تجلس إن كان ذلك ممكنًا لكي تكون على مستوى نَظَرِه.

٢. إذا كنت تَدفع الكُرسيَّ المتحرِّك، تأكَّد أنَّك تعرف ما تقوم به، ولا سيَّما عند وجود منحدرات أو مرتفعات. تَجَنَّب السُّرعة الزَّائدة، واحترس مِن ارتطام مسند القدمين أو العجلتين بالأثاث أو بالنَّاس.

٣. اقترح على الشَّخص المُقْعَد أن تَحمل له أغراضه (الكُتُب، أو الكتاب المقدَّس، أو الدَّفتر، وإلخ) إذا كان يدفع الكُرسيَّ المُتحرِّك بنفسه وليس لديه مكان يَضَع فيه أشياءه.

٤. لا تَسمح للأطفال باستخدام الكُرسيِّ المتحرِّك للَّعب إلَّا إذا كان الشَّخص المُقْعَد صديقًا حميمًا ولا يمانع في ذلك. ويمكن للشَّخص المُقْعَد أحيانًا أن يَعرض على مرأى الأطفال كيفيَّة استخدام الكُرسيِّ (أو قد يَسمح لهم باستخدام الكُرسيِّ المتحرِّك المزوَّد بمُحَرِّك). فمِن شأن ذلك أن يُوَسِّع مدارك الأطفال. ولكن ينبغي ترك الأمر لصاحب الكُرسيِّ للقيام بذلك.

التَّعامل مع الشَّخص الذي يَستخدم عُكَّازَيْن

١. عند مرافقة شخصٍ يمشي على عُكَّازَيْن، راعي سُرعته في المشي. فقد يكون الشَّخص بحاجة إلى المشي لتمرين عضلاته. لذلك، يمكنك المشي معه لا لأجل الحديث، بل لتشجيعه على المشي.

٢. احترس مِن أيّة عوائق في الطَّريق. فالأرض المبلولة، والأشياء الحادَّة، وبعض أنواع السجَّاد قد تُسَبِّب سقوطًا مؤذيًا للأشخاص الذين يستخدمون عُكَّازَيْن.

٣. تَجَنَّب الإلحاح الشَّديد في تقديم المساعدة، أو في كيفيَّة تقديمها. في بعض الحالات، قد يحتاج الشَّخص إلى مَن يَحمِلُه (لصعود السَّلالم أو هبوطها). وبالعادة يعرف الشخص المعنيّ أفضل طريقة لمساعدته. اتبع التَّعليمات لكي تساعد الشخص على تجنّب السُّقوط لأنَّه مُحْرِج.

التَّعامل مع الشَّخص طَريح الفراش

١. إذا كانت زيارتك طويلةً نوعًا ما، اجلس لكي يكون الجوّ مريحًا.

٢. كُنْ مُرْهَف الحِسِّ لحاجات الشَّخص طريح الفِراش؛ فقد يحتاج ماءً، أو محرمة ورقيَّة، أو كتابًا، وإلخ. لذلك، يمكنك أن تساعد هذا الشَخص في الأمور التي لا يمكنه القيام بها.

٣. الشَّخص طريح الفِراش يَجِد في بطاقات المُعايدة وباقات الورود عزاءً كبيرًا لأنَّها تُعَبِّر عن الصَّداقة.

٤. انتبه لموعد الزيارة، ومُدَّتها، وطبيعتها. قد يكون حضورك أحيانًا أكثر أهميَّة مِن حديثك. يمكنك أن تقرأ للشَّخص طريح الفِراش أو أن تُرَنِّم له. كذلك، يستمتع المُسِنّون طريحو الفِراش باسترجاع الذِّكريات القديمة.

الإعاقات العقليَّة

كما هي حال الإعاقات البدنيَّة، إنَّ الإعاقات العقليَّة تتفاوت كثيرًا. فهناك صعوبات تَعَلُّم طفيفة تدوم سنوات طويلة دون أن يكتشفها أحد. ولكن هناك أيضًا إعاقات عقليَّة شديدة تستوجب الرِّعاية.

إنَّ الإرشادات العامَّة التي ذَكَرناها عند حديثنا عن الإعاقات البدنيَّة تَصِحُّ على الإعاقات العقليَّة أيضًا. لكن تجدر الإشارة إلى أنَّ الإعاقات العقليَّة تدفع كثيرين إلى المُزاح بطرائق غير لائقة أكثر مِن الإعاقات الأخرى. لذلك، إنَّ التَّصرُّف السَّليم مع أصحاب الإعاقات العقليَّة يَعتمد كثيرًا على التَّربية في البيت. ولا شَكَّ أنَّ سلوك الوالِدَيْن مُهِمٌّ جِدًّا. ويجب أن يَسعى الأبوان إلى مساعدة أبنائهما على احترام جميع النَّاس. ففي كثير مِن الأحيان، يكون الأشخاص المصابون بإعاقات عقليَّة أصِحَّاء عاطفيًّا. لذلك، إنَّهم بحاجة إلى المحبَّة والقبول، شأنهم في ذلك شأن جميع النَّاس. كذلك، قد تُجْرَح مشاعرهم بسهولة بسبب السُّخرية، أو القسوة، أو الرَّفض.

ولمساعدة الأبناء على قبول أصحاب الإعاقات العقليَّة، يجب على الآباء والأمَّهات أن يزيدوا وعي أبنائهم مِن خلال زيارة الأشخاص الذين يُعانون إعاقاتٍ عقليَّة (مع ضرورة تفسير السُّلوك السَّليم قبل القيام بالزِّيارة)، ومِن خلال مناقشة الكلمات اللَّائقة والكلمات غير اللَّائقة (مثلاً "مُتلازمة داون" أو "مرض الزهايمر"

بدلاً مِن "مجنون" أو "مخبول" وإلخ). كذلك، يمكن زيادة وعي الأبناء مِن خلال قراءة قصص أو مقالات عن أناسٍ مصابين بإعاقاتٍ عقليَّة.

ومع أنَّ أغلبيَّة الإعاقات الجسديَّة تنجم عن حوادث أو إصابات، فإنَّ الإعاقات العقليَّة تنجم عادةً عن عوامل وراثيَّة - أي أنَّ الأطفال يولدون وهم يحملون الإعاقة. وعندما تكون الإعاقة العقليَّة شديدة، فإنَّ الأهل يجتازون مرحلة التكيُّف مع الأمر. فقد يَشعُر الأهل بالمهانة، وقد يشعرون بالغضب. وربّما يطرحون أسئلة كثيرة تبدأ بالكلمة "لماذا؟"، لا سيَّما إذا كانوا يشعرون بأنَّ الحياة غير عادلة. إنَّ الغالبيَّة العُظمى مِن آباء المُعاقين وأمَّهاتهم يواجهون الخوف. فيتساءلون كيف سيتمكَّنون من توفير العناية اللَّازمة لأبنائهم. وقد تستمرُّ مشاعر النَّقص هذه طَوال الحياة. كذلك، قد يشعر بعض الآباء والأمَّهات بالذَّنْب بسبب إعاقة ابنهم أو ابنتهم، أو بسبب عدم قدرة طفلهم على القيام بإنجاز. لذلك، قد يجد أهل الأطفال المعاقين فائدةً في الإرشادات التالية:

١. اتّخذ خطوات ذهنيَّة ونفسيَّة لقبول ما لا يمكنك تغييره. وبالنِّسبة إلى المؤمن المسيحيِّ، يرتبط هذا الأمر دائمًا بالإيمان بأنَّ الله هو صاحب السِّيادة والسُّلطان، وأنه يَفعل ما هو لخيرنا الأبديِّ.

٢. تَحَدَّث إلى آخرين واجهوا الموقف نفسه. قد يساعدك هذا الأمر في التَّعبير عن مشاعرك، وفي الحصول على نصيحة جيِّدة.

٣. اقرأ عن المشكلة. الكثير مِن صِراعات الآباء والأمَّهات تتعلّق بالخوف مِن المجهول.

٤. وَفِّر الرِّعاية لطفلك المعاق في البيت وليس في إحدى مؤسَّسات الرِّعاية الصحِّيَّة إذا كان ذلك ممكنًا. فقد أظهرت الدِّراسات مرارًا وتكرارًا أنَّ المعاقين عقليًّا يُبدون تَحَسُّنًا ملحوظًا في ظِلِّ الرِّعاية البيتيَّة أكثر مِمَّا يفعلون في مؤسَّسات الرِّعاية، مع أنَّ الرِّعاية البيتيَّة التي يوفِّرها الأهل يُمكن تكميلها.

٥. إذا كانت رعاية طفلك المُعاق تتطلَّب وقتًا وجهدًا منك، احرص على أخذ فترات راحة.

٦. دَوِّن الأشياء التي تستحقُّ أن تشكر الله عليها، وعَبِّر عن شكرك لله.

٧. شارك أصدقاءك الحميمين بمشاعرك العميقة، وصَلُّوا معًا، واحتفظ بدفتر لتدوين يوميَّاتك.

٨. عامِل الشَّخص المعاق معاملة طبيعيَّة قدر الإمكان. لا تُغالي في عواطفك نحوه أو تبالغ بالاهتمام فيه. فقد يعيق ذلك تَحَسُّنَ الطِّفل، ويزيد التوتُّر في العائلة.

٩. وَزِّع المسؤوليَّات بين أفراد العائلة. فالأطفال يستفيدون عادةً عندما يَضطلعون بالمسؤوليَّات.

الطِّفل المصاب بإعاقة عقليَّة مِثل مُتلازمة "داون"، يتطلَّب عادةً عنايةً أكبر. وقد تكون حياته قصيرة ولا سيَّما عند وجود مضاعفات أخرى. وقد لا يكون الأبوان وأفراد العائلة مستعدِّين للصَّدمة العاطفيَّة في حال مات طفلهم المعاق في مرحلة مبكِّرة. فعندما يحتاج أحد أفراد العائلة إلى مزيدٍ من الرِّعاية، لا بُدَّ من تَشَكُّل روابط خاصّة بينه وبين عائلته. وحين تنكسر هذه الرَّوابط بموت المريض، تُفضي إلى حزنٍ تعجز الكلمات عن وصفه. ولا شَكَّ أنَّ الأشخاص الذين واجهوا هذا الأمر يعرفونه جيِّدًا. ستُقدَّم في جزءٍ لاحقٍ من هذا الفصل بعض النِّقاط المفيدة في ما يَخُصُّ التَّعامل مع حالات الموت.

رعاية الأبوَيْن المُسَنَّيْن

"أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" (الخروج ٢٠: ١٢). وأيضًا: "وَلكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلاَدٌ أَوْ حَفَدَةٌ، فَلْيَتَعَلَّمُوا أَوَّلاً أَنْ يُوَقِّرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمِ المُكَافَأَةَ، لأَنَّ هذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللهِ.

وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ المُؤْمِنِ" (١تيموثاوس ٥: ٤ و٨).

إنَّ الكتاب المقدَّس واضح في تعليمه بأنَّه ينبغي للأبناء أن يُكْرِموا آباءهم وأمَّهاتهم. والحقيقة هي أنَّ تعريف يسوع للإكرام يَشمل لا الاحترام فحسب، بل أيضًا تقديم المعونة المادِّيَّة والماليَّة (مَتَّى ١٥: ٣- ٦). فالكثير من الآباء المُسِنِّين والأمَّهات المُسِنَّات يحتاجون إلى الرِّعاية. وقد لا يعودون قادرين على العمل والإنفاق على أنفسهم أو بيتهم. وحينئذٍ، يجب على أحد ما أن يساعدهم. يقول الكتاب المقدَّس إنَّ الأبناء والأقارب هم المسؤولون بالدَّرجة الأولى. وإذا كانت الاحتياجات أكثر من قدرة الأبناء والأقارب، يجب على الكنيسة أن تُساعد.

وتتفاوت احتياجات الأبوَيْن في سِنِّ الشَّيخوخة تفاوتًا هائلًا. وفي أغلب الأحيان يفتقر الأشخاص الذين يُتوقَّع منهم أن يَعتنوا بهم، للمهارات اللَّازمة والتكيُّف المطلوب. لذلك، سنبتدئ في الحديث عن مجموعة من العوامل التمهيديَّة التي تُساعد في تقبُّل العناية بالأبَوَيْن والتكيّف معها. ثم سنذكر بعض النِّقاط العمليَّة المفيدة للأشخاص الذين يُقَدِّمون هذه الرِّعاية.

الاستعداد لتقديم رعاية فَعَّالة

مع أنَّ رعاية المُسِنِّين قد تُفْضي إلى بركات عظيمة، لكنّها قد تَفرض ضغطًا كبيرًا على العائلة. وقد يخرج هذا الأمر عن سيطرة جميع الأشخاص المَعنيِّين. بعبارة أخرى، إنَّ بعض أنواع الرِّعاية صعبة، أيًّا كانت طريقة التَّعامل معها. ولكن قد تكون الصُّعوبة ناجمة أحيانًا عن عوامل سلبيَّة كانت موجودة قبل فترة طويلة من تقديم الرِّعاية. والنِّقاط التَّالية تُبَيِّن بعض متطلَّبات تقديم رعاية سليمة وفَعَّالة للأبوَيْن المُسِنَّيْن:

١. **إنَّ الآباء والأمَّهات يُحَدِّدون نوعيَّة الرِّعاية التي سيحصلون عليها في شيخوختهم من خلال نوعيَّة الرِّعاية التي يُوفِّرونها لأبنائهم.** لا شَكَّ أنَّ الأطفال

الذين تَلَقُّوا رعاية جيِّدة في بيئة مُفعمة بالمحبَّة والقبول سيكونون أفضل استعدادًا لتوفير هذه الرِّعاية لأبوَيْهم المُسِنَّيْن. وهذا لا يعفي أحدًا مِن غمر والدَيْه بالمحبَّة وإكرامهما. ولكن يقتضي التَّنويه إلى أنَّ الكثير مِن المشكلات القائمة في السَّنوات الأخيرة في الشَّيخوخة هي نتيجةٌ مباشرةٌ لتوتُّرات في العلاقة بين الأبوَيْن والأبناء لم تُعالج في السَّنوات السَّابقة. فإذا لم يُعالج الآباء والأمَّهات مشاعر الغضب لديهم، وحُبّ السَّيطرة على أبنائهم، وروح السُّخرية والانتقاد، وتحطيم المعنويات، سترتَدُّ هذه المشكلات عليهم عندما يجد الأبناء أنفسهم مُطالبين برعاية أبوَيْهم. ومِن دواعي الأسف أن نقول إنَّ العادات السيِّئة تزداد سوءًا مع تقدُّم السِّنِّ.

٢. **كُلَّما زادت علاقة المحبَّة المسيحيَّة بين الأشقّاء والشقيقات، زادت فرصة تَكَيُّفهم مع الصُّعوبات النَّاجمة عن العناية بأبوَيْهم المُسِنَّيْن.** ولكنَّ الحروب الباردة قد تَنْشُب بسهولة بين أفراد العائلة وتصير حربًا ضَروسًا حين تصير العناية بالأبوَيْن المُسِنَّيْن ضرورة مُلِحَّة. فالمشاجرات، والغيرة، والضَّغينة بين الإخوة والأخوات تُعيق التَّعاون اللَّازم بينهم لتقديم الرِّعاية لأبوَيْهم المُسِنَّيْن.

٣. **التَّواصُل الفعَّال في العائلة ضروريٌّ مِن أجل التَّخطيط للرِّعاية وتقديمها.** يجب على جميع الأبناء أن يدركوا حالة الأبوَيْن الجسديّة، والطرق التي بإمكان كلّ فرد أن يُقدّم المساعدة بها، والوضع الماليَّ السَّائد، والضُّغوط التي يتعرَّض إليها الأشخاص الذين يُقَدِّمون الرِّعاية. ولا شَكَّ أنَّ ضعف التَّواصُل بين الأبناء يُفضي إلى اضطلاع بعض منهم بمهام كثيرة وإلى عدم المبالاة لدى البعض الآخر. لذلك، يجب على الأبناء أن يتَّفقوا بخصوص العناية بالوالِدَيْن المُسِنَّيْن قبل أن تحين السَّاعة لذلك. وقد يكون لدى الأبوَيْن اقتراحات أو طلبات بهذا الخصوص. ويجب على الأبناء احترام هذه الاقتراحات والطَّلبات قدر استطاعتهم. وفي مُطلق الأحوال، إنَّ المفتاح الأساسيَّ للتَّعاون بين أفراد العائلة هو التَّواصُل الفَعَّال.

٤. **يجب على العائلات المؤمنة أن تحافظ على العقليَّة التي تُنادي بوجوب العناية بالأبوَيْن المُسنَّيْن.** فالثَّقافة المعاصرة لا تميل عمومًا إلى احترام المُسِنِّين والعناية بهم. فإذا أراد المؤمنون في المجتمعات المعاصرة أن يحافظوا على هذه العقليَّة التي تُنادي بوجوب رعاية الأبوَيْن المُسنَّيْن، يجب عليهم أن يُفَكِّروا في العوامل الثقافيَّة التي تُحارب هذه العقليَّة. فَكِّر في النِّقاط التَّالية:

عوامل ثقافيَّة معاصرة تُعارض رعاية المُسِنِّين

١. **سُرعة الحياة.** إنَّ المجتمع المعاصر سريع الحركة. أمَّا المُسِنُّون فبطيئون، وبالتالي ليسوا مُناسبين لجداول العمل المعاصرة. لذلك، عوضًا عن أن تَقبل الثَّقافات المعاصرة واقع الشَّيخوخة، إنَّها تميل إلى التَّفكير في رعاية المُسِنِّين كأمرٍ يَستنزف وقتها وطاقتها.

٢. **التَّغيير.** إنَّ التغيير الدَّائم هو عامل وثيق الصِّلة بسُرعة الحياة. فالأشياء الجديدة تبقى قيد الاستعمال إلى أن تُستبدَل بأشياء مُحَسَّنة. ولا يُمكن للمُسِنِّين مواكبة هذه التَّغييرات السَّريعة. فَهُمْ يقومون بالأشياء بالطَّريقة نفسها دائمًا. وكُلَّما تقَدَّموا في السِّنِّ، زادت مقاومتهم للتَّغيير. فعقولهم تعمل بأفضل مستوى ممكن بالطَّرائق المألوفة. وفي أغلب الأحيان يَكْبُر الجيل الأصغر سِنًّا وهو حانِق على "عِناد" المُسِنِّين، ويَخسر فرصة الاستفادة مِن حِكمتهم.

ولكن إذا أرادت العائلات المسيحيَّة أن تحافظ على إكرامها للمُسِنِّين، والتزامها برعايتهم، يجب عليها أن تقاوم الفكرة القائلة إنَّ كِبار السنِّ مصدر إزعاج. لذا، يجب على العائلة المسيحيَّة أن تتجنَّب العيش بسرعة، وتحترم طرائق المُسِنِّين، وتَقبل التَّغييرات التي تقتضيها الحكمة، وتُقَدِّر الاتِّكال المُتبادل بين الأجيال، وتَقبل واقع الحياة والموت والأبديَّة. فهذا النَّمَط مِن الحياة يُعطي مكانًا للمُسِنِّين.

فإذا قَبِلنا سُرعة الحياة المعاصرة وقِيَمها على حساب أبوَيْنا المُسِنَّيْن، وعلى حساب توفير الرِّعاية اللَّازمة لهما، ألا نُعَرِّض أنفسنا لتوبيخ الربِّ يسوع؟ "ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "حَسَنًا! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ الله لتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ! لأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمُ أَبًا أَوْ أُمًّا فَلْيَمُتْ مَوْتًا. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لأَبِيه أَوْ أُمِّه: قُرْبَانٌ، أَيْ هَدِيَّةٌ، هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ به مِنِّي فَلاَ تَدَعُونَهُ فِي مَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئًا لأَبِيه أَوْ أُمِّه. مُبْطِلِينَ كَلاَمَ الله بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ"" (إنجيل مرقس ٧: ٩- ١٣). ويمكننا إعادة صياغة كلمات الربِّ يسوع كما يلي: "يحاول النَّاس في وقتنا الحاضر إبطال وصايا الله. فكلمة الله تقول: أكْرِم أباكَ وأُمَّك. وأمَّا أنتم فتقولون: "لا يمكنني فعل ذلك. فالوقت والمال اللَّازمان للعناية بأبي وأمِّي سيستنفدان عملي الإضافيَّ وأموالي التي ادَّخرتُها لإجازتي السنويَّة، ويؤثّران على خصوصيَّتي وحُرِّيَّتي". لذلك، قد أفرغتم وصايا الله من معناها بسبب نمط حياتكم وقِيَمكم، وتَنَصَّلتُم من مسؤوليَّة رعاية أبَوَيْكُم وسَلَّمْتُموها إلى آخرين."

توفير الرِّعاية الفعَّالة للأبوَيْن المُسِنَّيْن

كما ذكرنا آنفًا، إنَّ احتياجات الأبوَيْن المُسِنَّيْن تَتفاوت تفاوتًا كبيرًا. وهناك طرائق كثيرة لإشباع هذه الاحتياجات. فحاجة بعض الآباء والأمَّهات إلى الرِّعاية تظهر تدريجيًّا. ولكنَّ آخرين قد يحتاجون إلى الرِّعاية فجأةً بسبب إصابتهم بسَكتة دماغيَّة، أو جلطة، أو بسبب حادثٍ ما. وهناك آباء وأمَّهات يُصابون بأمراض قاتلة كالسَّرطان، أو أمراض أخرى كالزهايمر أو باركنسون، فتتدهور صِحَّتهم بطيئًا أو سريعًا حسب الحالة. وعادةً يحتاج أحد الأبوَيْن إلى الرِّعاية قبل الآخر. وفي بعض الحالات، قد يحتاج الآباء والأمَّهات إلى الرِّعاية قبل حتَّى أن يكونوا مُستعدِّين لتَلَقِّيها. فقد يأتي وقتٌ لا يعودون قادرين فيه على قيادة السيَّارة، أو طَهي الطَّعام، أو الاعتناء بأنفسهم. ومع ذلك، يُصِرُّون على أنَّهم قادرون على القيام بهذه الأمور. ولكن كيف يمكن للأبناء توفير الرِّعاية الفعَّالة لأبوَيْهم المُسِنَّيْن؟

لا توجد إجابة قاطعة. فالرِّعاية تتفاوت حسب حاجات النَّاس وشخصيَّاتهم. ولكنَّ النِّقاط التَّالية تُطبَّق عامّةً على رعاية الأبوَيْن المُسِنَّين:

١. **ابقَ على اطِّلاع دائم بحالة أبوَيْك الصحِّيَّة.** ثَقِّف نفسك في الأمراض والمشكلات الصحِّيَّةً لدى والِدَيْك. اعرف الأعراض، والتَّشخيص الطِّبِّي، والعلاج المُتاح.

٢. **تَعَرَّف إلى وسائل المساعدة المُتاحة لوالِدَيْك ولك أنت أيضًا في أثناء رعايتهما.** فعندما يُدرِك أفراد العائلة الاحتياجات القائمة، يمكنهم تقديم الرعاية وتنظيم أوقات الاستراحة. وإذا كانت الرِّعاية صعبة على أفراد العائلة، يمكن للكنيسة المحليَّة أن تساعد في تكميل الرِّعاية اللَّازمة. ولا شَكَّ أنَّ قبول هذه المساعدة يتطلَّب تواضعًا لطلبها. ولكن من دون طلب المساعدة كيف سيعرف أصحاب القلوب الكبيرة كيفيّة مدّ يد العون؟ كذلك، هناك مراكز خاصَّة لرعاية المُسِنِّين، ولا سِيَّما أولئك الذين يعانون أمراضًا مُعَيَّنة.

٣. **أَحِطْ أباك وأمَّك بالأجواء المألوفة بالنسبة إليهم قدر الإمكان.** تقاوم أغلبيَّةُ المُسِنِّين التَّغيير. وفي حال وجود تغييرات جذريَّة، حتَّى لو كانت تصبّ في مصلحة والدَيْك، قد يُقابلاها بالجحود التَّامّ. فالتَّغيير يزيد حنين المُسِنِّين إلى الماضي. لذلك، مِن الأفضل إبقاء الأبوَيْن في بيتهما أطول فترة ممكنة. وعندما يحتاجان إلى الرِّعاية، مِن الأفضل أن يتولَّى أفراد العائلة هذه المسؤوليَّة. وفي بعض الأحيان، قد يلتحق الأبوان بمركز خاص لرعاية المُتقاعدين قبل أن يصيرا بحاجة إلى الرِّعاية. ويوفّر المركز نفسه لهما الرِّعاية في السَّنوات اللَّاحقة. فإذا كان هذا هو اختيار الأبوَيْن، لا تعارضهما. ولكنَّ مراكز كهذه تتطلَّب منهما انتظارًا طويلاً إلى أن يحين دورهما. كذلك، إنَّ الكُلْفة تَفوق قدرة الكثير من النَّاس المادِّيَّة.

٤. **مع تَقَدُّم والدَيْك في السِّنِّ، رَكِّز على ما يمكنهما القيام به، لا على ما يعجزان عن فعله.** فعندما لا يعودان قادرَيْن على القيام ببعض المهامّ مثل قيادة

السيَّارة، أو الخياطة، أو طهي الطَّعام، وغيرها، سيميلان إلى التحدُّث بإسهاب عنها. لذلك، إذا لم تَعُد الجَدَّة قادرة على تعليق الملابس، قد يكون بمقدورها طهي الطَّعام. وإذا لم تكن قادرة على طهي الطَّعام، يمكنها إعداد المائدة. وإذا لم يَعُد الجَدُّ قادرًا على العمل خارج المنزل، يمكنه صُنع الهدايا التذكاريَّة أو ممارسة إحدى الحِرَف اليدويَّة في المنزل. أسْبِغ عليهما عبارات التَّقدير والتَّشجيع والمديح. فالتَّركيز على الأمور السلبيَّة يُضَيِّق الأفق عادةً ويقضي على الأفكار الإبداعيَّة.

٥. **تَجَنَّب التَّواصُل غير الإيجابي**. قد يصير المُسِنُّون سلبيِّين في تفكيرهم أو أحاديثهم. وغالبًا ما يشعرون بالخوف، والوحدة، والحسرة على ما خسروه في حياتهم. وقد يتذمَّرون من القيود المفروضة عليهم. فعلى سبيل المثال، قد يسأل الجَدّ المُسِنُّ يوميًّا: "لماذا لا يمكنني قيادة السيَّارة؟ ألم تعودوا تَثقون بي؟" وقد يتعيَّن عليك الردَّ يوميًّا: "لقد أخبرتك مرارًا وتكرارًا أنَّ هذا ليس آمنًا. فردود فعلك بطيئة. ونحن نَرى أنَّه من الأفضل أن تَمتنع عن قيادة السيَّارة". وقد يُجيبك قائلاً: "مَن تعني بكلمة نحن؟" وقد يستمرُّ الحوار بهذه الطَّريقة. والحقيقة هي أنَّ الأب المُسِنَّ الذي يخوض حديثًا كهذا لا يبحث عن إجابات منطقيَّة، بل هو يتحسَّر على خسارته. لذلك، تَقترح إحدى السيِّدات التي اعتنت بأمّها المُسِنَّة ستَّ سنوات ما تُسَمِّيه "الإصغاء الإيجابي".[٢] والإصغاء الإيجابي يُرَكِّز على مشاعر الشَّخص الآخر من خلال إعادة صياغة كلماته. فعلى سبيل المثال، في الموقف السَّابق، قد يُجيب المُصغي الإيجابي قائلاً: "أعتقد أنَّه من الصَّعب على المرء أن يتوقَّف عن القيام بشيءٍ مُهمٍّ مثل قيادة السيَّارة. هل تشعر بأنَّك غير مفيد؟" فأجوبة كهذه تتعاطف مع مشاعر الشَّخص المُسِنِّ وتُعيد توجيه دفَّة الحديث بعيدًا عن الجدل الذي لا طائل منه.

2 Barbara Deane, *Caring for Your Aging Parents* (رعاية أبوَيْك المُسِنَّيْن) (Colorado Springs, Colorado: NavPress, 1989), pp. 49, ff.

٦. **إذا انتقل أحد الوالِدَيْن للعيش معك في منزلك، احترم حدوده وبَيِّن له حدوده.** لا شَكَّ أنَّ القَوْل أسهل من الفعل. فلكُلِّ شخص خُصوصيَّته الشخصيَّة التي يُحِبُّ الحفاظ عليها. كذلك، لكُلِّ عائلة خُصوصيَّتها. لذلك، إذا دعوتَ أباك أو أمَّك للعيش معك في منزلك، تَوَقَّع أن يكونا مُتَطَفِّلَين على خُصوصيَّتك. وقد يتضاعف الإحساس الدَّاخليُّ بالإحباط المتعلِّق بالمشاعر السَّلبيَّة المُصاحِبة لهذا التطفُّل بسبب عدم فهم مسألة الخصوصيَّة والتطفُّل بشكلٍ واضح. فقد يشعر أبناؤك بأنَّ خصوصيَّتهم قد انْتُهِكَت إذا دخل الجَدُّ أو الجَدَّة غُرَف نومهم دون استئذان، أو إذا قامت الجَدَّة بتوجيه الأوامر والتعليمات إليهم (على الرغم من كون هذه الخصوصيَّة المُنتَهَكَة أقلّ بروزًا لكنّها حقيقيّة). وبالمقابل، في نظر المُسنِّين، قد يكون الانتقال للسَّكن مع أحد الأبناء تَخَلِّيًا عن الخُصوصيَّة. وقد يُعطي المُسنُّون أنفسهم أحيانًا بعض المزايا التي ربما هي ليست من حقهم، دون التَّفكير في تأثير ذلك على الآخرين. وينتقل الآباء والأمَّهات للعيش مع أبنائهم بمستويات مختلفة من قابليّة التحرّك وكذلك يختلف مستوى الرِّعاية المطلوبة. ومع ذلك، من الأفضل وجود منطقة أو على الأقل غرفة مستقلَّة في المنزل يمكن للشخص المُسنّ أن يعتبرها له. ويجب أن يبقى الاهتمام بهذا المكان وترتيبه بيد الشخص المُقيم قدر الإمكان. ويمكن مناقشة موضوع الخصوصيَّة هذا حسب الضَّرورة. وفي أغلب الأحيان يتطلَّب هذا توضيح المسائل الخاصّة بالتَّفاصيل الدَّقيقة مثل فتح الرَّسائل الواردة، واستخدام المطبخ، وتربية الأبناء.

وقد يكون احترام الخصوصيَّة أمرًا مُعقَّدًا بسبب انعكاس الأدوار. فالابن هو الذي يعتني بوالده في بيته. وقد يشعر الابن بصراعٍ للعودة إلى ممارسة دوره كابن، وإعطاء الجدّ كامل الصَّلاحيَّة في البيت. وعند حدوث مشكلة، يجب مناقشتها بصدق، وصراحة، واحترام. وإذا كانت الجدّة تريد فَرْض أسلوبها وطريقتها في المطبخ، قد يتوجَّب وضع قاعدة تقول: "أنا أختار الوجبة. وأنتِ تُعِدِّينها"، أو: "أنتِ تُعِدِّين وجبة الغداء، وأنا أهتمُّ بالفطور والعشاء". وقد يشكو الجدّ أو الجدّة اللذان ينتقلان للعيش في بيت ابنهما مِن أنَّ الأولاد يَفتقرون إلى

الانضباط. وقد يكون ذلك صحيحًا. ولكن يجب أن نتوقَّع وجود هذه المنافسة بين الأجداد والأولاد عندما تعيش ثلاثة أجيال تحت سقفٍ واحد. وفي أغلب الأحيان يعود أساس هذه المنافسة إلى انتهاك الخصوصيَّة. لذلك، كُلَّما زاد وضوح مسألة الخصوصيَّة واحترامها، زاد التَّوافق بين جميع القاطنين في البيت.

٧. **اعتنِ بنفسك**. عندما يحتاج الأب المُسِنُّ (أو الأمُّ المُسِنَّة) إلى الرِّعاية، فإنَّ الشَّخص الذي يُقَدِّم هذه الرِّعاية يُقَدِّم معها تضحيات هائلة. وهذا أمر لا غُبار عليه البَتَّة. فالتَّضحية الشخصيَّة تعليمٌ أساسيٌّ في الكتاب المقدَّس ولها مكافآتها. ولكن تحت وطأة هذه الرِّعاية التي يُقَدِّمها المرء لأبيه المُسِنِّ أو أُمِّه المُسِنَّة، قد يُهْمِل حاجاته وحاجات عائلته. لذلك، "يجب الاهتمام بوجود توازن في سَدِّ جميع الحاجات، بما في ذلك حاجات الشَّخص الذي يُقَدِّم الرِّعاية... أهَمَّ شيء يمكنك أن تُقَدِّمه لوالدَيك هو نفسك."[٣] فإذا كنت تأخذ إجازات، وترتاح، وتقرأ الكتاب المقدَّس، وتُصَلِّي، وتهتمُّ بعائلتك، وتفعل الأشياء التي تُحِبُّها شخصيًّا، فإنَّ هذا كُلَّه سيُنعشك ويُبقيك مُعافى جسديًّا، ونفسيًّا، وروحيًّا. كذلك، إنَّه يصُبُّ في مصلحة أحِبَّائك. وقد يتطلَّب الأمر أحيانًا طلب العون. وقد يعني هذا أيضًا أن تَعْجَز عن إرضاء الشَّخص الذي تَعتني به. بل قد يُفْضي هذا أحيانًا إلى إساءة فهم الآخرين لك. وإذا كان المرء الذي يُقدِّم الرِّعاية يتصرَّف بدافع الشُّعور بالذَّنب أو الكبرياء، سيكون مؤلمًا له طلب المساعدة مِن الآخرين، أو عدم قدرته على تحقيق توقُّعات الآخرين. لذلك، يتمّ اتِّخاذ القرارات الفضلى المتعلّقة بالحاجات الشخصيَّة بالتَّشاور مع أفراد العائلة الآخرين أو مع راعي الكنيسة أو زوجة راعي الكنيسة. وللمساعدة في تقييم الحاجات الشخصيَّة، يمكنك أن تطرح الأسئلة التَّالية على نفسك مِن وقتٍ إلى آخر:

3 Deane, (رعاية أبَوَيْك المُسِنَّيْن), pp. 68,69.

- هل أشعُر بالتَّعب الدائم؟
- هل أُعاني أوجاعًا مُستمرَّة مثل الصُداع، أو الحرقة في المعدة، أو ألمٍ في الصَّدر، أو غيرها؟
- هل أتناول حاجتي مِن الطَّعام المغذِّي المتوازن؟
- هل أشعر بالاكتئاب في أغلب الأحيان؟
- هل ضحكتُ في الأسابيع الأخيرة؟
- هل هناك أشياء تضايقني منذ فترة ولم أناقشها بعد مع أيِّ شخص؟
- هل أشعر بالامتعاض مِن أشخاصٍ مُعَيَّنين في العائلة؟
- هل أسمع شكاوى دائمة مِن عائلتي بسبب الأمور التي لا أقوم بها؟
- هل علاقتي بشريك حياتي دافئة وصريحة؟
- هل اكتسبتُ بصيرة روحيّة في حياتي مؤخّرًا؟
- هل أشعر بسلام داخليٍّ حين أُصَلِّي؟
- هل أُرَنِّم أو أُرَدِّد التَّرانيم في ذهني عادةً؟

كما ذَكَرنا آنفًا، إنَّ العناية بالوالدين المُسِنَّيْن تنطوي على مشكلات ليس لها حلول سهلة. ولكن كما هي الحال مع المشكلات الأخرى، يستطيع المؤمن المسيحيَّ أن يتمسّك بوعود الربِّ الواردة في الكتاب المقدَّس. يَعِدُ الله بأن يعطي الحكمة لمن يطلبها بإيمان (يعقوب ١: ٥)، وبأن يُعطِي القوَّة للمُتْعَبين الذين يَنتظرونه (إشعياء ٤٠: ٣١)، وبأن يكون مع الذين يَفعلون مشيئته (يشوع ١: ٩).

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كانت "آيلين" في الرَّابعة والستِّين مِن عُمرها وكانت تحتضر بسبب إصابتها بالسَّرطان. وكان زوجها "لستر" يعتني بها بمساعدة ابنتهما "سارة" التي كانت تعيش في الجوار. ومع أنَّ "آيلين" لم تكن تتألَّم كثيرًا، لكنّها كانت بحاجة إلى رعاية مستمرَّة بسبب تطوّر السَّرطان في جسمها. وعندما صار عبء الرِّعاية ثقيلاً على "لستر"، انتقلت سارة وعائلتها للعيش مع والدَيْها في المنزل نفسه.

كانت "آيلين" في كامل وعيها ومُتفهِّمة في أغلب الأوقات. ولكن في أوقاتٍ أخرى، كانت تقوم بأمورٍ أو تُفَكِّر في أمورٍ غير معقولة البَتَّة. وفي بعض الأوقاتٍ، كانت الكلمات تخونها وتعجز عن تذكُّر الجُملة التي تريد قولها. كذلك، كانت صِحَّتها الجسديَّة تتدهور، وكانت تفقد قوَّتها البدنيَّة تدريجيًّا، ولم تكن أعضاؤها تعمل كما يجب. كان ذلك مؤلمًا لجميع أفراد العائلة لا سيَّما أنَّ "آيلين" كانت نَشِطَة دائمًا وتتمتَّع بصحَّة جيِّدة، وكانت هي من تساعد الآخرين لا من تحتاج إلى المساعدة. وقد زاد عبء الرِّعاية كثيرًا على أفراد العائلة بسبب الضَّغط العاطفيِّ عليهم لرؤية صِحَّة "آيلين" المحبوبة تتدهور تدريجيًّا.

وقد وجد "لستر" وابنته "سارة" أنَّ الضَّغط يفوق كُلَّ توقُّعاتهما. فقد كانت ساعات نومهما أقَلَّ مِن حاجتهما، وكانت أعباء الرِّعاية في زيادة مستمرَّة، وكانت الأحوال تتدهور يوميًّا... وكانت هناك أوقات يفقدان فيها صبرهما مع "آيلين" بسبب التوتُّر الذي يعيشانه. وحينئذٍ، كان ضميرهما يؤنِّبهما بسبب عدم مراعاتهما مشاعر "آيلين" ونقص محبَّتهما لها. ومع أنَّ الأصدقاء كانوا يُقَدِّمون النَّصائح والتَّشجيع لهما، لكن لم يكن أحدٌ منهم يُدرك

صعوبة حياتهما اليوميَّة. ومع ذلك، كان تعاونهما له مزاياه. فقد كان كُلٌّ منهما يُريح الآخر، ويتحدَّث إلى الآخر عن الإحباط الذي يشعر به.

وبعد موت "آيلين"، تَعَجَّبا من قدرتهما على القيام بكُلِّ تلك المهام، واحتمال كُلِّ ذلك الضَّغط في الشَّهر الأخير. ولو كان بمقدورهما أن يعودا إلى الماضي وينظرا إلى المستقبل ويُشاهدا كُلَّ شيء فَعَلاه، مِن المؤكَّد أنَّهما سيقولان إنَّ هذا مستحيل! لذلك، عندما نظرا إلى الوراء وأدركا الأمور التي قاما بها، شكرا الربَّ على ذلك. فالفرح النابع مِن معرفتهما بأنَّهما قد أكرما زوجةً وأمًّا لطالما أحبّتهما، وأنَّهما وقفا إلى جانبها في أصعب مِحنة مَرَّت بها في حياتها، وأنَّهما اختبرا حقيقة المرض والموت أمام أعينهما، وأنَّهما تركا لأولاد "سارة" نموذجًا عن الإكرام والالتزام يُحتذى به، يستحقّ التَّضحيات التي قاما بها.

مواجهة الموت

إنَّ الموت ليس سهلًا البَتَّة. ومع ذلك، إنَّه أكثر جانب في وجودنا يضعنا وجهًا لوجهٍ أمام عددٍ مِن الحقائق التي لا مَفَرَّ منها. فنحن لسنا في مأمنٍ تامٍّ على الأرض. ولا نملك وعدًا بأنَّنا سنبقى هنا. فالحياة البشريَّة هَشَّة ومحدودة. والرَّوابط التي تربطنا بالآخرين على الأرض قد تنتهي في أيّة لحظة.

وقد يأتي الموت بطرائق عديدة، وقد يكون متوقَّعًا أو فُجائيًّا. وعندما يأتي الموت فجأةً فإنَّه يكون صادمًا. وهناك مَن يموتون في هدوءٍ وسكينة. وهناك مَن يموتون في سِنٍّ مُتقدِّمة، وآخرون يموتون في مُنتصف الحياة، وبعضهم في الطُّفولة. وهناك مَن يموتون حتَّى قبل أن تُتاح لهم فرصة أخذ الشَّهيق الأوَّل.

والحقيقة هي أنَّ كُلَّ موتٍ صعبٌ بطريقته الخاصَّة لأنَّ لِكُلِّ فردٍ كيانه المُنفرد، وطرائقه الخاصَّة، ومشكلاته الشخصيَّة، وانتصاراته، وعلاقاته. ويُعَدُّ موت شريك الحياة صعبًا بسبب السَّنوات الطَّويلة التي يعيشها الزَّوجان معًا، والذِّكريات الجميلة، والروابط القويَّة بينهما. ويُعَدُّ موت الطِّفل صعبًا لأسبابٍ مختلفة تمامًا، مثل توقُّعات الأهل لطفلهم، وتطلُّعاتهم، وروابطهم الجديدة معه. ويكون الموت مؤلمًا جدًّا عندما يأتي فجأةً دون سابق إنذار. كذلك، إنَّ الموت المتوقَّع صعبٌ جدًّا أيضًا بسبب الضَّغط النفسيِّ النَّاجم عن مراقبة أحد الأحباء وهو يحتضر. وببساطة، إنَّ الموت مؤلمٌ دائمًا. ومع أنَّ الحُزن النَّاجم عنه قد يتفاوت مِن حالة إلى الأخرى، لكن لا يوجد مُبَرِّر يدعونا إلى التَّقليل مِن أيِّ حُزْنٍ لأنَّ الموت مؤلمٌ في كُلِّ الحالات.

وبالنِّسبة إلينا، كمؤمنين مسيحيِّين، فقد انتُزِعَت شوكة الموت الحقيقيَّة بقيامة يسوع المسيح، إذ إنّنا نمتلك رجاءً راسخًا بأنَّنا سنحيا إلى أبد الآبدين مع الله. ومع ذلك، قد يَظُنُّ بعض المؤمنين أنَّ هذا اليقين يَحميهم مِن الشُّعور بالحزن لفُراق أحِبَّائهم. لكنَّ الأمر ليس كذلك. فالمؤمنون المسيحيُّون يحزنون ويبكون أيضًا ولكن ليس "كَالبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ" (١تسالونيكي ٤: ١٣). فيقيننا الرَّاسخ بوجود السَّماء والحياة الأبديَّة مع الله يُوفِّر لنا لا الاستقرار النفسيَّ فحسب، بل أيضًا الفرح الداخليَّ في الأوقات التي نفقد فيها أحِبَّاءنا. لذلك، نحن من بين جميع الناس، نستطيع أن نبكي بحُرِّيَّة لأنَّ لدينا رجاءً حيًّا وفهمًا صحيحًا للموت.

ومع أنَّ الموت قد يأتي بأشكال متنوِّعة، والنَّاس يتجاوبون معه بطرائق مختلفة، فإنَّ هناك نمطًا شائعًا لدى الأشخاص الذين يفقدون أحبَّاءهم. فيختبرون أوّلاً الصَّدمة، ثُمَّ الحُزن، ثُمَّ الشِّفاء.

الصَّدمة. عندما يواجه المرء الموت وجهًا لوجه، فإنَّه يُصْدَم دون شَكّ. وكُلَّما زادت فُجائيَّة الموت وعدم توقُّعه، زاد تأثير الصَّدمة. فعلى الصَّعيد العاطفيِّ، هناك مشاعر متزايدة تجعل الشخص يواجه صعوبة في تحديد شعور مُعيَّن.

والحقيقة هي أنَّ الصَّدمة تحمي من الألم القويّ الأوّل الذي يرافق موت الأحبَّاء. فالمرء يَشعر غالبًا بأنَّه لا يُصَدِّق ما يجري، وبأنَّ هذا غير ممكن، وبأنَّه خائف. وعلى الصَّعيد الذهنيِّ، تَشُلُّ مرحلةُ الصَّدمة تفكيرَ المرء، وتجعله مُشَوَّشًا، وكثير النِّسيان، وتتضارب الأفكار في ذهنه. وعلى الصَّعيد الروحيِّ، قد يشعر المرء بما يُشبه الذُّعر. ولكنَّ الله يتحرَّك من خلال الإيمان، والآيات الكتابيَّة، والكنيسة، والرُّوح القُدُس لتقديم التَّعزية والطُّمأنينة والعون. وقد يتساءل المرء في فترة الصَّدمة: "لماذا؟" ولكنَّ العقل والنَّفس يعجزان عن العثور على الإجابات الصَّحيحة في خِضَمِّ هذه المشاعر المتضاربة وهذه الصَّدمة.

الحُزن: في أغلب الأحيان، تستمرُّ فترة الصَّدمة إلى انتهاء وقت الدفن. وقد يتعجَّب الأصدقاء أحيانًا من السَّلام والسَّكينة المُخَيِّمَيْن على أفراد العائلة. وقد يشعر أفراد العائلة بالذَّنب لأنَّهم لم يحزنوا أكثر. ولكن في حقيقة الأمر، لا يمكن لأفراد العائلة أن يحزنوا تمامًا إلَّا بعد زوال تأثير الصَّدمة. ولكن عاجلاً أم آجلاً، ستُدرَك حقيقة الفراق وتُذرَف الدُّموع بغزارة بعدها.

وقد تتفاوت فترة الحزن في الطُّول أو الحِدَّة بين شخصٍ وآخر. وفي فترة الحُزن، قد يَشعر المرء بالوَحدة، أو قد تكون لديه أسئلة كثيرة، أو ربّما يشعر بالخسارة، وأحيانًا بالغضب والذَّنب أيضًا. ولكُلِّ شعور من هذه المشاعر طعمه ومَرارته. وقد يشعر المرء في هذا الوقت بمشاعر متضاربة جدًّا.

وبالنِّسبة إلى المؤمنين المسيحيِّين، إنَّ المشاعر التي يَصعب فهمها والتَّعامل معها هي تلك المشاعر التي نَعلم أنَّها خاطئة ومُجَرَّد ردود أفعال. فمشاعر الغضب، والاستياء، واللَّوم، وتقريع الذَّات، والرثاء للذات، والإحباط قد تجد طريقها إلى قلب المرء الحزين دون استئذان. قد نتمكَّن من تمييز هذه المشاعر أحيانًا، وقد لا نُمَيِّزها في أوقاتٍ أخرى. ولكن إذا تركنا هذه المشاعر على حالها، أو أنكرناها، أو لم نستبدلها بمشاعر أخرى صِحِّيَّة، فإنَّنا نُطيل فترة الحزن ونؤذي أنفسنا والأشخاص المُقَرَّبين إلينا.

وكُلَّما زادت صراحتنا وزاد فهمنا لأنفسنا ولله في ما يَخُصُّ مشاعرنا الحقيقيَّة، زادت فُرصة شفائنا. وهناك من يشعرون بأنَّ الكتابة تساعدهم. فتدوين الأفكار ومشاعر الحزن يُساعد في تخفيف هموم القلب وفي تصفية الذِّهن. وقد يجد آخرون بَرَكاتٍ مُشابهةً مِن خلال التحدُّث إلى الأصدقاء، أو مِن خلال الصَّلاة. وفي مُطلق الأحوال، إنَّ التَّعبير عن المشاعر العميقة ضروريٌّ ومفيدٌ لنا.

الشِّفاء: مع أنَّ الحزن طبيعيٌّ وصحيح، قد يأتي وقتٌ ينبغي لنا فيه أن نَسعى إلى الشِّفاء. فقد يَحزن المرء فترة أطول مِن اللَّازم ويبتدئ في "التلذُّذ" في مذاق مَرارة الدُّموع. وهذا لا يعني أنَّه لا ينبغي لنا أن نبكي، بل يعني أنَّه ينبغي لنا أن نتعلَّم إضفاء المَعنى الصَّحيح إلى الموت، واختبار الإيمان في أوقات التَّجارب، والبدء بالنَّظر إلى الماضي والحاضر والمستقبل بإدراكٍ جديد.

وقد تتفاوت صعوبة الشِّفاء مِن شخصٍ إلى آخر. فهناك أشخاص يقعون في فَخِّ الشُّعور بالذَّنب عندما يدركون أنَّهم ابتدأوا في نسيان حُزنهم. فكأنَّهم بذلك يخونون الحبيب الذي فقدوه. وهناك مَن يجدون صعوبة في التخلِّي عن الأشياء الملموسة التي تركها الحبيب وراءه كالألعاب، أو الكتب، أو الملابس، أو العُكَّازَيْن، أو الكُرسيِّ، وإلخ. ولكن عندما يحين الوقت المناسب، يجب على العائلة أن تتخلَّص مِن بعض هذه الأشياء. إنَّ الاحتفاظ بهذه الأشياء التَّذكاريَّة ليس خطأً في حَدِّ ذاته ما دُمنا قادرين على مُواصلة حياتنا دون أن نَسمح لهذه الأشياء بحبسنا في زنزانة الماضي.

وقد يكون ألم فُراق أحد الأحبَّاء غير المُخَلَّصين أصعب أنواع الحزن والألم. فموتٌ كهذا ليس فيه عزاء إلَّا إذا نَجَحنا في تثبيت أعيُننا على الله نفسه. فإن كُنَّا نشعر بالحزن فإنَّ الله حزينٌ أكثر مِنَّا. لقد ارتضى الله الآب أن يموت ابنه يسوع المسيح لكي يُخَلِّص الخُطاة. وبالتالي إنَّ الله: "لا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الجَمِيعُ إِلى التَّوْبَةِ" (٢بطرس ٣: ٩). لذلك، يمكننا نحن أيضًا أن نشعر بالرَّاحة عالمين أنَّ الله بارٌّ وعادلٌ في كُلِّ ما يَصنع، ولا جُوْرَ فيه البَتَّة.

الاستعداد للموت

إنَّ الاستعداد الأكثر أهميَّة للموت هو أن يتمتَّع المرء بعلاقة سليمة مع الله. ولكنَّ الأمر الذي لا يفكّر فيه مؤمنون كثيرون هو القضايا العمليَّة التي سيواجهها أحبَّاؤهم بعد موتهم. وإذا لم يحضّر المرء لموته، فهذا يعني أنَّه ينبغي لأحبَّائه اتِّخاذ قرارات عديدة في فترة وجيزة وفي وقتٍ يكون فيه اتِّخاذ القرارات أمرًا صعبًا للغاية بسبب الحزن. لذلك، لا شَكَّ أنَّ التَّخطيط المُسَبَّق يَصنع فرقًا ملحوظًا.

الوصيَّة: يجب على الشَّخص المتزوِّج أو الذي لديه عقارات أو ممتلكات أن يكتب وَصِيَّة. فالوصيَّة تُحَدِّد ما ينبغي فعله بالأموال والممتلكات في حال موت صاحبها. كذلك، قد تساعد الوصيَّة في إعطاء الإرشادات والتعليمات الخاصّة بالعناية بالأبناء. ففي حال عدم وجود وصيَّة، قد تُقَرِّر المؤسَّسات الحكوميَّة طريقة التصرُّف بالممتلكات، وكيفيَّة العناية بالأبناء. وفي بعض البلدان، يمكن للمرء أن يكتب وصيَّته الخاصَّة شرط أن يكون هناك شهود وأن تكون الوصيَّة مختومة مِن الكاتب العَدْليِّ. وفي حال وجود أموال وممتلكات كثيرة، قد تدعو الحاجة إلى استشارة أحد المُحامين.

التَّخطيط للدفن: باستطاعة المؤمنين المسيحيِّين المُسِنِّين أن يوفِّروا على عائلاتهم عناءً مِن خلال وضع خُطَّة مُسَبَّقة للدفن. يمكن تدوين مثلاً الخادم الذي سيتولَّى خدمة الجنازة، ونوع الكفن، والموسيقى وغيرها. ويجب إطلاع العائلة على مكان وجود الوصيَّة وغيرها مِن المستندات والسجلَّات الضروريَّة. وهناك مؤسّسات خاصَّة لديها كُتيِّبات تساعد العائلات على إعداد مِثل هذه الخطط. ويمكن أن تكون هذه التَّرتيبات ذات فائدة كبيرة للعائلات التي تَمُرُّ بفترة حزن.

القضايا الأخلاقيَّة: يوفِّر الطبُّ الحديث للعائلات خيارات صعبة قد تزيد ألَمهم وحزنهم. فقد بات بإمكان الجسم أن يبقى "حيًّا" حتَّى بعد توقُّف الدِّماغ

عن العمل. وبذلك، تجعل المستشفيات ومراكز الصدمات الموتَ أكثر صعوبةً على أفراد العائلة. وقد تصير القرارات مؤلمة جدًّا عندما يكون المريض مُسِنًّا أو مريضًا جدًّا. فهل ينبغي الاستمرار في استخدام مِثل هذه الأجهزة التي تُبقي المرء حيًّا؟ وهل ينبغي إعطاء الموافقة على عمليَّة جراحيَّة قد تُساعد في إطالة عُمْر المرء أسابيع أو أشهر قليلة في أفضل الأحوال؟ وهل ينبغي إعطاء المريض علاجًا يُشَكِّل في حَدِّ ذاته خطرًا على حياته، أو تكون نسبة نجاحه ضئيلة؟ ففي بعض الأحيان، يُفَضِّل المُسِنُّون الموت في البيت، بل قد يطلبون مِن أفراد عائلتهم عدم تقديم العلاج لهم في حال إصابتهم بمرضٍ خطير. وهناك حالات يُوَقِّع فيها المُسِنُّ على وصيَّة يطلب فيها عدم وضعه تحت أيّة أجهزة تُبقيه "حَيًّا" بعد موته دماغيًّا. لذلك، قد تساعد مناقشة هذه المسائل قبل حدوثها أفراد العائلة في اتِّخاذ القرارات الصَّعبة في وقتٍ لاحق.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

اختارت "آيلين" التي قام زوجها وابنتها برعايتها طَوال فترة مرضها ألّا تخضع للعلاج الكيميائي لمعالجة داء السَّرطان لديها. ففي حالتها، كانت نسبة نجاح العلاج الكيميائي ضئيلة جدًّا. علاوة على ذلك، رأت العذاب الذي يُعانيه الأشخاص الذين يخضعون لهذا النَّوع مِن العلاج، وشعرت أنَّ هذا العلاج لن يفعل شيئًا آخر سوى إطالة أمد مُعاناتها.

وقد بقي زوجها "لستر" على اتِّصال مع طبيبها في أثناء تدهور حالتها. وقد قال له الطَّبيب: "لا يمكننا فعل أيِّ شيء لمساعدتها في المستشفى".

ماتت "آيلين" بسكينة ذات صباح في وقتٍ كان فيه زوجها وابنتها وأحفادها مجتمعين من حول سريرها. ولم تكن هناك أيّة محاولاتٍ مُستميتة لإنعاشها، ولا أيُّ طنينٍ أو رنينٍ مِن أيِّ أجهزة طبيَّة، ولا غُرباء يَسترقون النَّظر. فما أن

لَفَظَت "آيلين" أنفاسها الأخيرة حتَّى انهمرت دموع أفراد العائلة واستغرقوا في التأمُّل والصَّلاة.

ولا شَكَّ أنَّ هناك حاجة للأجهزة الطبِّيَّة والمستشفيات والعمليَّات الجراحيَّة، ولا يمكن لجميع النَّاس أن يختاروا مكان موتهم أو الظَّرف الذي سيموتون فيه. ولكنَّ "آيلين" اختارت أن تَقبل الموت حين تحين ساعتها دون أيّة محاولة، بأيِّ ثمن، لتأجيل ما هو محتوم.

وقد يستمرُّ الطبُّ الحديث في توفير خيارات ليست طبِّيَّة، بل أخلاقيَّة. ومع أنَّ المبادئ التَّالية قد لا تُجيب عن جميع الأسئلة المطروحة، لكنّها قد تساعد المؤمنين المسيحيِّين عندما يواجهون قرارات مُشابهة:

١. مِن الخطأ أن نُفَكِّر في إنهاء الحياة حتَّى عندما يبدو لنا أنَّ الموت هو الخيار الأفضل. (انظر سفر الخروج ٢٠: ١٣؛ قارن بين ما جاء في سفر أيُّوب ٣ وأيُّوب ٤٢).

٢. يجب على المرء أن يبذل كُلَّ جهدٍ معقول للحفاظ على حياته وصحَّته (أفسُس ٥: ٢٩).

٣. يجب على المرء أن يَقبل الموت عندما تحين ساعته (٢تيموثاوس ٤: ٦- ٨؛ المزمور ٩٠: ١٠). في ضوء ذلك، هل ينبغي لنا أن نُعيد التَّفكير في جميع الجهود التي يبذلها البشر للبقاء أحياء بطريقة "صناعيَّة"، ولا سيَّما حين يكون الموت مُحَتَّمًا بسبب الشَّيخوخة أو المرض؟

٤. مِن الخطأ أن نلجأ إلى الأساليب التي يَزعم أُناسٌ أنَّها تُحافظ على الصحَّة أو تُطيل الحياة والتي ترتبط بالسِّحر والشَّعوذة (التَّثنية ١٨: ٩- ١٤). فقد يُفاجَأ المرء الذي يُعاني أحد أحبَّائه مرضًا خطيرًا مِن العلاجات "المُعجِزِيَّة" التي يَقترحها

عليه الأصدقاء والمعارف. والحقيقة هي أنَّ عددًا مِن هذه العلاجات لا يَضُرُّ. وهناك علاجات قليلة قد تكون مفيدة. ولكن هناك علاجات ترتبط بقوى مريبة مثل "مناطق الطاقة"، و"طاقة العقل"، و"حقول الطَّاقة في الجسم"، و"التأمُّل"، و"الأشعة الخفية" وغيرها من الأمور.

٥. يجب علينا ألَّا ننظر إلى الحفاظ على الصحَّة أو الحياة بمنظار "الغاية تُبَرِّر الوسيلة" (رومية ٣: ٨). فمع أنَّ الطِبَّ يفتخر بما يمكنه القيام به، لكن ينبغي للمؤمنين المسيحيِّين أن يُفَكِّروا في ما يجب عليهم القيام به. فإذا كان هناك شيءٌ ممكنٌ فعله، لا يعني البَتَّة أنَّه مِن الصَّواب أن نفعله حتَّى لو كانت النَّتيجة تبدو جيِّدة. فعلى سبيل المثال، وجد الباحثون في العقد التَّاسع مِن القرن العشرين أنَّه يمكن علاج مرض الباركنسون باستخدام أنسجة مأخوذة مِن أجِنَّة تَمَّ إجهاضها. كذلك، اقترح المُهندسون البيولوجيُّون معالجة مُتلازمة داون مِن خلال "تعديل" الجينات الوراثيَّة. بل اقترحوا أيضًا إمكانيَّة إنجاب أطفال حسب الطَّلب. ومع أنَّ هذا قد يبدو مُستبعدًا، لكنَّ أحد الكُتَّاب قال في سنة ١٩٦٩ إنَّ أشياء كهذه هي مسألة وقت فحسب. بل إنَّه قال بجرأة: "قريبًا جِدًّا: التحكُّم في الحياة، الحياة بأسرها، بما في ذلك حياة الإنسان، مع وجود الإنسان في مركز السَّيطرة. وقريبًا جِدًّا: التَّكوين الجديد أو التَّكوين الثَّاني. ولكنَّ الخالق هذه المرَّة هو الإنسان. والخليقة هي الإنسان أيضًا، إنّما إنسان بمواصفات جديدة، وعلى صورة جديدة، بل بالحريِّ على صُوَر عديدة جديدة".[4] إنَّ الإساءة إلى الله واضحة. لذلك، عندما نتحدَّث عن المجال الطبِّيِّ، يجب على المؤمنين أن يُفكّروا لا في ما بوسعهم القيام به، بل في ما هو صواب.

4 Albert Rosenfeld, *The Second Genesis: The Coming Control of Life* (سِفْر التَّكوين الثَّاني: السَّيطرة القادمة على الحياة) (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1969), p. 3.

فقدان شريك الحياة

رُبَّما تكون الصَّدمة الأكبر في حياة المرء هي موت شريك حياته لا سِيَّما الموت المُباغت الذي يترك الشَّريك الآخر أمام مسؤوليَّات كثيرة. وإلى جانب الحزن، هناك أسئلة لا حَصْر لها ومهامٌّ يبدو أنَّه يَصْعُب تَذليلُها. والحقيقة هي أنَّ كُلّ موقف يختلف عن الآخر، وتقديم النَّصائح أسهل بكثير مِن تطبيقها. ومع ذلك، يمكن أن تكون النِّقاط التَّالية مفيدة:

١. **لا تَتَّخذ قرارات مُهمَّة في غَمْرَة حُزنك أو إحباطك.** فقرارات مِثل التصرُّف في الأملاك، أو الانتقال إلى مكانٍ جديد، أو الزَّواج ثانيةً لها أثار بعيدة المدى. لذلك، إنَّها تتطلَّب حكمة. والحكمة تأتي مِن خلال دراسة كلمة الله، والصَّلاة، والاستماع إلى المشورة، والتَّفكير العميق.

٢. **يجب على الأرملة أن تطلب مشورة الرجال في عائلتها كأبيها، أو والد زوجها، أو أخيها الأكبر، أو أي رَجُل آخر من الأقرباء.** وهذا لا يعني أنَّ النِّساء أَقَلُّ كفاءة، لكنَّ استشارة أحد الرِّجال تَمنح المرأة شعورًا أكبر بالحماية مِن الخوف، والضَّغط النفسيِّ، وسوء الفهم.

٣. **مع أنَّه ينبغي للعائلة التي تفقد أحد الأبوَيْن أن تُوَطِّد علاقتها بعائلة الأب وعائلة الأمِّ، إلّا أنّها بحاجة أيضًا إلى وحدة قويَّة بين أفرادها.** ويجب على كُلِّ عائلة أن تَجِد التَّوازن المناسب لها.

٤. **يجب على الأب الأرمل أو الأمِّ الأرملة اللذَين يُفَكِّران في الزَّواج ثانيةً أن يُفَكِّرا مَليًّا في النِّقاط التَّالية:**

- لا يمكن لشريك الحياة الجديد أن يُعَوِّض عن شريك الحياة السابق. لذلك، يجب البدء في العلاقة الجديدة مِن نُقطة الصِّفر.
- لا ينبغي البدء في أيّة علاقة جديدة إلَّا بعد أن يتجاوز الأبناء مرحلة الحُزن. فبخلاف ذلك، قد يَنسب الأبناء حُزنهم إلى وجود زوج الأُمِّ أو زوجة الأب.

- إذا تَزَوَّج الرَّجُل الأرمل امرأةً أرملةً وكان لدى كُلٍّ منهما أبناء، ينبغي التصرُّف بحكمة فائقة. فهناك مشكلات لا يمكن التنبُّؤ بها في موقفٍ كهذا ولا سِيَّما إذا كان الأبناء يَنتمون إلى الفئة العُمريَّة نفسها والجنس نفسه. لذلك، قد يكون مِن الحكمة استشارة إحدى العائلات التي مَرَّت بظَرْفٍ مُشابه.
- عند الزَّواج ثانيةً في البيت نفسه، قد تقتضي الحكمة إجراء تغييراتٍ في البيت ولا سِيَّما في الأماكن التي تحمل ذكريات قويَّة مثل المطبخ، وغرفة الجلوس، وغرفة النَّوم (مثلاً إعادة ترتيب الأثاث، أو تغيير غرفة النوم، وإلخ).
- لا تُقْدِم على هذه الخطوة دون دعم الأشخاص المُقَرَّبين إليك (أفرادُ عائلتك، وكنيستك، وأصدقاؤك المقرّبون). فمِن المؤكَّد أنَّك ستحتاج إلى دعمهم في الأشهر القادمة.

٥. **ستظهر لدى الأشخاص الذين يبقون دون زواج بعد فقدان شريك حياتهم احتياجات يستطيع الله وحده أن يسدّها.** ولا شَكَّ أن هناك احتياجات مُلِحَّة كالحاجة إلى رفيق، والحاجة إلى الحكمة، والحماية. ولكنَّ نعمة الله قادرة على سَدِّ جميع هذه الاحتياجات. فالشَّخص الذي سَمِع الربَّ يقول له: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ" (٢كورنثوس ١٢: ٩) كان رجلاً أعزب.

٦. **لا شَكَّ أنَّ رعاية الأبناء مسؤوليَّة كبيرة على الشخص الذي يفقد شريك حياته.** ولا شَكَّ أنَّ فقدان الأب أو الأمِّ يترك فراغًا كبيرًا في العائلة. وفي حالةٍ كهذه، يمكن أن تكون علاقات الأبناء الوطيدة بالجَدِّ والجَدَّة، والأعمام والعَمَّات، والأخوال والخالات مُفيدة جدًّا. ولكن يجب على الأُمِّ الأرملة أو الأب الأرمل التَّفكير في حاجاتهما الخاصّة أيضًا. ينبغي أن يكون لديهما صديق أو صديقة أو عائلة جديرة بالثِّقة للمشاركة معهم والاستعانة بمشورتهم. ولكن ينبغي للأرمل أو الأرملة أن يحترسا مِن الفِخاخ التَّالية:

- العشوائيّة في الحياة.
- السُّلوك الانعزاليُّ.

- التعلُّق بالماضي (محاولة العيش على الأطلال).
- إنكار الماضي.
- الرثاء للذات واليأس.
- الإفراط في حماية الأبناء.
- الاستياء مِن المسؤوليَّات.

تقع أغلبيَّة الآباء والأمَّهات الأرامل في تلك الأمور التي تمّ ذكرها بدرجات متفاوتة. ولا شَكَّ أنَّ الوقوع في هذه الفِخاخ هو دلالة واضحة على أنَّ الشَّخص "غارق" في الحزن، أو أنَّه لا يَسمح لنفسه باختبار الشِّفاء الذي يريده الربُّ له. وفي ما يلي لائحة بالخطوات الإيجابيَّة التي يمكن للمرء القيام بها لتجَنُّب هذه الفِخاخ:

- واجه الواقع بشجاعة.
- اسمح لنفسك بأن تَحزن.
- عَبِّر لله عن إيمانك به في فترة حُزنك.
- عَبِّر دائمًا عن امتنانك لله، وللنَّاس، ولأبنائك.
- اطلب مِن الله أن يُرشدك إلى الأمور التي يريد مِنك أن تقوم بها. دَوِّنها ولا سِيَّما إذا كنتَ تَشعر بأنَّ الحياة عديمة المغزى.
- ابحث عن وعود الله للأرامل والأيتام والمعوزين. دَوِّنها، واقرأها، وأعِد صياغتها، وطالب الله بها.
- طوِّر عادةَ وضع جميع طلباتك واحتياجاتك ومشكلاتك أمام الربِّ.

وفي ما يلي مجموعة مِن الآيات الكتابيَّة المُعَزِّية للأشخاص الذين فقدوا أحد الأحبَّاء:

اهتمام الله بأحزاننا:

"عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ" (المزمور ١١٦: ١٥).

"ثُمَّ لاَ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ الرَّاقِدِينَ، لِكَيْ لاَ تَحْزَنُوا كَالبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ" (١تسالونيكي ٤: ١٣).

"رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا..." (إشعياء ٥٣: ٣ و٤).

"سَاخَتْ مِنَ الغَمِّ عَيْنِي... الرَّبّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ بُكَائِي. سَمِعَ الرَّبُّ تَضَرُّعِي. الرَّبُّ يَقْبَلُ صَلاَتِي" (المزمور ٦: ٧- ٩).

"يَشْفِي [اللهُ] المُنْكَسِرِي القُلُوبِ، وَيَجْبُرُ كَسْرَهُمْ" (المزمور ١٤٧: ٣).

"تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ المُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِـي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مَتَّى ١١: ٢٨).

"وَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً لِي: "اكْتُبْ: طُوبَى لِلأَمْوَاتِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الرَّبِّ مُنْذُ الآنَ". "نَعَمْ" يَقُولُ الرُّوحُ: "لِكَيْ يَسْتَرِيحُوا مِنْ أَتْعَابِهِمْ، وَأَعْمَالُهُمْ تَتْبَعُهُمْ"" (سِفْر الرُّؤيا ١٤: ١٣).

"وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤيا ٢١: ٤).

محبَّة الله للأطفال:

"وَتَمْتَلِئُ أَسْوَاقُ المَدِينَةِ مِنَ الصِّبْيَانِ وَالبَنَاتِ لاعِبِينَ فِي أَسْوَاقِهَا" (زكريَّا ٨: ٥).

"فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: "دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ

مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ". فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ" (مرقس ١٠: ١٤- ١٦).

"اُنْظُرُوا، لا تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ... هكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةً أَمَامَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ" (مَتَّى ١٨: ١٠ و١٤).

اهتمام الله بالأرامل والأيتام:

"أَنْتَ صِرْتَ مُعِينَ ٱلْيَتِيمِ" (المزمور ١٠: ١٤)

"أَبُو اليَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ، اللهُ فِي مَسْكِنِ قُدْسِهِ. اَللهُ مُسْكِنُ المُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ" (المزمور ٦٨: ٥ و٦).

"الرَّبُّ يَحْفَظُ الغُرَبَاءَ. يَعْضُدُ اليَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ" (المزمور ١٤٦: ٩).

"لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى" (إشعياء ٥٤: ٥). (مع أنَّ هذه الآية تُشير إلى الشعب القديم في العهد القديم، لكنّها تَصِحُّ على الأرامل أيضًا.)

تَعَهُّد الله بِسَدِّ حاجات شَعبه:

"لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ تَجُولاَنِ فِي كُلِّ الأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ" (٢ أخبار الأيَّام ١٦: ٩).

"لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ" (مَتَّى ٦: ٣٣).

"لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ. وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي

المَسيحِ يَسُوعَ... فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي المَجْدِ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ" (فيلبِّي ٤: ٦ و٧ و١٩).

وعود الله للمُستقبل:

"لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضًا مَعَهُ" (١تسالونيكي ٤: ١٤).

"هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ البُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الفَاسِدَ لاَ بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا المَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هذَا الفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا المَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الكَلِمَةُ المَكْتُوبَةُ: "ابْتُلِعَ المَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ". "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكَ يَا هَاوِيَةُ؟"... وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يُعْطِينَا الغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ" (١كورنثوس ١٥: ٥١- ٥٥ و٥٧).

"أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ الله، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (١يوحنَّا ٣: ٢).

"فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ العَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا... فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا" (رومية ٨: ١٨ و٢٢ و٢٣).

"لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ. فَإِنَّنَا فِي هذِهِ أَيْضًا نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ" (٢كورنثوس ٥: ١ و٢).

"وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا البِرُّ" (٢بطرس ٣: ١٣).

الخُلاصة

"وَلكِنَّ الإِنْسَانَ مَوْلُودٌ لِلْمَشَقَّةِ كَمَا أَنَّ الجَوَارِحَ لارْتِفَاعِ الجَنَاحِ" (أيُّوب ٥: ٧). إنَّ المِحَن، والمشكلات، والمرض، والموت هي جزء لا يتجزَّأ من النِّظام السَّائد في العالم. وهذه جميعها تُسَبِّب الألم والحزن لنا جميعًا. ولكنَّ نعمة الله تكفي لتخليص المُتَّكلين عليه، ولمساعدتهم في تحمّل المِحَن والتَّجارب والموت نفسه إلى أن يَعبُروا بوَّابة النَّصر. وبالنِّسبة إلى الأشخاص الذين يمَرُّون بأوقاتٍ عصيبة، إنَّ كلمة الله، والشَّركة مع الإخوة والأخوات في الكنيسة، والصَّلوات، والأقارب في العائلة الكبيرة هي موارد ثمينة يَستمدُّ منها المرء القُوَّة والمشورة والتَّشجيع.

لِنُفَكِّر معًا

١. لقد تحدَّثنا في هذا الفصل عن المواقف الصَّحيحة والمواقف الخاطئة مِن نحو المشكلات. ما هي المواقف الأخرى التي يمكنك أن تُضيفها إلى هاتين اللَّائحتين؟

٢. ما هي المؤشِّرات التي تَدُلُّ على أنَّ المرء لم يَتقبَّل الجوانب التي لا يمكن تغييرها في الموقف الصَّعب؟

٣. كيف ينبغي للمرء أن يتصرّف عندما يرى شخصًا يَسْخَر مِن شخصٍ لديه إعاقة أو يقوم باستغلاله؟

٤. ما هي بعض الأنشطة الجماعيَّة التي يمكن للأعمى الاشتراك فيها وتلك التي لا يمكنه الاشتراك فيها؟ وماذا عن الشَّخص الأصَمِّ؟ وماذا عن الشَّخص الذي يَستخدم عُكَّازَيْن؟

٥. عندما لا يعود الأبوان قادرين على القيام بمسؤوليَّاتهما، كيف يمكن للأبناء أن يَضطلعوا بمسؤوليَّة اتِّخاذ القرارات دون التَّصادُم مع الأبوَيْن، ودون التعرُّض لمقاومتهما؟

٦. عَرِّف "**الإصغاء الإيجابي**" بكلماتك الشخصيَّة. ما هي الأمور التي يُساعد الإصغاء الإيجابي على تَجَنُّبها؟ وما هي المواقف التي لا يكون فيها الإصغاء الإيجابي مفيدًا؟ وما هي المواقف التي قد يكون فيها الإصغاء الإيجابي مفيدًا مع غير المُسِنِّين؟

٧. كيف يمكن للرِّجال والنِّساء أن يحزنوا بطريقتين مُختلفتين؟ وكيف يمكن للأطفال والرَّاشدين أن يحزنوا بطريقتين مُختلفتين؟

٨. ما هي القوانين المُتَّبعة في بلدك عندما يموت أحد الأشخاص دون أن يترك وَصِيَّة؟

٩. ما هي المُعضلات الأخلاقيَّة التي واجهها معارفك مِن المؤمنين في المجال الطبِّيِّ؟ وما هي المبادئ التي تُطبَّق على تلك المواقف؟

١٠. هل تَعرف عائلتَين اندمجتا بعد موت شريك حياةٍ في كلٍّ منهما؟ ما هي المشكلات التي واجهتها العائلتان؟

لِنَعمل معًا

١. اذكر المشكلات التي واجهتموها كعائلة. قَيِّم مواقفكم. هل قبلتم الواقع بطريقة معقولة؟ ما هي الخطوات التي يمكنكم القيام بها للتحلِّي بالإيمان وروح الشُّكْر؟

٢. ناقش الطَّرائق التي يمكنك مِن خلالها تنمية رهافة حِسِّك تُجاه الأشخاص الذين لديهم إعاقة. هل تَعرف شخصًا لديه إعاقة مختلفة عن الإعاقات المذكورة في هذا الفصل؟ ما هي الاقتراحات التي يمكنك الإدلاء بها للتَّعامل مع أصحاب هذه الإعاقات تعامُلاً لائقًا؟

٣. هل لديكم في العائلة أب أو أُمّ أو جَدّ أو جَدَّة بحاجة إلى الرِّعاية في السَّنوات القادمة؟ هل ناقشتم الخيارات المُتاحة بينكم مِن جهة، وبين الشَّخص المَعنيِّ مِن جهة أخرى؟ هل لديكم نظرة سليمة للمُسنِّين وصفاتهم ومشكلاتهم؟ هل هناك أشياء ترغبون في تعديلها أو التَّخطيط لها في ضوء دراستكم القضايا المطروحة في هذا الفصل؟

٤. بصفتك أبًا أو أمًّا، هل قُمتَ بالتَّرتيبات اللَّازمة في حال وفاتك كي لا تترك شريك حياتك وأبناءك أمام قرارات ومشكلات صعبة؟ إذا لم تفعل ذلك بعد، ما هي الخطوات التي ينبغي لك اتّخاذها؟

الفصل التَّاسع

عندما يَنهار البيت

المقدِّمة

إنَّ خُطَّة الله للعائلة، إذا نُفِّذَت تنفيذًا صحيحًا وسليمًا، توفِّر شعورًا بالأمان والاستقرار لجميع أفراد العائلة. فهناك ما يكفي مِن المحبَّة والاحترام للجميع. وهناك قيادة، ودعم، وعمل مُتناغم بين الجميع. ولكن عندما يَحيد النَّاس عن طُرُق الله، ستكون النَّتيجة المتوقَّعة معكوسة. فيَرتَدُّ عِصياننا علينا بالشعور بالخوف، والرَّفض، والغضب، والألم. وهو يُمَزِّق الرَّوابط العائليَّة ويترك أفراد العائلة في أغلب الأحيان مُحَطَّمين ومجروحين ومُثقَلين بالهموم.

سنتطرَّق في هذا الفصل إلى التمرُّد ونَرى تأثيره على العائلة، والحلول المناسبة لمعالجته.

الأبناء المُتمرِّدون والآباء المُتألِّمون

لا شَكَّ أنَّ جميع الآباء المؤمنين يريدون أن يكبر أولادهم ويخدموا الرّب. ولا شَكَّ أيضًا أنَّ الأبناء الذين يولدون في عائلة مؤمنة يبدأون هذه الرِحلة مِن نُقطة ما. فهناك وقتٌ يبتدئون فيه في التَّرنيم، والصَّلاة، والذَّهاب إلى الكنيسة، والإيمان بما تَلَقَّنوهُ مِن أبوَيْهم. ولكِن قد يرفض الأبناء إيمانهم القديم ويسيرون في طريقٍ اختاروه لأنفسهم في مرحلة مُعَيَّنة مِن حياتهم. وقد تتدهور علاقة الأبناء بالأبوَيْن؛ بل قد يَصِل الأمر إلى حَدِّ العِصيان الصَّريح. وهناك نوعٌ مِن العصيان السلبيِّ الذي يقول فيه الأبناء إنَّ "الإيمان المسيحيَّ لا يُناسبني". وهناك أبناء يتخلُّون عن أمانتهم للربِّ بعد تَرْك المنزل والاستقلال بحياتهم، أو حتَّى بعد أن يتزوَّجوا ويصيروا مسؤولين عن عائلة.

والسُّؤال البديهيُّ الذي يَطرحه الأبوان المؤمنان عادةً هو: لماذا؟ وإذا كان الأبوان مِن النَّوع الذي يَقلق كثيرًا، قد يَدفعهما هذا السُّؤال إلى فحص أنفسهما فحصًا دقيقًا ومؤلمًا. فبسبب الشعور بالإخفاق، والتوتُّر الناشئ عن المُشاحنات المُتكرِّرة بينهما وبين أبنائهما، والخوف مِن المستقبل، قد يُصاب الأبوان بالأرَق في اللَّيل وبانعدام السَّلام في النَّهار.

لماذا؟ إنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال قد تتفاوت مِن حالة إلى أخرى. وكثيرًا ما تكون الأسباب متداخلة، ومع أنَّ الأبوَيْن قد يُدركان ما يجري، لكنَّ تقييم ما يجري تقييمًا موضوعيًّا يُصبح صعبًا للغاية بسبب عواطفهما ومشاعرهما الجريحة. ولكن حتَّى لو كان الأمر كذلك، هذا لا يمنعنا مِن التطرُّق إلى أهَمِّ أسباب التمرُّد عند الأولاد.

١. **الخطيَّة**: وجود الخطيَّة فينا يَجعلنا جميعًا مُعَرَّضينَ للوقوع في فَخِّ العِصيان. ولا يمكننا بواسطة التربية أن نَنزع هذه الطَّبيعة الخاطئة، ولا يمكننا أن نأمرها بالخروج. ولكن يمكن إبطال قَوَّتها وتأثيرها فقط من خلال سُكْنى الرُّوح القُدُس

فينا عبر تسليم حياتنا للربِّ يسوع المسيح. "عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا العَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلخَطِيَّةِ" (رومية ٦: ٦).

وهذا لا يلغي دَوْر الأبوَيْن في تربية الأبناء. فالتَّربية تُجهّز الأبناء بالفهم السليم، والمواقف الصحيحة، وتُدَرِّبهم على الطَّاعة كي يصبحوا مُستعدِّين لتسليم حياتهم للربِّ يسوع المسيح عندما يحين الوقت المناسب. مع أنّنا نُدرك أهميّة التَّربية في البيت ومسؤوليَّة الأبوَيْن في تعليم أبنائهما مبادئ السُّلوك واللَّياقة بحسب المبادئ الإلهيَّة، إلّا أنَّ هذا لا يلغي حقيقة وجود الخطيَّة في كلّ شخص. وفي نهاية المَطاف، وبالرَّغم من كُلِّ التأثيرات الأخرى، سوف يكون كُلُّ شخصٍ مسؤولاً عن خياراته. وسيهلك الأبناء الذين يُصِرُّون على تَمَرُّدهم إذا لم يتوبوا لأنَّهم اختاروا طريق الخطيَّة والعصيان.

٢. **إخفاق الأبوَيْن في ضبط أولادهما:** كما ذَكَرنا آنفًا، لا تلغي مسؤوليَّة الأبناء الشخصيَّة عن حياتهم مسؤوليَّة الأبوَيْن في تربيتهم. فقد يَكون السَّبب في تَمَرُّد الأبناء هو أنَّ الأبوَيْن أخفقا في تربيتهم. قال الله عن عَالي الكاهن: "قَدْ أَخْبَرْتُهُ بِأَنِّي أَقْضِي عَلَى بَيْتِهِ إِلَى الأَبَدِ مِنْ أَجْلِ الشَّرِّ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ بَنِيهِ قَدْ أَوْجَبُوا بِهِ اللَّعْنَةَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَرْدَعْهُمْ" (١صموئيل ٣: ١٣). ومع أنَّه باستطاعة الأبوَيْن أن يَحصلا على الغُفران من الله عن إخفاقهما في تربية أبنائهما، لكنّهما لا يستطيعان إعادة عقارب السَّاعة إلى الوراء. والإخفاق في رَدْع أبنائهما يَعني -ضِمْنِيًّا- أنَّهما اختارا أنْ يُكْرِما تَمَرُّد أبنائهما بدلاً من إكرام قداسة الله (انظر ١صموئيل ٢: ٢٩). والنَّتيجة الحَتميَّة لذلك هي الحزن للوالِدَيْن.

٣. **قسوة الأبوَيْن في ممارسة السلطة:** "أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ لِئَلاَّ يَفْشَلُوا" (كولوسي ٣: ٢١). فمع أنَّ التَّأديب والعَصا ضَروريَّان عند تربية الأبناء، لكن يجب أن يُمارَس ذلك بمحبَّة من أجل الحصول على النَّتائج المَرجوَّة. فالقسوة تُعطي نتائج عَكسيَّة. وهي قد تُفْضي إلى ردود أفعال بدلاً من الخضوع. السُّلطة التي مَنَحَها اللهُ لهما ليست رُخْصَةً لتفريغ غضبهما على أبنائهما. فعندما يَصْرُخ

الأبوان، ويتسلَّطان، ويضربان أبناءهما بغضب، إنَّهما يُرغمانهم على الخضوع. ولكنَّ هذا المفهوم الخاطئ والخطير للسُّلطة قد يَجعل الأبناء يستاءون أكثر فأكثر إلى أن يَظهر ذلك في شكل تَمَرُّد عندما يصبح الابن مراهقًا.

٤. **أنماط الاستقلال:** "وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأسَ كُلِّ رَجُل هُوَ المَسِيحُ، وَأَمَّا رَأسُ المَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأسُ المَسِيحِ هُوَ اللهُ" (١كورنثوس ١١: ٣). "اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ" (رسالة العبرانيِّين ١٣: ٧). يَعمل الأبوان أحيانًا على تشويه مفهوم السُّلطة لدى أبنائهما بسبب محاولاتهما الدَّائمة للتملُّص مِن أيِّ سُلطانٍ وَضَعَهُ الله عليهما. فعندما لا يحترم الأبوان السُّلطة، إنَّهما يُسهمان في زيادة فُرصة تَمَرُّد أبنائهما. وقد تكون هذه العمليَّة خادعة جدًّا. فالأمُّ التي تقاوم سُلطة زوجها قد تَنجح في ضَمِّ أبنائها إلى صَفِّها إلى حين. ولكنَّها ستجد لاحقًا أنَّهم يغضبون عليها ولا يحترمونها. وقد ينتقد الأبوان الكنيسة وقادتها فيحصدان لاحقًا تَمَرُّد الأبناء وعصيانهم. ومِن دواعي الأسف أنَّ هناك آباء يَلومون الكنيسة على تَمَرُّد أبنائهم.

٥. **المُراءاة أو النِّفاق:** "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الكَتَبَةُ وَالفَرِّيسِيُّونَ المُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ" (إنجيل مَتَّى ٢٣: ١٣). إنَّ عدم التوافق بين ما نقوله ونفعله، يكون عائقًا لدخول أُناسٍ ملكوت الله. وقد يُشَكِّل هذا الأمر تَحَدِّيًا كبيرًا أمام الشُّبَّان والشابَّات بسبب بحثهم عن المثاليَّة. لذلك، ما أسهل أن يَسقط هؤلاء في فَخِّ التمرُّد بسبب الأبوَيْن وقادة الكنيسة الذين لا تَتَّفق أقوالهم مع أفعالهم، والذين يَكيلون الأمور بمِكيالَيْن، والذين يُحابون، والذين يَظْلُمون، والذين يُمارسون النِّفاق. ويميل الإنسان بطبيعته إلى إخفاء خطيّته من خلال إلقاء اللَّوم على الآخرين. وقد يُسْهِم ثَبات الأبوَيْن في مواقفهما وسلوكيَّاتهما في عدم تمرُّدِ الأبناء. لذلك، يجب على الزَّوج والزَّوجة أن يكونا مُخْلِصَيْن في حُبِّهما أحدهما

للآخر، وفي تكريسهما لله في حياتهما اليوميَّة. وهذه القداسة في البيت تُحافظ على نَزاهة الأبوَيْن وتُعطيهما مِصداقيَّة مع أبنائهما.

٦. **النزعة المادِّيَّة**: "وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي العَطَبِ وَالهَلاَكِ. لأَنَّ مَحَبَّةَ المَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ" (١تيموثاوس ٦: ٩ و١٠). إنَّ عصيان الأبناء هو واحد من أوجاع كثيرة تَنْجُم عن الانغماس في المادِّيَّات. فالأبوان اللَّذان يَهتمَّان بكَنْز المال، أو اللَّذان يَسمحان لأبنائهما بالانغماس في أمور هذا العالم سيواجهان صعوبة بالغة في إقناعهم بالاهتمام بالأشياء السَّماويَّة.

٧. **حُبُّ العالم**: "أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ العَالَمِ عَدَاوَةٌ للهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لله" (يعقوب ٤: ٤). وأيضًا: "لاَ تُحِبُّوا العَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي العَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ العَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ. لأَنَّ كُلَّ مَا فِي العَالَمِ: شَهْوَةَ الجَسَدِ، وَشَهْوَةَ العُيُونِ، وَتَعَظُّمَ المَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ العَالَمِ. وَالعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ" (١يوحنَّا ٢: ١٥- ١٧). فأهل العالم لهم ملابسهم، وموسيقاهم، ووسائل التَّسلية الخاصَّة بهم.[١] لذلك، قد يَخدع الأبوان نفسَيْهما حين يَظُنَّان أنَّه بإمكانهما قبول بعض أشياء العالم دون دَفْع ثَمَن تلك المُساومة. فكُلُّ خطوة يَخطوها أبناء هذا الجيل باتِّجاه العالم تُهَيِّئ الجيل القادم للقيام بخطوات إضافيَّة عديدة.

٨. **فَرْط الانهماك في أشاغيل الحياة**: أوصاكَ اللهُ بأن تُعَلِّم أبناءك طُرُقه ووصاياه "حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ

١ لقراءة المزيد عن حال الموسيقى في وقتنا الرَّاهن والمبادئ الكتابيَّة التي يمكننا الاسترشاد بها، انظر:
Music in Biblical Perspective (الموسيقى من منظور الكتاب المقدَّس)،
by John Coblentz, published By Christian Light Publications, Inc., 1986.

تَقُومُ" (التَّثنية ٦: ٧). ومن دواعي الأسف أنَّ هناك آباء وأمَّهات لا يجلسون في بيوتهم ولا يأتون إليها إلَّا قليلاً. فالآباء في أيَّامنا هذه مُنهمكون في أشاغيل الحياة، بل وحتَّى في أشاغيل الخدمة المسيحيَّة، حتَّى إنَّهم لا يَصرفون وقتًا مع أبنائهم. وقد قال أحد الآباء إنَّ الأطفال يُدركون محبَّة الأبوَيْن لهم من خلال **الوقت** الذي يصرفونه معهم.[٢] وسواء كان التَّقصير مقصودًا أم لا، إنَّه يَعني الرَّفض في نظر الأبناء. وقد يكون تمرُّد الأبناء أحيانًا رَدَّ فعلٍ على أَلَم الشُّعور بالرَّفض.

٩. **الاستماع إلى مشورة غير المؤمنين:** "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلاً" (المزمور ١: ١ و٢). وأيضًا: "كُفَّ يَا ابْنِي عَنِ اسْتِمَاعِ التَّعْلِيمِ لِلضَّلاَلَةِ عَنْ كَلاَمِ الْمَعْرِفَةِ" (أمثال ١٩: ٢٧). فقد يَنجرف الأبناء أحيانًا في حياة التمرُّد والعصيان بسبب المشورة السيِّئة التي يستمعون إليها. فالتَّعليم في مدارس وكُلِّيَّات وجامعات كثيرة وحتى في بعض الكُلِّيَّات المسيحيّة بعيدٌ كُلَّ البُعد عمّا تُعَلِّمُه كلمة الله. وقد لا تكون المشورة رسميَّة كي تترك تأثيرًا سلبيًّا على الأبناء. فقد يترك اختلاط الأبناء برفقائهم تأثيرًا سلبيًّا بسبب المشورة الخاطئة التي يتلقُّونها منهم ولا سيَّما إذا كان هؤلاء يعيشون في بيوت خالية من أيّة رقابة على التِّلفزيون ووسائل التَّسلية. أمَّا الأبوان اللَّذان يرغبان في تَجَنُّب الألم النَّاجم عن تَمَرُّد أبنائهما فيسهران على سلامة حياة أبنائهما الاجتماعيَّة والتَّعليميَّة.

١٠. **الخلافات بين الأبوَيْن:** فالأبناء الذين يراقبون أبوَيْهما وهُما يتشاحنان ويتشاجران ويتخاصمان قد يَلتقطون هذه العادات نفسها بسهولة. وبسبب هذه المواقف بين الأبوَيْن، يتعلَّم الأبناء التهكّم، وإلقاء اللَّوم، والمُجادلة، والتجهُّم، وإلخ. ولكنَّ المشكلات التي يعانيها الأبناء بسبب الخلافات بين الأبوَيْن لا تَقتصر على الأضرار النَّاجمة عن القدوة السيِّئة. فالأبوان اللَّذان يعيشان في شِجارٍ دائم

2 Wilson Grant, *Taking Time Out to Be Dad* (كيف تُخَصِّص وقتًا لتكون أبًا) (Arcadia, California: Focus on the Family, Inc., 1986), p. 3.

يُمَزِّقان شعور الأبناء بالأمان. والطِّفل الذي يُشاهد بأُمِّ عينيه انهيار العلاقة بين والديه يَعجز عن وصف الألم والضَّياع اللَّذين يَشعر بهما. وفي خِضَمِّ هذه البيئة المشحونة بمشاعر انعدام الأمان، والشُّعور بالامتعاض، والشُّعور الزَّائف بالذَّنب، والشُّعور بالخِزي، والشُّعور بالعجز بسبب عدم القدرة على تسوية الخلافات بين الأبوَيْن، لا عَجَب أنَّ الأبناء يجدون ألف سببٍ وسبب للتمرُّد لاحقًا. ومع أنَّ الخلافات بين الأبوَيْن قد لا تكون ظاهرة وعنيفةً، لكنَّ الأبناء يَشعرون بآثارها. فاستياء الأبوَيْن الدَّفين أحدهما مِن الآخر، وعبوسهما أحدهما في وجه الآخر، وتحايُل الواحد على الآخر في الخفاء، هي أمور يَشعر بها الأبناء دون أن يفهموها تمامًا. لذلك، إنَّ الأبوَيْن المُتخاصِمَيْن دائمًا يَتسَبَّبان في شعور أبنائهما بعدم الأمان، والغضب. وقد يُفْضي ذلك إلى تَمَرُّد الأبناء وتكرير أخطاء الأبوَيْن بدرجةٍ أكبر.

وبسبب تأثير الأبوَين الهائل على أبنائهما، يجب على الأبوَيْن اللَّذَيْن يُلاحظان أيَّ تَمَرُّد لدى أبنائهما أن يَفحصا نفسَيهما جيِّدًا. ومع أنَّ هذا الفحص قد يكون مؤلمًا، إلّا أنّه ضروريٌّ. ولا شَكَّ أنَّ فحص الذَّات يتطلَّب حكمة. وقد يقتضي الأمر أحيانًا طلب المساعدة مِن شخص مُحايد مثل راعي الكنيسة مثلاً. فإذا لم يتصرَّف الأبوان بحكمة في هذا الأمر، قد يصير فحص الذَّات تأنيبًا للذَّات، ويزيد التَّشويش العاطفيَّ بدلاً مِن الفهم الروحيّ.

وعندما يكتشف الأبوان سبب المشكلة، يجب عليهما أن يَعترفا بها أمام الله. ويجب عليهما أن يُدركا بوضوحٍ تامٍّ الغاية الأساسيَّة مِن هذه التَّوبة. ليست الغاية الأساسيَّة منها إحداث تغييرٍ جذريٍّ في حياة الأبناء المُتمَرِّدين، بل التَّصالُح مع الله. فإذا كان سبب تَمَرُّد الأبناء هو خطأ الأبوَيْن، يجب على الأبوَيْن أن يَعلما أنَّ هذا الخطأ يُحْزِن قلب الله. وقد يكون تَمَرُّد الأبناء تأديبًا مِن الله. لذلك، يجب على الأب المُخطئ أن يتوب عن خطيّته لأنَّ حياته في هذا المجال لا تُمَجِّد الله.

وإذا كان الأبوان مُرهفَيْ الحسِّ وقابلَين للتعليم، سيكتشفان أنَّ مَراحِمَ الربِّ جديدة في كُلِّ صَباح. وسيَطلبان الإرشاد مِن الله لتقويم الأمور المُعوجَّة في

حياتهما مثل جدول العمل، والقِيَم، والعلاقات. ومع أنَّ البَرَكات المُرافقة للتَّوبة والطَّاعة لن تَنزع كُلَّ الألم النَّاجم عن تَمَرُّد الأبناء وعصيانهم، إلّا أنّها ستكون الجذور الروحيَّة العميقة التي تَجعلهما يَقتربان إلى الله أكثر فأكثر.

والسُّؤال الذي يَطرحه الأبوان عندما يُلاحظان تَمَرُّد أبنائهما هو: "كيف نتعامل معهم؟" و"ما الذي يمكننا القيام به؟" والحقيقة هي أنَّه لا توجد إجابات سهلة. فقد يكون الأبناء في البيت نفسه، أو رُبَّما تركوه، أو أسَّسوا عائلات.

وبمناسبة الحديث عن كيفيَّة التَّعامل مع الأبناء المُتمرِّدين، لنُلقِ نظرةً على عددٍ مِن الأمور المهمَّة التي ينبغي تَجَنُّبها:

أ. **لا تُكْثِر مِن التذمّر أو التوسُّل:** يحتاج الأبناء المُتمرِّدون إلى سماع روح الله يتكلَّم إليهم. وقد يلتجئ الأبوان أحيانًا إلى تعنيف أبنائهما المُتمرِّدين بنيّة حسنة. ومع ذلك، فإنَّ كَثْرَة انتقاد الأبناء وتوبيخهم قد تَمنع الأبناء المُتمرِّدين مِن سماع صوت الله.

ب. **لا تتنازل عن مبادئك مِن أجل الحفاظ على الوِفاق:** قد تكون هذه النُّقطة هي الوجه الآخر للنُّقطة الأولى المذكورة آنفًا. فمع أنَّ الأبوَيْن مُطالَبان بعدم المُبالغة في انتقاد أبنائهما وتوبيخهم، فإنَّهما مُطالبان أيضًا بعدم التَّغاضي عن تَمَرُّد أبنائهما. وفي هذا الإطار، ينبغي للأبوَيْن أن يُدركا أنَّه بسبب اختلاف الأشخاص في التَّجاوب مع وصايا الله، لا بُدَّ مِن تَوَتُّر الأجواء بينهم. والحقيقة هي أنَّ هذا التوتُّر ضروريٌّ. ومع أنَّ الحكمة تقتضي مِن الأبوَيْن عدم زيادة هذا التوتُّر بينهم وبين أبنائهما من خلال الإفراط في انتقادهم وتوبيخهم، إلّا أنَّ الحكمة تقتضي أيضًا عدم التَّغاضي عن أيِّ تَمَرُّد كما لو أنَّ كُلَّ شيءٍ يسير على ما يُرام. وفي الأوقات التي ترتفع فيها وتيرة التوتُّر، يجب على الأبوَيْن مناقشة الأمر مع أبنائهما بشفافيَّة ولُطْف وحِسٍّ مُرهف، ويُوَضِّحا لهم وجهة نظرهما.

ج. **لا تُمارِس الضَّغط العاطفيِّ:** والمقصود بمُمارسة الضَّغط العاطفيِّ هو أن نُحاول إرغام أبنائنا على القيام بما نُريد مِن خلال دفعهم إلى الشُّعور بالذَّنب

إن لم يَفعلوا ما نَطلبه منهم. ولأنَّ هذا الأسلوب يُرَكِّز على العواطف، فهو يُعَدُّ طريقة مُلتوية. فعبارات مِثل "أنتَ ستدفنُ أُمَّك باكرًا" أو "إذا أردتِ أن تموتي وأنتِ شابَّة فأنْتِ حُرَّة" قد تَضَع عبئًا نفسيًّا على الأبناء. وتؤدّي هذه العبارات إلى ردود أفعال لا إلى النَّدم. وفي أغلب الأحيان إنَّ الآباء الذين يستخدمون هذا النَّوع مِن الضَّغط النفسيِّ على أبنائهم لا يُدركون ذلك. وحين يَعتاد الأبوان على استخدام هذه الطَّريقة، لا يكتفيان باستخدام الكلمات والملاحظات، بل قد يستخدمان أيضًا تعبيرات الوجه والصَّمت كوسائل ضغط.

د. **لا تحمي ابنك المُتَمَرِّد مِن عواقب سلوكه:** طريق العصيان له عواقبه دائمًا. والله حريصٌ على تأديب أولاده. وإذا أدرك الأبوان هذا الحَقَّ سيتوقَّفا عن محاولة الضَّغط على ابنهما المُتمرِّد كي يعود إلى درب الإيمان. فعلى سبيل المثال، إذا قام الابن البالغ مِن العُمر ١٩ سنة بتحطيم سيَّارته بسبب القيادة تحت تأثير المشروبات الكحوليَّة، يجب على الأبوَيْن أن يَمتنعا عن إقراضه المال لشراء سيَّارة أخرى. كذلك، يجب على الأهل أن يَمتنعا عن إخراج ابنهما مِن السِّجن بكفالة إذا كان يَستحقُّ السِّجن. ومع أنَّ هذا قد يُثير غضب الأبناء المُتمرِّدين، إلّا أنّه غضب نابع مِن أنانيَّتهم. وقد يَتظاهر الابن المُتمرِّد بالغضب إذا كان يَعلم أنَّ ذلك سيولِّد لدى أبوَيْه شعورًا بالذَّنب. وعندما يَسمح الأبوان لشعورهما بالذَّنب أن يَدفعهما إلى إنقاذ ابنهما مِن الورطة التي أوقع نفسه فيها، فإنَّهما يَمنعان عنه عصا التَّأديب الإلهيِّ. إنَّ الابن الضَّالَ "رَجَعَ إلى نَفْسِه" من أسوأ الأماكن؛ من حظيرة الخنازير. لكنَّ الأب استقبل ابنه الضَّالَّ بحفاوة عند رجوعه إليه؛ ولكنَّه، بكلِّ حكمة، لم يحاول إنقاذه قبل ذلك.

هـ. **لا تَسْمَح لابنك المُتمرِّد بفرض سيطرته على البيت:** فإذا كان الابن المتمرِّد ما زال يعيش في البيت، يجب على الأبوَيْن فَرْض قيود تحمي بقيَّة أفراد العائلة وتُحافِظ على استقامة البيت. ولا شَكَّ أنَّ فَرْض هذه القيود يتطلَّب بصيرة، والحفاظ على هذه القيود قد يُنشئ توتّرًا. ولكنَّنا نقرأ في العهد القديم أنَّ الابن المُتَمَرِّد الذي كان يرفض الانصياع لأبوَيْه كان يُرْجَم (انظر سِفْر التَّثنية ٢١:

١٨- ٢١). لا شكَّ أنَّ هذا الإجراء كان صارمًا ولم يَعُد مُطَبَّقًا اليوم، لكنّه يُرينا ضرورة عدم السَّماح للابن المُتمَرِّد بفرض سيطرته على والِدَيْه.

وبعد أن يَفحص الأبوان قلبيهما وحياتهما، ويتوبان عن خطاياهما، ويَخضعان لتطهير كلمة الله وروحه، إنَّ أقوى شيءٍ يمكنهما القيام به نيابةً عن ابنهما المُتمرِّد هو الصَّلاة. وقد اختبر مؤمنون كثيرون نُمُوًّا روحيًّا عظيمًا في حياتهم بسبب قيامهم بذلك. وقد تكون الصَّلوات الأولى التي يرفعها الأبوان لأجل أبنائهما سطحيَّة وجسديَّة. ولكن إذا استمرَّا في الصَّلاة سيختبران نُمُوًّا روحيًّا عظيمًا في حياتهما. وقد تكون مناقشة المبادئ التَّالية في ما يَخُصُّ الصَّلاة لأجل الضَّالِّين ذات فائدة. ولكنّ فائدتها القصوى لا تتحقَّق إلّا مِن خلال ممارستها عمليًّا.

الصَّلاة لأجل غير المؤمنين

١. **الصَّلاة هي حرب روحيَّة**. فالرُّوح القُدُس ليس الرُّوح الوحيد الموجود. نحن نقرأ في الرِّسالة إلى أهل أفسُس ٦: ١٢ أنَّ مُصارعتنا الحقيقيَّة هي مَعَ "أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّة".

٢. **يجب علينا أن نَتَّكِل على قوَّة الربِّ**. الصَّلاة الفعَّالة لا تُرفع بسبب استحقاقنا، ولا لدوافعنا الأنانيَّة، ولا بقوَّتنا الذاتيَّة؛ بل هي تُرفع باسم الربِّ يسوع المسيح، وتَرمي إلى تحقيق مقاصد الله، وتَعمل بفاعليَّة مِن خلال قُوَّة الله.

٣. **ينبغي هَدْم حُصون العَدُوِّ مِن خلال الصَّلاة**. "إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ المَسِيحِ" (٢كورنثوس ١٠: ٤ و٥). يجب علينا أن نَذْكُر بإيمان واثق الحُصون التي تَمَكَّن العَدُوُّ مِن بنائها

والتي تُقاوم الحَقَّ المُعلَن في كلمة الله. وينبغي هَدْم هذه الحصون بالسُّلْطان الكامِن في اسم الربِّ يسوع المسيح.

٤. **يجب الصَّلاة بلجاجة مِن أجل الشَّخص المتمرّد**. ينبغي المثابرة على الصَّلاة لا لأنَّ الله لا يريد أن يستجيب، بل لأنَّ العدوَّ مُلِحّ. فنحن نَعلم أنَّ الله "يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الحَقِّ يُقْبِلُونَ" (١تيموثاوس ٢: ٤). ولكنَّنا نعرف أيضًا أنَّ العدوّ "كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (١بطرس ٥: ٨). لذا، يجب علينا أن نقاوم إبليس باستمرار مِن خلال الصَّلاة باسم ذاك الذي "جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ... ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ" (كولوسي ٢: ١٥).

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كان والدا "ستيف" يَنظران إليه كما لو كان مُهَرِّجًا. فمع أنَّه كان حادَّ الطِّباع وغير مُطيعٍ لهما أحيانًا، لكنّه كان يمتلك حِسَّ فكاهة يجعله يبدو وديعًا جدًّا. ولكن في الحقيقة، كان "ستيف" يُخفي وراء تهريجه ومُزاحه عصيانًا. وكان قد انخرط أكثر فأكثر في الأنشطة غير المنهجيَّة في مدرسته الثانويَّة المحليَّة. وكان يُخَطِّط وهو في الصفِّ الثانويِّ الأخير للانسحاب تدريجيًّا مِن الكنيسة إلى أن ينسلخ منها نهائيًّا كي يَدخل إلى رِحاب الحياة التي يُريدها، أي حياة المَرَح.

ولكنَّ الكنيسة التي كان يذهب إليها "ستيف" كانت تعقد اجتماعات تَعَبُّديَّة خاصَّة في خريف تلك السَّنة. وكان الله قد وضع في قلب شابٍّ آخر في الكنيسة الاهتمام بـ"ستيف". لذلك، كان "جو" يُصَلِّي لأجل "ستيف" قبل الاجتماعات. وعندما تطوّرت الاجتماعات، استمرَّ "جو" في الصَّلاة.

وكان الربَّ يَعمل في قلوب أناسٍ آخرين، أمَّا "ستيف" فكان يُقاوم. كان يَكره الاجتماعات ولا يرغب في حضورها. ولكنَّ قرار الحضور لم يكن بيده.

وعندما حان وقت الاجتماع الأخير، شَعَر "جو" بثقلٍ كبيرٍ تُجاه "ستيف" فقَرَّر أن يُكلِّمه مباشرة. وكانت الصَّلاة قد هَيَّأت قلبه وملأته بحضور الله. وكان الوعظ والصَّلاة كلّ مساء قد عملا على تليين قلب "ستيف" وانهارت مقاومته.

وقد حاول "ستيف" أن يتوب ويحيا في سلام، ولكنَّ هذه المحاولة قوبِلَت بمقاومة غير متوقَّعة. كان الشَّيطان قد أحكم سيطرته عليه. فصَلَّى "ستيف"، وصَلَّى "جو"، وصَلَّى خادم الربِّ، وصَلَّى آخرون. ورأى الأشخاص الذين صَلُّوا مع "ستيف" أنَّ ملامح وجهه بدأت تتغيَّر بينما خَضَع الشَّيطان لسُلطان المسيح. وأخيرًا، خَرَج من قلب "ستيف" اعتراف بالخطيَّة، والكذب، ومشاهدة الصُّور الإباحيَّة، واللَّعن، وغيرها من الخطايا التي لم يكن والدا "ستيف" يَعلما عنها شيئًا البَتَّة.

لقد تَمَّ إنقاذ "ستيف" في تلك اللَّيلة. وتَحَرَّر من الشُّعور بالذَّنب، ونجا من عواقب عصيانه. وقد تَمَّ إنقاذ والدَيْه من مزيدٍ من الحُزْن الناجم عن ابتعاده عنهما. وقد تَمَّ إنقاذ الرعيَّة من ألَم رؤية أحد شُبَّان الكنيسة ينجرف وراء أهل العالم. وقد حَدَث هذا كُلُّه لأنَّ شخصًا واحدًا كان أمينًا ومثابرًا في الصَّلاة.

الآباء المُتمرِّدون والأبناء المُتألِّمون

كما رأينا، إنَّ آباء كثيرين يتألَّمون في وقتنا الحاضر بسبب عصيان أبنائهم. ولكن من دواعي الأسف أنَّ العكس صحيحٌ أيضًا. فأحيانًا، قد يرغب

الأبناء في اتِّباع الربِّ لكن قد يكون الأبوان غير مؤمنَين أو قد يُعانيان فتورًا روحيًّا.

والمأساة في هذا النَّوع مِن المواقف هي مأساة مضاعفة لأنَّ أمورًا كثيرة تكون معكوسة. فبدلاً مِن أن يكون الأبوان قلقَيْن على أبنائهما ويُصَلِّيان لأجلهما، فإنَّ الأمر معكوس. وفي حين أنَّ الوضع الطَّبيعيِّ هو أن يكون الأبوان حائِرَيْن ولا يَعلما ما سيقولانه وما سيُحْجِمان عن قوله لأبنائهما، فإنَّ الأبناء يخوضون صراعًا مريرًا لأنَّهم لا يَعلمون كيف سيتكلَّمون مع الأبَوَيْن. وقد يكون الإدراك الروحيُّ لدى الأبناء أقوى ممَّا هو عليه لدى الأبوَيْن المتمرِّدَيْن. ومع أنَّه مِن المؤلِم أن نَرى هذا التَّنافُر، لكنَّ اختباره هو أكثر صعوبة.

لقد ذَكَرنا آنفًا أنَّه مِن الشَّائع أن يَلوم الأبوان الآخرين على تَمَرُّد ابنهما. ولكن عندما يكون التمرُّد مِن جهة الأب أو الأمِّ، فإنَّه مِن الشَّائع أن يلوم الأبناء أنفسهم. فَهُمْ يَشعرون، بوعيٍ أو دون وعي، أنَّهم مسؤولون عن عصيان والديهم. ومع أنَّ هذه المشاعر تكونُ خاطئة في أغلب الأحيان، غير أنَّ الأبناء يحتاجون أحيانًا إلى إرشادٍ خاصٍّ للتَّعبير عن شعورهم بالذَّنب ومعالجته.

ولكن لماذا ينحرف الآباء عن إيمانهم؟ إنَّ أغلبيَّة الأسباب التي ذَكَرناها عند حديثنا عن تَمَرُّد الأبناء تَصِحُّ هنا أيضًا. فإلى جانب السَّبب الجوهريِّ المُتَمَثِّل في الخطيَّة السَّاكنة فينا، إنَّ السَّبَبَيْن الأكثر أهميَّة في عصيان الأبوَيْن هما المشكلات الزوجيَّة، والانهماك في أمور العالم من أشغال، وهموم، وصيحات، وغيرها.

ولكنَّ فهم سبب تَمَرُّد الأبَوَيْن ليس مُهِمًّا لدى الأبناء بقدر أهميَّة معرفة كيفيَّة التعامل معه. وهناك مبدأان أساسيَّان يمكن أن يساعدا الأشخاص الذين يعيشون تحت سُلطان أبوَيْن غير مؤمِنَيْن:

١. **مبدأ الإكرام**. لا يمكن للأبناء المؤمنين الذين يعيشون مع أبوَيْن غير مؤمِنَيْن أن يَتَنَصَّلوا مِن مسؤوليَّة إكْرام والدَيْهم. فإكرام الوالِدَيْن مُهِمٌّ في هذا

الموقف أكثر مِن أيِّ موقفٍ آخر لأنَّه الوسيلة التي يَعمل الله مِن خلالها بأقوى صورة في أغلب الأوقات.

وقد ذكرنا في الفصل الأوَّل مجموعة مِن الاقتراحات الخاصّة بكيفيّة إكرام الوالِدَيْن (ولا سِيَّما الأب والأمّ "غير الكامِلَيْن"). ولكن يَقتضي التَّنويه هنا إلى أنَّ الأبناء الذين يترك أحد أبوَيْهم حياة الإيمان يواجهون صراعات خاصَّة. وهناك مزالق كثيرة يمكن أن يَقَع فيها الأبناء حتَّى عندما يَعقدون العَزْم على إكرام والديهم. إليك مجموعة نقاط ينبغي تَجَنُّبها عند التَّعامل مع الأبوَيْن المُتمرِّدَيْن:

أ. **لا تحاول تقويم أبويك.** فعدم الإيمان يَجعل النَّاس يفعلون أشياء حمقاء. فإذا نظرنا بعينيِّ الإيمان إلى شخصٍ بعيدٍ عن الله، سنرى أمورًا كثيرة خاطئة. والحقيقة هي أنَّ الشَّخص البعيد عن الله يَعرف في أعماقه وضميره أنَّ ما يقوم به خطأ، ولكنَّه غير مستعدٍّ للإقرار بذلك أمام الآخرين. ويستاء مِن أيِّ شخصٍ أدنى منه في السُّلطة يحاول أن يخبره أنَّه مُخطئ. ولكنَّ الله لديه طرائق كثيرة يمكنه مِن خلالها تقويم أيّة سُلْطَة خاطئة (انظر مثلًا رفض شاول كملك في صموئيل الأوَّل ١٥: ٢٢ و٢٣).

ب. **لا تستخدم أخطاء والدَيْك لتبرير أخطائك.** يميل ذهن الإنسان إلى استخدام هذا الأسلوب عادةً. فنحن نَميل إلى إخفاء عدم ثباتنا وراء عيوب الآخرين لكي نَشعر بأنَّهم مسؤولون عندما نُخطئ نحن. فعلى سبيل المثال، قد يُقَرِّر شابٌّ أن يغادر البيت في المساء دون طَلَب موافقة والدَيْه لأنَّه في المرَّة الأخيرة التي طلب فيها موافقتهما، صَرَخ أبوه في وجهه قائلاً: "افعل ما يَحلو لك. فأنت ستَفعل ما تريد في نهاية المطاف!"

ج. **لا تُجادلهما.** " غَيْرَ مُنَاقِضِينَ" (تيطس ٢: ٩). هذه الوصيَّة التي تُعَلِّم الخَدَم كيفيَّة معاملة سادتهم تَصحُّ دون شَكٍّ على معاملة الأبناء لآبائهم وأمَّهاتهم. فالمجادلات لا تَحلُّ المشكلات عادةً، بل إنَّها تجعل الأشخاص يسيرون بعنادٍ أكبر مِن ذي قبل في الطَّريق الذي اختاروه لأنفسهم. لذلك،

إذا صارت المجادلة أسلوب حياة، يجب على الشابِّ المؤمن أن يبحث عن أساليب مسيحيَّة مناسبة لمُعاملة الأبوَيْن. فَكِّر مثلاً في اقتراحات "الإصغاء الإيجابي" المعروضة في الفصل الثَّامن.

فمن خلال تَجَنُّب العثرات المذكورة آنفًا، قد يتمكَّن الشُّبَّان المؤمنون الذين يعيشون في بيوت غير مؤمنة مِن فَرْض احترامهم وجعل الآباء يستمعون إليهم. ولا شَكَّ أنَّ المؤمن سيشعر بمزيدٍ مِن الحُرِّيَّة حين يكون مؤثِّرًا مِن خلال أمورٍ مثل الطَّاعة واللُّطف والصَّلاة.

٢. **مبدأ الإيمان**. المبدأ الثَّاني الذي ينبغي للشبَّان المؤمنين الذين يعيشون مع أبوَيْن غير مؤمِنَيْن أن يُمارسوه هو مبدأ الإيمان بالله. فما دام الله قد تَصَدَّى لفرعون وحَرَّر بني إسرائيل مِن العبوديَّة في مِصْر، وما دام الله قد تَصَدَّى لشاول وأنقذ داود مِن غضبه وغيرته، وما دام الله قد أقام تيموثاوس وجعله قائدًا في الكنيسة الأولى على الرَّغم مِن أنَّ أباه لم يكن مؤمنًا (على ما يُظَنُّ)، فحتمًا يستطيع الله أن يعتني بالشَّبيبة اليوم.

والحقيقة هي أنَّ الإيمان بالله له تطبيقات عديدة مُحَدَّدة في ما يَخُصُّ الأشخاص الذين يعيشون مع أبوَيْن مُتمرِّدَيْن. فهو يعني في المقام الأوَّل تسليم الحياة بأسْرِها لله. فمِن خلال الإيمان، يَنظر المؤمن إلى المواقف الصَّعبة مِن منظار أنَّها بين يدي الله. فهي ليست خارجة عن السَّيطرة. فحتَّى الأب المتمرِّد هو تحت سيادة الله. لذلك، يجب على الشابِّ (أو الفتاة) ألَّا يَقلق على النَّتيجة التي ستؤول إليها الأمور. بل هو بحاجة ماسَّة إلى تسليم الأمر برُمَّته إلى الله، وإلى السَّماح لله بتحقيق مقاصده واستخدام حُلوله. فالطَّرائق التي يستخدمها الله تفوق كُلَّ ما قد نُفَكِّر فيه. وعلى سبيل المثال، كان الشعب القديم يُفَكِّرون في التحرُّر مِن العبوديَّة في مصر وحسب. ولكنَّ الله أراد أن يُنزل دينونته على مصر في الوقت نفسه. وكان داود يسعى إلى الحصول على الحماية مِن شاول. ولكنَّ قصد الله كان يدور حول إعداد داود والشعب لحُكم داود.

كذلك، إنَّ الإيمان بالله يَعني أنَّ المؤمن الذي يَخضع لسُلطة أبوَيْه غير المؤمنَيْن يجب أن يطيع الله. فهو يُكْرِم أبوَيْه سواء كانا يستحقَّان الإكرام أم لا لأنَّ اللهَ أوصاه بذلك، وهو تَعَهَّد بإطاعته. لذلك، إنَّ مبدأ الإكرام يتوقَّف في الحقيقة على مبدأ الإيمان. ولكن إذا حاول الأبوان اغتصاب سُلطة الله، وإذا حاولا أن يُرغِما ابنهما على القيام بشيءٍ حَرَّمه الله أو منعاه عن القيام بشيءٍ أوصى الله به، ينبغي للشَّاب أن يَقتدي بالرُّسُل: "يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ" (أعمال الرُّسُل ٥: ٢٩).

ويمكن تَجَنُّب مثل هذه المواجهات أحيانًا من خلال مُناشدة الشَّخص الذي بيده السُّلطة أن يُفَكِّر في قرار بديل مَقبول من الجميع. ولعلَّ أوضح مثل على ذلك في الكتاب المقدَّس هو "دانيال" الذي جعل في قلبه ألّا يأكل من أطايب الملك. فقد التمس من رئيس الخِصْيان أن يَقبل الحَلَّ البديل، وبذلك، تَجَنَّب دانيال مواجهةً. ولكنَّ دانيال وضع أساسًا مُحْكَمًا لالتماسه ذاك. فقد كَرَّس حياته لخدمة الله وتمجيده. وبذلك، سَمَح لله بتمثيله والتصرُّف نيابةً عنه. وجهّز الله قلب رئيس الخِصْيان. علاوة على ذلك، كان دانيال مطيعًا ومتعاونًا في المواقف الأخرى. وعندما جاء إلى رئيس الخِصيان، تَحَدَّث إليه بتواضعٍ من دون تحدٍّ (انظر دانيال ١).

أمَّا الأشخاص الذين يجدون أنفسهم في مواقف يتعيَّن فيها عليهم أن يُطيعوا الله أكثر من النَّاس، يجب عليهم أن يكونوا مستعدِّين لاحتمال الألم. فالعبرانيُّون الثَّلاثة الذين أطاعوا الله أُلقوا في أتون النَّار. وقد وُضِع الرُّسُل الذين أطاعوا الله في السِّجن. والشابُّ (أو الفتاة) الذي يُطيع الله أكثر من أوامر والدَيْه قد يتعرَّض للسُّخرية والعقاب. ولكنَّ الله يُعطي هؤلاء الأشخاص نعمة خاصَّة ومجد. "لأَنَّ هذَا فَضْلٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ اللهِ، يَحْتَمِلُ أَحْزَانًا مُتَأَلِّمًا بِالظُّلْمِ. لأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَصْبِرُونَ، فَهذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ

لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ" (١بطرس ٢: ١٩- ٢١). أمّا التذمُّر فلا يُمَجِّد الله في شيء.

الشَّريك المُتمرِّد والشَّريك المُتألِّم

بما أنَّ أقوى رابطة وأعمق علاقة بين البشر هي العلاقة الزوجيَّة، فإنَّ الفرح النَّاشئ عن هذه العلاقة يَفوق أيَّ فرح آخر والحُزن النَّاشئ عن هذه العلاقة يَفوق أيَّ حزنٍ آخر. ولا شَكَّ أنَّ التمرُّد لَدى أحد الشَّريكَيْن يجلب على الشَّريك الآخر ألَمًا لا يَفهمه تمامًا إلَّا الذين اختبروه بأنفسهم. ويطرح الرَّبُّ السؤال التالي: "هَلْ يَسِيرُ اثْنَانِ مَعًا إِنْ لَمْ يَتَوَاعَدَا؟" (عاموس ٣: ٣). وكثيرون اليوم يَشهدون أنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال كانت مؤلمة بالنِّسبة إليهم.

ويُحْسِنُ المؤمنون إذا لاحظوا أنَّ الربَّ يَعلم تمامًا الألم النَّاجم عن عصيان أحد الأحبَّاء. فقد كان الشعب القديم "زُناةً" في علاقتهم بالله. ويمكننا أن نَستشعر حُزن الله من خلال كلماته: "وَشَعْبِي جَانِحُونَ إِلَى الارْتِدَادِ عَنِّي... كَيْفَ أَجْعَلُكَ يَا أَفْرَايِمُ، أُصَيِّرُكَ يَا إِسْرَائِيلُ؟!... قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي." (هوشع ١١: ٧ و٨). وهذا هو شعور الزَّوج أو الزَّوجة اللذين يعيشان مع شريك حياةٍ مُتمرِّد.

والآن، كيف ينبغي لشريك الحياة أن يتعامل مع شريكه المُتمرِّد؟ قبل كُلِّ شيء، يجب علينا أن نُدرك أنَّ هناك عدَّة عوامل ومُتغيِّرات تؤثِّر على الموقف. مثلاً، إنَّ الشَّخص الذي تَرَك طريق الإيمان يَختلف عن الشَّخص الذي لم يَكُن مؤمنًا أصلًا. كذلك، إنَّ تَمَرُّد الزَّوج يَختلف اختلافًا جوهريًّا عن تَمَرُّد الزَّوجة. فالزَّوجة المؤمنة تُعاني لأنَّها لا تَعلم إلى أيِّ مَدى يمكنها أن تَتبع زوجها غير المؤمن. أمَّا الزَّوج المؤمن فيُعاني لأنَّه لا يَعلم ما يمكن أن يتوقَّعه مِن زوجته غير المؤمنة. وإخلاص الزَّوجين يؤثِّر كثيرًا في اختيار الطَّريقة المناسبة لمُعالجة الأمر. فالخيانة الزوجيَّة تزيد الألم والتمرُّد. مِن جهة أخرى، إنَّ بقاء الشَّريك الخائن في البيت أو تركه يؤثِّر كثيرًا في اختيار الحَلِّ المناسب.

ومع أنَّ النَّصائح المناسبة لكُلِّ حالة تتوقَّف على فهم الحالة، إلّا أنَّ هناك مجموعة مِن الإرشادات التي تَصحُّ على أغلبيَّة الحالات. والحقيقة هي أنَّ معرفتنا بالأمور التي ينبغي لنا تَجَنُّبها لا تَقِلُّ أهميَّة عن معرفتنا بالأمور التي ينبغي لنا القيام بها.

لا تتذمّر، ولا تتوسَّل، ولا تُوَبِّخ. لا تساعد هذه الأساليب في استعادة الشَّريك الضَّال، بل تُسهم في ابتعاده أكثر فأكثر. وتنشأ هذه الأساليب في أغلب الأحيان، عن اليأس، وبالتالي مصدرها هو الجسد وليس الرُّوح.

لا تَستخدم الحُبَّ كوسيلة. فالمحبَّة هي تَعَهُّد بالقيام بكُلِّ ما يَؤول إلى خَيْر شريك الحياة. ولكن عندما تُستخدَم المحبَّة استخدامًا مشروطًا في مواقف معيَّنة فقط، تفقد معناها ونزاهتها. بعبارة أخرى، عندما نُعامل شريك حياتنا بمحبَّة ونِيَّة حَسَنة كوسيلة للوصول إلى هدف ما (بصرف النَّظر عن كم تبدو هذه الوسيلة مستقيمة) فإنَّ هذا يعني أنَّنا استخدمنا المحبَّة كأداة للتفاوض. ولا شَكَّ أنَّ محبَّة كهذه هي محبَّة أنانيَّة بعيدة كُلَّ البعد عن محبَّة الله. ولا شَكَّ أيضًا أنَّ المحبَّة المُضَحِّية تفوق قدرة الإنسان، ولكنَّ الله هو الذي يملأ قلوبنا بها إذا أبدينا الاستعداد لأن نُحِبَّ.

لا تتنازل عن نزاهتك. قد يَتَخَلَّى شريك الحياة أحيانًا عن إيمانه بالمسيح ويرغب في إخفاء الأمر عن الكنيسة أو العائلة أو المجتمع. وقد يَضغط شريك الحياة عليك للتَّعاون معه في إخفاء الأمر أو في التَّظاهر بعكس الحقيقة. ولا شَكَّ أنَّ هناك وجهين لهذا الموقف. فمِن جهة، لا أحد يَرغب في نَشْر الخطيّة ولا سيَّما خطايا شريك الحياة. فالتعهُّد الذي يَقطعه الشَّريكان بأن يُحِبَّ كُلٌّ منهما الآخر يَدفع كُلًّا منهما إلى التَّفكير مَليًّا في كُلِّ خطوة في ضوء مصلحة الشَّريك الآخر. لذلك، مهما كان حجم الخطأ الذي اقترفه شريك الحياة، فإنَّ هذا لا يُعطي الشَّريك الآخر الحَقَّ في التوقُّف عن حُبِّه. وقد يعني هذا أحيانًا أن نتألَّم بصمت، وأن نَتَّكِل على الربِّ عالمين أنَّه قادر على تصحيح الأمور في الوقت الذي يراه

مناسبًا. ولكن مِن جهة أخرى، إذا طلب منك شريك حياتك المساعدة في إخفاء خطايا خطيرة قام بها، أو إذا كان يتظاهر بالقداسة بهدف خداع الآخرين، اعلَم أنَّ نزاهتك الشخصيَّة على المِحَكِّ. فمِن المؤكَّد أنه يجب ألّا تكذب. ومِن المؤكَّد أيضًا أنَّ مساعدة شخصٍ خاطئ على إخفاء خطيّته تتعارض مع المحبَّة والنَّزاهة في آنٍ واحد، ولا سِيَّما عندما يكون ذلك الشَّخص عضوًا في الكنيسة. فهناك خطايا مثل السُّكْر، والاحتيال، والزِّنى، والإساءة إلى الأطفال، ينبغي الكشف عنها. ولكن كيف يمكنك القيام بذلك؟ ولمن؟ ومتى؟ إنَّ جميع هذه القرارات تتطلَّب حكمة. ويجب أن يكون الدَّافع للقيام بذلك هو المحبَّة لا الغضب أو خيبة الأمل. وهناك أوقات ينبغي فيها طلب المشورة مِن قادة الكنيسة، أو من والدَي أحدهم، أو أحد الأشخاص الجديرين بالثِّقة.

لا تَغرق في التَّفكير في نفسك. هناك آلام لا تُعَدُّ ولا تُحصى ناجمة عن المشكلات الزوجيَّة؛ وهي مشكلات ينبغي أن تَحظى باهتمام المؤمن وأن يَتِمَّ التَّصَدِّي لها بالصَّلاة. وبينما يختبر المؤمن نعمة الله وإرشاده وسط مشكلاته، يجب أن يُراعي ضعف الآخرين ويتعاطف مع مشكلاتهم. وإن لم يَفعل ذلك، قد يأتي وقت يَغرق فيه في مشكلاته الشخصيَّة بسبب أمورٍ مثل الغضب، والامتعاض، والإشفاق على الذَّات.

ولا شَكَّ أنَّ أصدقاء الشَّريك الذي يتألَّم بسبب شريك حياته المتمرّد لهم تأثيرهم أيضًا. فالملاحظات التي تعكس تشاؤمًا أو لومًا، أو التي تَقترح حلولاً سطحيَّة، قد تُقال دون تفكير. ولكنَّها قد تبقى عالقة في الذِّهن أيَّامًا عديدة. كذلك، لا ينبغي قبول أيَّة نصيحة تُعَبِّر عن آراء الآخرين الشخصيَّة المستندة إلى حكمتهم البشريَّة فقط.[٣]

---

٣ تَصف "إليزابيث لاب" (Elizabeth Lapp) هذه المشكلة في الصَّفحات ٢٣ وما يليها مِن كتابٍ لها بعنوان *"Journal of Tears"* ("مُذَكِّرات امرأة غارقة في الدُّموع" مِن منشورات: Christian Light Publications لسنة ١٩٨٤). وهي تقول: "كرَدِّ فعلٍ على سلوكيَّات زوجي، كان هناك أشخاص يقولون بثقة إنَّ الحُبَّ هو الحَلُّ. وقد كانت نصيحتهم لي هي أن

في ضوء ذلك، يحتاج الأشخاص الذين يتألَّمون بسبب شريك الحياة الضَّال إلى أصدقاء يُحسنون الإصغاء، ويَهتمُّون حقًّا، ويمتلكون رهافة حِسٍّ تُجاه جميع احتياجات الإنسان. وهُم بحاجة إلى أصدقاء يعرفون كلمة الله جيِّدًا ويَتَّكلون على روح الله. وهُم بحاجة إلى أصدقاء يَعرفون كيف يُصَلُّون، وإلى أصدقاء يرفعون معنويَّاتهم بطريقة لائقة ومُهَذَّبة، ويُشَجِّعونهم، ويُقدِّمون لهم المشورة الصَّحيحة دون تَكَبُّر، ويُشيرون إلى أخطائهم دون إدانتهم.

وفي أوقاتٍ كثيرة، قد يكون ضلال أحد الشَّريكَيْن مصحوبًا بخيانة زوجيَّة. والألم في حالة كهذه يكون مُضاعَفًا. ولكنَّ العلاقة بين الابتعاد عن الله والخيانة الزوجيَّة واضحة تمامًا ولا سِيَّما عندما نُفَكِّر في أنَّ كلا الأمرَيْن هو كَسْر للعهد. لذلك إنَّ عدم الأمانة في أحد هذين الأمرَين يُفْضي بسهولة إلى عدم الأمانة في الأمر الآخر. (وهذا واضحٌ تمامًا مِن خلال ما جاء في سِفْر ملاخي ٢: ١١ والآيات التي تليها. فقد قال الله إنَّ روح الخيانة أو الغَدْر هو السَّبب الحقيقيُّ الكامن وراء كلٍّ من الطَّلاق والابتعاد عنه).

والحقيقة هي أنَّ هذا الكلام عن الخيانة ليس مُوَجَّهًا إلى الزَّوجَيْن بقدر ما هو مُوَجَّه إلى الجماعات. بعبارة أخرى، لا يعني هذا أنَّ كُلَّ زوج يبتعد عن الربِّ سيخون زوجته. ولكن إذا نظرنا إلى الأمر بمنظور أشمل، يمكن القول إنَّه كُلَّما زاد فُتور الجماعة، زادت حالات الخيانة انتشارًا.

وعندما يكون ابتعاد شريك الحياة عن الله مصحوبًا بالخيانة الزوجيَّة، قد تصير المشكلات مُعقَّدة. وبالتالي قد تكون النَّصائح المُقَدَّمة للشخص المَعنِيِّ

أُبقي باب المصالحة مفتوحًا وأن لا أغلقه البَتَّة... ولكنَّ آخرين كانوا واثقين أيضًا أنِّي لست مُضطرَّة لاحتمال هذا الوضع. لذا فقد كانت نصيحتهم لي هي أن أضعه أمام خيارين: إمَّا أن يُصلِح حالَهُ أو أن يتحمَّل العواقب ويجد ما لا يُسرُّهُ". والحقيقة هي أنَّ كلتا النَّصيحتين صَدَرت عن أناس مؤمنين". ولكي تَحمي "إليزابيث" نفسها مِن المشورة الخاطئة، ابتدأت في استخدام خمسة معايير لفحص كُلِّ مشورة: كلمة الله، ورموز السلطة، والظُّروف المحيطة، والمنطق السَّليم، وما يقوله لها الرُّوح القُدُس السَّاكن فيها.

مُتضاربة. فمع أنَّ شرائع الزَّواج في العهد القديم تُبيح الطَّلاق، لكنّها صارمة جدًّا في ما يتعلّق بإخلاص الزَّوجين أحدهما للآخر. فقد كان النَّاموس يَحكم على الزَّاني أو الزَّانية بالرَّجم (اللَّاويِّين ٢٠: ١٠). وفي العهد الجديد، يَنهى يسوع عن الطَّلاق (مرقس ١٠: ٨ و٩). أمَّا من جهة الأشخاص الذين يرتكبون أعمالاً غير أخلاقيَّة، فإنَّ كلمة الله توصي بحرمانهم من الشَّركة مع المؤمنين في الكنيسة إلى أن يتوبوا (انظر ١كورنثوس ٥). وإذا تاب الخاطئ توبةً حقيقيَّةً واضحة، يجب أن يكون هناك غُفرانٌ حقيقيّ، ومحبَّة حقيقيَّة، ومصالحة حقيقيَّة مع الكنيسة. "مِثْلُ هذَا يَكْفيه هذَا القِصَاصُ الَّذي مِنَ الأَكْثَرِينَ، حَتَّى تَكُونُوا بِالعَكْسِ تُسَامحُونَهُ بِالحَرِيِّ وَتُعَزُّونَهُ، لِئَلاَّ يُبْتَلَعَ مِثْلُ هذَا مِنَ الحُزْنِ المُفْرِطِ. لِذلِكَ أَطْلُبُ أَنْ تُمَكِّنُوا لَهُ المَحَبَّةَ" (٢كورنثوس ٢: ٦- ٨).

لذلك، يجب على الأزواج المؤمنين الذين يَتعرَّضون للخيانة من شريك الحياة أن يمارسوا الغُفران ويَسعوا إلى المُصالحة على الرَّغم من صعوبة ذلك. وإذا أراد الشَّريك غير المؤمن أن يُفارق، فليُفارق (كما جاء في ١كورنثوس ٧: ١١- ١٥). ولكن في حالة كهذه، لا يمكن للشَّريك المُخْلِص أن يتزوَّج ثانيةً.

ولا شَكَّ أنَّ المشكلة تَصير أكثر إيلامًا عندما يرغب الشَّريك الخائن في البقاء ويستمرُّ في الوقت ذاته في خيانته. وفي موقفٍ كهذا، يرى أُناسٌ أنَّه يمكن للشَّريك المُخْلِص أن يَنفصل عن الشَّريك غير المؤمن شرط ألّا يتزوّج ثانيةً، ويَسعى إلى المُصالحة. ويقول آخرون إنَّه ينبغي للشَّريك المؤمن أن يَقبل أيَّ شيءٍ يقوم به الشَّريك غير المؤمن.

قصَّةٌ مِن واقع الحياة

كان "بيل" و"سيندي" قد شَرَعا في إجراءات الطَّلاق عندما قَرَّر "بيل" التحدُّث إلى أحد خُدَّام الربِّ بخصوص مشكلاتهما الزوجيَّة. وبعد وقتٍ قصير، اعترف "بيل" بخطاياه، وآمن بيسوع المسيح وقَبِلَهُ رَبًّا ومُخَلِّصًا لحياته. ومع أنَّه كان قد نشأ في بيتٍ مُتديِّن في طفولته، لكنّه لم يتعلَّم شيئًا مِن تعاليم الكتاب المقدَّس. وهكذا صار خادم الربِّ هذا مصدر تشجيعٍ له ومصدرًا ملائمًا لتقديم المشورة. مِن جانبٍ آخر، كانت زوجة "بيل" على علاقة برَجُلٍ آخر. وكانت قد رفعت دعوى على زوجها تُطالب فيها بالطَّلاق والحصول على حضانة الأولاد. وكان خِيار "بيل" الوحيد هو رفع دعوى مُضادَّة.

ولكِنَّ موقف "بيل" تَغَيَّر تغييرًا جذريًّا حين عَلِمَ أنَّ الطَّلاق غير جائز، وأنَّ المطالبة بالحقوق الشخصيَّة هي الطَّريقة التي يلتجئ إليها غير المؤمنين لحَلِّ مشكلاتهم الزوجيَّة، وأنَّ الزواج مرَّة ثانية لم يكن خيارًا متوافقًا مع المبادئ الكتابيَّة، وأنَّ الله يريده أن يُرَكِّز على محبَّته لزوجته "سيندي" وعلى إعادة بناء علاقتهما الزوجيَّة.

كان التقدُّم بطيئًا. وقد بدا أنَّ النَّمط القديم في العلاقة بين "بيل" وزوجته أسهل مِن دَرْب المحبَّة المُضَحِّية. وكانت خيانة "سيندي"، وعنادها، وكذبها، ومزاجها الحاد تَحَدِّيات تضع إيمان "بيل" الجديد على المِحَكِّ كُلَّ يوم. ولم تتجاوب بلُطف معه عندما حَدَّثَها عن حاجتها إلى الله.

ولكنَّ "بيل" صار مُقتنعًا تمامًا أنَّه أيًّا كانت تَصَرُّفات زوجته، فإنَّه اختار أن يُحِبَّها مدى الحياة. ولا شَكَّ أنَّه لم يكن بمقدوره أن يُرْغِمها على دخول ملكوت الله، ولا على أن تُحِبَّه، ولا على أن تتوقَّف عن مقابلة رجال آخرين.

لكن كان "بيل" يَعلم في الوقت نفسه أنَّه ينبغي له القيام بدوره بالاتِّكال على نِعمة الله الغنيَّة. فجميع الحلول المطروحة كالاستمرار في المشاجرة، أو الطَّلاق، أو الزَّواج ثانيةً، لن تَحُلَّ مشكلاته ولا مشكلات "سيندي". فقد اختار الله له درب المحبَّة المُضَحِّية القائم على المحبَّة الحقيقيَّة، والصَّادقة، والمقدَّسة، والدَّائمة.

ومع أنَّ الأفكار التَّالية لا تُجيب عن جميع الأسئلة، لكنَّ هذا لا يَمنع مِن أخذها بعين الاعتبار في المواقف التي يرغب فيها شريك الحياة في الاحتفاظ بعلاقته الزوجيَّة والعلاقة المُحَرَّمة في الوقت نفسه. فالمحبَّة لا تَعني بالضَّرورة تنفيذ رغبات الشَّخص الآخر، بل تعني القيام بما هو صائب وصالح مِن منظور السَّماء. هل من الصواب أن تذعن الأسرة وسلامة الزواج إلى علاقة ثلاثية مستمرة؟ الأمر المؤكَّد هو أنَّ شريعة الله في العهد القديم لم تَكُن تُبيح أمرًا كهذا. كذلك، ألم تَكُن علاقة الله بشعبه القديم تتحدَّث عن هذه النُّقطة تحديدًا؟ فعندما تاب الشعب عن زِناهم مع الأصنام والأوثان، غَفَر الله لهم خطيّتهم ورَدَّهم إليه. ولكنَّه لم يَسمح يومًا بوجود مِثل تلك العلاقة الثُّلاثيَّة. فقد كان يوصي شعبه دائمًا بأن يكونوا أُمناء في محبَّتهم وإلَّا يسحب حضوره من وسطهم. وأخيرًا، ألا يُظهِر ردُّ فعل الله تُجاه شعبه القديم ما يصبّ في مَصلحة الشَّخص الضَّالِّ؟ وبالطبع، يجب على الشَّخص الذي يَعترض على العلاقة الثلاثيَّة أن يَفعل ذلك دون التخلِّي عن مبادئ التَّقوى، والمحبَّة، والأدوار التي عَيَّنها الله للزَّوج والزَّوجة. ولكن أيّة محبَّةٍ هذه، بالمفهوم الكتابيِّ للكلمة، التي تَسمح للمؤمن بأن يكون طَرَفًا في شيءٍ يَعلم الجميع، بما في ذلك غير المؤمنين، أنَّه خاطئ؟

إنَّ التَّحَدِّيات التي تواجه المؤمن الذي يتعرَّض للخيانة مِن شريك حياته هي تحدِّيات يُمكن وصفها على أقل تقدير، بأنَّها هائلة. ولا يمكن لهذا الشَّخص أن يواجه هذه المِحنة إلَّا بفضل نِعمة الله وتعضيد المؤمنين الآخرين.

ولكي نَسمح لله بالعمل نيابةً عَنَّا، يجب علينا أن نكون أُمناء في القيام بكُلِّ ما يوصينا به، ونضع بين يديه كُلَّ ما هو له. فقد نُعَطِّل المقاصد الإلهيَّة الأبديَّة عندما نَرفض أن نكون كما يريدنا الله أن نكون، أو نحاول أن نتدخَّل في عمله.

لذلك، يجب على الزَّوجة التي تعيش مع زوجٍ غير مؤمن أن تكون زوجة تَقيَّة قدر استطاعتها. فحياة التَّقوى التي تعيشها وشخصيَّتها الخاضعة -بعيدًا عن أيِّ شهادة بالكلام- هي أقوى شهادة يمكن لله أن يستخدمها لتخليص زوجها غير المؤمن. "كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ، مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ" (١بطرس ٣: ١ و٢).

كذلك، يجب على الزَّوج الذي يعيش مع زوجة غير مؤمنة أن يكون زوجًا تَقيًّا قدر استطاعته. فالكتاب المقدَّس يوصي الأزواج أن يُحِبُّوا نساءهم. لذلك، يجب على الأزواج أن يتعلَّموا عن المحبَّة بمفهومها الكتابيِّ، وأن يُصَلُّوا كي يزدادوا فَهْمًا لكلمة الله، وأن يَفتحوا أبواب حياتهم لعمل الرُّوح القُدُس وتحريضاته وتشكيله لشخصيَّاتهم بشكلٍ يستطيعوا من خلاله أن يُظهروا محبَّتهم لزوجاتهم بطرائق عمليَّة. ولا شَكَّ أنَّ هذه المحبَّة هي عكس الأنانيَّة. فهي محبَّة مُضَحِّية، وطاهرة، وقويَّة، ومُلتزمة. "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ" (أفسُس ٥: ٢٥ و٢٦).

ولا ينبغي لأيِّ شخصٍ أن يَستخفَّ بالمشكلات التي يواجهها الأزواج الذين يعيشون مع شريكٍ متمرّد. لكنَّ النَّتائج الإيجابيَّة ليست مستحيلة. فالله قادر على جَعْل "كُلِّ الأشياء تَعمل معًا" لخيرنا الأبديِّ عندما نُكَرِّس حياتنا له. وكما ذَكَرنا آنفًا، إنَّ قائد إحدى الكنائس في العهد الجديد "تيموثاوس" نشأ في بيت كان فيه الأب -على ما يبدو- غير مؤمن. وكانت المرأة التقيَّة "أبيجايل" متزوِّجة برجُلٍ ضالّ. وكانت زوجة النبيُّ هوشع امرأة زانية. فالله هو الوحيد

الذي يَعلم ما يمكنه القيام به في الحاضر وفي المستقبل عندما نُلقي بأحمالنا ومشكلاتنا عليه.

إنقاذ الزَّواج

إنَّ الزَّواج لا ينهار بين ليلة وضُحاها. فالزَّواج المُحَطَّم يَنجم عن عوامل هَدَّامة مَضى على عملها وقتٌ ما. ولكن يمكن إنقاذ هذا الزَّواج في أيّة مرحلة مِن مراحل انهياره إذا كانت هناك توبة حقيقيَّة. ولكن كما أنَّ الانهيار يحدث تدريجيًّا، فإنَّ عمليَّة الإنقاذ تتطلَّب خطوات عديدة صحيحة. فالزِّيجات المُحَطَّمة لا تعود إلى حالتها السَّويَّة مِن تلقاء نفسها حتَّى بالنِّسبة إلى الأشخاص التَّائبين.

وفي حال وجود مشكلات زوجيَّة صغيرة أو كبيرة، ينبغي أخذ المبادئ التَّالية بعين الاعتبار في أثناء عمليَّة إنقاذ الزَّواج:

١. **يجب على كُلٍّ مِن الزَّوج والزَّوجة أن يلتزم بدوره الذي حَدَّده الله له.** وهذا يعني أنَّه ما دام هناك شريكٌ ضالّ، ستكون هناك مشكلات. وهذه المشكلات هي نقاط الضَّغط التي يستخدمها الله لدفع النَّاس إلى التَّوبة. كذلك، مِن أجل تطبيق هذا المبدأ في حَلِّ المشكلات الزوجيَّة، يجب على كلّ واحد أن يُرَكِّز على القيام بدوره ومسؤوليَّاته بدلاً مِن التَّركيز على تقصير الآخر. فتقصير الزَّوج يَضَع ضغوطًا إضافيَّة على زوجته، وتقصير الزَّوجة يَضَع ضغوطًا إضافيَّة على زوجها. لذلك، إذا قام كلّ طرف بدوره ومسؤوليَّاته، سيسهّل ذلك على الآخر. وإنَّه جيّدٌ أن يَتَعَهَّد الزَّوج أمام زوجته بأن يُحِبَّها، ويُعيلها، ويكون قدوةً لها في التشبُّه بالمسيح. وبالمقابل، من الجيّد أن تتعهَّد الزَّوجة أمام زوجها بأن تَخضع له، وبأن تكون مُعينًا له وتشجّعه.

٢. **يتطلَّب إنقاذ الزَّواج ممارسة المحبَّة الكتابيَّة التي تتطَلَّب بدورها إنكار الذَّات.** كما ذَكرنا آنفًا، إنَّ المحبَّة الكتابيَّة تَعني أن يُكَرِّس كُلٌّ مِن الزَّوج والزَّوجة

حياتَه لما فيه خَيْر الآخر. ولا شكَّ أنَّ الزَّواج مُفعمٌ بالمحبَّة العاطفيَّة أيضًا. ولكنَّ أناسًا كثيرين بالغوا في الإساءة إلى شريك الحياة حتَّى تلاشت كُلُّ تلك العواطف. ولا يمكن لشيءٍ سوى المحبَّة المُلتزمة أن تُنقذ الزَّواج وتمنحه المَتانة المطلوبة. وهذه المحبَّة هي عكس الأنانيَّة. فالشَّريك الأنانيُّ يُرَكِّز على آلامه، ومشاعره، وحقوقه، ورغباته الشخصيَّة ويَرفض الاستمرار في حال عدم إشباع رغباته. أمَّا الشَّريك المُحِبُّ فإنَّه لا يتجاهل مشاعره، ولكنَّه يُراعي كثيرًا مصلحة شريك الحياة، ويرفض أيَّ تفكير أنانيٍّ ومشاعر أنانيَّة تقف حجر عثرة في طريق القيام بكُلِّ ما هو صائب، وبكُلِّ ما يَصُبُّ في مصلحة الشَّريك الآخر.

٣. **يتطلَّب إنقاذ الزَّواج تواصلاً سليمًا وفعَّالاً.** فيجب على الزَّوجين أن يتكلَّما ويُصغيا بعناية لكي يَفهم كُلٌّ منهما مشاعر الآخر وحاجاته ومشكلاته، ولكي يتمكَّنا مِن اتِّخاذ الخطوات اللَّازمة لسَدِّ تلك الاحتياجات وحَلِّ تلك المشكلات. أمَّا الأساليب المسمومة كتوجيه الاتِّهامات، أو التَّقليل مِن شأن الآخر، أو الازدراء بالآخر، أو الصُّراخ على الآخر، أو العبوس في وجه الآخر، فينبغي تركها. ولا شَكَّ أنَّ معالجة الأمور باستخدام الأساليب التي يَتَّبعها غير المؤمنين لا تَحلّ المشكلة، بل تُسهم في تفاقُمها. في ضوء ذلك، قد يتطلَّب الأمر أحيانًا طلب المساعدة مِن أحد خُدَّام الربِّ أو المُشيرين مِن أجل الحفاظ على فاعليَّة التَّواصل بين الزَّوجين.

٤. **يجب على كُلٍّ مِن الزَّوج والزَّوجة أن يُبرهن على نزاهته ويُحافظ عليها.** فالزَّواج هو علاقة حميمة. والعلاقة الحميمة تتطلَّب ثقةً. أمَّا الكذب بجميع أشكاله وصُوره، فإنَّه يُضعف الثِّقة المطلوبة لهذه العلاقة الحميمة. ومع أنَّ خطايا الماضي ومشاعر الحاضر قد تكون قبيحة، فإنَّه لا يجوز إنكارها أو تجاهلها إذا عَقَد الزَّوجان العَزْم على إعادة ترسيخ الثِّقة بينهما. لذلك، يجب على الزَّوج والزَّوجة أن يَعرفا الأرضيَّة التي يقف عليها الآخر لكي يتمكَّنا مِن تأسيس حياتهما الزوجيَّة على الصِّدق والصَّراحة والانفتاح. ومع أنَّ الصَّراحة قد تكون مؤلمة أحيانًا، لكنَّ ألَمها لا يُقارن بالألم الذي يشعر به المرء عندما يكتشف أنَّه كان

مخدوعًا. وإذا أردنا أن يكون الصِّدق موجودًا حيث البِرّ، فيجب أن يكون موجودًا عند الاعتراف بالخطيَّة. وهو القاعدة المتينة لبناء الثِّقة بين الزوج والزوجة.

٥. **إنقاذ الزَّواج يتطلَّب ممارسة الغُفران.** ولا شَكَّ أنَّ الغُفران صعب جدًّا في حالة الخيانة الزوجيَّة. وقد يَظُنُّ المرء أنَّه قد غفر لشريكه، ولكنَّه يكتشف بعد وقتٍ قصيرٍ أنَّ مشاعر الاستياء والغضب طَفَت على السَّطح مِن جديد. لذلك إنَّ الغُفران في حالاتٍ كهذه يتطلَّب انكسارًا ومحبَّةً إلهيَّة. وينبغي للمؤمن ألَّا يُفَكِّر في أيِّ خيارٍ بديلٍ عن الغُفران لأنَّ غُفراننا للآخرين هو الذي يُعطينا اليقين بأنَّ الله سيَغفر لنا خطايانا (انظر إنجيل مَتَّى ٦: ١٤ و١٥). والغُفران لا يَتِمُّ مِن خلال إنكار الإساءة، بل مِن خلال الإقرار بها كاملةً. وعندما نَغفر للآخرين فإنَّنا نتحرَّر ونتمكَّن مِن التَّركيز بإيمان على حكمة الله وقدرته على جَعل كُلِّ الأشياء تَعمل معًا لخيرنا الأبديِّ.

٦. **إنقاذ الزَّواج المُحَطَّم يجب أن يَتِمَّ بطريقة تُكرم كلمة الله.** يحوي الكتاب المقدَّس آيات كثيرة عن العلاقات عامَّةً، وعن العلاقة الزوجيَّة خاصَّةً. وطرائق الله هي الوحيدة التي تَحظى ببركته. لذلك، يجب أن تكون النَّصائح المُقَدَّمة لحَلِّ المشكلات الزوجيَّة قائمة على الحَقِّ الإلهيِّ. وفي الوقت نفسه، يجب رفض كُلِّ حكمة بشريَّة، أيًّا كانت جاذبيَّتها، إذا كانت تُناقض كلمة الله. وفي هذا الصَّدد، يجب علينا أن نَقتدي بناظم المزمور إذ قال: "لأَجْلِ ذَلِكَ حَسِبْتُ كُلَّ وَصاياكَ في كُلِّ شَيءٍ مُستقيمَةً. كُلَّ طَريقِ كَذِبٍ أَبْغَضْتُ" (المزمور ١١٩: ١٢٨).

٧. **إنقاذ الزَّواج يتطلَّب فهمًا لحاجات شريك الحياة، واتِّخاذ الخطوات اللَّازمة لِسَدِّ هذه الحاجات.** فالكثير مِن الزِّيجات في وقتنا الحاضر تُعاني بسبب عدم فهم الأزواج حاجات زوجاتهم، وعدم فهم الزَّوجات حاجات أزواجهنَّ. وقد ناقشنا مجموعةً مِن هذه الحاجات في الفصل الخامس. وعلاوة على الحاجات العامَّة، فإنَّ لكُلِّ شخصٍ حاجاته الخاصَّة به. والحقيقة هي أنَّ العلاقة بين الزَّوج والزَّوجة تزداد قوَّةً ومتانةً حين يتمكَّن كُلٌّ منهما مِن فهم حاجات الآخر وتلبيتها.

وفي ضوء كُلِّ الأشياء الخاطئة التي قد تحدث في الزَّواج والمنزل، قد يكون هذا الأمر مُحبطًا. وقد كانت الغاية مِن هذا الفصل هي التَّأكيد على أهميَّة السُّلوك في طرق الله في بناء الحياة العائليَّة. فلا يوجد بديل عن معرفة كلمة الله والسُّلوك فيها بالإيمان. ولا شَكَّ أنَّ تَفَسُّخ العائلات في مجتمعاتنا وتفاقم المشكلات المؤلمة فيها هي صرخة مُدَوِّية لتحذيرنا مِن عصيان الله. لذلك، حان الوقت لكي يقوم الآباء والأمَّهات بمهامهم ومسؤوليَّاتهم التي أوكلها الله إليهم دون أن يشعروا بالحاجة إلى الاعتذار مِن هذا العالم الضالِّ، وتربية أولادهم في طريق الربِّ.

الخُلاصة

إنَّ السَّبب الأساسيَّ في انهيار البيت هو ضَلال الإنسان أيْ ابتعاده عن وصايا الربِّ وسلوكه في الطَّريق الذي اختاره لنفسه. والنَّتيجة الحَتميَّة لذلك هي الألم. فالأبناء المتمرِّدون يَجلبون الألم إلى حياة أبوَيْهم. والأبوان الضالَّان يجلبان الألم إلى حياة أبنائهما. والأزواج الضَّالُّون يَجلبون الألم إلى حياة زوجاتهم. والزَّوجات الضَّالَّات يَجلبن الألم إلى حياة أزواجهنَّ. والخطوة الأولى لمعالجة هذه المشكلة هي التَّوبة أي العودة إلى طريق الله. فليست الغاية مِن هذا الفصل إنجاح طرائق الإنسان لأنَّها بعيدة كُلَّ البعد عن النَّجاح. بل إنَّ هذا الفصل هو دعوة إلى تمييز الضَّلال ومعالجته بنزاهة. وما أكثر العلاجات السَّطحيَّة التي تُخفي الأعراض فقط! فهي تُعالج الألم، ولكنَّها لا تُعالج الخطيَّة. ولا شَكَّ أنَّنا لا نتجاهل وجود الألم في حياة النَّاس في وقتنا الحاضر. ولكن يجب علينا أن نُدرك في الوقت نفسه، أنَّه ما لم يتعامل الإنسان الخاطئ مع خطيّته، فإنَّ الألم سيدوم ويدوم. وعندما يُبدي النَّاس استعدادًا لإطاعة الله، وإكرام الأبوَيْن، وتربية الأبناء، والعيش بقداسة، سيصبح البيت مكانًا مُفعمًا بالأمان والمحبَّة، وملاذًا آمنًا للأولاد، ومعيارًا للقداسة في مجتمعاتنا.

لِنُفَكِّر معًا

١. اذكر بعض الأسباب التي تَجعل الأبناء يتركون حياة الإيمان. ما هي الأسباب الأهمّ مِن وجهة نظرك؟

٢. كيف يؤثِّر عدم احترام الوالِدَيْن للسُّلطة على أبنائهما؟ ما هي الأساليب الشَّائعة التي قد يُظْهِر الآباء والأمَّهات مِن خلالها عدم احترام السُّلطة؟

٣. ما هي بعض أشكال محبَّة العالم الحاليَّة التي قد يجدها الأبناء جَذَّابة أكثر مِن غيرها؟ كيف يمكن للأبوَيْن أن يتعاملا مع هذه التوجُّهات بأفضل طريقة ممكنة؟

٤. ما هي الأشياء التي ينبغي للأبوَيْن تَجَنُّبها في أثناء تعاملهم مع ابنهما المتمرِّد؟ هل يمكنك إضافة أيّة نُقطة أخرى إلى اللَّائحة المذكورة في هذا الفصل؟

٥. كيف يمكن للأبناء المؤمنين أن يقعوا في فَخِّ تجاهُل وصايا الأبوَيْن غير المؤمِنَيْن؟ كيف يمكن للمؤمنين الآخرين أن يُحَرِّضوا الأبناء المؤمنين -دون قَصْد- على عدم احترام الأبوَيْن غير المؤمِنَيْن؟

٦. صِفْ حاجة المرء إلى الصَّداقة في حال زواجه مِن شخصٍ بعيدٍ عن الله.

٧. كيف يمكن للمؤمن المتزوِّج مِن شريكٍ بعيدٍ عن الله أن يَستخدم الحُبَّ كوسيلة ضغط؟ ما سبب إخفاق هذا الأسلوب؟

٨. لنفترض أنَّ أحد الأزواج المطلّقين طلب مشورتك أو نصيحتك بخصوص ما تَعَرَّض له مِن استغلالٍ على يَد شريكه السابق (مِثل عدم التقيُّد بشروط زيارة الأبناء، أو الاستغلال المادِّيّ، أو مضايقته بطلبات كثيرة حول الوقت المسموح به له، أو غير ذلك). ما المشورة الكتابيَّة التي يمكنك أن تُقَدِّمها له؟

٩. ما هي البَرَكات التي قد يحصل عليها الزَّوجان حين يُرَكِّز كُلٌّ منهما على مسؤوليَّته في إنقاذ زواجهما؟ وما العواقب التي قد تَنجم عن عدم تَقَيُّد الزَّوجين بهذا المبدأ؟

١٠. ما هي حاجات الزَّوجة التي قد يتجاهلها الزَّوج عادةً؟ وما هي الوسائل العمليَّة التي يمكن للزَّوج اتِّباعها لتلبية هذه الحاجات؟ وماذا عن حاجات الزَّوج ووسائل تلبيتها؟

لِنَعمل معًا

١. قَيِّموا -كعائلة- بيتكم وحياتكم العائليَّة. هل تلاحظون وجود أية عوامل قد تُفْضي إلى وجود أبناءٍ مُتمرِّدين؟ إذا وجدتم عوامل كهذه، ما الذي يمكنكم القيام به لمعالجة المشكلة؟

٢. تأمَّل في مبادئ الصَّلاة لأجل غير المؤمنين. هل تشعر بالحاجة إلى مزيدٍ مِن الشَّرح والإيضاح لفهم أيِّ مبدأ مِن هذه المبادئ؟ هل هناك مبادئ أخرى ترغب في إضافتها؟

٣. هل تعرفون -كعائلة- أيَّ أبناء يعيشون مع آباء غير مؤمنين، أو أيَّ أزواج يعيشون مع شركاء غير مؤمنين؟ هل يمكنك التعهُّد بالصَّلاة لأجل أحدهم على وجه الخصوص؟ هل يمكنك التَّفكير في طرق لتكوين صداقات مع هؤلاء الأشخاص؟

٤. تَعاونا معًا -كزوج وزوجة- على تقييم فاعليَّة التَّواصُل بينكما. اطلب مِن شريك حياتك أن يُعَبِّر عن مدى رضاه عن فاعليَّتك في سَدِّ حاجاته. كيف يمكنكما تعميق علاقتكما؟